

نام كتاب: مشارق أنوار اليقين فى أسرار أمير المؤمنين عليه السلام

نويسنده: حافظ برسى، رجب بن محمد

تاريخ وفات مؤلف: ٨١٣ ق

محقق / مصحح: عاشور، على

موضوع: مناقب

زبان: عربى

تعداد جلد: ١

ناشر: أعلمى

مكان چاپ: بيروت

سال چاپ: ١٤٢٢ ق

نوبت چاپ: اول

ص: ٥

[مقدمات التحقيق]

[مقدمة المحقق]

ترجمة المصنف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كتاب مشارق أنوار اليقين للحافظ رجب البرسى من الكتب التى جمعت مناقب و أسرار آل محمد صلوات المصلين عليهم ما طلع نجم، بل لنا أن نقول أنه تفرد فى نقل بعض المناقب و الأسرار، مما واجهتنا مشكلة فى تخريج تلك المناقب.

و مؤلف هذا الكتاب من الحفاظ المشهورين بالعلم والتقوى والعرفان، و شدة و ولائه لآل محمد عليهم السلام، و إبراز ما أخفوه عن بعض شيعتهم، حتى رماه من لا تحقيق له و لا اطلاع له على جلّ روايات أهل البيت عليهم السلام بالغلو.

و سوف تعرف من كلام العلامة الخبير الأميني حقيقة الحال:

✽ قال العلامة الأميني «١»:

الشيخ رضى الدين رجب بن محمد بن رجب البرسى الحلى المعروف بالحافظ: من عرفاء علماء الإمامية وفقهائها المشاركين فى العلوم، على فضله الواضح فى فنّ الحديث، و تقدّمه فى الأدب و فرض الشعر و إجادته، و تزلّعه فى علم الحروف و أسرارها و استخراج فوائدها، و بذلك كله تجد كتبه طافحة بالتحقيق و دقّة النظر، و له فى العرفان و الحروف مسالك خاصّة، كما أنّ له فى ولاء أئمة الدين عليهم السلام آراء و نظريات لا يرتضيها لقيف من الناس، و لذلك رموه بالغلوّ و الارتفاع، غير أنّ الحقّ أنّ جميع ما يثبته المترجم لهم عليهم السلام من الشؤون هى دون مرتبة الغلوّ و غير درجة النبوة، و قد جاء عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قوله: إياكم و الغلوّ فينا.

قولوا: إنّنا عبيد مربوبون. و قولوا فى فضلنا ما شئتم «٢». و قال الإمام الصادق عليه السلام: اجعلوا لنا

(١) الغدير: ٧ / ٣٣ - ٦٨.

(٢) عن الخصال لشيخنا الصدوق و سوف يأتي مع تخريجه.

ص: ٦

ربّاً نتوب إليه و قولوا فينا ما شئتم.

و قال عليه السلام: اجعلونا مخلوقين و قولوا فينا ما شئتم فلن تبلغوا «١».

و أنّى لنا البلاغ مدية ما منحهم المولى سبحانه من فضائل و مآثر؟ و أنّى لنا الوقوف على غاية ما شرفهم الله به من ملكات فاضلة، و نفسيات نفيسة؛ و روحيات قدسية، و خلائق كريمة، و مكارم و محامد؟ فمن ذا الذى يبلغ معرفة الإمام؟ أو يمكنه اختياره؟ هيهات هيهات ضلّت العقول، و تاهت العلوم، و حارت الألباب، و خسئت العيون، و تصاغرت العظماء، و تحيرت الحكماء، و تقاصرت الحلماء، و حصرت الخطباء، و جهلت الألباء، و كَلَّت الشعراء، و عجزت الأدباء، و عيبت البلغاء عن وصف شأن من شأنه، و فضيلة من فضائله، و أقرّت بالعجز و التقصير؛ و كيف يوصف بكّله؟ أو ينعت بكنهه؟ أو يفهم شىء من أمره؟ أو يوجد من يقوم مقامه و يغنى عنه؟ لا. كيف؟ و أنّى؟ فهو بحيث النجم من يد المتناولين و وصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا؟ و أين العقول عن هذا؟ و أين يوجد مثل هذا؟ «٢».

و لذلك تجد كثيرا من علمائنا المحققين فى المعرفة بالأسرار يشبتون لأئمة الهدى صلوات الله عليهم كل هاتيك الشؤون و غيرها ممّا لا يتحمّله غيرهم، و كان فى علماء قم من يرمى بالغلو كلّ من روى شيئا من تلكم الأسرار حتى قال قائلهم: إنّ أوّل مراتب الغلو نفى السهو عن النّبىّ صلّى الله عليه و آله. إلى أن جاء بعدهم المحقّقون و عرفوا الحقيقة فلم يقيموا لكثير من تلكم التضعيفات وزنا، و هذه بليّة منى بها كثيرون من أهل الحقائق و العرفان و منهم المترجم، و لم تزل الفتنان على طرفى نقيض، و قد تقوم الحرب بينهما على أشدها، و الصلح خير.

و فذلكة المقام أنّ النفوس تتفاوت حسب جبلّاتها و استعداداتها فى تلقّى الحقائق الراهنة، فمنها ما تبهّظه المعضلات و الأسرار، و منها ما ينبسط لها فيبسط إليها ذراعا و يمدّ لها

(١) بصائر الدرجات للصفار و سوف يأتى.

(٢) من قولنا: «فمن ذا الذى يبلغ» إلى هنا مأخوذ من حديث رواه شيخنا الكلينى ثقة الإسلام فى أصول الكافى ١ / ٩٩ عن الإمام الرضا صلوات الله عليه (هامش الغدير).

ص:٧

باعا، و بطبع الحال أنّ الفئة الأولى لا يسعها الرضوخ لما لا يعلمون، كما أنّ الآخرين لا تبيح لهم المعرفة أن يذروا ما حقّقوه فى مدحرة البطلان، فهناك تنور المنافرة، و تحتدم الضغائن، و نحن نقدرّ للفريقين مساعهم لما نعلم من نواياهم الحسنة و سلوكهم جدد السبيل فى طلب الحقّ و نقول:

على المرء أن يسعى بمقدار جهده و ليس عليه أن يكون موقفا

ألا إنّ الناس لمعادن كمعادن الذهب و الفضة «١» و قد تواتر عن أئمة أهل البيت عليهم السلام: أن أمرنا - أو حديثنا - صعب مستصعب لا يتحمّله إلّا نبيّ مرسل أو ملك مقرب، أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان «٢».

إذن فلا نتحرّى وقعة فى علماء الدين و لا نمسّ كرامة العارفين، و لا ننقم من أحد عدم بلوغه إلى مرتبة من هو أرقى منه، إذ لا يكلف الله نفسا إلّا وسعها. و قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: لو جلست أحدثكم ما سمعت من فم أبى القاسم صلّى الله عليه و آله لخرجتم من عندى و أنتم تقولون: إنّ عليا من أكذب الكاذبين «٣».

و قال إمامنا السيّد السجّاد عليه السلام: لو علم أبو ذر ما فى قلب سلمان لقتله، و لقد آخى رسول الله صلّى الله عليه و آله بينهما فما ظنكم بسائر الخلق «٤» و كَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى، وَ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا.

و إلى هذا يشير سيّدنا الإمام السجّاد زين العابدين عليه السلام بقوله:

كيلا يرى الحقّ ذو جهل فيفتننا
إلى الحسين و أوصى قبله الحسن
لقليل لى: أنت ممّن بعد الوثنا

إنّى لأكتّم من علمى جواهره
و قد تقدّم فى هذا أبو حسن
فربّ جوهر علم لو أبوح به

(١) حديث ثابت عند الفريقين (هامش الغدير).

(٢) بصائر الدرجات للصفار: ٦، أصول الكافي: ١/ ٢١٦.

(٣) منح المنة للشعراني: ١٤.

(٤) بصائر الدرجات للصفار: ٧ آخر الباب الحادى عشر من الجزء الأوّل و أصول الكافي لثقة الإسلام الكليني: ١/ ٢١٦.

ص: ٨

يرون أقبح ما يأتونه حسنا»١

و لاستحلّ رجال مسلمون دمي

و لسيدنا الأمين فى أعيان الشيعة (٣١: ١٩٣ - ٢٠٥) فى ترجمة الرجل كلمات لا تخرج عن حدود ما ذكرناه.

و ممّا نقيم عليه به اعتماده على علم الحروف و الأعداد الذى لا تتمّ به برهنة و لا تقوم به حجة، و نحن و إن وافقناه على ذلك إلّا أن للمترجم له و من هذا حدوه من العلماء كابن شهر آشوب و من بعده عذرا فى سرد هاتيك المسائل فإنّها أشبه شىء بالجدل تجاه من ارتكن إلى أمثالها فى أبواب أخرى من علماء الحروف من العامّة كقول العبيدى المالكي فى عمدة التحقيق ص ١٥٥: قال بعض علماء الحروف: يؤخذ دوام ناموس آل الصديق و قيام عزّته إلى انتهاء الدنيا من سرّ قوله تعالى: **فِي ذُرِّيَّتِي** فإنّ عدّتها بالجمال الكبير ألف و أربعمئة و عشرة و هى مظنة تمام الدنيا كما ذكره بعضهم فلا يزالون ظاهرين بالعزّة و السيادة مدّة الدنيا، و قد استنبط تلك المدّة عمدة أهل التحقيق مصطفى لطف الله الرزنامجى بالديوان المصرى من قوله تعالى: **لَا يَلْبُثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا** «٢»، قال ما لفظه: إذا أسقطنا مكرّرات الحروف كان الباقي (ل ا ي ب ث و ن خ ف ك ق) أحد عشر حرفا عددهم بالجمال الكبير ألف و ثلاثمئة و تسعة و تسعين زدنا عليه عدد الحروف و هو أحد عشر صار المجموع و هو ألف و أربعمئة و عشرة و هو مطابق لقوله تعالى: **ذُرِّيَّتِي**.

و سمعت ختام الأعلام شيخنا الشيخ يوسف الفيشى رحمه الله يقول: قال محمّد البكرى الكبير: يجلس عقبنّا مع عيسى ابن مريم على سجادة واحدة و هذا يقوى تصحيح ذلك الاستنباط. ه.

[تهويل ليس عليه تعويل]

و نحن لا ندري ما ذا يعنى سيدنا الأمين بقوله: «و فى طبعه شذوذ و فى مؤلفاته خبط و خلط و شىء من المغالاة لا موجب له و لا داعى إليه و فيه شىء من الضرر و إن أمكن أن

(١) تفسير الآلوسى: ٦/ ١٩٠ و سوف يأتى مع مصادره.

(٢) الإسراء: ٧٦.

ص: ٩

يكون له محل صحيح؟ ليت السيد يوعز إلى شىء من شذوذ طبع شاعرنا الفحل حتى لا يبقى قوله دعوى مجردة. و بعد اعترافه بإمكان محمل صحيح لما أتى به المترجم له فأى داع إلى حمله على الخبط و الخلط، و نسيان حديث: ضع أمر أخيك على أحسنه؟ و أى ضرر فيه على ذلك التقدير؟ على أننا سبرنا غير واحد من مؤلفات البرسى فلم نجد فيه شاهدا على ما يقول، و ستوافيك نبذ ممتعة من شعره الرائق فى مدائح أهل البيت عليهم السلام و مراثيهم و ليس فيها إلّا إشارة إلى فضائلهم المسلّمة بين الفريقين أو ثناء جميل عليهم هو دون مقامهم الأسمى، فأين يقع الارتفاع الذى رماه به بعضهم؟ و أين المغالاة التى رآها السيد؟ و البرسى لا يحذو فى كتبه إلّا حذو شعره المقبول، فأين مقيّل الخبط و الضرر و الغلو التى حسبها سيد الأعيان؟.

و أمّا ما نقم به عليه من اختراع الصلوات و الزيارة بقوله: «و اختراع صلاة عليهم و زيارة لهم لا حاجة إليه بعد ما ورد ما يغنى عنه و لو سلم أنه فى غاية الفصاحة كما يقول صاحب الرياض» فإنه لا مانع منه إلّا ما يوهّم المخترع أنها مأثورة، و أى وازع من إبداء كلّ أحد تحيته بما يجريه الله تعالى على لسانه و هو لا يقصد وردا و لا يريد تشريعا؟ و قد فعله فطاحل العلماء من الفريقين ممّن هو قبل المترجم [له] و بعده، و لا تسمع اذن الدنيا الغمز عليهم بذلك من أى أحد من أعلام الأمة.

و أمّا قول سيدنا: «و إن مؤلفاته ليس فيها كثير نفع و فى بعضها ضرر و لله فى خلقه شئون سامحه الله و إيانا»، فإنه من شظفة القلم صدر عن المشظف «١» سامحه الله و إيانا.

تأليفه القيّمة:

١- مشارق أنوار اليقين فى حقايق أسرار أمير المؤمنين.

٢- مشارق الأمان و لباب حقايق الإيمان. ألفه سنة ٨١٣.

٣- رسالة فى الصلوات على النّبى و آله المعصومين.

٤- رسالة فى زيارة أمير المؤمنين طويلة. قال شيخنا صاحب الرياض: فى نهاية الحسن

(١) المشظف كمنبر: من يعرض بالكلام على غير القصد.

ص: ١٠

و الجزالة و اللطافة و الفصاحة معروفة.

٥- رسالة اللمعة من أسرار الأسماء و الصفات و الحروف و الآيات و الدعوات. فيها فوائد لا تخلو من غرابة كما قاله شيخنا صاحب الرياض.

٦- الدرّ الثمين في خمسمائة آية نزلت في مولانا أمير المؤمنين باتّفاق أكثر المفسّرين من أهل الدين، ينقل عنه المولى محمد تقى الزنجاني في كتابه: طريق النجاة.

٧- أسرار النبيّ و فاطمة و الأئمة عليهم السّلام.

٨- لوامع أنوار التمجيد و جوامع أسرار التوحيد في أصول العقائد.

٩- تفسير سورة الاخلاص.

١٠- رسالة مختصرة في التوحيد و الصّلوات على النبيّ و آله.

١١- كتاب في مولد النبيّ و عليّ و فاطمة و فضائلهم.

١٢- كتاب في فضائل أمير المؤمنين غير المشارق.

١٣- كتاب الألفين في وصف سادة الكونين.

شعره الرائق:

أضاء بك الافق المشرق	و دان لمنطقك المنطق
و كنت و لا آدم كائنا	لأنك من كونه أسبق
و لو لاك لم تخلق الكائنات	و لا بان غرب و لا مشرق

و له في العترة الطاهرة و سيّدهم صلوات الله عليه و عليهم قوله:

إذا رمت يوم البعث تنجو من اللظى
و يقبل منك الدين و الفرض و السنن

فوال علياً و الأئمة بعده
نجوم الهدى تنجو من الضيق و المحن

فهم عترة قد فوّض الله أمره
إليهم لما قد خصّهم منه بالمنن

أئمة حقّ أوجب الله حقّهم
و طاعتهم فرض بها الخلق تمتحن

نصحتك أن ترتاب فيهم فتنتنى
إلى غيرهم من غيرهم فى الأنام من؟

فحبّ علىّ عدّة لوليّه
يلاقيه عند الموت و القبر و الكفن

ص: ١١

كذلك يوم البعث لم ينج قادم
من النار إلّا من تولّى أبا الحسن

* و قال السيد محسن الأمين فى أعيان الشيعة «١»:

كان حيّاً سنة ٨١٣ و توفى قريباً من هذا التاريخ.

(و البرسى) نسبة إلى برس فى الرياض بضم الباء الموحدة و سكون الراء ثم السين المهملة، قال: و يظهر من القاموس أنه بضم الباء و فتحها و كسرهما. فى القاموس قرية بين الكوفة و الحلة و قيل برس جبل يسكن به أهله. و عن مجمع البحرين: قرية معروفة بالعراق، ذكر ذلك فى ذيل قوله فى الخبر أحلى من ماء برس، أى ماء الفرات لأنها واقعة على شفيره أو هو موضع بين البلدين المذكورتين و ضبطه بكسر الباء، و كذا عن شرح المولى خليل القزوينى على الكافى. أقول: الشائع على لسان أهل العراق اليوم بكسر الباء، و الظاهر أنه اسم قرية هى اليوم خراب كانت على ذلك الجبل، و هذا الجبل اليوم على يمين الذهاب من النجف إلى كربلاء و أهل العراق يسمّونه برس و يضربون به المثل للشخص الذى أينما ذهبته وجدته فيقولون فلان مثل برس. و هذا الجبل لعلوه و عدم وجود جبل سواه فى تلك السهول أينما كنت تراه. و أصل الشيخ رجب من تلك القرية ثم سكن الحلة، و ليست النسبة إلى بروسا المدينة المعروفة فى الأناضول لأن المترجم لم يرها. و فى الرياض قد يتوهم كون النسبة إليها. و حكى عن الصدر الكبير الميرزا رفيع الدين محمد فى رد شرعة التسمية للسيد الداماد أن كتاب مشارق أنوار اليقين فى كشف أسرار حقايق أمير المؤمنين عليه السّلام للشيخ الفاضل رضى الدين رجب بن محمد البروسى قال: و لا شك أن البروسى نسبة إلى بلدة بروسا ه. و كيف كان فكونه نسبة إلى بروسا غير صواب مع إمكان كون الواو من زيادة النسخ.

أقوال العلماء فيه:

فى مسودة الكتاب: كان فقيها محدثاً حافظاً أديباً شاعراً مصنفّاً فى الأخبار و غيرها.

و فى أمل الآمل: الشيخ رجب الحافظ البرسى كان فاضلاً شاعراً منشئاً أدبياً له كتاب مشارق أنوار اليقين فى حقائق أسرار أمير المؤمنين عليه السلام و له رسائل فى التوحيد و غيره و فى كتابه إفراط و ربما نسب إلى الغلو.

و فى الرياض: الشيخ الحافظ رضى الدين رجب بن محمد بن رجب البرسى مولداً و الحلّى محدثاً الفقيه المحدث الصوفى المعروف صاحب كتاب مشارق الأنوار المشهور و غيره، كان من متأخري علماء الإمامية لكنّه متقدّم على الكفعمى صاحب المصباح و كان ماهراً فى أكثر العلوم و له يد طولى فى علم أسرار الحروف و الأعداد و نحوها كما يظهر من تتبع مصنفاته، و قد أبدع فى كتبه حيث استخرج أسامى النبى و الأئمة عليهم السلام من الآيات و نحو ذلك من غرائب الفوائد و أسرار الحروف و دقائق الألفاظ و المعميات و لم أجد له إلى الآن مشايخ من أصحابنا و لم أعلم عند من قرأ (أقول) ستعرف أنه يروى عن شاذان بن جبرئيل القمى.

و قال المجلسى فى مقدّمات البحار عند تعداد الكتب التى نقل منها: و كتاب مشارق الأنوار و كتاب الألفين للحافظ رجب البرسى و لا أعتمد على ما ينفرد بنقله لاشتغال كتابيه على ما يوهم الخط و الخلط و الارتفاع و إنّما أخرجنا منهما ما يوافق الأخبار المأخوذة من الأصول المعتبرة. و فى الرياض التأمّل فى مؤلفاته يورث ما أفاده الأستاذ المجلسى و المعاصر صاحب الأمل من الغلو و الارتفاع لكن لا إلى حدّ يوجب عدم صحّة الاعتقاد «١».

٢/ شوال / ١٤٢٠ هـ حرره على عاشور الموافق ١٠ / ١ / ٢٠٠٠ م لبنان / شقراء

[مقدمة المؤلف]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تمهيد الحمد لله الواجد لا من قلة، الموجود لا من علّة، و الصلاة على المبعوث لأشرف ملّة، و آله النجوم و الأهله.

و بعد فيقول المخلوق من الماء المهين العبد الفقير المسكين المستكين المؤمن بوحدانية ربّ العالمين، المنزه عن أقوال الظالمين، و شبه الظالمين، و ضلال المشبهين، و إلحاد المبطلين، و إبطال الملحدين، الشاهد بصدق الأنبياء و المرسلين، و عصمة الأولياء الصديقين، و الخلفاء الصادقين، المصدّق بيوم الدين، رجب الحافظ صان الله إيمانه، و أعطاه فى الدارين أمانه، هذه رسالة فى

أصول الكتاب سمّيتها (لوامع أنوار التمجيد، و جوامع أسرار التوحيد) أودعتها ديني و اعتقادي، و جعلتها زادي ليوم معادي، قدّمتها لوجوب تقديم التوحيد، على سائر العلوم، و أتبعها كتابا سمّيته (مشارك أنوار اليقين، في إظهار أسرار حقائق أمير المؤمنين) فكان هذا الكتاب الشريف جامعا لحقائق أسرار التوحيد، و النبوة و الولاية، موصلا لمن تأمله و أم له إلى الغاية و النهاية، و الله المعين و الهادي.

فأقول متوكّلا و متوسّلا: أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، شهادة يوافق فيها السرّ الإعلان، و القلب اللسان، الحي القيوم، الموجود بغير أنية، المعروف بغير كيفية، سبحانه الله العظيم في مجده، قيوم بذاته و صفاته، غني عن جميع مخلوقاته، وحده لا شريك له بعد فاقترب، و ظهر فاحتجب، فلا بعده بعد مسافة، و لا قربه قرب كثافة، قرب إلى الأسرار ببرّه و رحمته، و بعد عن الأبصار بأشعة جلال عظمت، نأى عن العيون بشدة جماله؛ و اختفى عن العيان بكمال نوره، فظهر بغيبه، و غاب بظهوره، فهو ظاهر لا يرى، و باطن لا يخفى، يعرف بفطر القلوب، و هو في سواتر الغيوب، تجلّى بجمال صفاته من كل الجهات، فظهر و تجلّى

ص: ١٤

بكمال ذاته عن كل الجهات، فاستتر الفرد المجرد عن المواد و الصور، فهو الرفيع في جلاله، البديع في جماله، وحده لا شريك له، وجوده وجود إيمان لا وجود عيان. دلّت عليه آياته، و شهدت بوحدانيته مصنوعاته، و أقرّت بربوبيته أرضه و سماواته، كل حادث دليل عليه، و مستند في وجوده إليه، و مشير بالعظمة و الكبرياء إليه، فمفهومه و معناه، تقدّس في عزّه و علاه، أنه ذات واحدة لا تحدّها فكرة، و لا تحاولها كثرة، لها الجلال و الإكرام، و البقاء و الدوام، و الملك المؤبد، و السلطان السرمد، و العزّ المنيع، و المجد الرفيع، فالحق عزّ اسمه و جلّ جلاله، واحد من جميع الجهات، فرد صمد بكل العبادات، قيوم أحد بأكمل الدلالات، ربّ وتر بالذات و الصفات، معبود حقّ بسائر اللغات، لا تحكيه العبارات، و لا تحويه الإشارات، فذاته الأزلية الأبدية القيومية الرحمانية، المقدّسة بالوحدة الحقيقية، المنزهة عن الكثرة الصورية، مبدأ لسائر الموجودات، و منبع لسائر الكمالات، موصوفة بأكرم الصفات، مسلوب عن جمال كمالها النقائص و الحاجات، متعالية عن الأحياز و الجهات، منزّهة عن مشابهة المحدثات، مبراة عن المقولات، فسبحان القيوم، الذي لم يزل و لا يزال، الفرد المنزه عن الحلول و الانتقال، وحده لا شريك له، كان و لم يزل كائنا، و لا سماء مبنية، و لا أرض مدحية، و لا خافق يخفق، و لا ناطق ينطق، و لا ليل داج، و لا صبح مشرق، كان الله و لا شيء معه، و هو على ما كان لم يتكثر بخلقه أبدا، فسبحان من أين الأين، فلا أين يحويه، و كيف الكيف فلا كيف يحكيه، و تعالى عن المكان و الزمان، فلا وقت يباريه، وحده لا شريك له، جلّ عن أجل معدود، و أمد ممدود، و تعالى عن وقت محدود، الحي الحميد المحمود، قدوس، سبوح، ربّ الملائكة و الروح، حي لا يموت.

فسبحانه من أزلى قديم، سبق العدم وجوده، و الأزل قدمه، و المكان كونه، و عزّ عن المزوجة اسمه، وحده لا شريك له، ليس لقدمه رسم، و لا حدّ، و لا لملكه قبل و لا بعد، و لا لأمره دفع و لا ردّ، و لا لسلطانه ضدّ و لا ندّ، تقدّس القيوم في جلال عظمت، و دوام سلطنته، وحده لا شريك له، لا تدركه الحواس، فيوجد له شكل، و لا يشبه بالناس فيكون له مثل، امتنعت عن إدراك ذاته عيون العقول، و انقطعت دون وصف صفاته أسباب الوصول، حي قيوم، وجوده لذاته بذاته عن ذاته، لا لعلّة تقوّمه فيكون ممكنا، و لا لسبب يتقدّمه فيكون

محدثا، و لا لكثرة تزاممه فيكون للحوادث محلاً، حى قبل كل حى، و حى بعد كل حى، واجب الحياة لكل حى، و حى لم يرث الحياة من حى، فهو المعبود الحق، و الإله المطلق، أحدى الذات، و احدى الصفات، أزلى اللاهوت، أبدى الملكوت، سرمدى العظمة، و الجلال و الجبروت، حى قيوم لا يموت، لا تحكيه الشواهد، و لا تحويه المشاهد، و لا تحجبه السواتر، و لا تبلغه النواظر، لا يدركه بعد الهمم، و لا يناله غوص الفطن، وجهه حيث توجهت، و طريقه حيث استقمت، لا تجرى عليه الحركة و السكون، فكيف يجرى عليه ما هو أجراه، لا إله إلا هو الله، فمن وصف الله سبحانه فقد حده، و من حده فقد عده، و من عده فقد ثناه، و من ثناه فقد أبطله، إذ ليس فى الأشياء؛ و إلا لكان محدودا، و لا منها؛ و إلا لكان معدودا، فهو بعيد عنها، دان إليها، قائم بها، قيوم عليها، لا يتجزى فيعد، و لا يتكثر فيحد، ما وحده من كيفه، و لا حقيقته أصاب من مثله، و لا إياه عنى من شبهه، و لا حمده من أشار إليه و توهّمه، الحكم العدل الذى لا يتوهم و لا يتهم، شهدت العقول و النفوس، و شاهدت العيون و المحسوس: أن العالم متغير، و كل متغير جسم، و كل جسم حادث، و كل حادث له محدث، و ذلك المحدث هو الخالق المقدر، و البارئ المصور، و الجبار المتكبر، لافتقار الأثر إلى المؤثر، فهو الرب القديم، العلى العظيم، الغنى الكريم، الجواد الرحيم، الذى صدر العالم عنه و ابتدعه، و تعالى عنه، فهو المبتدئ الأول، الذى فاض عن وجود وجود كل موجود، و المبدأ الأول واجب لذاته، و الواجب لذاته حى قيوم، و الحى القيوم قديم أزلى، و القديم واجب الوجود و دائم الوجود، واحد من جميع الجهات، و الواحد الحق يستحيل أن يكون جسما، لأن الجسم يلزمه التركيب و الكثرة، و كل مركب له أول، و ما له أول محدث، و القيوم الحق مجرد عن كل مادة، منزّه عن كل صورة، مقدّس عن كل كثرة، مبرأ عن كل وصف، لا يشمله حدّ أو يبدأ له عدّ، أو يتناوله رسم، أو يكشفه اسم، لا تحويه الأقطار، و لا تبديه الأفكار، و لا تدركه الأبصار، و كيف تدركه الأبصار و هى خلقه؟ أو كيف تحويه الأقطار و هى صنعه؟ و الصنعة على نفسها تدل، و فى مثلها تحل، فسبحانه قيوم حق، لا أول لوجوده، و لا نهاية لملكه وجوده، و العالم كله بالعدم مسبوق، و بالفناء ملحوق، فكلها سوى الحى القيوم محدث و مركب و مفتقر، و الحق عز اسمه فرد مجرد، لا كثرة فى ذاته و صفاته،

هو واحد لا ينقسم تقديرا و لا حدا، و احدا لا يقارب نظيرا و لا ضدّا، و احدا ذاتا و نعتا، و كلمة وعدا، فله الوحدة اللاتقة بكرم وجهه، و عز جلاله، كالإلهية المحضة، و الإله المطلق هو الله سبحانه، كل الكل، و معبود الكل، و خالق الكل، و العالى على الكل، و المتعالى عن الكل، و العلى عن الكل، و المنزّه عن الكل، و البرىء عن الكل، و العالم بالكل، و المظل على الكل؛ و المطلع على الكل، و الحافظ الكل، و الحفيظ على الكل، و القائم بالكل، و القيوم على الكل.

فالرب الأزل القديم واحد حقا، و صمد يبقى، و قيوم معبود صدقا؛ فسبحان من تفرّد بالوحدانية و الجلال، و تقدّس بالمجد و الجمال، و تعزّز بالبقاء و الكمال، و حكم على الخليقة بالفناء و الزوال، فكل شىء هالك إلا وجهه، فليس على الحقيقة معبود حق إلا الله وحده لا إله إلا الله، لا إله إلا الله نفى و إثبات، و الحق ثابت لم يزل و لا يزال، و الضدّ جل عن الضدّ، عدم محض، ينفى الغير من وقع النفى و الإثبات، فمعنى كلمة التوحيد، و آية التجريد أنه لا إله فى وجود، حى موجود، له الركوع و السجود، واحد لذاته، غنى عن جميع مخلوقاته، قادر عالم، حى سميع، بصير مرید، كاره غنى، واحد منزّه عن كل نقص، طاهر من كل عيب، ذاته و صفاته، مستحق للعبادة، لا إله إلا الله اسمه، و الرحمن نعته، و الأحد ذاته، و الواحد صفاته، و اسمه الله، عز عن اسم، علم لذاته

المقدّسة، جامع لجلال صفات الجلال والعظمة، مانع من الشراكة فى الحقيقة و التسمية الرحمن، و لا شبيه [له و لا] يسمّى أحد بأسمائه، و لا شريك له فى ملكه و كبريائه، و لا شبه له فى عظمتة و آلائه، و لا منازع له فى أمره و قضائه، و لا معبود سواه فى أرضه و سماءه، ربّ قديم، و ملك عظيم، غنى كريم، لا شريك له فى الإلهية، و لا شبيه له فى الماهية، جلّ عن الشبيه و المثل، و تعالى عن التشبيه و التمثيل، عز عن ولد ينفعه، و تقدّس عن عدد يجمعه، الواحد الأحد، الذى لا يشبهه أحد، و لا يساويه أحد، له الجلال الباهر، و الجبروت القاهر، و الملكوت الزاهر، و السلطان الفاخر، هو الأوّل و الآخر، و الباطن و الظاهر، الأوّل بالذات، و الآخر بالصفات، و الظاهر بالآيات، و الباطن عن التوهّمات، حارت فى إدراك ملكات ملكوته مذاهب التفكير، و غارت عن الرسوخ فى علمه جوامع التفسير، تاهت العقول فى تيه عظمتة، و هامت الأوهام فى بيداء عزّته، حماها نور الأحدية، و غشاها جلال سبحات الربوبية، عن إدراك حقيقته الإلهية،

ص: ١٧

فرجع الطرف خاسئاً حسيراً، و العقل مبهوتا مبهورا، و الفكر متحيّراً مذعورا، و الوهم مذموما مدحورا؛ فسبحان الملك الحق المتعالى عن الجهات و الأمكنة، الذى لا تأخذه نوم و لا سنة، و لا تصف جلال كمال عظمتة الألسنة اللسنة، لا يحويه مكان، و لا يخلو منه مكان، و لا يصفه لسان، به كان الخلق لا بالخلق كان.

إن قلت: متى فقد سبق الكون كونه؛ أو قلت قبله فالتقبل بعده؛ أو قلت أين؟ فقد تقدّم المكان وجوده؛ أو قلت كيف؟ فقد أصحت «١» عن الوصف صفته؛ أو قلت مم؟ فقد باين الأشياء كلّها؛ أو قلت هو، فالهاء و الواو كلامه.

بالكلمة تجلّى الصانع للعقول، و بها احتجب عن العيون، فسبحان من جوده آية وجوده، و أنوار عظمتة مانعة من سهوده، لم يزل، و لا يزال، أزليا أبديا فى الغيوب، ليس فيها أحد غيره و لا معبود سواه، لا يجوز عليه التشبيه الذى يرقبه فهمك، و لا التشكيك الذى ينتجه و همك، الجبار الذى فتق و رتق ظلام العدم بقوّته و قهره، فأهلّ الوجود بلا إله إلّا الله، و أتقن نظام الموجودات بقدرته و أمره، فليس خالق إلّا الله خالق السّماوات، و بالعدل فطرها، و أجرى فيها شمسها و قمرها، فهى دائرة بقهره، طالعة لأمره، مملأها بالأنوار، و قدّسها بالأبرار، و حرسها بالشهب الثواقب من الأغيار، و حفظها من الأود و الانفطار، فهى عالم الملكوت، و قبة الجبروت، و سراق العظمة و الجلال و الجبروت، سقفا مرفوعا، و سمكا محفوظا، بغير عمد يدعمها، و لا دسار يقبضها، لم يشيّد بها سبحانه خوفا من سطوة سلطان، و لا خشية من نزول حدثان، بل جعلها دليلا للناظر، و علما للسائر، تدلّ آياتها على عظمتة، و رفعتها على قدرته، و كمال لطفه و حكمته، فمن نظر فى خلق السّماوات، و تعاقب حركات السيارات، و اختلاف الليل و النهار، و ما تضمن ذلك من الحكمة العجيبة، و القدرة الغريبة، بل فى نفسه، و تركيب جسده، شاهد فى كل لحظة، و عاين فى كل لمحة، شاهد حق، و ناطق صدق، ينطق بأن صانعه حى قيوم قدير، و يشهد بأن موجد ربّ حكيم خبير.

سماء ذات أبراج، و أرض ذات فجاج، و بحار ذات أمواج، و قمر ذو إشراق، و سراج و هاج، و سحب صاعد، و ماء فجاج، و أجسام ذات أعضاء، و أحياء و أمشاج، و الكل يدلّون

على الصانع القدير، فسبحان من فطر الخلائق على عظام مختلفات، وأنطقهم بغرائب اللغات، وقدر لهم الأعمار والأرزاق والأقوات، فهو الخالق العليم، الذى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة، ولا يغيب عن حفظه مكىال قطرة، فكيف يغيب عنه ما هو أبداه، ويخفى عليه ما هو أنشأه، لأن الخالق عالم بخلقه، محيط بصنعه، ومؤلف بين عناصره، شاهد بحقائقه وسرائره، مدرك بباطنه وظاهره، فهو العالم بخفيات الغيوب، الشاهد لسرائر القلوب، فالأعضاء شهوده، والجوارح جنوده، والضامير غيوبه، والسرائر عيانه، فلا يخفى عليه شىء من خلقه، ولا يعزب عنه شىء من صنعه، وكيف يغيب عنه ما هو أبداه، ويخفى عليه ما هو أنشأه، فسبحانه من قادر عليم؛ لم يزل على الأسرار رقيقا، ومن الأرواح قريبا، وعلى الأعمال حسيبا، فهو الرقيب القريب، الشاهد الذى لا يغيب، فسبحان القيوم القدير، المتكلم الخبير، السميع البصير، سمعه منزّه عن الأصمخة والآذان، وبصره منزّه عن الحدقة والأجفان، وكلامه جل عن الآلات واللسان، فطر العقول فلا ضدّ حضره حين فطرها، وبرأ النفوس فلا ندّ خبره حين اختبرها، وحده لا شريك له، الروح قطرة من قطرات بحار ملكوته، والنفوس شعلة من شعلات جلال جبروته، والسموات السبع والأرض ومن فيهن ذرة من ذرات قدرته، وسبعون ألف عالم أثر من آثار حكيمته، والعالم بأسره سرّ من أسرار صنعتته، والكل شاهد بأنه هو الذى لا إله إلا هو وحده لا شريك له فى جلال كبريائه وعظمته، أهل السموات يظنونونه من الأرض، وأهل الأرض يظنونونه فى السماء، وهو الصمد الديان، المنزّه عن الأين والمين، الموجود فى كل مكان، المتعالى عن الإدراك بالبصر والعين، العالى عن الحدود والحدثان، الواحد الفاضل عن الاثنين، المعبود فى كل زمان.

خلق الإنسان فقدّره، وأحسن خلقه وصوره، وشقّ سمعه وبصره، خلقه من ماء مهين نطفة، وأنشأه من الحق شرعة و منهاجا، وفطره على التوحيد، وأوقد له من العقل سراجا، وحل له رباط الضريح «١» بأنامل الفرج والاعتبار، وأخرجه من مشيمة الرحم بيد المشية والرحمة والاعتدار، ودفع له دم الطمث فى الصدر لبنا، وغذاه برزقه، وأخرجه إليه سهلا لبنا و رياه بلطفه، وأنبتة نباتا حسنا، وجعل له سمعا يسمع آياته، وعقلا يفهم كلماته، ويدرك

(١) كذا بالأصل.

صفاته، وبصرا يرى قدرته، وفؤادا يعرف عظمته، وقلبا يعتقد توحيده، ولسانا ينشر تمجيده، وجعل جسده مدينته، والروح منه خليفته، وقلبه كعبته وبيته، الذى أطاف به ملائكته، وكرّمه وفضّله، وفض له سوايغ النعماء، وأمره بمعرفته، ليشكره على عميم العطاء والنعماء، وأسكنه دار المحنة والابتلاء، وأرسل عليه الرسل ونصب له الأدلاء، وساقه بسوط القهر إلى ميدان الفناء، وساوى بالموت بين الملوك والفقراء، ذلك لطف و عدل لنفوذ قلم القضاء، والوصول إلى دار البقاء، وإعادتهم بعد الموت لطفًا واجبا لإيصال العوض والجزاء، فسبحان من فطر الخلائق، فلم يعى بخلقهم حين ابتدأهم، ولم يستأنس بهم حين أوجدهم وأنشأهم، ولم يستوحش لفقدهم إذ أماتهم وأفناهم، ولم يعجزه بعثهم إذ هو أهون عليه إذا دعاهم، للمحسنات وناداهم، تبارك القوى القدير، علمه قبل التكوين كعلمه بهم بعد الإيجاد والتبيين، فسبحان من ألهم، ومن له الفضل والمن.

آمنت بذى الملك و الملكوت، و أسلمت لذى العزة و الجبروت، و توكّلت على الحى الذى لا يموت، الربّ المنفرد بالوحدانية و عدم القرين، الحى القوى، العلى الغنى عن المعين، شهدت بواجب الوجود، و مفيض الكرم و الجود، بالأحدية التى لا تحد و الوحدانية التى لا تعد، و الصمدانية التى ليس لها قبل و لا بعد، و الإلهية البسيطة التى كل لها ملك و مملوك، و عبت من سرى و فؤادى و روحى و خيالى و سوادى، بأن الله هو الحق المبين وحده لا شريك له، له الملك، و له الحمد، الرب الفرد الصمد، لم يلد و لم يولد، و لم يكن له كفوا أحد.

شهدت لربى و مولاي مصور ذاتى، و مقدّر صفاتى، الذى له نسكى و صلاتى و محياى و مماتى، بأنه هو الذى لا إله إلا هو ربّ كل شىء، و خالق كل شىء و معبود كل شىء، و ملك كل شىء، و مالك كل شىء و بيده ملكوت كل شىء، القيوم الأوّل، قبل وجود كل شىء، و الحى الباقي بعد فناء كل شىء، الواحد المسلوب عنه الشبيه و النظير، الأحد الذى لا كمثله شىء، و هو السميع البصير، لا تدركه الأبصار، و هو يدرك الأبصار، و هو اللطيف الخبير، و أن هذه الصفات الإلهية، و المدائح الربانية، لا يستحقها أحد سواه، و لا يملكها و يستوجبها إلا الله و أنه سبحانه حكم عدل لا جور فى قضيته، و لا ظلم فى مشيئته و أنه

ص: ٢٠

تجرى الأمور على ما يقضيه لا على ما يرتضيه، و أعتقد أنه من عرف بهذا الاعتقاد وحده، و نزّهه عن مشاهدة المحدثات و عبده، و أعلن شكر الإله و حمده، فهو مؤمن مخلص قد شملته العناية و المنّة، و وجبت له النجاة و الجنة، و ذلك كله بلطفه و عنايته و حوله و قوّته و منّه و هدايته و إرشاده و دلّته.

فسبحان من ابتدأ بالفضل، و كلف بالعدل، و مدح العلم و ذم الجهل، و أفاض اللطف، و أوضح السبيل، و نصب الدليل، و أرسل الرسل، و بعث الأنبياء عليهم السّلام حكاما لإظهار أمره، و نشر عدله، و نصب الأوصياء عليهم السّلام أعلاما لكمال دينه، و بيان فضله، بعثهم بالهدى و دين الحق، رسلا مبشرين و منذرين، صادقين معصومين، إليه يدعون، و عنه يقولون، و بأمره يعملون، ثم جعلنا و له الحمد من أمة خير الأنبياء عليهم السّلام، و أطيب مخلوق من الطين و الماء، و أشرف مبعوث شرفت به الأرض و السماء، الجسد المطهر، و الروح المقدس المعطر، الذى تعطرت به البطحاء، البشير النذير، السراج المنير، أوّل الأنبياء بالنور، و آخرهم بالظهور، و سرهم فى الأصلاب و الظهور، أكرمهم شيعة، و أعظمهم شريعة، و أفصحهم كلاما، و أرفعهم قدرا، و أشرفهم كتابا، و أعزّهم جنابا، أشرف من تشرّف به الأعواد و الأعضاء «١» المنطق الالهى، أفصح من نطق بالضاد، النبى الكريم صلّى الله عليه و آله، و الرؤوف الرحيم، الأوّل، الآخر، الباطن، الظاهر، الفاتق، الراقق، الفاتح، الخاتم، العالم، الحاكم، الشاهد، القاسم، المؤيد، المنصور، أبى القاسم محمد بن عبد الله، الحميد المحمود، الصادق الأمين، العزيز المبين، المنتجب من خاص الطين، المبعوث رحمة للعالمين، صفى الله و صفوته، و إمام أصفياه يوم البعث و النشور، خاتم الأنبياء و المرسلين، و سيّد الأوّلين و الآخرين، صلّى الله عليه و آله الطاهرين.

آمنا بالله و بمحمد صلّى الله عليه و آله، و بما دعانا إليه، و اتبعنا النور الذى أنزل معه «٢»، و هداانا إليه، وصيه الذى خصّ بالولاء و اللواء و الإخاء «٣»، نص النبى عليه، أخاه و أمينه، و خليفته و قائد جيشه، و حامل رايته، و سلطان رسالته، و إمام أمّته، مفديه بروحه، و متساويه

(١) كذا بالأصل.

(٢) وفي الحديث أنه أمير المؤمنين عليه السلام راجع: تفسير نور الثقلين: ٢ / ٨٣ ح ٣٠٠.

(٣) إشارة إلى حديث المؤاخاة وحديث الغدير وحديث الراية في خيبر.

ص: ٢١

بمحنه، عضده المعاضد، وساعده المساعد يوم شدته، سيد الوصيين، وإمام المتقين، وديان الدين، وصاحب اليمين، وعلم المهتدين، وخليفة رب العالمين، وسر الله وحجته، وآية الله وكلمته، في الأولين والآخرين، القائم بالحق، الإمام المبين مولانا وسيدنا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام، الذي كمل بحبه الدين، وقال بولايته أهل اليقين، ورجحت به الموازين، وبعده عترته الطاهرين، وذريته الأكرمين، وأبناء المعصومين، وأوصيائه المنتجبين، وأسباطه المرضيين عليهم السلام، الهداة المهديين، خلفاء النبي الكريم، وأبناء الرؤوف الرحيم، وأمناء العلي العظيم، ورثة المرسلين، وبقية النبيين، وسادة الأولين والآخرين، نواميس العصر، وأخيار الدهر، ذرية بعضها من بعض، والله سميع عليم، وأشهد يا رب، وأعتقد أن قولك حق، وعدك صدق، وأمرت بالبعث والنشور، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الدين عند الله الإسلام، جزى الله محمدا صلى الله عليه وآله خير الجزاء، وحيى الله محمدا صلى الله عليه وآله بالسلام.

اللهم فلك الحمد على ما أنطقنتني به من حمدك، و علمتني من مدحك، ولك الحمد على ما ألهمتني من شكرك، وأرشدتني إليك من ذكرك، ولك الحمد على أيسر ما كلفتني من طاعتك، وأوفر ما أنعمتني من نعمتك، اللهم فلك الحمد حمدا متواليا متعاليا مترادفا مباركا طيبا، أبدا سرمدا مجردا مؤيدا، باقيا لقيامك لا أمد له، حمدا يزيد على حمد الحامدين لك، حمدا لا يندرس في الأزمان ولا ينتقص في العرفان، ولا ينقص في الميزان، حمدا يزيد ولا يبيد، و يصعد ولا ينفد، ولك الحمد يا من لا تحصى محامده ومكارمه، ومنحه، وصنائه، وعواطفه وعوارفه، ولا تعد أياديه ومواهبه السوابغ السوائغ الدوائم، الدوائب الفوائض، الفواضل، وأياديه الجليلة الجميلة الجزيلة وكرمه الكبير الكثير وفضله الوافر الوافي، وجوده الباقي الهامر، وبره الباهر وشمسه الزاهي الزاهر.

اللهم أنت ربّي و رب كل شيء، لك أسلمت، وبك آمنت، و عليك توكلت، وإليك أنبت، وإياك أعبد، ولذا تك و صفاتك المنزهة أنزه وأوحد، وباسمك العظيم أسبح وأقدس، وأهلل وأمجّد، ولجلال وجهك الكريم أركع وأسجد، ولفضلك القديم وبرك العميم أشكر وأحمد، وإلى أبواب كرمك وجودك الفياض ونعمك أسعى وأقصد، أسألك اللهم بجلال الوحدانية،

ص: ٢٢

و القدرة الربّانية، والمحامد الإلهية، والمدايح الرحمانية، والأنوار المحمدية، والأسرار العلوية، والعصمة الفاطمية، والعزة الزكية، الهادية، المهدية، مقاماتك، وآياتك، وعلاماتك، وتجلياتك، لا فرق بينها وبينك، إلّا أنّهم عبادك وخلقك، أن تصلّي على

محمد و آل محمد، الذين لأجلهم ثبتت السماء، و ثبتت الأرض على الماء، و اخترتهم على العالمين، و فرضت طاعتهم على الخلائق أجمعين، و أبقيتني على إيمانك، و التصديق بمحمد عبدك، و رسولك، و الولاية بخير الوصيين على أمير المؤمنين، و التمسك بالهداة من عترته الطاهرين، سفينة النجاة و سادة الوصيين، و البراءة من أعدائهم الضالين، فأني رضيت بذلك يا رب العالمين، اللهم و هذا صراطك الحق، و دينك الصدق، الذي تحبه و ترضاه، و تحب من دانك به، و تجيب دعاءه، اللهم صل على محمد و آل محمد، و ثبتني على هذا الدين القيم، و اجعله ثابتاً، و حازماً و ناطقاً به لسانى، و مؤمناً و موقناً و مصدقاً له سرى و إعلانى، و منقاداً و تابعا و عاملاً به جوارحى، و أركانى، و نوراً و إقبالا فى لحدى و أكفانى، فقد تشبثت بأذيال الكرم و الرجاء، و قرعت بأنامل التصديق و التوفيق أبواب الإيمان و الولاء، فاجعله اللهم خالصاً لوجهك، يا ديان العباد، و زادا ليوم الحشر و التناد، إنك الكريم الجواد، و أعظم من سئل فجاد، يا أرحم الراحمين.

ص: ٢٣

[خطبة الكتاب]

مشارك أنوار اليقين فى حقائق أسرار أمير المؤمنين عليه السلام الحمد لله المتفرد بالأزل، و الأبد، و الصلاة على أول العدد، و خاتم الأمد، محمد و آله الذين لا يقاس بهم من الخلق أحد «١».

و بعد يقول الواصل بالفرد الصمد رجب الحافظ البرسى أعاده الله من الحسد، و آمنه يوم يفرّ الوالد من الولد.

اعلم أن بعض الحاسدين، الذين ليس لهم حظ فى الدين، من باب كاد الحسد أن يغلب القدر، لما بسطت لهم تجويد الكتاب المجيد، فكان مطويا عنهم أخذوا بطرفيه و أزاحوني، و لما نشرت لهم مطوى منتور الأخبار، و أبرزت إليهم بواطن الأسرار، من خدور الأفكار، حسدونى، و كذبونى، و لامونى، و ملّونى، و سامونى، و سأمونى؛ و كلّما وضعت لهم سرير التواضع، و مددت لمودتهم يمين الخاضع، جزموا بعامل الهجر بودى و خفضونى، و أنكرونى بعد أن عرفونى، و أنكرونى بعد أن عرفونى، و لا ذنب لى غير أنى رويت زبد الأخبار، و وريت زبد الأخبار، فذاع ندها، و نظم خيطها، و ذاع شذاها، فضمخ طيباً قبل منها العليل. و بل الغليل، و لما كان أكثرها من الأمر الخفى، و السرّ المخفى، الذى يضطرب لإيراده القلب السقيم اضطراب السليم، و يطرب لسماعه الفؤاد السليم، إذ لا حظّ للمزكوم و المشموم، عند ملاحظة طيب المشروب و المشموم، فهو كما قيل:

يجد مرّاً به الماء الزلالا

و من يك ذا فم مرّ مريض

فحمل بعض ما أوردت، جهلاً بما أردت، قوم من القردة، إلى آخرين من الحسدة، و أداها من لا يعلم إلى من لا يفهم، و المرء عدوّ ما جهله، بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه فكانوا كما

(١) كما فى الروايات: راجع الاختصاص: ١٣، و ينابيع المودة: ١ / ٣٠١ - ٢١٤، و بحار الأنوار: ٢٦ / ١٢ و كنز العمال: ١٢ / ١٠٤ ح ٣٤٢٠١ و قد أتينا على طرقها فى كتابنا: الولاية التكوينية: ٢٤٣.

قيل:

و سائر الناس لها منكر

يعرفها من كان من جنسها

أو كما قيل:

طرا لكنت صديق كل العالم

لو كنت تعلم كل ما علم الورى

يهوى بغير هواك ليس بعالم

لكن جهلت فصرت تحسب كل من

حتى أوصلوها بلسان البغضاء، إلى الإخوان من الفقهاء، و هم أهل المذهب المذهب، و المنهاج الذى ليس لهم منهاج، لكن لا يدرك غامض المعقول بالمنقول، فكيف بما وراء العقول، و لا يلزم من معرفة علم واحد الإحاطة بسائر العلوم، و ما منّا إلّا له مقام معلوم، و كل ميسر لما خلق له، و مبتهج بما فضله الله و فض له، و نعم الله السوايغ و السوائغ (التوايغ) الشرائع الدوائم الدوائب، الفوائض الفواضل، السائرة إلى عباده، الواصلة إلى بلاده، لا تنقطع ركائبها، و لا تنقشع سحائبها، و باب الفيض مفتوح، و كل من الجواد الكريم ممنوح، و ليس وصول المواهب الربّانية، و العثور على الأسرار الإلهية، بأب و أم، بل الله يختص برحمته من يشاء، و إن تقطعت من الحاسد الأحشاء، و لما أوردوها لهم بلسان يحرفون الكلم عن مواضعه، لم يلمحوا بالنظر الباطن زواهر جواهرها من أصداف أصدائها «١»، و لم ينهوا عيون العقول عن زيغها و إصدافها، و لم يتحلوا بها فيتزينوا و لم يصغوا بأسماع العقول إلى استماع إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا «٢» بل صدقوهم فى الفتنة و الريبة، و صادقوهم فى استماع النميمة و الغيبة، فجعلوا الكذب الشنيع، لسهام التشنيع غرضاً، فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً «٣» فنسبوه - إذ لم يفهموه - إلى قول الغلاة، و لا من أسرار الهداة «٤»، فكانوا كما قال أمير المؤمنين على: لقلنا غير مأمون على الدين، بصرت فيهم بما بصرت كما قيل:

و أهدأ و الأفكار فى تجول

أعداى على ما يوجب الحب للفتى

(١) كذا بالأصل.

(٢) الحجرات: ٤.

(٣) البقرة: ١٠.

(٤) كذا بالأصل.

أو كما قيل:

و هو لا يجرى ببالي

حاسد يعنيه حالي

و فؤادي منه خالي

قلبه ملآن مني

و غير ملومين في الإنكار لأنه صعب مستصعب، لا يحتمله إلّا نبي مرسل أو ملك مقرب، أو مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان «١»، و إذا ردّ المنافق أسرار على عليه السّلام لبغضه، و ردّها الموافق بجهله بعد ما نقل أنّه صعب مستصعب فإن كان يعلمه فما هو الصعب المستصعب، و إن لم يعرفه فكيف شهد على نفسه أنّه ليس بمؤمن ممتحن، فهلّا صمت فسلم، أو قال إن علم، فمن وجد فؤاده عند الامتحان، ورود نسّمات أسرار ولي الرحمن، قد اشمأز و قشعر، و مال عن التصديق و أزور، فذاك بعيد عن الإيمان، قريب من الشيطان، لأنّ حبّ على عليه السّلام هو المحك بلا شك، فمن تخالجت الشكوك فيه فليسأل أمّه عن أبيه «٢»، من نقص جوهره عن العيار، فليس له مطهر إلّا النار، و إنّما دعاهم إلى الإنكار الجهل و الحسد، و حب الدنيا التي حبّها رأس كل خطيئة، و الميل مع النفس و الهوى، و من يتبع الهوى فقد هوى، لأنّ هذه النفس الإنسانية هي التي تحب أن تعبد من دون الله و أن لا ترى الفخر و السؤدد إلّا لها، و أن ترى الكلّ عبيدا لها، لأنّها سلسلة الشيطان التي بها يتدلّى إلى هذا الحرم الربّاني، و إليها الإشارة بقوله و أجرите مجرى الدم منّي، و لذلك قال عليه السّلام «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك» «٣» و في النقل أن الله تعالى لما خلق النفس ناداها من أنا؟ فقالت النفس: فمن أنا؟

فألقاها في بحر الرجوع الباطن حتى وصلت إلى الألف المبسوط و خلصت من رذائل دعوى الأنانية الأينية و رجعت إلى نشأتها، ثم ناداها: من أنا؟ فقالت: أنت الواحد القهار «٤»، و لهذا قال: «اقتلوا أنفسكم فإنّها لا تدرك مقاماتها إلّا بالقهر» «٥».

(١) كما في الأحاديث، راجع بحار الأنوار: ٢٥ / ٣٦٦ ح ٧ و بصائر الدرجات: ٢٦ ح ١ و ما بعده.

(٢) روى أن مبغضه ابن زنا أو حيضة، راجع إرشاد القلوب: ٢ / ٤٣٣، و ترجمة على من تاريخ دمشق: ٢ / ٢٢٤.

(٣) بحار الأنوار: ٧٠ / ٣٦ ح ١ باب ٤٤.

(٤) مجموعة و رام: ٥٩ باب العتاب.

(٥) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٩٤ باب ٣٩.

ص: ٢٦

فصل [قصور الفهم عن إدراك مرتبة أمير المؤمنين عليه السّلام]

و كيف أنكروه، و ما عرفوه، و بمجرد السمع له ردّوه، و هو لعمري غرّة فخر الأنوار، و درّة بحر الأسرار و زبدة مخض الأسرار و معرفة أسرار الجبّار، لأنّه النهج الأسلم، و الاسم الأعظم، و الترياق الأكبر، و الكبريت الأحمر، و لكن ذا المذاق الوثى، و الصدر الشجى، لا يفرق بين الحنظل و السكر.

ولما كانت الموهبة من الكلم «١» المخزون أنكرتها العقول لقصورها عن ارتقاء عالي قصورها، و صعقت عند سماع نفخة صورها، فالغالى و القالى هلكا فى بحر الإفراط و التفريط، و التالى و الموالى وقفا عند ظاهر التشكيك و التخليط. فالقالى حجه عن نورهم العالى ظلمة الكبر و الحسد، و الغالى تاه فى تيه أسرارهم فضلّ عن سبيل الرشد، و التالى قاسهم بالبشر فوقف عن أسرارهم و قعد، و العارف نظر إلى ما فضلوا به من المواهب الإلهية فعرف أنّهم سرّ الواحد الأحد، و أن ظاهرهم باطن الخلائق، و باطنهم عين الحقائق، و غيب الإله الخالق، فعلم من قوله تعالى: **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ** «٢»، فهم مفاتيح غيب الله التى لا يعلم فضلها و سرّها إلّا الله، و إن رفيع شرفهم لا تنال أيدى العقول علاه، و خفى سرّهم لا تدرك الأفهام و الأوهام معناه، و لهذا قيل فى الحكمة: لا تحدّث الناس بما يسبق إلى العقول إنكاره، و إن كان عندك اعتذاره، فليس كل من أسمعته نكرا يوسعك منه عذرا، و ليس كل ما يعلم يقال، و لا كل ما يقال تجد له رجال. و قال ابن عباس للنبي صلى الله عليه و آله: يا رسول الله أ أحدث بكل ما أسمع؟ فقال: نعم إلّا أن يكون حديثا لا تبلغه العقول، فيجد السامع منه ضلالة و فتنة.

(١) الصعب المستصعب (خ. ل).

(٢) الأنعام: ٥٩.

ص: ٢٧

و قال رجل للمصادق عليه السّلام: أخبرنى لما ذا رفع النبى عليّا على كتفه؟ قال: ليعرف الناس مقامه و رفعتة. فقال: زدنى يا ابن رسول الله. فقال: ليعلم الناس أنّه أحق بمقام رسول الله. فقال:

زدنى. فقال: ليعلم الناس أنّه إمام بعده و العلم المرفوع. فقال: زدنى. فقال: هيهات و الله لو أخبرتك بكنه ذلك لقمت عني و أنت تقول إنّ جعفر بن محمد كاذب فى قوله أو مجنون.

و كيف يطلع على الأسرار غير الأبرار. و قال على بن الحسين عليهما السلام:

كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا

إنى لأكتّم من علمى جواهره

إلى الحسين و أوصى قبله الحسن «١»

و قد تقدم فى هذا أبو حسن

و لا غرو فقد كان رسول الله صلى الله عليه و آله يقول للملاّ من قريش: قولوا لا إله إلّا الله. فيقولون، ثم يقول: اشهدوا أنّى محمّد رسول الله، فيشهدون، ثم يقول: صلّوا إلى هذه البنية، فيصلّون، ثم يقول: صوموا رمضان فى الهواجر، فيصومون، ثم يأمرهم

بإخراج الزكاة فيخرجون، ثم يقول: حجّوا و اعتمروا، فيحجّون و يعتَمرون، ثم يدعوهم إلى الجهاد و ترك الحلائل و الأولاد، فيجيبون. ثم يقول: إنّ عليا وليكم بعدى، فيعرضون، و لا يسمعون، فيناديهم بلسان التوبيخ و هم لا يسمعون: **قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ** «٢»، ثم يتلو عليهم مناديا و هم لا يشعرون: **يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يَنْكُرُونَهَا وَ أَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ** «٣».

و يؤيّد هذه القواعد: ما رواه الحسن بن محبوب عن جابر بن عبد الله عن أبي عبد الله عليه السّلام أن رسول الله صلّى الله عليه و آله قال لعلى عليه السّلام: يا على أنت الذى احتجّ الله بك على الخلائق حين أقامهم أشباحا فى ابتدائهم و قال لهم: **أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى**. فقال: و محمد نبيكم، قالوا: بلى.

قال: و على إمامكم. قال: فأبى الخلائق جميعا عن ولايتك و الإقرار بفضلك و عتوا عنها استكبارا إلّا قليلا منهم و هم أصحاب اليمين و هم أقلّ القليل، و إنّ فى السماء الرابعة ملكا يقول فى تسبيحه: سبحان من دلّ هذا الخلق القليل من هذا العالم الكثير، على هذا الفضل

(١) غرر البهاء الضوى: ٣١٨، و جامع الأسرار: ٣٥ و الأصول الأصيلة: ١٦٧ و فيه زيادة:

لقليل لى: أنت ممن يعبد الوثنا

يا ربّ جوهر علم لو أبوح به

يرون أقبح ما يأتونه حسنا

و لاستحلّ رجال مسلمون دمي

(٢) ص: ٦٨.

(٣) النحل: ٨٣.

ص: ٢٨

الجزيل «١».

و يؤيّد ذلك: ما ورد فى كتاب الوحدة عن ابن عبّاس أنّه قال: مبغض على من يخرج من قبره و فى عنقه طوق من نار، و على رأسه شياطين يلعنونه، حتى يرد الموقف «٢».

و عنه مرفوعا إليه من كتاب بصائر الدرجات عن رسول الله صلّى الله عليه و آله أنّه قال: يا على و الذى بعثنى نبيا بالحق، و اصطفانى على سائر الخلق، إنك لو صببت الدنيا على المنافق ما أحبّك، و لو ضربت خيشوم المؤمن ما أبغضك، فلا يحبّك إلّا مؤمن، و لا يبغضك إلّا كافر منافق «٣».

و عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: المخالف لعلى بعدى كافر و مشرك و غادر، و المحب له مؤمن صادق، و المبغض له منافق، و المحارب له مارق، و الراد عليه زاهق، و المقتفى لأثره لا حق «٤»:

و يعلو الولاء و يزكو النجار

بحب على تزول الشكوك

فثم العلاء و ثم الفخار

فإما رأيت محبا له

ففى أصله نسب مستعار

و إما رأيت عدوا له

فحيطان دار أبيه قصار

فلا تعذله على بغضه

فوجب على تنزيها للدين عن ظن الملحدين، و شك الجاحدين، و اعتذارا إلى المؤمنين، بحكم من صنف، فقد استهدف، أن أورد فى هذه الرسالة لمعة من خفى الأسرار، و مكنون الآثار، و بواطن الأخيار، و أميط عن محياها سدف الخفاء، ليبدو للطالب شهاب الاقتداء، فى سماء الليلة الليلية.

فإذا اتضحت بذلك خفايا الأسرار، و فضحت عن دررها أصداف الآثار، و بان بيان البيان، لمن ينظر فمن شاء فليؤمن، و من شاء فليكفر «٥».

(١) بحار الأنوار: ٢٦ / ٣١١ ح ٧٧ و ٢٥ / ٢٥ ح ٤٥.

(٢) بحار الأنوار: ٢٧ / ٢٢٦ ح ٢١.

(٣) بحار الأنوار: ٣٩ / ٢٨٠ ح ٦٢.

(٤) بحار الأنوار: ٢٧ / ٢٢٦ ح ٢٢.

(٥) الكهف: ٢٩.

ص: ٢٩

فصل [أسرار علم الحروف]

و لما كان سرّ الله مودعا فى خزانة علم الحروف و هو علم مخزون، فى كتاب مكنون، لا يمسه إلّا المطهرون، و لا يناله إلّا المقربون، لأنّه منبع أسرار الجلال، و مجمع أسماء الكمال، افتتح الله به السور، و أودعه سرّ القضاء و القدر، و ذلك بأن الله تعالى لما أراد إخراج الوجود من عالم العدم إلى عالم الكون، أراد العلويات و السفليات باختلاف أطوار تعاقب الأدوار و أبرزها من

مكامن التقدير، إلى قضاء التصوير، عباً فيها أسرار الحروف التي هي معيار الأقار، و مصدر الآثار؛ لأن البارى تعالى بالكلمة تجلّى لخلقه و بها احتجب ثم أوجد طينة آدم فى العمل الذى هو عبارة عن الاختراع الأوّل، من غير مثال، و لا تعديل تمثال.

ثم ركز فى جبلة العماء «١» نسبة من تلك الحروف و رتبها حتى استشرق منها فى عالم الإيجاد، بلطائف العقل لإشراق الظهور، ثم نقله بعد ذاك فى أطوار الهباء الذى هو عبارة عن الاختراع الثانى، و رتب فيه رتبة من الحروف التى ركزها فى جبلة العماء حتى استشرقها فى عالم الإيجاد بلطائف روحه فى الاختراع الثانى، ثم نقله بأطوار الذر الذى هو عبارة عن الإبداع الثانى، و أوجد فيه نسبة من الحروف التى وضعها فى جبلتها الفطرية، حتى استشرق بها فى عالم الإيجاد بلطائف القلب فى الإبداع الثانى، فالحروف معانيها فى العقل، و لطائفها فى الروح، و صورها فى النفس، و انتقاشها فى القلب، و قوتها الناطقة فى اللسان، و سرّها المشكل فى الأسماع. و لما كان المخاطب الأوّل هو المخترع الأوّل، و هو العقل النورانى، كان خطاب الحق بما فيه من معانى الحروف، و مجموع هذه الحروف فى سرّ العقل كان ألفا واحداً لأنّه بالقوّة الحقيقية مجموع الحروف، و هو الذى سمع أسرار العلوم بحقيقة هذه الحروف قبل سائر الأشياء، و العقل هو صاحب الرمز و الإشارة، و الحقيقة و الإيمان،

(١) فى الأصل: العملى و المثبت عن: خ. ل.

ص: ٣٠

و الإدراك. و الحروف فى لطيفة الروح شكل الضلعين من أضلاع المثلث المتساوى الأضلاع، ضلع قائم، و آخر مبسوط على هذه الصورة، و القائم ضلع الألف، و المبسوط ضلع الباء، و إنّما قلنا بأن الحروف فى لطيفة الروح شكل ضلعين، لأنّ فيض الأنوار البسيطة التى فى العقل بالفعل هى فى الروح بالقوة فاتفقا فى وجود الأسرار، و تباينا فى اختلاف الأطوار، و من حيث إنّ الروح تستمد من العقل، و النفس تستمد من الروح، و جميع الأنوار العلوية تستمد من نور العرش، كذلك سائر الحروف تستمد من نور الألف، و رجوع السفلى و العلوى منها إليها، و كل حرف من الحروف قائم بسرّ الألف و الألف سرّ الكلمة، و ملائكة النور الحاملون للعرش من ذوات هذه الحروف، و الأوّل منها المتعلّق بالعقل اسمه الألف و الموحدون لحضرة الجلال أربعة: العقل، و الروح، و النفس، و القلب هو الموحد الرابع، و توحيده بسرّ الحروف التى أوجدها الحق فى جبلته، لأنّ القلب لوح النقوش الربّانية، بل هو اللوح المحفوظ بعينه. و من هاهنا اختلفت الحروف باختلاف أوضاعها و نسبتها إلى أحوال آدم؛ فالدال يوم خلقه، و خط الجيم يوم تسويته، و خط الباء يوم نفخ الروح فيه، و خط الألف يوم السجود؛ فكان تركيب البنية الإنسانية بالحكمة الإلهية من شكل تربيعى، و تربيع طبيعى، و من عالمى الاختراع و الإبداع، فعلم أن العالم العلوى و السفلى بأجمعه داخلان تحت فلك الألف الذى هو عبارة عن الاختراع الأوّل، و العرش العظيم، و العقل النورانى، و الجبروت الأعلى، و سرّ الحقيقة و حضرة القدس و سدرة المنتهى، و سائر الحروف إجمالاً و تفصيلاً انبعثت عنه، و جميعها باختلاف أطوارها و تباين آثارها تستمد منه؛ و ترجع إلى الرب سبحانه.

خلق الخلق بسرّ هذه الحروف، و عالم الأمر كن فيكون، و كلامه سبحانه فى حضرة قدسه إنّما سمع بهذه الحروف، و هى قائمة بذات الحق سبحانه، و أسماؤه المخزونة المكنونة مندرجة تحت سجل هذه الحروف، و الألف منها أوّل المخترعات، و منها سائر

مراتب العالم، و جميع الحروف محتاجة إليه و هو غنى عنها لأن سائر الأعداد لا تستغنى عنه، و هو لا يحتاج إليها. و من عرف ظاهر الألف و باطنه، وصل إلى درجة الصديقين، و مرتبة المقربين، لأن له ظاهرا و بطونا، فظاهره (٣): العرش، و اللوح، و القلم. و هو مركّب من (٣)

ص: ٣١

نقط: الواحدة و الواحدة و الواحدة، و بحثها يأتي فيما بعد. و باطنه الأوّل (٣) و هي: العقل، و الروح، و النفس. و باطنه الثانى (١١) و هو عدد بسائط الاسم الأعظم فإذا أخذ منه (١٢) و هي موضوع الأسماء و الأعداد بقى (٩٩) و هي عدد الأسماء الحسنى، و باطنه الثانى (٧١) و هو عدد اللام الفائض عنه، و هذا العدد مادّة الاسم الأعظم و حرف من ظاهر الاسم الأعظم، و باطنه الثالث (٤٢) و هو فيض اللام، و هو الميم، و عدده (٤٥) و عددان فى الألف و اللام، و هذا العدد ظاهر الاسم الأعظم و باطنه، الرابع إن ضرب مفرداته فى نفسها (٩) و الفتق الفائض عنه فى فتق الحروف أيضا (٩) و هي ألف ل ف ألف م م ي م، و العرش، و اللوح، و القلم، مفرداتها أيضا (٩) و هي ع ر ش ل و ح ق ل م، و العقل، و النفس، و الروح، أيضا كذلك ع ق ل ن ف س روح، فألف هي الكلمة التى تجلّى فيها الجبّار بخفى الأسرار.

فمن عرف ظاهره و باطنه، أدرك خفى الأسرار، و مكنون الأنوار، لأنّه حرف يستمد من قيومية الحق و الكل يستمد منه.

فصل

و أما الألف المبسوط و هو الباء فهى أوّل وحى نزل على رسول الله صلى الله عليه و آله و أوّل صحيفة آدم و نوح و إبراهيم و سرّها، من انبساط الألف فيها سرّ القيامة بقيام طرفه، و هو سرّ الاختراع و الأنوار، و الأسرار الحقيقية مرتبطة بنقطة الباء، و إليها الإشارة بقول أمير المؤمنين (على):

«أنا النقطة التى تحت الباء المبسوطة» «١»، يشير إلى الألف القائم المنبسط فى ذاتها، المحتجب فيها، و لذلك قال محى الدين الطائى: الباء حجاب الربوبية، و لو ارتفعت الباء لشهد الناس ربّهم تعالى «٢».

(١) شرح دعاء السحر: ٦٤ و جامع الأسرار: ٥٦٣ - ٤١١ ح ١١٦٣ - ٨٢٣ و الأنوار النعمانية: ٤٧ / ١.

(٢) قال بعض العارفين: ما رأيت شيئا إلّا و رأيت الباء عليه مكتوبة. جامع الأسرار: ٧٠١، و قيل: بالباء ظهر الوجود و بالنقطة تميز العابد عن المعبود. جامع الأسرار: ٥٦٣ ح ١١٦٣ و نسبه لابن عربى، و شرح دعاء السحر: ٦٤.

ص: ٣٢

فصل

و حرف القاف باطن القلم و سرّ الأمر. و المراد بسرّ الأمر، القدر. و القلم ببساطته (٣) أحرف و هو الكائن لأسرار القدر، و هو سر الاسم الأعظم، و القلم حرفه الأوّل القاف المحيط بالعالم ظاهرا، و بالعلم باطنا و عدده (١٨١). فإذا أخذ منه عدد الاسم الأعظم، و هو (١١١) بقي (٧٠) و هي مادة الاسم الأعظم، و حرف من حروفه، كما أن السين حرف من حروف ظاهر الاسم الأعظم، و من علم باطن السين علم الاسم الأعظم، و حرفه الثاني: ل، و الثالث:

م، و من هذه الحروف تتركّب العوالم بأسرها، و سائر الموجودات بأجمعها داخلّة تحت (٢٩٩) اسما، و الأسماء داخلّة تحت الاسم الأعظم، و الاسم الأعظم هو المائة و القاف بحسابه العدديّ مائة.

فصل

و حرف: ط طيار في جميع العالم، و سرّه في المبادئ الأوليات، و تعحّت «١» نشأة الاختراعات و سرّها في العلويات و السفليات، و لها أسرار في ظهورها، فظهرت في آخر اسم لوط، فكان من سرّها تدمير قومه، كما ظهرت الهاء في أوّل اسم هود، فكان من سرّها خسف الأرض بقومه و تدميرها، و ظهرت معا في اسم محمد صلّى الله عليه و آله في قوله تعالى: **طه** و هو محمد بلغة طي.

فصل

و حرف الجيم (ج) حرف ملكوتي يتلقّى عن الباء، يشترك فيه جميع العوالم الملكوتية و هو حرف أظهره الله في أوّل أسماء الجلال، و العرش قائم بجلال الجيم، و القلم يستمد منه الكرسي أيضا في صفة الجمال قائم به، و هو المثلث الذي انبسط فيه سرّ الألف و الباء، و ظهر

(١) كذا.

ص: ٣٣

في أطوار الغضب، و مركز اللطف، فتجلّى في الجبار و الجواد، فله الجبروت و الجود.

فصل

و حرف: ك حرف ظهر في آخر اسم الملك، و له العزيز و هو باطن العلم و باطن الأمر و باطن العرش و الكرسي، و باطن الصور السماوية و الأرضية.

فصل

و حرف: ع هو أوّل أسرار العرش، و العقل، و هو حامل أسرار العالم، لأن العرش حامل الكرسي، و القلم و اللوح و الأفلاك و الأرضين، و العقل حامل الروح، و الروح حامل النفس، و النفس حامل القلب، و القلب حامل الجسم، و القدرة حاملة للكل.

فصل

و حرف: ث حرف ظهر في الوارث و الباعث، و ظهوره في الوارث إشارة إلى فناء الموجودات، و في الباعث إشارة إلى القدرة على بعثهم بعد الممات، و جمعهم بعد الشتات.

فصل

و حرف الزاي حرف شريف، ظهر في العزيز، فالعزة لله جميعا، و منه وصول العز إلى سائر العالم بالترتيب، فبعض العالم يستمد لعزّه من بعض فكره، التراب يستمد من الماء، و الماء من الهواء، و الهواء من النار، و النار من الفلك، و هكذا ترتيب العزّة في الأكوان، و إليه الإشارة بقوله تعالى: **وَتُعْزُّ مِنْ تَشَاءُ وَتَذُلُّ مِنْ تَشَاءُ** «١».

(١) آل عمران: ٢٦.

ص: ٣٤

فصل

و حرف الواو، حرف من حروف العرش، سيار في أجزاء العالم، متعلّق بطرفي الخلق، و الأمر كن فيكون.

فصل

و لما كان هذا العلم الشريف، إشارات و رموزا، أوردت منه هاهنا ما فيه إشارة و تنبيه.

فصل

و أما علم النقط و الدوائر، فهو من أجلّ العلوم، و غوامض الأسرار، لأن منتهى الكلام إلى الحروف، و منتهى الحروف إلى الألف، و منتهى الألف إلى النقطة، و النقطة عندهم عبارة عن نزول الوجود المطلق الظاهر بالباطن، و من الابتداء بالانتهاء، يعني ظهور الهوية التي هي مبدأ الوجود التي لا عبارة لها و لا إشارة.

فصل

و لما كان الألف، قائما بسر العقل، و العقل قائم به، و تمام الحروف فى سر الألف، لكن بينهما تباين فى الرتبة، فألف العقل قائم، و ألف الروح مبسوط، و هذا العلم الشريف لو كشف للناس منه سرّ ما بين الألف و اللام و الميم التى هى جوامع الأمر الحكيم، لاضطرب كل سليم، و جهل كل عليم، كما ورد عن ابن سنان عن أبى عبد الله عليه السّلام أنّه قال: يا محمد إنّ فى سورة الأحزاب آيا محكما، لو قدرنا أن ننطق به، لننطقنا، و لكفر الناس إذا و جحدوا و ضلّوا، و لكن كما قيل:

بعمياء عن ليلى بغير يقين

و مستخبر عن سر ليلى أجبتة

و ما أنا إن خبرتهم بأمين

يقولون خبرنا فأنت أمينها

ص: ٣٥

فصل

و سر الله مودع فى كتبه، و سر الكتب فى القرآن، لأنّه الجامع المانع، و فيه تبيان كل شيء، و سر القرآن فى الحروف المقطعة فى أوائل السور، و علم الحروف فى لام ألف، و هو الألف المعطوف المحتوى على سرّ الظاهر و الباطن، و علم اللام ألف فى الألف، و علم الألف فى النقطة، و علم النقطة فى المعرفة الأصلية، و سرّ القرآن فى الفاتحة، و سر الفاتحة فى مفتاحها، و هى بسم الله، و سر البسملة فى الباء، و سر الباء فى النقطة.

فصل

و الفاتحة هى سورة الحمد، و أمّ الكتاب، و قد شرفها الله تعالى فى الذكر فأفردتها، و أضاف القرآن إليها فقال عزّ اسمه: **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ** «١». فذكرها إجمالا و أفرادا و ذلك لشرفها، و هذا مثل قوله: **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى** «٢» أدخلها إجمالا، و أفردتها إجلالا، و الصلاة الوسطى هى صلاة المغرب ظاهرا، و فى وقت أدائها تفتح أبواب السماء، و يجب التعجيل بها لقوله صلى الله عليه و آله: «عجلوا بالمغرب».

و أما فى الباطن و الرمز، فهى فاطمة الزهراء عليها السّلام، لأن الصلوات الخمس بالحقيقة هم: السادة الخمسة الذين إذا لم يعرفوا و لم يذكروا، فلا صلاة؛ فالظهر رسول الله صلى الله عليه و آله و من ثم بدا النور أوّل ما خلق الله نوره «٣» أوّل ما خلق الله اللوح «٤»، أوّل ما خلق الله القلم «٥»، فالعقل نور محمّد صلى الله عليه و آله «٦»، و اللوح و القلم على و فاطمة، و إليه الإشارة بقوله تعالى: **ن وَالْقَلَمِ وَمَا**

(١) الحجر: ٨٧.

(٢) البقرة: ٢٣٨.

(٣) كما يأتي.

(٤) نظم المتناثر: ١٨٥.

(٥) تاريخ ابن كثير: ٣٩ / ١.

(٦) العقل الأول نور خاتم النبوة. راجع نبراس الضياء: ١٠٢.

ص: ٣٦

يَسْطُرُونَ»^(١) و فريضة العصر أمير المؤمنين عليه السلام، و المغرب الزهراء، أمرهم الله تعالى بالمحافظة على حبها و حب عترتها، فصغروا قدرها، و حقروا عظيم أمرها، لما غربت عنها شمس النبوة، و حبها الفرض، و تمام الفرض، و قبول الفرض، لأن النبي صلى الله عليه و آله حصر رضاه في رضاها فقال: «و الله يا فاطمة لا يرضى الله حتى ترضى، و لا أرضى حتى ترضى»^(٢).

و معنى هذا الرمز أن فاطمة عليها السلام ينبوع الأسرار و شمس العصمة، و مقر الحكمة، لأنها بضعة النبي صلى الله عليه و آله و حبيبة الولي، و معدن السر الإلهي، فمن غضبت عليه أم الأبرار، فقد غضب عليه نبيه و وليه، و من غضب عليه النبي و الولي، فهو الشقى كل الشقى.

و صلاة العشاء الحسن عليه السلام حيث احتجب عنه نور النبي و الولي، و الصبح الحسين عليه السلام لأنه بذل نفسه في مرضاة الله تعالى، حتى أخرج نور الحق في دجنة الباطل، و لولاه لعم الظلام إلى يوم القيامة.

فصل

و مثل هذا الباب من الحديث القدسي يقول الله سبحانه «ولاية على حصني، فمن دخل حصني، أمن عذابي»^(٣). فحصر الأمان من العذاب في ولاية على، لأن الإقرار بالولاية يستلزم الإقرار بالنبوة، و الإقرار بالنبوة، يستلزم الإقرار بالتوحيد، فالموالي هو القائل بالعدل، و القائل بالإمامة، و العدل مع التوحيد هو المؤمن، و المؤمن من آمن. فالموالي لعلى هو المؤمن الآمن، و إلّا فهو المنافق الراهق من غير عكس.

و مثال هذا من قول النبي صلى الله عليه و آله: «أنا مدينة العلم و على بابها»^(٤)، و المدينة لا تؤتى إلّا بالباب، فحصر أخذ العلم بعده في على و عترته، فعلم أن كل من أخذ علمه بعد النبي صلى الله عليه و آله من غير على و عترته عليهم السلام فهو بدعة و ضلال، و في هذا الحديث إشارة لطيفة، و ذلك أن كل

(١) القلم: ١.

(٢) الصراط المستقيم: ٩٣ / ٢.

(٣) شواهد التنزيل: ١ / ١٧٠.

(٤) ينابيع المودة: ١ / ٧٥ - ٨١ و اسد الغابة: ٢٤ / ٤.

ص: ٣٧

وحى يأتى إلى النبی صلی الله علیه و آله من حضرة الربّ العلیّ فإنّه لا یصل به إلّا الملك حتى یمرّ به علی الباب، و یدخل به من الباب، و إليه الإشارة بقوله صلی الله علیه و آله: یا علی إن الله أطلعنی علی ما شاء من غیبه و حیا و تنزیلا و أطلعک علیه إلهاما «١»، و هذا إشارة إلى ما خصّ به نبیّه ليلة المعراج خطابا، فإن ذلك خصّ به ولیّه إلهاما.

و أما قوله: إنک ترى ما أرى، و تسمع ما أسمع «٢»، فإنّه إشارة إلى نزول الملائكة إلى رسول الله صلی الله علیه و آله بالتحف الإلهیة، فإن الله خصّ ولیّه بأن یسمع بعضها و یراه، و أمر نبیّه بإیصال باقیه إلیه لأنّه الخازن لأسرار النبوة، الولی فی علو مقامه، تلمیذ النبی صلی الله علیه و آله و وزیره لأنّ سائر البحار داخلة تحت البحر المحیط.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبی الحديد: ١٣ / ١٩٧.

(٢) بحار الأنوار: ٣٧ / ٢٧٠ ح ٤٠.

ص: ٣٨

فصل [باطن فاتحة الصلاة]

و سورة الحمد فیها اسم الله الأعظم عن یقین، و عدد آیاتها «٧» و هی العدد الكامل، و من العدد الكامل یظهر جذر العشرة، و هو ضرب السنة فی أيام الأسبوع و مبلغه (٢٥٢٠) و هو عدد له نصف، و ثلث، و ربع، و خمس، و سدس، و سبع، و ثمن، و تسع، و عشر. و عدد كلمات أمّ الكتاب مع البسملة (٢٩) كلمة، و عدد السور المتوّجة بالحروف المقطعة (٢٩) سورة، و عدد أيام الشهر (٢٩) يوما فإذا أخذ منها الألف، كانت «٢٨» بعدد منازل القمر و إذا قسّمت كان منها للأفلاك «٩» و للبروج «١٢» و للعناصر «٤» و للموالید «٣» فهذه ثمانية و عشرون بعدد حروف المعجم، و عدد حروف الفاتحة «٣٢٤» و أعداد حروفها «٩٣٦» و سایر أعدادها تنقسم إلى الفردانية، و تشير إلیها و تنقسم بأعداد الاسم الأعظم قسمین ظاهر و باطن، فالظاهر «٨٦» مرّة، و الباطن «٩٩٣» مرّة تأویلا، و عدد بساط حروفها (٩٤٢) و أعداد بسائط حروفها (١٨) ألفا، و الفردانية تدور معها حیث دارت.

فصل [حروف المعجم]

و حروف المعجم (٢٨) حرفا كما مرّ، و عددها بالهجاء يعنى بسائطها (١٢) حرفا و عدد الحروف المقطعة [فى] سور القرآن (١٢) حرفا، و تحت هجاء بسائط الحروف اسم العزيز الفتاح «١٩» مرة و فى بسائطها الاسم الأعظم (٦٦) مرة، و الاسمان معا «٢» مرتين، و إذا أخذ المكرور الدنى من هذه الحروف فى «١٤» حرفا و هى الحروف النورانية و هى مقطعة فى

ص:٣٩

سورة الحمد و هى هذه: ا ل ر ح ي م «١» ن ك س ه ص ق ط و أعدادها (٦٩٩) و من هذه الحروف النورانية تستخرج أسماء الله الحسنى، و اسم الله الأعظم؛ و علم الأدوار و الأسرار، صريحا و ظاهرا و باطنا جملة و أفرادا، لأن اسم الله الأعظم قد يكون فى حرف واحد، و قد يكون فى عدد واحد، و قد يكون فى حروف و فى أعداد و كلمات حسب الإرادة الإلهية و الحكمة الربانية، و هو فى الحروف على هذا المثال:

ا ل ر ع ح ي م ن ك س ه ص ق ط

٩ ١ ٩ ٥ ٦ ٢ ٥ ٤ ١ ٠ ٨ ٧ ٢ ٣ ١

و هذه «١١٠» و هذا رمز آخر من السر المكتوم قد أبرزته مكشوفاً، و معرفته مدفونة على من كان له حظ من علم الحروف و أعدادها الظاهرة و الباطنة هى هذه:

ا ل ر ع ح ي م ن ك س ه ص ق ط

٩ ١ ٩ ٥ ٦ ٢ ٥ ٤ ١ ٠ ٨ ٧ ٢ ٣ ١

فهذه «٩٩» بعدد الأسماء الحسنى، و هذا الوجه الثالث من هذا السرّ و هو:

ا ل م ر ك ه ي ع ص ط س ن ح ق

١ ٨ ٥ ٦ ٩ ٩ ٧ ١ ٠ ٥ ٢ ٢ ٤ ٣ ١

و هذه «١١٢» و هذا وجه آخر: ا ل ر ع ح ي م ن ك س ه ص ق ط «٧٢» فإذا أخذنا من هذه الحروف صريح الاسم الأعظم، و هى «٣» حروف و «٣» أعداد بقى منها «١١» حرفا و هى العدد الخفى، و السرّ المخفى، ا ر ح م ن ك س ه ص ق ط و هذه «١١» عددا و هى مادة الاسم الأعظم.

فصل [حروف الاسم الأعظم]

و حروف الاسم الأعظم الأكبر مع المكرّر (٧٢) و هى هذه: ا ل م ا ل ن ه ا ل ر ا ل م ا ل ر ح م ا ل ر ح م ا ل ك ا ل م ك ه ر ع ا ع س ق ا ي ا ك ا ل ه ا ل م م ص ط س ط ه ع ل ي ا ل ن م و ا

(١) فى رسالة الماجد لجابر بن حيان «بول كراوس» الميم حرف ظلمانى.

ص: ٤٠

ل ر ص هـ

و أعداد هذه الحروف (٢٦٤) و هذه الحروف الاسم الأعظم و أعدادها، فإذا أراد النبى أو الإمام ألفها و دعا بها.

فصل

و هذا العدد من أعداد الاسم الأعظم (١٢٤) و مضاعفتها (١٣٣١) و هذه تكتب لكل ألم فيشفى، أو تعلق أو تسقى و تعلق، فهى شفاء من كل داء، و إن أراد كتب موضعها حروفا من العنصر الحار المطلق «ه ط»، و من البارد اليابس المطلق «ى»، و من الحار الرطب «ك»، و من البارد الرطب «ل»، على هذا المثال «١١، ٧، ١١١» و الباقي على هذا المثال.

فصل [خواص الفاتحة]

و من خواص الفاتحة أنه من قرأها مع صوم و قطع حيوان «٧» أيام فى كل يوم (١٥١١) مرة و صلى على محمد و آله هذا العدد لا يطلب شيئا إلّا وجد فيها، قد تجاسرت و أوردت فى هذه الرسالة لمعة من حقائق الأسرار، تسر المؤمن التقى، و تضرّ المنافق الشقى، (و سميتها مشارق أنوار اليقين) فى حقايق أسرار أمير المؤمنين، فجاءت كالسيف المنتضى، فى كشف أسرار على المرتضى، و الله ولى الإنعام و الإحسان و الرضى، و رتبها على فصول فأقول: إن أعلى مطالب الكمال، و أعلى مراتب الجلال للإنسان، العلم الذى ينال به الحياة الأبدية و السعادة السرمدية، و أجل العلوم ما يبحث فيها عن أجل المعلومات، و أجل العلوم ما يبحث فيه عن حقيقة الوجود و الموجود.

ص: ٤١

فصل [الوجود المطلق و المقيّد]

الوجود قسمان: خاص، و عام، و جنس الوجود معول عليه، و فصل الإمكان و الوجوب فارق بينهما و مميّز لهما فالوجود المطلق وجود الحق سبحانه الذى وجوده عين ذاته، و نفس حقيقته، فهو لم يزل، و لا يزال، أحدا أبدا. و وجود ما عداه منه و به و عنه، فهو الوجود المقيّد، و ذات الحق سبحانه غير معلومة للبشر، و إلّا لأحاط الممكن بالواجب، و هو محال، و أين التراب و ربّ الأرباب، فلم يبق إلّا معرفة الوجود المقيّد، و حقيقته هى النقطة التى تبينها و إليها معرفة العارفين، و سلوك السالكين، و هو عين البقين، و حق اليقين، و لها اعتبارات: فهى النقطة، و هى الفيض الأوّل، و هى العقل، و هى النور الأوّل، و هى علّة الموجودات، و حقيقة الكائنات، و مصدر الحادثات، دليل ذلك من القدسيات، قوله: «كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لأعرف»

«١».

فيا عجباً مَنْ كان خفاؤه و لا شيء معه. فقلوله: كنت كنزا مخفياً، أى فى سواتر الغيوب؛ إذ ليس هناك خلق يعرفه، و ذاك إشارة إلى وحدة الذات، كان الله و لا معه شيء.

و قوله: «فأحببت أن أعرف» إشارة إلى ظهور الصفات. قوله: «فخلقت الخلق لأعرف» إشارة إلى ظهور الأفعال، و انتشار الموجودات، التى كانتا رتقا فى صحراء ففتقناهما.

قوله: «و هو الآن على ما كان» إشارة إلى أنه أحد أبد، لم يتكرر بخلقه، لأنه هو هو، فكما تجلّت ذاته المقدّسة فى صفة من صفات الألوهية مدحت بها، و للأفعال وجود بين عدمين، و الوجود بين العدمين فى حيّز العدم إن كان من وجود فليس إلّا الله وحده، و لذلك قال الحلاج: من لا حظ الأزلية و الأبدية، و غمض عينيه عمّا بينهما، فقد أثبت التوحيد، و من غمض عينه عن الأزلية و الأبدية و لا حظ بينهما، فقد أتى بالعبادة، و من أعرض عن البين

(١) بحار الأنوار: ٨٧ / ١٩٩ ح ٦.

ص: ٤٢

و الطرفين، فقد تمسك بعروة الحقيقة.

فصل

و العالم أعراض و أجسام، و الأجسام مركبة من الخط و السطح خطا ثم سطحاً ثم جسماً، و مدار الكل على النقطة، و مرجعه إليها، و الكلام أيضاً على الحروف، و الحروف على الألف، و الألف على النقطة، و كذلك بنى آدم فإن كثرتهم منحصرة فى وحدة آدم، دليله قوله تعالى:

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴿١﴾؛ أى من صورة واحدة، و مادة واحدة، و ذلك تنبيهاً للغافلين، و إيجازاً للعارفين، و كثرة آدم راجعة فى بستان الوحدة إلى النقطة، و كذلك الأعداد فإن مرجعها إلى الواحد، و منبعها منه.

فصل [معنى الواحد و الألف]

و اعلم أن سرّ العدد فى النفوس مطابق لصور الموجودات، و هو عنصر الحكمة، و مبدأ المعارف و الإكسير الأوّل، و الكيمياء الأكبر و العهد المأخوذ، و أوّل الابتداء، ابتدعه الربّ و جعله أصلاً لخلقه، و قبلة لعباده و وجهه، و أطلعه من سرّه المكنون، و علمه المخزون، على ما كان و ما يكون، و هو واحد العدد، خلقه من نور جلاله، و هو الإبداع المحض، و الأحد الذى ليس قبله شيء من العدد، و هو أوّل موجود، و الواحد المبدع و الأحد، بإثبات الألف هو المبدع لأن الألف يتقدّم الحروف ففى الأحد هى الأحدية، و فى الواحد هى الوحدانية، و الأحد لا حدّ له و لا يوصف بإشارة أبنية فهو الأحد المطلق و الواحد الحق؛ هو الذى تنبعث منه الآحاد و هو ينبوع الأزواج و الأفراد، فعلم العدد أوّل فيض العقل على النفس، و لذلك صار مركزاً فى قوّة النفس،

أول فيض العقل على النفس و العدد لسان ينطق بالتوحيد لأنّ لفظ الواحد متقدّم على الاثنين فالسابق للواحد، و فى تقدّم أحد الاثنين على الآخر تأخّر

(١) الزمر: ٤٠.

ص: ٤٣

الثانى، فصح بذلك التوحيد، و لهذا قيل: من عرف طبيعة العدد عرف إتقان الحكمة، و أمّا إبطال الاثنين و الثلاثة فإنّ الواحد الحق لا يتجزأ إذ لو تجزأ لا نقسم، و المنقسم ليس بإله، و أما الواحد الذى فاض عن الأحد المشار إليه بالعظمة الذى هو مبدأ كل موجود فهو العقل الأوّل، فعلم العدد الدال على معرفة الواحد الأحد هو أصل العلوم و مبدأ المعارف، و تقدّمه على سائر العلوم، كتقدّم العقل على سائر الموجودات، و كما أن جميع الأشياء موجودة فى العقل بالقوّة فكذلك كل العلوم موجودة فى العدد، و صورتها مطابقة لصور الموجودات، فله صورة البسائط بالقوة، و صورة المركبات بالفعل، فلذلك كان علم العدد من الإشارات العقلية لأنه يقود النفس إلى علم التوحيد و الإقرار بالمبدع الأوّل فهو العقل الذى نزعت منه المقولات، و هو شجرة اليقين، و مبدأ الشرع و الدين، عليه ثبتت الصلاة، و منه عرفت العبادات، و به تعرف أدوار الزمان، و هو هلال العارفين و مبدأ كل مقال؛ أوّل مطابق لآخره، و آخره مطابق لأوّل، فأوّل الواحد الذى لا أوّل له فيعرف، و آخره الواحد الذى لا نهاية له فيوصف.

فصل [حقيقة النقطة و أنّها الفيض الأوّل]

و كذلك الأسماء الإلهية فإنّ مرجعها إلى الاسم المقدّس، فهو جامع لشماتها، و شامل لجمعها، متجلّى فى أحدها؛ و نهاية الحروف النقطة فتناهت الأشياء بأسرها إلى النقطة و دلّت عليها، و دلّت النقطة على الذات، و هذه النقطة هى الفيض الأوّل الصادر عن ذى الجلال المسمّى فى أفق العظمة و الجمال بالعقل الفعّال، و ذاك هو الحضرة المحمدية؛ فالنقطة هى نور الأنوار، و سرّ الأسرار، كما قال أهل الفلسفة: النقطة هى الأصل و الجسم حجاب، و الصورة حجاب الجسم، و الحجاب غير الجسد الناسوتى. دليله من صريح الآيات قوله تعالى: **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ** «١»، معناه منور السماوات، فالله اسم للذات و النور من صفات الذات، و الحضرة المحمدية صفة الله و صفوته، صفته فى عالم النور، و صفوته فى عالم الظهور، فهى

(١) النور: ٣٥.

ص: ٤٤

النور الأوّل، الاسم البديع الفتاح، قوله الحق: «أوّل ما خلق الله نوري» «١»، و قوله: «أنا من الله و الكلّ منى». و قوله ممّا رواه أحمد بن حنبل: «كنت و على نورا بين يدي الرحمن قبل أن يخلق عرشه بأربع عشرة سنة» «٢».

فمحمد و على حجاب الحضرة الإلهية و نوابها و خزّان أسرار الربوبية و بابها.

أما الحجاب فلاّتهم اسم الله الأعظم والكلمة التي تجلّى فيها الرب لسائر العالم لأن بالكلمة تجلّى الصانع للعقول، وبها احتجب عن العيون، سبحانه من تجلّى لخلقه بخلقه حتى عرفوه، و دلّ بأفعاله على صفاته حتى وحدوه، و دلّ بصفاته على ذاته حتى عبدوه.

و أما الولاية، فلاّتهم لسان الله فى خلقه، نطقت فيهم كلمته، و ظهرت عنهم مشيئته، فهم خاصّة الله و خالصته.

و أما الباب، فلاّتهم أبواب المدينة الإلهية التي أودعها مبدعها نقوش الخلائق، و أسرار الحقائق، فهم كعبة الجلال التي تطوف بها المخلوقات، و نقطة الكمال التي ينتهى إليها الموجودات، و البيت المحرم الذي تتوجّه إليه سائر البريات لأنّهم أوّل بيت وضع للناس فهم الباب، و الحجاب، و النواب، و أمّ الكتاب، و فصل الخطاب، و إليهم يوم المآب، و يوم الحساب، فهم لا هوت الحجاب، و نواب الجيروت، و أبواب الملكوت، و وجه الحى الذى لا يموت.

فصل

و إن قلت: معنى قوله: **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** «٣» يعنى منور السّماوات و الأرض، و هادى أهل السّماوات و الأرض،

قلت: نعم هم الهداة و الدعاة إلى الله عز و جل، و النور المشرق من حضرة الأزل و لم يزل،

(١) نظم المتناثر: ١٨٥ ح ١٩٤، و أخبار الدول: ٤، و بحار الأنوار: ٢٤ / ١٥، و ينابيع المودة: ١٠ / ١.

(٢) رواه الإمام أحمد فى فضائل الصحابة: ٢ / ٦٦٣ ح ١١٣٠ و فيه: قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام.

(٣) النور: ٣٥.

ص: ٤٥

و الاسم الفتح الذى أخرج بنوره الوجود من العدم، فبهم بدا و بهم هدى، و بهم ختم، و هم المعاذ فى المعاد للعباد عند زلّة القدم، فهم مصابيح الظلم، و مفاتيح النعم.

فصل

فإذا استقرينا الموجودات، فإنّها تنتهى إلى النقطة الواحدة التي هى صفة الذات و علّة الموجودات، و لها فى التسمية عبارات، فهى العقل من قوله صلى الله عليه و آله: «أوّل ما خلق الله العقل» «١»، و هى الحضرة المحمّدية من قوله: «أوّل ما خلق الله نوري» «٢». و من حيث إنّها أوّل الموجودات صادرة عن الله تعالى بغير واسطة سمّيت العقل الأوّل، و من حيث إنّ الأشياء تجد منه قوّة التعقيل سمّى العقل الفعّال، و من حيث إنّ العقل فاض منه إلى جميع الموجودات فأدركت به حقائق الأشياء سمّى عقل الكل، فعلم بواضح البرهان أن الحضرة المحمدية هى نقطة النور و أوّل الظهور، و حقيقة الكائنات، و مبدأ الموجودات، و قطب الدائرات،

فظاهرها صفة الله، و باطنها غيب الله، فهي ظاهر الاسم الأعظم، و صورة سائر العالم، و عليها مدار من كفر و أسلم، فروحه صلّى الله عليه و آله نسخة الأحذية في اللاهوت، و جسده صورة معاني الملك و الملكوت، و قلبه خزانة الحى الذى لا يموت، و ذلك لأن الله تعالى تكلم في الأوّل بكلمة فصارت نورا، ثم تكلم بكلمة فصارت روحا، و أدخلها ذلك النور و جعلها حجابا فهي كلمته و نوره و روحه و حجاب، و سريانها في العالم كسريان النقطة في الحروف و الأجسام، و سريان الواحد في الأعداد و سريان الألف في الكلام، و سريان الاسم المقدّس في الأسماء، فهي مبدأ الكل و حقيقة الكل، فكل ناطق بلسان الحال و المقال، فإنّه شاهد لله بالوحدانية الأوّلية، و لمحمد و على بالأبوة و الملكية، دليله قوله صلّى الله عليه و آله: «أنا و على أبوا هذه الامة» «٣»؛ و إذا كانا أبوا هذه الامة دل بالتزام أن يكونا أبوى سائر الأمم لدلالة الخاص على العام، و الأعلى على الأدنى من غير عكس، فلولاهما لم يكن خلق أبدا لاختصاصه ب

(١) تقدّم الحديث.

(٢) تقدّم تخريجه.

(٣) كمال الدين: ١ / ٢٤١، و البحار: ٣٦ / ٢٥٤.

ص: ٤٦

«لولاك لما خلقت الأفلاك» «١» فعلم أن صدور الأفعال عن الصفات، و صدور الصفات عن الذات، و الصفة التي هي إمام الصفات في ظهور الموجودات، هي الحضرة المحمدية فهي عين الوجود و شرف الوجود و هي النقطة الواحدة التي هي صفة الأحد و الجمال، الصادرة عن الجلال، و النور المبتدع من سحاب العظمة المشعشع من فيض قدس الرحمة و هي عرش النور و الكتاب المسطور و اللوح المحفوظ و أوّل الظهور، و ختم الأيام و الدهور.

يؤيد ذلك ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه سئل: هل رأيت في الدنيا رجلا؟ فقال:

رأيت رجلا و أنا إلى الآن أسأل عنه. فقلت له: من أنت؟

فقال: أنا الطين. فقلت: من أين؟

فقال: من الطين. فقلت: إلى أين؟ فقال: إلى الطين. فقلت: من أنا؟

فقال: أبو تراب. فقلت: أنا أنت. فقال: حاشاك، هذا من الدين في الدين، أنا أنا، و أنا أنا، أنا ذات الذوات، و الذات في الذوات الذات، فقال: عرفت. فقلت نعم. فقال:

فامسك.

فأقول: فى حل هذا الرمز الشريف إشارة إلى خطاب عالم اللاهوت مع عالم الناسوت، و هو الروح للجسد ليبيّن للناس الفرق بين هيكل قدسه و سرّ نفسه، فقوله: رأيت رجلاً، و أنا أسأل إلى الآن عنه. و ذلك لأن الروح لم تزل لها تعلّق بالجسد و نظر إليه لأنه بيت غربتها، و مسكن كربتها، و مركب سيرها، و سرير تحصيلها، و الثانى أن العارف أبداً يجب عليه أن يعرف الفرق بين مقام التراب و سرّ ربّ الأرباب، لأنّه إذا عرف نفسه عرف ربّه، لأنّه إذا عرف نفسه بالحدوث، و الفقر، و المسكنة؛ عرف ربّه بالعزّة و الكبرياء، و العظمة. و قوله: أنا الطين، إشارة إلى أن العارف، لم يزل فى مقام الفقر و الإقرار بالحدوث و العجز. و قوله: من أنا؟ لما أقر الجسد بالمعرفة، و الحدوث و الإمكان، و الموت، و الرجوع إلى عنصره و معدنه، و تلاشيّه و تحلله بعد تركيبه.

و قوله: أنت أبو تراب، يشير به إلى معنيين: خاص، و عام. فالأوّل معناه أن المراد من الأب المربّى و المرشد، و الروح قيم هذا الجسد و مربيه؛ و الثانى أن أبا تراب هو الماء، و المراد به:

(١) الفوائد المجموعة: ٣٢٦، و جامع الأسرار: ٣٨١ ح ٧٥٨.

ص: ٤٧

أنت أبو الأشياء و مبدأها و حقيقتها و معناها، لأنّ الكلمة الكبرى عنها برزت الموجودات، و هى سرّ سائر الكائنات.

و قوله: فقلت له: أنا أنت. يعنى أنا مثلك ميّت و مرّكب. فقال: حاشاك، حاشاك، أنا أنا، و أنا أنا، يعنى ابن التراب و النور.

و قوله: أنا ذات الذوات، و الذات فى الذوات للذات، صرّح بإظهار السرّ المكنون، و الكلمة المتعلّقة بطرفى «كن فيكون»، و ذلك أنه اسم الله الأعظم و حقيقة كل كائن و أنه ذات كل موجود لذات واجب الوجود لأنّه سرّه و كلمته و أمره و وليّه على كل شىء، و ذلك أمر خصّه الله به؛ لأنّه هو هو، بل إنه كلمة الله و آيته و سرّه.

فبان بحل هذا المبهّم كفر الغالى و القالى، و سلوك التالى و الموالى، و وصول العارف العالى، فعلى سرّ الله فى الكل و وليه على الكل، لأن الربّ سبحانه سلم ما أوجده بإرادته، و خلقه بقدرته و مشيئته، إلى وليّه و كلمته، فقد سلم ما صدر منه إليه لأن المولى الولى مقامه فى الخلق مقام الربّ العلى و إليه الإشارة بقوله: «لا فرق بينهم و بينك إلّا أنّهم عبادك و خلقك» «١».

و قوله فى الدعاء: «جئت بك إليك» يعنى جئت بصفاتك إلى ذاتك، و بعدلك إلى عفوك.

و قوله له: فقال: عرفت، فقلت نعم، فقال: فامسك.

هذا إشارة إلى أن الإنسان إذا عرف أن عليّاً هو السرّ الخفى، و جب عليه الإمساك لقبول «٢» العقول عن هذا الإدراك.

(١) الإنسان الكامل: ١٢٨، و الرسائل الثمانية: ٨٨.

(٢) لنبو - خ ل.

ص: ٤٨

فصل [الصفات الإلهية]

و ذلك لأن الصفات الإلهية «٧» الحى و هو إمام الأئمة و العليم، و المريد و القادر و المتكلم و الجواد و المقسط؛ و لهذه الأسماء مظاهر فمظهر ركن الحياة إسرافيل، و مظهر ركن العلم جبرئيل، و مظهر ركن الإرادة ميكائيل، و مظهر ركن القدرة عزرائيل؛ و لهذه الاصول سبع مظاهر كوكبية تسمى النيرات السبع، و كل كوكب منها خدم لاسم من هذه الأسماء، فمظهر تجلّى الحياة الشمس، و مظهر تجلّى العلم المشتري، و مظهر تجلّى القدرة المريخ، و مظهر تجلّى الإرادة الزهرة، و مظهر تجلّى الكلام القمر، و مظهر تجلّى الإقساط عطارد، و مظهر تجلّى الجود زحل؛ و الأسماء هى المؤثرة فيما تحتها من العوالم لكن بواسطة هذه المظاهر كما تقتضيه الحكمة الأزلية من ترتيب الأسباب على المسببات، و إليه الإشارة بقوله:

وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا «١».

فصل [الأنبياء مظاهر أسماء الله]

و كذلك الأنبياء فإنهم مظاهر أسماء الله فمن كان منهم مظهر اسم كلى، كانت شريعته كلية؛ و جميع الأسماء ترجع إلى الاسم الجامع الذى هو الله، و جميع الرسل و الأنبياء ترجع إلى هذه الأسماء السبعة: آدم و إدريس و إبراهيم و يوسف و موسى و هارون و عيسى عليهم السلام و مرجع هذه السبعة إلى الاسم الجامع الواحد و هو محمد صلى الله عليه و آله فآدم مظهر الاسم الناطق و للخالق فيه أثر تام، و محله فلک القمر و هو بيت العزة، و فيه جوامع الكلم الطيب.

(١) فصلت: ١٢.

ص: ٤٩

«و إدريس» مظهر الاسم الحى و فلکه الشمس التى هى منبع الحياة الحيوانية و النباتية، و من ثم أعطى العلم بأسرار المعادن و النبات.

«و إبراهيم» مظهر الاسم الجواد و للإله فيه أثر تام و فلکه زحل و هو أول من أطعم الضيف.

«و يوسف» مظهر الاسم المريد و للجميل فيه اثر عظيم و فلکه فلک الزهرة.

«و موسى» مظهر الاسم القادر و للقوى و للشديد فيه أثر، و فلکه فلک المريخ.

«و هارون» مظهر الاسم العليم و الأمر و الناهى و فلكه فلك المشتري.

«و عيسى» مظهر الاسم المقسط و للحكيم فيه أثر و لذلك أبرأ الأكمه و الأبرص و أحبى الموتى و فلكه فلك العطار.

و محمد صلى الله عليه و آله له جملة هذه الأفلاك أو الأسماء و الأعداد، و هو مظهر الاسم الجامع و فلكه قاب قوسين أو أدنى، و هو جامع الأسرار، و مظهر الأنوار، و جامع الكلم فهو كل الكل و جملة الجمال و خلاصة الأكوان، و خاصة الرحمن و هو كما قيل:

فما أعجز الأفكار عن كنه وصفه و ما أقصر التفسير عن كل معناه

و عدد اسم محمد صلى الله عليه و آله «١٣٢» لأنه م ح م د و فيه ميم مدغمة و اسمه أمين، و اشتقاق لفظ الأمين من الأمن، و عدده خطأ لا رسماً (٩٢) و هو عدد يشير إلى اسمه م ل ك و امان ا م ان و هو «٩٢» كما قيل:

لاسم خير الرسل فضل عند ذى الفضل متين
فهو فى الخط أمان و هو فى اللفظ أمين

ص: ٥٠

فصل [أسرار حروف اسم النبي صلى الله عليه و آله]

و من أسرار اسمه الشريف و عدده «١٣٢» أنه يشير إلى اسمه تعالى و ا ل م ل ك و هذا العدد الشريف من الأنماط الالهية اسمان جليلان و هما ح ي ع د ل، و هذا العدد الشريف إذا قسّمت أجزاؤه فإنّه ينقسم بخمسة أقسام نصف و هو «٢٦» و ربع و هو «٣٣» و ثلث و هو «٤٤» و سدس و هو «١١» و هو عدد الاسم الأعظم باطنا، و كل عدد فوقه فإنه يؤخذ منه و راجع إليه، و هذه الأعداد مجموعها «١٦٦» فقد زادت على الأصل «٤٤» و هذه الزيادة له من الأسماء الأحد (ا ل ح د) فدل على أنه أحد الكونين و واحدها، و أحدها و محمدها و أمانها و أمينها و مولاها و سيّدها، النبي الكريم، الرؤوف الرحيم، الحبيب النجيب، القريب المجيب، البشير النذير، السراج المنير، العزيز الخبير، الصادق الأمين، طه و ياسين، الأوّل الآخر، الباطن الظاهر، الفاتق الراتق، الفاتح الخاتم، العالم الحاكم، الشافع الراحم، الهيكل العاصم، الشاهد القاسم، المؤيّد المنصور، أبى القاسم فهو كما قيل:

فإن من جودك الدنيا و ضرثها و من علومك علم اللوح و القلم

فهو الدليل المبين.

فصل

و أما أسرار حروفه، فأولها «م» و هو حرف نارى علوى صامت من حروف الدائرة و له عالمان لأنه م ي م و ميمه الأول ميم الملك و الآخر ميم الملكوت و عدده «٤٠» و هذا العدد افتتاح كل مغلق و لهذا افتتح باسمه الجود و الوجود، و إذا فصلت حروفه كانت «٥٠» و إذا اضيفت إليها عدده و هو «٤٠» كانت «٩٠» و هى حقايق اسم الميم و يظهر عنها بالضرب من الأسماء الإلهية (ال م ل ك ال س ي د ال س ل ا م انا ه و م ح م د).

ص: ٥١

الثانى من حروف اسمه (ح) و هى حرف مائى نورانى علوى و محل الحاء الكرسي و هو الثامن لأن حقيقتها الثمانية و هى من حملة العرش.

الرابع من حروفه (د) و هو حرف مائى مظلم و له حقيقة الدوام و عنه ظهر اسمه الدائم و له دوام الملك و النور.

فصل [باطن الأسماء الإلهية]

و اعلم أن لكل اسم من الأسماء الإلهية صورة باطنة فى العالم تسمى الصورة العينية، و لكل اسم من الأسماء رب هى مربوبة له، و الحقيقة المحمدية هى صورة الاسم الجامع الإلهى الذى منه استمرار جميع الأشياء. تلك الحقيقة هى التى ترب صور العالم بالرب الظاهر فيها و هو رب الأرباب لأنها هى الظاهرة فى تلك المظاهر، فبصورتها الظاهرة التى هى مظهر الاسم الأعظم المتناسبة لصور العالم ترب العالم، و بباطنها ترب باطن العالم لأنه صاحب الاسم الأعظم و له الربوبية المطلقة.

فعلم بهذا الكشف التام من هو روح العالم و ممن يستمد الحياة، و لذلك قال و قوله الحق:

«خصصت بفاتحة الكتاب و خواتيم البقرة و اعطيت جوامع الكلم» «١»؛ و هى مصدرة بقوله:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

و هذا مجمع الأرواح و الأجساد و العوالم فعلم من هذا الكشف الظاهر أنه هو روح العالم لأن الروح الظاهر يسرى فى الصور كضوء الشمس فى جسم الهواء. فمحمد صلى الله عليه و آله هو سر الوجود ظاهرا و باطنا، فسبحان من دل على ذاته بتجليه فى صفاته.

(١) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى: ١ / ١٧٠ باب ٣ فصل ١ بتفاوت، و الفضائل لابن شاذان: ٥.

ص: ٥٢

فصل [نشوء الحروف من الألف]

و اعلم أن الكلام تنأهى إلى الحروف، و الحروف إلى النقطة، و هى الألف المفقود و ينشأ عنه «٢٨» حرفا كما مرّ و هى الصورة الإلهية القائمة بذات الله، و هى قسمان جلال و جمال، و حروف الجلال قسم واحد و هى الحروف النارية، و حروف الجمال ثلاثة أقسام و ليس فى الحروف حرف إلّا و هو صادر عن الألف و هو شهادة الوجود و الوجود بوحدانية الربّ المعبود، و هى محيطه بكلّ شىء و هو بكلّ شىء محيط كما قيل:

ففى كل شىء له آية تدلّ على أنّه واحد

فصل [تركيب الأسماء من سرّ الحروف]

و من سرّ الحروف تتركّب الأسماء، و لكل كلمة ظاهر و باطن، و الظاهر لأهل التقليد، و الباطن لأهل التحقيق و التجريد، لأنّ الظاهر جسم الروح و قشوره، و الباطن روح الجسم و لبابه، و الناس على أربعة أقسام: قسم لهم حظّ من الظاهر و الباطن، و هم الراسخون فى العلم، و قسم ليس لهم حظّ فى الظاهر و الباطن و هم الكفّار، و قسم ليس لهم حظّ فى الظاهر دون الباطن و هم المحجوبون فى الظلمة المقرون بالنبوة دون الإمامة، و قسم ليس لهم حظّ من الباطن دون الظاهر و هم عقلاء المجانين.

و روى ابن عباس فى قوله تعالى: **وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا** «١» قال: معناه شرحناه شرحا بيّنا بحساب الجمل فهم من فهم و هذا هو العلم الذى أسره الله إلى نبيه ليلة المعراج

(١) الاسراء: ١٢.

ص: ٥٣

و جعله عند أمير المؤمنين عليه السّلام فى عقبه إلى آخر الدهر و هى «٨» كلمات و «٢٨» حرفا و كل حرف منها يتضمّن اسم محمد و على ظاهرا و باطنا يخرج منه له وقوف على أسرار علم الحروف و أعدادها.

فصل [معانى القرآن فى أربعة أحرف]

و بهذه الحروف نزل القرآن، و هى ترجمان ذات الرب سبحانه، و القرآن له ظاهر و باطن، و معانيه منحصرة فى أربعة أقسام، و هى أربعة أحرف و عنها ظهر باقى الكلام و هى (ا ل ه) و الألف و اللام منه آلة التعريف، فإذا وضعت على الأشياء عرفت أنّها منه و له، و إذا أخذ منه الألف بقى لله، و لله كل شىء. و إذا أخذ منه ل بقى إله و هو إله كل شىء، و إذا أخذ منه ألف و اللام بقى له و له كل شىء، و إذا أخذ منه الألف و اللامان بقى هو، و هو هو وحده لا شريك له، و العارفون يشهدون من الألف و يهيمنون من اللام و يصلون من الها.

و الألف من هذا الاسم إشارة إلى الهوية التي لا شىء قبلها ولا بعدها، وله الروح واللام وسطا، وهو إشارة إلى أن الخلق منه وبه وإليه وعنه، وله العقل. وهو الأوّل والآخِر، وذلك لأنّ الألف صورة واحدة فى الخط وفى الهجاء. فالعدد إما زوج أو فرد ضرورة فهذه ثلاثة، وهى فى الضرب تسعة، وهى العدد المكتوم، والثلاثة هى مواد سائر الأعداد وموضوعاتها، والتسعة هى العدد الطيار كما مرّ المنقسم بالأفراد وفيها مجمع الأزواج والأفراد وحرفها الطاء، وهى الحرف الاكالا وإذا أعيد إلى التسعة الزوج الآل ظهر الاسم الخفى والسرّ الذاتى وهو (ه و ه و ه و) به سائر الموجودات، فظهرت الهاء الخفية وأصلها الضمة وهى الواو وإذا ضربت (١١) فى الهاء وهى خمسة كان العدد خمسة وخمسين فظهر اسمه تعالى م ج ي ب، ولما كان أصل الهاء الضمة وهى الواو ولها الجهات الستة وإذا ضربت الستة فى (١١) كان العدد (٦٦) وهو الاسم المقدّس لله جل جلاله وهو اسم الذات و صفة الصفات، وموضوع الأسماء؛ وإذا ضربت ستة وستون فى ستة كان العدد ثلاثمائة وستة وتسعين، وإذا ضربت ستة وستون فى إحدى عشر كان العدد سبعمائة وستة وعشرين، وإن ضربت ست

ص: ٥٤

وستون فى خمسة كان العدد ثلاثمائة وثلاثين، ومنبع الأسرار الهاء المضمومة التى هى قيوم الحروف والطبيعة الخامسة الفعالة والهاء باطن كل موجود وحقيقة كل شهود، فإذا قدح زناد الهاء بصوان الألف خرجت الطاء الاكالة، وإذا ضربت الهاء فى نفسها كان العدد خمسا وعشرين، فهى لا تظهر إلّا نفسها لأنّ خمسة وعشرين خمس خمسات، وإذا ضربت خمس وعشرون فى نفسها كان العدد ستمائة وخمسا وعشرين، والهاء من حروف المريح، ومن عرف كيف النطق بها أهلك عدوّه ولكن ذاك مودع فى الصدور لا فى السطور، ونطقها على سبيل الرمز هايابيل أو هو يا هو مدل يا منتقم يا فعال أنت هو.

فصل [شرف لفظة:- هو - و دلالتها]

(١) اعلم أن الاسم إما مشتق، أو علم، أو إشارة؛ والاسم المشتق كلّى لا يمنع من وقوع الشركة فيه، والاسم العلم قائم مقام الإشارة فهو فرع عليها، والإشارة أصل والأصل أعظم من الفرع، فقولك: هو أشرف الأسماء كلّها يعنى:

(٢) أن الحق سبحانه فرد مجرد لا يمكن نعتة بصفة زائدة وإلّا لاتفتت الفردانية، والإخبار عنه بعين ذاته محال، فجميع الأسماء المشتقة قاصرة عن الإنباء عن ذاته المقدّسة. وأما لفظ هو فإنه ينبىء عن كنه حقيقته المخصوصة المبرأ عن جميع جهات الكثرة، فاسم هو لو صوله إلى كنه الصمدية أشرف الأسماء.

(٣) أن الصفات المشتقة لا تعرف إلّا دالة على الصفات، والصفات لا تعرف إلّا بالإضافة إلى المخلوقات، وأما لفظ هو فإنه يدل عليه من حيث هو هو، وهذا الاسم يوصل إلى الحق ويقطع عن الخلق.

(٤) أن الأسماء المشتقة دالة على الصفات، ولفظ هو دال على الموصوف، والموصوف أشرف من الصفة، وذلك لأن ذات البارى سبحانه ما كملت بالصفات بل هى لغاية الكمال استلزمت صفات الكمال؛ فلفظ هو يوصل إلى ينبوع العزة.

(٥) أن لفظ هو مركّب من حرفين (ه و) والهاء أصل الواو فهو حرف واحد يدل على

الواحد الحق سبحانه.

(٦) أن الهاء أول المخارج والواو آخرها فهو الأول والآخر، والهاء باطن المخارج و باطن الأشياء والواو ظاهر سائر المخارج فهو الأول والآخر والباطن والظاهر.

(٧) أن هذا الحرف الذى وضع لتعريف ذات الحق غير معلوم بالحقيقة، وذات الحق أولى بالتنزيه عن الكيفية، فمنه إليك قوله هو ومنك إليه قولك هو.

فصل [مراتب حروف الجلالة]

و حروف الجلالة لها أربع مراتب: الذات، والعقل، والنفس، والروح؛ ولها أربع ملائكة:

جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل؛ وهى منزلة على أربعة أنبياء: إبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام، ومحمد صلى الله عليه وآله؛ وهى تتم بأربع حقائق: الأمر، والنهى، والوعد، والوعيد؛ وهى منزلة فى أربع كتب: المصحف، والتوراة، والزبور، والفرقان، فالمصحف صورة القلب، وهى الألف الأول، والتوراة صورة العقل، وهى اللام الاولى، والإنجيل صورة الروح، وهى اللام الثانية، والفرقان صورة النفس و صورة الحق فى عالم الظاهر والباطن، و حرفها الهاء.

فصل [الباء ظهور الوجود و النقطة تميز للعابد و المعبود]

و اعلم أن الفيض الأول عن حضرة الأحديّة هى النقطة الواحدة، و عنها ظهر ألف الغيب (القلب خ ل) و امتد حتى صار خطه، و هو مركب من ثلاث نقط واحدة و واحدة و واحدة، فالواحدة لها العلم و العقل و روح القدس، و حرفها الألف، و منها تبتدئ الموجودات و إليها تنتهى، و النقطة الواحدة وهى روح الله و نفخت فيه من روحى، و حرفها الباء وهى الحجاب و هو ظاهرة النقطة الواحدة و جسدها، و لها الحكم الظاهر و حقيقتها النبوة و عنها ظهرت الموجودات و باطنها النقطة الواحدة.

قال عليه السلام: عن الباء ظهر الوجود، و بالنقطة تبين العابد عن المعبود «١»؛ و قال حكيم: بالباء عرفه العارفون، و ما من شىء إلّا و الباء مكتوبة عليه «٢»، فإذا قلت «الله»، فقد نطقت بسائر الأسماء، و إذا كتبت الألف فقد كتبت سائر الحروف، و إذا نطقت بالواحد فقد ضمنت سائر الأعداد، و إذا قلت النقطة فقد حصرت سائر العوالم، و إذا قلت النور فقد ضمنت الوجود من العدم، و إذا قلت نور النور فقد نطقت بالاسم الأعظم، لمن كان يدري و يفهم، إذ لا حظ للأصم من طيب النغم، و لا فرق عند الأكمه من الليل إذا أظلم، و الصبح إذا تبسم؛ و قال العارف هذا:

و الفاء دائرة عليه تطوف

ألف الحروف هو الحروف جميعها

و قال الآخر:

يا رب بالألف التى لم تعطف
و بنقطة هى سرّ كل الأحرف
و بقافها الجبل المحيط و صاها
البحر الذى بظهوره لا يختفى
ثبت على هداى و اتمم نوره
يا من به أصبحت عنى مكتفى

الثالث النقطة الواحدة و هى روح الأمر، و عنها نور أن الوجود فى عالم الصور، و هى إشارة إلى ظهور الأفعال، لأن الواحد الحق سبحانه يوجد الأشياء و ليس فيها و إلّا لكان محدودا، و لا منها و إلّا لكان معدودا، لكنه متجلّ فيها بنور جماله، متخل عنها بكمال جلاله، دان إليها بكبريائه، قائم بها، قيوم عليها، لأن الأحد الحق سبحانه لا يتجزأ فيعد، و لا يتكثّر فيحدّ، فالوحدة لازمة له.

فصل [معنى الأحد و الواحد]

أحد و واحد و وحدانية، فالأحد اسم الذات مع سلب تعدّد الصفات، و الواحد اسم الذات مع إثبات تعدّد الصفات، و الوحدانية صفة الواحد؛ و الواحد صفة الأحد، صلى

(١) جامع الأسرار: ٥٦٣ ح ١١٦٣ و شرح دعاء السحر: ٦٤ و فيه تمييز بدل تبين و نسبه إلى ابن عربى.

(٢) جامع الأسرار: ٧٠١ و نسبه لبعض العارفين بلفظ: «ما رأيت شيئا إلّا و رأيت ...».

ص: ٥٧

الأحد على الواحد، الواحد سر لأحد الواحد، صفة الأحد الواحد نور الأحد الواحد، ظاهر الأحد الواحد أوّل العدد الأحد، باطن الواحد الأحد، معنى الواحد الفائض عن حقيقة الأحد هو معنى الموجودات، الأحد ذو الجلال، الواحد هو العقل الفعّال، جل الأحد الحق فى أحديته التى لا تحد تعالى الواحد المطلق فى وحدانيته، التى لا تعد تقدس الصمد فى صمدانيته التى ليس لها قبل و لا بعد، جلّ المعبود الحق فى ألوهيته التى كلها ملك و مملوك و عبد.

ص: ٥٨

فصل [أوّل الخلق نور محمّد و على عليهما السّلام]

ظهر الواحد عن الأحد، و فاض عن الواحد سائر العدد، و ذاك كما ظهر الخط عن النقطة، و السطح عن الخط، و الجسم عنهم، و الحروف عن النقطة، و الكلام عن الحروف، و المعانى عن الكلام، و الكل من واحد، منه المبدأ و إليه المعاد، بدوّها منك و عودها

إليك، فالنقطة الواحدة هي حقيقة الموجودات، و مبدأ الكائنات، و قطب الدائرات، و عالم الغيب و الشهادة، و ظاهرها النبوة، و باطنها الولاية، و هما نور واحد في الظاهر و الباطن، و لكن الولاية من النبوة و عنها لأنهما الاسمين الأيمنين اللذين جمعا فاجتمعا، و لا يصلحان إلّا معا، يسميان فيفرقان محمد و علي، و يوصفان فيجتمعان نبي و ولي، و تمامهما في تمام أحدهما، تمام الولي من النبي، لأن القمر يستمد من الشمس، فإذا كمل صار بدرا فإذا غابت الشمس كان الحكم للبدر «١».

(١) قال رسول الله صلى الله عليه و آله:

«يا عمر بن الخطاب أ تدرى من أنا؟! انا الذى خلق الله أول كل شىء نورى، فسجد له فبقى فى سجوده سبعمئة عام، فاوّل كل شىء سجد له نورى و لا فخر. يا عمر أ تدرى من أنا؟ أنا الذى خلق الله العرش من نورى و الكرسي من نورى و اللوح و القلم من نورى، و الشمس و القمر من نورى، و نور الأبصار من نورى و العقل الذى فى رءوس الخلائق من نورى، و نور المعرفة فى قلوب المؤمنين من نورى و لا فخر»

(شرح الشمائل المحمدية: ١ / ٤٩، و لوامع أنوار الكوكب الدرّى: ١ / ١٣).

و فى حديث مستفيض: «كنت أول الأنبياء [الناس] فى الخلق و آخرهم فى البعث» (كنز العمال:

١١ / ٤٥٢ ح ٣٢١٢٦، و الجامع الصغير: ٢ / ١٦٢، و الطبقات الكبرى: ١ / ١١٩، و الفردوس بمأثور الخطاب: ٣ / ٢٨٢ ح ٤٨٥٠، و الوفا بأحوال المصطفى: ٣٦١، و ينابيع المودة: ١ / ٢٢٠ و ١٨، و الخصائص الكبرى: ١ / ٣ الباب الأول).

و قال أمير المؤمنين على عليه السّلام: «كنت ولياً و آدم بين الماء و الطين» (جامع الأسرار: ٣٨٢ - ٤٦٠ ح

ص: ٥٩

٧٦٣ - ٩٢٧، و الإنسان الكامل: ٧٧، و المراقبات: ٢٥٩).

و أخرج المسعودى و سبط ابن الجوزى بسنده إلى أمير المؤمنين عليه السّلام أنه قال بعد حمد الله: «لما أراد الله أن ينشئ المخلوقات و يبدع الموجودات أقام الخلائق فى صورة قبل دحو الأرض و رفع السّماوات، ثم أفاض نورا من نور عزه فلمع قبسا من ضيائه و سطع. ثم اجتمع فى تلك الصورة و فيها هيئة نبينا صلى الله عليه و آله فقال له تعالى: أنت المختار و عندك مستودع الأنوار و أنت المصطفى المنتخب الرضا المنتجب المرتضى، من أجلك أضع البطحاء و أرفع السماء و أجرى الماء و أجعل الثواب و العقاب و الجنة و النار، و أنصب أهل بيتك علما للهداية، و أودع أسرارهم من سرى بحيث لا يشكّل عليهم دقيق، و لا يغيب عنهم خفى، و أجعلهم حجتى على بريتى و المنبهين على قدرى و المطلعين على أسرار خزائنى

ثم بين لآدم حقيقة ذلك النور و مكنون ذلك السر، فلما حانت أيامه أودعه شيئا، و لم يزل ينتقل من الأصلاب الناضرة إلى الأرحام الطاهرة إلى أن وصل إلى عبد المطلب ثم إلى عبد الله، ثم إلى نبيه صلى الله عليه و آله فدعا الناس ظاهرا و باطنا و ندبهم سرا و علانية و استدعى الفهوم إلى القيام بحقوق ذلك السر اللطيف و ندب العقول إلى الإجابة لذلك المعنى المودع فى الذر قبل النسل، فمن وافقه قبس من لمحات ذلك النور و اهتدى إلى السر و انتهى إلى العهد المودع فى باطن الأمر و غامض العلم، و من غمرته الغفلة و شغلته المحنة استحق البعد.

ثم لم يزل ذلك النور ينتقل فينا و يتشعشع فى غرائزنا، فنحن أنوار السماوات و الأرض و سفن النجاة، و فينا مكنون العلم و إلينا مصير الأمور و بمهدينا تقطع الحجج، فهو خاتم الأئمة و منقذ الأمة و منتهى النور و غامض السر، فليهن من استمسك بعروتنا و حشر على محبتنا» (تذكرة الخواص:

١٢١-١٢٢ الباب السادس- المختار من كلام على- خطبة فى مدح النبى و الائمة، و مروج الذهب:

١٧/١ ذكر المبدأ و شأن الخليقة، و نزهة المجالس: ٩٦/٢ مولد النبى صلى الله عليه و آله مختصرا)

و قال صلى الله عليه و آله: «إن الله خلقنى و خلق عليا و فاطمة و الحسن و الحسين قبل أن يخلق آدم عليه السلام حين لا سماء مبنية، و لا أرض مدحية، و لا ظلمة و لا نور، و لا شمس و لا قمر و لا جنة و لا نار».

فقال العباس: كيف كان بدء خلقكم يا رسول الله؟

فقال: «يا عم لما أراد الله أن يخلقنا تكلم بكلمة خلق منها نورا، ثم تكلم بكلمة أخرى فخلق منها روحا، ثم مزج النور بالروح، فخلقنى و خلق عليا و فاطمة و الحسن و الحسين، فكنا نسبحه حين لا تسبيح، و نقدسه حين لا تقديس، فلما أراد الله تعالى أن ينشئ خلقه فتق نورى فخلق منه العرش، فالعرش من نورى، و نورى من نور الله، و نورى أفضل من العرش.

ثم فتق نور أخى على فخلق منه الملائكة، فالملائكة من نور على و نور على من نور الله و على أفضل من الملائكة. ثم فتق نور ابنتى فخلق منه السماوات و الأرض، فالسماوات و الأرض من نور ابنتى فاطمة، و نور ابنتى فاطمة من نور الله، و ابنتى فاطمة أفضل من السماوات و الأرض.

ص: ٦٠

فصل

و إليه الإشارة بقوله تعالى: **خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ** «١» و إلى هذا المعنى أشار بقوله صلى الله عليه و آله: أول ما خلق الله نورى، ثم فتق منه نور على، فلم نزل تتردد فى النور حتى وصلنا حجاب العظمة فى ثمانين ألف سنة، ثم خلق الخلائق من نورنا فنحن صنائع الله،

ثم فتق نور ولدى الحسن فخلق منه الشمس والقمر فالشمس والقمر من نور ولدى الحسن ونور الحسن من نور الله، والحسن أفضل من الشمس والقمر.

ثم فتق نور ولدى الحسين فخلق منه الجنة والحدور العين، فالجنة والحدور العين من نور ولدى الحسين، ونور ولدى الحسين من نور الله، ولدى الحسين أفضل من الجنة والحدور العين» (بحار الأنوار: ١٥ / ١٠ - ١١ باب بدء خلق النبي ح ١١).

إلى أن قال: «فتكلم الله بكلمة فخلق منها روحا ... ثم نورا فأزهرت المشارق والمغرب فهي فاطمة» (الأنوار النعمانية: ١٧ / ١ - ١٨ مع تفاوت عما في بحار الأنوار ليس بيسير رواه عن ابن مسعود).

وعن الإمام على عليه السلام: «ألا إني عبد الله وأخو رسوله وصديقه الأول قد صدقته وأدم بين الروح والجسد، ثم إني صديقه الأول في أمتكم حقا، فنحن الأولون ونحن الآخرون» (بحار الأنوار: ١٥ / ١٥ ح ١٩).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «يا جابر كان الله ولا شيء غيره، لا معلوم ولا مجهول، فأول ما ابتدأ من خلقه أن خلق محمدا صلى الله عليه وآله وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمته، فأوقفنا أظلة خضراء بين يديه حيث لاسماء ولا أرض ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر» (بحار الأنوار: ١٥ / ٢٣ ح ٤١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان وخلق نور الأنوار الذي نورته منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره الذي نورته منه الأنوار، وهو النور الذي خلق منه محمدا وعلياً، فلم يزل نورين أوليين إذ لا شيء كون قبلهما» (بحار الأنوار: ١٥ / ٢٤ ح ٤٦).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «كان الله ولا شيء معه، فأول ما خلق نور حبيبه محمد صلى الله عليه وآله قبل خلق الماء والعرش والكرسي والسموات والأرض واللوح والقلم والجنة والنار والملائكة وأدم وحواء» (بحار الأنوار: ١٥ / ٢٧ - ٢٨ ح ٤٨).

* أقول: ذكر المجلس في بحاره والجزائر في الأنوار وغيرهما عدة روايات أخرى في أنهم أول الخلق اقتصرنا على ما يكفي لإقناع الناصبي فضلا عن غيره (بحار الأنوار: ١٥ / ٢ إلى ٥٠ ح ٢ إلى ٤٨ باب بدء خلق النبي من كتاب تاريخ نبينا صلى الله عليه وآله، وإرشاد القلوب: ٢ / ٤٠٤ - ٤٠٥ و ٤١٥ - ٤١٦ - ٤٢١، والأنوار النعمانية: ١٤ - ١٥ - ١٧ - ١٨ - ٢٢).

(١) فصلت: ٩.

ص: ٦١

والخلق من بعد صنائع لنا أي مصنوعين لأجلنا «١».

يؤيد ذلك (ما رواه) جابر بن عبد الله في تفسير قوله: **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** «٢»، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أول ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره واشتقه من جلال عظمته فأقبل يطوف بالقدرة حتى وصل إلى جلال العظمة في ثمانين ألف سنة، ثم سجد لله تعظيما فتفتق منه نور على فكان نوري محيطا بالعظمة، و نور على محيطا بالقدرة، ثم خلق العرش، و اللوح، و الشمس، و القمر، و النجوم، و ضوء النهار، و ضوء الأبصار، و العقل و المعرفة، و أبصار العباد، و أسماعهم و قلوبهم، من نوري، و نوري مشتق من نوره، فنحن الأولون، و نحن الآخرون، و نحن السابقون، و نحن الشافعون، و نحن كلمة الله و نحن خاصة الله، و نحن أحبّاء الله، و نحن وجه الله، و نحن أمناء الله، و نحن خزنة وحى الله، و سدنة غيب الله، و نحن معدن التنزيل، و عندنا معنى التأويل، و فى آياتنا هبط جبرائيل، و نحن مختلف أمر الله، و نحن منتهى غيب الله، و نحن محال قدس الله، و نحن مصابيح الحكمة، و مفاتيح الرحمة، و ينابيع النعمة، و نحن شرف الأمّة، و سادة الأئمة، و نحن الولاة و الهداة، و الدعاة و السقاة، و الحماة، و حبنا طريق النجاة، و عين الحياة، و نحن السبيل و السلسبيل، و المنهج القويم، و الصراط المستقيم، من آمن بنا آمن بالله، و من ردّ علينا ردّ على الله، و من شك فينا شك فى الله، و من عرفنا عرف الله، و من تولّى عنا تولّى عن الله، و من تبعنا أطاع الله، و نحن الوسيلة إلى الله، و الوصلة إلى رضوان الله، و لنا العصمة و الخلافة و الهداية، و فينا النبوة و الإمامة و الولاية، و نحن معدن الحكمة و باب الرحمة، و نحن كلمة التقوى و المثل الأعلى و الحجّة العظمى، و العروة الوثقى، التى من تمسك بها نجا و تمت البشرى «٣».

و عن محمد بن سنان، عن ابن عباس قال: كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فأقبل على بن أبى طالب عليه السّلام فقال له النبى صلى الله عليه وآله: مرحبا بمن خلقه الله قبل أبيه آدم بأربعين ألف سنة. قال: فقلنا:

يا رسول الله أكان الابن قبل الأب؟

(١) بحار الأنوار: ٣٣ / ٥٨ ح ٣٩٨.

(٢) آل عمران: ١١٠.

(٣) بحار الأنوار: ٢٥ / ٢٢ ح ٣٨.

ص: ٦٢

فقال: نعم إنّ الله خلقنى و عليا من نور واحد قبل خلق آدم بهذه المدّة ثم قسمه نصفين، ثم خلق الأشياء من نوري و نور على، ثم جعلنا عن يمين العرش فسبحنا، فسبحت الملائكة، و هلّلنا فهلّلوا و كبرنا فكبروا، فكل من سبح الله و كبره فإن ذلك من تعليمى و تعليم على «١».

و من ذلك ما رواه محمد بن علي بن بابويه مرفوعا إلى عبد الله بن المبارك عن سفيان الثوري عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه أمير المؤمنين عليهم السّلام أنّه قال: إنّ الله خلق نور محمد قبل خلق المخلوقات كلّها بأربعمائة ألف سنة و أربعة و عشرين ألف سنة، خلق منه اثني عشر حجابا «٢».

و المراد بالحجب الأئمة فهم الكلمة التي تكلم الله بها ثم أبدى منها سائر الكلم، و النعمة التي أفاضها و أفاض منها سائر النعم و الامّة التي أخرجها و أخرج منها سائر الأمم و لسانه المعبر عنه و يده المبسوطة بالفضل و الكرم و قوامه على عباده بالحكم و الحكم.

و عن أبي حمزة الثمالي قال: دخلت حباة الوالبيّة على أبي جعفر عليه السّلام فقالت: أخبرني أي شيء كنتم في الأظلة؟ قال: كنّا نورا بين يدي الله قبل خلقه الخلق فلما خلق الخلق سبّحنا فسبحوا، و هللنا فهللوا و كبرنا فكبروا، و ذلك قوله تعالى: **وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَّاءً غَدَقًا** «٣» و معناه لو استقاموا على حبّ على كنّا وضعنا أظلتهم في الماء الفرات، و هو حب على لِنَقْتِنَهُمْ فِيهِ «٤»، يعني في حب على، **وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ** «٥» يعني عن ذكر على عليه السّلام.

و في هذه لغات كثيرة:

(الأوّل) أن الرب هنا المولى و على هو المولى و معناه من يعرض عن ذكر مولاه.

(الثاني) أن ذكر على في القرآن.

(الثالث) أن ذكر المولى هو ذكر الرب العلى. دليل ذلك: ما رواه ابن عبّاس عن النبي صلّى الله عليه و آله

(١) بحار الأنوار: ٢٦ / ٣٤٥ ح ١٨، و الأنوار النعمانية: ٢٢ / ١.

(٢) بحار الأنوار: ١٥ / ٤ ح ٤.

(٣) الجن: ١٦.

(٤) طه: ١٣١.

(٥) الجن: ١٧.

(أنه خ ل) كان يكتب إلى شيعة على عليه السّلام إلى المختارين في الأظلة، المنتجبين في الملة، المسارعين في الطاعة، المبصرين في الكرة، سلام عليكم تحية منّا إليكم، أما بعد. فقد دعاني الكتاب إليكم لاستبصاركم من العمى، و دخولكم في باب الهدى،

فاسلكوا في سبيل السلامة، فإنّها جوامع الكرامة، إن العبد إذا دخل حفرة جاءه ملكان فسألاه عن ربّه و نبيّه و وليّه، فإن أجاب نجبا، و إن أنكر هوى «١».

و عن محمد بن سنان قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السّلام فذكرت اختلاف الشيعة فقال:

إنّ الله لم يزل فردا في وحدانيته ثم خلق محمدا و عليا و فاطمة فمكتوا ألف ألف دهر ثم خلق الأشياء و أشهدهما خلقها، و أجرى عليهم طاعتها و جعل فيهم منه ما شاء و فوّض أمر الأشياء إليهم منّا منهم عليهم، فهم يحلّلون ما شاءوا، و يحرّمون ما شاءوا، و لا يفعلون إلّا ما شاء الله، فهذه الديانة التي من تقدّمها غرق، و من تأخّر عنها محق، خذها يا محمد فإنّها من مخزون العلم و مكنونه «٢».

و عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت علي بن الحسين عليهما السّلام يقول: إن الله خلق محمدا و عليا و الطيبين من نور عظمتهم، و أقامهم أشباحا قبل المخلوقات؛ ثم قال: أ تظن أن الله لم يخلق خلقا سواكم؟ بلى و الله لقد خلق الله ألف ألف آدم، و ألف ألف عالم، و أنت و الله في آخر تلك العوالم «٣».

و من ذلك ما رواه سعد بن عبد الله عن جابر عن أبي عبد الله عليه السّلام أنه قال: إن الله مدينتين إحداها بالشرق و الاخرى بالمغرب، عليهما سور من حديد له سبعون ألف باب، من الباب إلى الباب فرسخ على كل باب سبعون مصراع من الذهب الأحمر، أهلها يتكلّمون بسبعين ألف لغة، كل لغة بخلاف الأخرى، و أنا و الله أعرف لغاتهم، و أنا الحجّة عليهم «٤».

(١) بصائر الدرجات: ٥١٨ ح ٩ باب ١٦ بتفاوت.

(٢) بحار الأنوار: ٢٥ / ٢٥ ح ٤٤.

(٣) بحار الأنوار: ٢٥ / ٢٥ ح ٤٥. و ٥٧ / ٣٣٦ ح ٢٤.

(٤) بحار الأنوار: ٥٧ / ٣٢٦ ح ٦ و: ٢٧ / ٤١ ح ٢.

ص: ٦٤

فصل [ما وراء الحجاب من عوالم]

أنكر هذا الحديث من في قلبه مرض، فقلت: أ تنكر القدرة أم النعمة أم ترد على المؤيدين بالعصمة؟ فإن أنكرت قدرة الرحمن، فقد ورد عن سليمان عليه السّلام أن سماطه في كل يوم ملحه سبعة أكرار فخرجت دابة من دواب البحر يوما و قالت له: يا سليمان اضفنى اليوم، فأمر أن يجمع لها مقدار سماطه شهرا فلمّا اجتمع ذلك على ساحل البحر و صار كالجبل العظيم، أخرجت

الحوت رأسها و ابتلعته، و قالت: يا سليمان أين تمام قوتي اليوم فإنّ هذا بعض طعامي، فأعجبت سليمان، و قال لها: هل فى البحر دابة مثلك؟ فقالت: ألف أمة. فقال سليمان: سبحان الملك العظيم فى قدرته، و يخلق ما لا تعلمون «١».

و أما نعمته الواسعة فقد قال لداود: يا داود و عزّتى و جلالى لو أن أهل سمواتى و أرضى، أمّلونى فأعطيت كل مؤمل أمله بقدر دنياكم سبعين ضعفا لم يكن ذاك إلّا كما يغمس أحدكم إبرة فى البحر و يرفعها فكيف ينقص شىء، أنا أعطيته.

فقل لأعمى البصيرة و العيان، أ فى القدرة أم النعمة تمتران، بل يدها مبسوطتان فبأى آلاء ربكما تكذّبان، و الآلاء محمد و على خاصة الرحمن.

و عن أبى عبد الله عليه السّلام أنه قال: إنّ الله خلق هذا النطاق من زبرجدة خضراء، فقليل: و ما النطاق؟ قال: الحجاب و لله خلف ذلك سبعون ألف عالم أكثر من عدد الجن و الإنس و الكل يدينون بحبنا أهل البيت و يلعنون فلانا و فلانا «٢».

و عن جابر بن عبد الله عن أبى جعفر عليه السّلام أنّه قال: إنّ من وراء شمسكم هذه أربعين شمسا، من الشمس إلى الشمس أربعون عاما فيها خلق لا يعلمون أن الله خلق آدم و لا إبليس فقد

(١) بحار الأنوار: ١٤ / ٩٤ ح ٣.

(٢) بحار الأنوار: ٥٧ / ٣٣٠ ح ١٥ بتفاوت.

ص: ٦٥

ألهموا فى كل الأوقات حبنا و بغض أعدائنا «١».

و عن ابن عباس فى تفسير قوله **رَبِّ الْعَالَمِينَ** قال: إنّ الله عز و جل خلق ثلاثمائة عالم و بضعة عشر عالم كل عالم منهم يزيدون على ثلاثمائة و ثلاثة عشر مثل آدم و ما ولد آدم، و ذلك معنى قوله **رَبِّ الْعَالَمِينَ**.

قال: و من ذلك من كتاب الواحدة عن الصادق عليه السّلام أنّه قال: إنّ لله مدينتين، إحداهما بالشرق و الأخرى بالمغرب، يقال لهما جابلصا و جابلقا طول كل مدينة منهما اثنا عشر ألف فرسخ، فى كل فرسخ باب يدخل فى كل يوم من كل باب سبعون ألفا و يخرج منها مثل ذلك و لا يعودون إلّا يوم القيامة لا يعلمون أن الله خلق آدم و لا إبليس و لا شمسا و لا قمرا، هم و الله أطوع لنا منكم يأتونا بالفاكهة فى غير أوانها موكلين بلعنة فرعون و هامان و قارون «٢».

و عن أبى حمزة الثمالى عن أبى جعفر عليه السّلام من كتاب الواحدة قال: إنّ الله سبحانه تفرّد فى وحدانيته، ثم تكلم بكلمة فصارت نورا، ثم خلق من ذلك النور محمدا و عليا و عترته، ثم تكلم بكلمة فصارت روحا، و أسكنها ذلك النور و أسكنه فى

أبداننا، فنحن روح الله في ذلك و كلمته احتجب بنا عن خلقه فما زلنا في ظلة خضراء مسبحين نسبحه و نقدسه حيث لا شمس و لا قمر، و لا عين تطرف، ثم خلق شيعتنا، و إنما سموا شيعة لأنهم خلقوا من شعاع نورنا «٣».

و من ذلك ما ورد في كتاب التفسير أن الله خلق الأرضين السبع و جعل عرش إبليس لعنه الله في الرابعة منها و فيها مسكنه و مسكن جنوده بعد أن كان خازن الجنة و كان في يده ملك السماء الرابعة، و إبليس ابن الجان، و الجان هم الذين يصوغون الحلى لأهل الجنة، و الأرض السابعة على ملك يقال له اريكيل بين مفصل إبهامه و راحته أربعون عاما، و هو في صورة ثور له أربعون ألف قائمة و سبعمائة ألف قرن مشتبكة إلى العرش، و هو على صخرة من زمردة خضراء، و الصخرة على جناحي حوت، و الحوت في بحر يقال له عقيوس، عمقه عمق السماوات و الأرض، و البحر على الثرى، و الثرى على الريح و الريح على الهواء، و الهواء على

(١) بحار الأنوار: ٢٧ / ٤٥ ح ٦ بتفاوت و تفصيل.

(٢) بحار الأنوار: ٥٧ / ٣٣٦ ح ٢٥ و فيه: جابلقا و جابرسا.

(٣) بحار الأنوار: ٢٥ / ٢٣ ح ٣٩ و: ٢٦ / ٢٩١ ح ٥١ و الأنوار النعمانية: ٢ / ٩٩.

ص: ٦٦

الظلمة، و الظلمة على جهنم و جهنم على الطمطام، و الطمطام تحت الحوت، و ما وراء ذلك لا يعلمه إلا الله، قال: و في البر ثمانية عشر ألف عالم كأن الله لم يخلق في السماوات و الأرض غيرهم لكثرتهم و خلف البحر السابع قوم يقال لهم الروحانيون في أرض من فضة بيضاء لا تقطعها الشمس إلا في كل أربعين يوما.

و من ذلك ما رواه ابن بابويه في كتاب الخصال قال: إن لله تبارك و تعالى ملائكة لو أن الملك منهم هبط إلى الأرض لما وسعته لعظم خلقته، و منهم من بين منكببيه و شحمتي أذنيه مسيرة سبعمائة عام، و منهم من سد الأفق بجناح من أجنحته، و منهم من السماوات إلى حجرته و منهم من قدمه على غير قرار في جو الهواء الأسفل و الأرضون إلى ركبتيه، و منهم من لو ألقى في نقرة إبهامه مياه البحار بأسرها لما وسعته، و منهم من لو ألقيت السفن في دموع عينه لجرت دهر الداهرين.

و سئل عليه السلام عن الحجب فقال: الحجب سبعة كل حجاب منها مسيرة سبعمائة عام ما بين كل حجاب منها سبعون ألف ملك، قوة كل ملك منها قوة الثقلين، و منها نور و منها نار، و منها دخان و منها ظلمة، و منها برق و منها رعد، و منها ضوء و منها عجاج، و منها ماء و منها أنهار، و هي حجب مختلفة كل حجاب مسيرة سبعين ألف عام، ثم سرادقات الجلال و هي ستون سرادقا، كل سرادق سبعون ألف ملك، بين كل سرادق خمسمائة عام، ثم سرادق العزة ثم سرادق الجبروت، ثم سرادق الفخر ثم سرادق النور الأبيض، ثم سرادق الوحداية، و هي مسيرة سبعين ألف عام، ثم الحجاب الأعلى و ليست هذه الحجب مضروبة على الله و لكنّها مضروبة على العظمة العليا من خلقه، فتبارك أحسن الخالقين «١».

و من ذلك ما رواه ابن عباس عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنَّ من وراء قاف عالما لا يصل إليه أحد غيري و أنا المحيط بما وراءه، و العلم به كعلمي بدنياكم هذه، و أنا الحفيظ الشهيد عليها، و لو أردت أن أجوب الدنيا بأسرها، و السماوات السبع كالأرضين في أقل من طرفة عين لفعلت؛ لما عندى من الاسم الأعظم، و أنا الآية العظمى، و المعجز الباهر «٢».

(١) بحار الأنوار: ٥٨ / ٣٩ ح ١.

(٢) بحار الأنوار: ٥٧ / ٣٣٦ ح ٢٦.

ص: ٦٧

فصل [منزلة الولي و معاني الولاية]

و إلى هذا السرّ إشارة من كلامه البليغ في نهج البلاغة فقال: و هو يعلم أن محلّي منها محلّ القطب من الرحي «١»، و هذه إشارة إلى أنّه عليه السلام غاية الفخار و منتهى الشرف و ذروة العزّ، و قطب الوجود و عين الوجود، و صاحب الدهر و وجه الحق و جنب العلى، فهو القطب الذى دار به كل دائر و سار به كل سائر، لأنّ سريان الولي في العالم كسريان الحق في العالم لأنّ الولاية هى الكلمة الجارية السارية فهى لكل موجود موله و معناه، لأنّ المولى هو الاسم الأعظم المتقبل لأفعال الربوبية و المظهر القائم بالأسرار الإلهية، و النقطة التى أدير عليها بركار «٢» النبوة فهى حقيقة كل موجود فهى باطن الدائرة و النقطة السارية السائرة، التى بها ارتباط سائر العوالم، و إلى هذا المعنى أشار ابن أبى الحديد فقال:

عذرت بها من شك أنك مريبوب

تقبلت أفعال الربوبية التى

إليه سيتلو البدء فى الحشر تعقيب

و يا علة الدنيا و من بدء خلقها

«٣» فهو قطب الولاية و نقطة الهداية، و خطة البداية و النهاية، يشهد بذاك أهل العناية و ينكره أهل الجهالة، و العماية، و قد ضمنه أمير المؤمنين عليه السلام أيضا فى قوله: «كالجبل ينحدر عنّى السيل و لا يرقى إلىّ الطير»، و هذا رمز شريف لأنّه شبه العالم فى خروجهم من كتم العدم بالسيل و شبه ارتفاعهم فى ترقّيههم بالطير لأنّ الأوّل ينحدر من الأعلى إلى الأدنى، و الثانى يرتفع من الأدنى إلى الأعلى فقولته ينحدر عنّى السيل إشارة إلى أنّه باطن النقطة التى عنها ظهرت الموجودات و لأجلها تكونت الكائنات، و قوله «و لا يرقى إلىّ الطير» إشارة إلى أنّه

(١) فى خطبته الشقشقية راجع نهج البلاغة الخطبة الثالثة.

(٢) فركار خ ل.

ص: ٦٨

أعلى الموجودات مقاما و لسائر البريات إماما، و لهم فى الحشر قايذا و قساما، فهو قسيم نور الحضرة النبوية المحمدية صاحب الولاية الإلهية فهو الكلمة الربانية و مولى سائر البرية، و لقد أحسن ابن أبى الحديد إذ فوق سهم التوفيق راميا لهذا المرمى الدقيق عن قوس التحقيق فقال:

و الله لو لا حيدر ما كانت ال
دنيا و لا جمع البرية مجمع
و إليه فى يوم المعاد حسابنا
و هو الملاذ لنا غدا و المفزع

أقول: هذا رجل من المعتزلة اعتقاده عن الإقرار بالحق ما عزله، و أنت حوشيت من الرد تزعم أنك مولى من العبيد و الموالى فما لى كلما أراك حاوى الأراك بشراك و شراك من شراك الإشراك، و بان لك بانى البينات دراك حيث الإدراك و ما أدراك فعلك علك تشيم نور الأزهار، و عشاك غشاك عظيم أنوار الأسرار؛ قال: ما غشاك فعانقت ابتكار الأفكار فى هاوية هواك فأهواك فهذا يا هذا أو ذاك و رأيك و رأيك، فأنت كما قيل من لا يحركه الربيع و أزهاره و العود و أوتاره، فقد فسد مزاجه و امتنع علاجه.

و لا ينفع مسموع
إذا لم يك مطبوع.

ص: ٦٩

فصل [منازل الآل عليهم السلام العالوية]

و عن أبى عبد الله عليه السلام أنه قال: نحن شجرة النبوة و معدن الرسالة، و نحن عهد الله و نحن ذمة الله، لم نزل أنوارا حول العرش نسيح فيسيح أهل السماء لتسيبنا، فلما نزلنا إلى الأرض سبنا فسيح أهل الأرض فكل علم خرج إلى أهل السماوات و الأرض فمنا و عنا، و كان فى قضاء الله السابق أن لا يدخل النار محب لنا و لا يدخل الجنة مبغض لنا لأن الله يسأل العباد يوم القيامة عما عهد إليهم و لا يسألهم عما قضى عليهم «١».

و عن محمد بن سنان عن أبى الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: يا ابن سنان إن محمدا كان أمين الله فى خلقه فلما قبض كنا نحن أهل بيته و خلفاؤه، و عندنا علم المنايا و البلايا و أنساب العرب، و مولد الإسلام و الجفر و الجامعة، و ما من فئة تضل بآية أو تهدى بآية إلّا و نحن نعرف ناعقها و قايدها و سائقها، و إنّا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان أو النفاق، و إنّ شيعتنا المكتوبين بأسمائهم أخذ الله علينا و عليهم العهد قبل خلق السماوات و الأرض، يردون موردنا و يدخلون مدخلنا، ليس على حملة الإسلام غيرنا و غيرهم إلى يوم القيامة «٢».

و عنهم عليهم السّلام أنّهم قالوا: نحن الليالى و الأيام، من لم يعرف هذه الأيام لم يعرف الله حق معرفته، «فالسبت» رسول الله صلى الله عليه و آله النبوة و لا نبى بعده، «و الأحد» أمير المؤمنين عليه السّلام و هو أوّل من وحد الله، «و الاثنين» نور الحسن و الحسين، «و الثلاثاء» ثلاثة أنوار: نور الزهراء و خديجة و أمّ سلمة، «و الأربعاء» أربعة أنوار: الساجد، و الباقر، و الصادق، و الكاظم، «و الخميس» خمسة أنوار: الرضا، و الجواد، و الهادي، و العسكري، و المهدي، «و الجمعة»

(١) بحار الأنوار: ٢٥ / ٢٤ ح ٤١.

(٢) بحار الأنوار: ٢٦ / ٢٤١ ح ٥.

ص: ٧٠

اجتماع شيعتنا على ولايتنا، و لعنة الله على أعدائنا «١».

و عن ابن عباس من كتاب الأمالي قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: شيعة على هم الفائزون يوم القيامة، (يا على) أنا منك و أنت منى روحك و شيعتك شيعتى، و أولياؤك أوليائى، من أحبهم فقد أحببني و من أبغضهم فقد أبغضني، و من عاداهم فقد عاداني، يا على شيعتك مغفور لهم على ما كان منهم من عيوب و ذنوب، و أنا الشفيع لهم غدا إذا قمت المقام المحمود فبشرهم بذلك، يا على شيعتك شيعة الله و أنصارك أنصار الله و حزبك حزب الله و حزب الله هم المفلاحون، يا على سعد من والاك و شقى من عاداك.

و عن أبى عبد الله عليه السّلام عن أمير المؤمنين قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: يا على إنّ الله وهب لك حبّ المساكين و المستضعفين فى الأرض فرضيت بهم إخوانا و رضوا بك إماما فطوبى لمن أحببك و ويل لمن أبغضك، يا على أهل مودّتك كل حفيظ و كل ذى طمرين، لو أقسم على الله لأبرّ قسمه، يا على أحباؤك كل محتقر عند الخلق عظيم عند الحق، يا على محبوبك جيران الله فى الفردوس و لا يأسفون على ما خلفوا من الدنيا، يا على أنا ولى لمن واليت و عدوّ لمن عاديت، يا على إخوانك ذبل الشفاه تعرف الربانية فى وجوههم يفرحون فى ثلاث مواطن عند الموت و أنا شاهدهم، و عند المساءلة فى قبورهم و أنت تلقاهم، و عند العرض الأكبر إذا دعى كل أناس بإمامهم، يا على بشر إخوانك أنّ الله قد رضى عنهم، يا على أنت أمير المؤمنين و قائد الغر المحجلين، و أنت و شيعتك الصادقون المسبحون، و لو لا أنت و شيعتك ما قام لله دين، [و لو لا] من فى الأرض منكم لما نزل من السماء قطر، يا على لك فى الجنة كنز و أنت ذو قرنيها، و شيعتك حزب الله هم الغالبون، يا على أنت و شيعتك القائمون بالقسط، يا على أنت و شيعتك القائمون على الحوض تسقون من أحبكم، و تمنعون من أبغضكم و أنتم الآمنون يوم الفرع الأكبر، يا على أنت و شيعتك تظلّون فى الموقف و تنعمون فى الجنان، يا على إنّ الجنة مشتاقّة إلى شيعتك و إنّ حملة العرش المقربين يستغفرون لهم و يفرحون بقدمهم، و إنّ الملائكة يخصونهم بالدعاء، يا على شيعتك الذين يتنافسون فى الدرجات و يلقون الله و لا ذنب عليهم، يا على أعمال شيعتك تعرض علىّ فى كل جمعة فأفرح بصلح أعمالهم و أستغفر

لسيئاتهم، يا على ذكرك و ذكر شيعتك فى التوراة قبل أن يخلقوا بكل خير، و كذلك الإنجيل فإنهم يعظمون إلينا شيعتك، يا على ذكر شيعتك فى السماء أكثر من ذكرهم فى الأرض.

فبشرهم بذلك، يا على قل لشيعتك و أحبائك يتنزهون من الأعمال التى يعملها عدوهم فما من يوم و ليلة إلّا و رحمة من الله نازلة إليهم، يا على اشتد غضب الله على من أبغضك و أبغض شيعتك و استبدل بك و بهم يا على ويل لمن استبدل بك سواك و أبغض من والاك يا على أقرئ شيعتك السلام و أعلمهم أنهم إخوانى، و أنى مشتاق إليهم فليتمسكوا بحبل الله و ليعتصموا به و يجتهدوا فى العمل، فإن الله عز و جل راض عنهم يباهى بهم الملائكة لأنهم و فوا بما عاهدوا و أعطوك صفو المودة من قلوبهم و اختاروك على الآباء و الإخوة و الأولاد، و صبروا على المكاره فىنا مع الأذى و سوء القول فيهم فكن بهم رحيمًا فإن الله سبحانه اختارهم لنا و خلقهم من طينتنا، و استودعهم سرنا و ألزم قلوبهم معرفة حقنا، و جعلهم متحليين بحلّتنا لا يؤثرون علينا من خالفنا بالناس فى غمة من الضلال، قد عموا عن الحجة و تنكبوا عن المحجة، يصبحون و يمسون فى سخط الله، و شيعتك على منهاج الحق لا يستأنسون إلى من خالفهم، و ليست الدنيا لهم و لا همهم منها أولئك مصابيح الدجى «١».

و عنه عليه السلام أنه قال رسول الله صلى الله عليه و آله: أهل بيتى كسفينة نوح من ركبها نجا «٢»، فلا ينجو إلّا من كان منهم و معهم لصدق الحديث و الباقيون إلى النار، فشيعتنا آخذون بحجزتنا و نحن آخذون بحجرة نبينا، و نبينا آخذ بحجرة ربنا - و الحجرة: النور - من فارقنا هلك و من تبعنا نجا، الجاحد لولايتنا كافر و الجاحد لفضلنا كافر «٣».

لأنه لا فرق بين جحود الولاية و جحود الفضل، و جحود النبوة و جحود الربوبية، فإن جحود كل مقام من هذه يستلزم جحود الآخر، و الإقرار بكل واحد منهما يستدعى الإقرار بالآخر.

و قال عليه السلام: و لا يبغيضنا مؤمن و لا يجحدنا موقن، و لا يحبنا كافر، و من مات على حبنا كان

حقاً على الله أن يبعثه معنا. نحن نور لمن تبعنا، وهدى لمن اهتدى بنا، و من لم يكن منّا فليس من الإسلام في شيء، بنا فتح الله، و بنا ختم الله و بنا أطعمكم عشب الأرض، و بنا يمسك السماوات و الأرض أن تزولا، و بنا ينزل غيث السماء و بنا آمنكم من الخسف في البر، و من الغرق في البحر، و بنا ينفعكم الله في حياتكم و عند موتكم و في قبوركم و عند الصراط و عند الميزان و عند دخول الجنة، مثلنا في كتاب الله مثل المشكاة، و المشكاة في القنديل نور على و فاطمة، يهدي الله لنوره من يشاء و من أحبنا كان حقاً على الله أن يبعثه، نيرا برهانه، ثابتة حجته، فنحن النجباء، و نحن النور و الضياء، و نحن أفراف الأنبياء و أولاد الأوصياء و بقية الأوصياء، و شيعتنا السعداء و الشهداء، و هذا كلام فيه الشفاء «١».

و من كتاب الأربعين ما رواه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: يا على يا ولي يا سيد يا صابر يا ديان يا والي يا هادي يا زاهد يا طيب يا طاهر مر أنت و شيعتك إلى الجنة بغير حساب «٢».

و يؤيد ذلك «ما رواه» صاحب كتاب النخب قال: تشاجر رجلان في [خلافة] «على» و إمامته فجاء إلى شريك فسألاه فقال: حدثني الأعمش عن حذيفة بن اليمان عن رسول الله صلى الله عليه و آله قال: إن الله خلق [علياً] قضييا في الجنة من تمسك به فهو من أهل الجنة، فاستعظم الرجل ذلك و جاء إلى ابن دراج فأخبره فقال: لا تعجب، حدثني الأعمش عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله قال: إن الله خلق قضييا في بطنان العرش لا يناله إلّا «على» و من تولّاه، فقال الرجل: هذا من ذاك، فمضى إلى وكيع بن الحارث فجاء فأعلمه فقال: لا تعجب، حدثني الأوزاعي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله قال: أركان العرش لا ينالها إلّا «على» و شيعته فاعترف الرجل بفضل «٣» ...

و من كتاب المناقب: أن لله عموداً من نور يضيء لأهل الجنة كالشمس لأهل الدنيا لا يناله إلّا على و شيعته «٤».

(١) بطوله في البحار: ٢٣ / ٣١٢ - ٣١٣ ح ٢٠.

(٢) في الدعاء: السلام عليك يا باب الله و ديان دينه. بحار الأنوار: ١٠٢ / ٨١ ح ١.

(٣) بحار الأنوار: ٣٩ / ٢٥٩ ح ٣٤ و الحديث طويل اختصره المصنف.

(٤) بحار الأنوار: ٣٩ / ٢٤٨ ح ٤٥ باب ٨٧.

و قال الصادق عليه السلام لملا من الشيعة بعد أن سلم عليهم: اني و الله أحب ربحكم و أرواحكم فأعينونا بورع و اجتهاد، و اعلموا أن ولايتنا لا تنال إلّا بالورع فأنتم شيعة الله، و أنتم أنصار الله و أنتم السابقون الأولون و السابقون الآخرون في الدنيا إلى ولايتنا و في الآخرة إلى الجنة، قد ضمنا لكم الجنة بضمن الله و ضمان رسوله فتنافسوا في فضائل الدرجات و أنتم الطيبون و نسائكم الطيبات كل مؤمنة حوراء «عينا» و كل مؤمن صديق، و لقد قال أمير المؤمنين عليه السلام لقنبر: أبشر، و استبشر، و بشر، فلقد مات رسول الله صلى الله عليه و آله و هو ساخط على أمته إلّا الشيعة، ألا و إن لكل شيء عروة و عروة الإيمان

الشيعة، ألا وإن لكلّ شيء دعامة ودعامة الإسلام الشيعة، ألا وإن لكل شيء شرفا وشرف الإسلام الشيعة، ألا وإن لكل شيء سيّدا وسيّد المجالس مجلس الشيعة، ألا وإن لكل شيء إماما وإمام الأرض أرض تسكنها الشيعة، والله لو لا من في الأرض منكم لما أنعم الله على أهل الخلاف وما لهم في الآخرة من نصيب، وإن تعبدوا واجتهدوا ألا إن شيعتنا ينظرون بنور الله ومن خالفنا ينقلب في سخط الله، والله إن حاجكم وعماركم خاصة الله، وإن فقراءكم أهل الغنى وإن أغنياءكم أهل القنوع، وإن كلكم أهل دعوة الله وأهل إجابته «١».

و مما وجد بخط العسكري عليه السلام أنه كتب: سعدنا ذرى الحقائق بأقدام النبوة والولاية ونحن أعلام الهدى وبحار الندى ومصاييح الدجى، وليوث الوغى وطعان العدى، وفينا نزل السيف والقلم فى العاجل، ولنا الحوض واللوى فى الآجل، وأسباطنا خلفاء الدين و صفوة رب العالمين «٢».

و من ذلك ما وجد بخطه عليه السلام أيضا: أعوذ بالله من قوم حذفوا محكمات الكتاب، ونسوا الله ربّ الأرباب، والنبي و ساقى الكوثر فى مواطن الحساب، ولظى والطامة الكبرى ونعيم يوم المآب، فنحن السنام الأعظم، وفينا النبوة والإمامة و الكرم، ونحن منار الهدى والعروة الوثقى، والأنبياء كانوا يغترفون من أنوارنا و يقتفون آثارنا، وسيظهر الله مهدينا على الخلق و السيف المسلول لإظهار الحق، وهذا بخط الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن

(١) بعضه فى البحار: ٨٠ / ٦٨ ح ١٤١ و بعضه فى: ١٣٤ / ٢٦ ح ٩.

(٢) البحار: ٢٦ / ٢٦٤ ح ٥٠ و شرح الزيارة الجامعة: ١ / ٥٥.

ص: ٧٤

جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام «١».

يؤيد ذلك ما رواه جابر الأنصارى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه خرج يوما معه الحسن والحسين عليهما السلام فخطب الناس ثم قال فى خطبته: أيها الناس ان هؤلاء عترة نبيكم وأهل بيته، وذريته وخلفاؤه، شرفهم الله بكرامته واستودعهم سرّه واستحفظهم غيبه واسترعاهم عبادته، وأطلعهم على مكنون علمه ولقّنهم كلمته، ولأهم أمر عبادته وأمرهم على خلقه، واصطفاهم لتنزيله وأخدمهم ملائكته، و صرفهم فى مملكته، و ارتضاهم لسرّه، و اجتباهم لكلماته واختارهم لأمره، وجعلهم أعلاما لدينه، وجعلهم شهداء على عبادته وأمناء فى بلاده، فهم الأئمة المهديّة، و العترة الزكية، و الذرية النبوية، و السادة العلوية، و الأمّة الوسطى، و الكلمة العليا، و سادة أهل الدنيا، و الرحمة الموصولة لمن لجأ إليهم، و نجاة لمن تمسك بهم، سعد من والاهم و شقى من عاداهم، من تلاهم أمن من العذاب و من تخلف عنهم ضلّ و خاب، إلى الله يدعون، و عنه يقولون، و بأمره يعملون، و فى أبياتهم هبط التنزيل، و إليهم بعث الأمين جبرائيل «٢».

فهم كما قيل:

و يقبل منك الدين و الفرض و السنن	إذا رمت يوم البعث تنجو من اللظى
نجوم هدى تنجو من الضيق و المحن	فوال عليا و الأئمة بعده
إليهم فلا ترتاب في غيرهم فمن «٣»	فهم عترة قد فوّض الله أمره
و طاعتهم فرض بها الخلق يمتحن	أئمة حق أوجب الله حبّهم «٤»
يلاقيه عند الموت و القبر و الكفن	فحبّ على عدة لوليه
من النار إلّا من تولّى أبا الحسن	كذلك يوم البعث لم ينج قادم
إلى غيرهم من غيرهم في الأنام من «٥» !]	[نصحتك أن ترتاب فيهم فتثنى

(١) بحار الأنوار: ٢٦ / ٢٦٤٤ ح ٤٩.

(٢) بحار الأنوار: ٢٦ / ٢٥٥ ح ٣٠ - ٣٥.

(٣) في الغدير: ٧ / ٤٩: إليهم لما قد خصّهم منه بالمنن.

(٤) في الغدير: حقّهم.

(٥) مستدرک عن الغدير: ٧ / ٤٩.

ص: ٧٥

فصل [بركات آل محمد عليهم السّلام على الخلائق]

و بيان هذا الحديث الشريف الرفيع أن الله خلق ألف صنف من الخلق و كرّم آدم على سائر من خلق، أخدمهم الملائكة و سخرّ لهم السّماوات و الأرض، و فضّل الرجال منهم على النساء، و كرّمهم بالإسلام و فضّل الإسلام على سائر الأديان، و شرفّهم بمحمد، و فضّله على جميع الأنبياء و المرسلين و اختار لهم عليّاً و فضّله على جميع الوصيّين، و جعل حبّه الإيمان و كمال الدين و عين البقيين، و جعل شيعته يدخلون الجنّة بغير حساب، فمن كان رجلاً مسلماً مؤمناً موالياً لعليّ و عترته فقد رزق الخير كله، ثم جعل الخلائق عشرة أجزاء منهم تسعة شياطين واردة، و جعل واحداً منهم الإنس، و جعل الإنس مائة و عشرين صنفاً، و جعل منهم يأجوج و مأجوج تسعا و تسعين صنفاً، و باقى الخلائق اثني عشر صنفاً، و جعل من ذلك الروم و السقالبه أحد عشر صنفاً، و جعل الحبش و الزنج في المغرب و الترك و البربر و الكيماك «١» في المشرق، و الكل كفّار و بقى أهل الإسلام صنف واحد ثم

افترق هذا الصنف إلى ثلاثة و سبعين فرقة منهم اثنان و سبعون أهل البدع و الضلال و فرقة واحدة فى الجنة، و هى التى بقيت بعد رسول الله صلى الله عليه و آله على ما بقى عليه أهل بيته، فمن وجد نفسه من أهل النجاة من هذه الفرق فليحمد الله.

و عن محمد بن سنان عن أبى عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: نحن جنب الله و نحن صفوة الله و نحن خير الله و نحن مستودع مواريث الأنبياء و نحن امناء الله، و نحن وجه الله و نحن أئمة الهدى، و نحن العروة الوثقى و بنا فتح الله و بنا ختم الله و نحن الأولون، و نحن الآخرون و نحن أخيار الدهر و نواميس العصر، و نحن سادة العباد و ساسة البلاد، و نحن النهج القويم و الصراط المستقيم و نحن عين الوجود، و حجة المعبود و لا يقبل الله عمل عامل جهل حقنا و نحن قناديل

(١) فى نسخة: الكتمال.

ص: ٧٦

النبوة، و مصابيح الرسالة و نحن نور الأنوار و كلمة الجبار، و نحن راية الحق التى من تبعها نجا و من تأخر عنها هوى و نحن أئمة الدين و قادة الغر المحجلين و نحن معدن النبوة و موضع الرسالة و إلينا تختلف الملائكة و نحن السراج لمن استضاء، و السبيل لمن اهتدى و نحن القادة إلى الجنة و نحن الجسور و القناطر، و نحن السنام الأعظم و بنا ينزل الغيث و بنا ينزل الرحمة، و بنا يدفع العذاب و النقمة، فمن سمع هذا الهدى فليتفقد قلبه فى حبنا فإن وجد فيه البغض لنا و الإنكار لفضلنا، فقد ضلّ عن سواء السبيل لأننا نحن عين الوجود، و حجة المعبود و ترجمان وحيه و غيبة علمه و ميزان قسطه، و نحن فروع الزيتون و ربائب الكرام البررة، و نحن مصباح المشكاة التى فيها نور النور و نحن صفوة الكلمة الباقية، إلى يوم الحشر المأخوذ لها الميثاق و الولاية من الذر «١».

و يؤيد هذا ما ورد فى الأمالى عن أبى جعفر عليه السلام قال: نزل إلى رسول الله صلى الله عليه و آله ملك اسمه محمود و له أربعة و عشرون ألف وجه فقال: بعثنى إليك رب العزة لتزوج النور بالنور فقال:

من بمن؟ فقال عليا بفاطمة. قال: فلما ولى الملك إذا بين كتفيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله على ولى الله، فقال له النبى: منذ كم كتب هذا بين كتفيك؟ فقال: قبل أن يخلق الله آدم بثمان و عشرين ألف عام «٢».

و من كتاب الأمالى مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه و آله أنه قال يوما: ما بال قوم إذا ذكر إبراهيم و آل إبراهيم استبشروا، و إذا ذكر محمد و آل محمد اشمأزت قلوبهم، فو الذى نفس محمد بيده لو جاء أحدكم بأعمال سبعين نبيا، و لم يأت بولاية أهل بيتي لدخل النار صاغرا و حشر فى جهنم خاسرا، أيها الناس نحن أصل الإيمان و تمامه و نحن وصية الله فى الأولين و الآخرين، و نحن قسم الله الذى أقسم بنا فقال: وَالتِّينِ وَ الزَّيْتُونِ* وَ طُورِ سِينِينَ* وَ هَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ «٣» و لو لانا لم يخلق الله خلقا و لا جنة و لا نارا «٤».

و من ذلك ما رواه أبو سعيد الخدرى قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أيها الناس نحن

(١) بحار الأنوار: ٢٦ / ٢٥٩ ح ٣٦.

(٢) بحار الأنوار: ٤٣ / ١٠٩ ح ٢٢.

(٣) التين: ١ - ٣.

(٤) كنز العمال: ١١ / ٤٣١ ح ٣٢٠٢٥ و إرشاد القلوب: ٢ / ٤١٤.

ص: ٧٧

أبواب الحكمة و مفاتيح الرحمة و سادة الأمة و أمناء الكتاب، و فصل الخطاب و بنا يشيب الله، و بنا يعاقب، و من أحبنا أهل البيت عظم إحسانه، و رجع ميزانه و قبل عمله و غفر الله، و من أبغضنا لا ينفع إسلامه، و إنا أهل بيت خصنا الله بالرحمة و الحكمة و النبوة و العصمة، و منا خاتم الأنبياء ألا و إنا راية الحق التي من تلاها سبق و من تأخر عنها مرق، ألا و إنا خيرة الله اصطفانا على خلقه و ائتمنا على وحيه، فنحن الهداة المهديون، و لقد علمت الكتاب، و لقد عهد إلى رسول الله صلى الله عليه و آله ما كان و ما يكون، و أنا أخو رسول الله و خازن علمه، أنا الصديق الأكبر و لا يقولها غيري إلّا مفتر كذاب و أنا الفاروق الأعظم «١».

و أنا أقول ختما لهذا الكلام و مدحا للسادة الكرام:

هم القوم آثار النبوة منهم	تلوح و أنوار الإمامة تلمع
مهابط وحي الله خزان علمه	و عندهم سر المهيمن موسع
إذا جلسوا للحكم فالكل أبكم	و إن نطقوا فالدهر أذن و مسمع
و إن ذكروا فالكون ندّ و مندل	له أرج من طيبهم يتضوع
و إن بادروا فالدهر يخفق قلبه	لسطوتهم و الأسد في الغاب تجزع
و إن ذكر المعروف و الجود في الورى	فبحر نداهم زاخر يتدفع
أبوهم سماء المجد و الأمّ شمس	نجوم لها برج الجلالة مطلع

فيا نسبا كالشمس أبيض مشرقا
فمن مثلهم إن عدّ في الناس مفخرا
ميامين قوامون عزّ نظيرهم
فلا فضل إلّا حين يذكر فضلهم
و لا عمل ينجي غدا غير حبّهم
و لو أن عبدا جاء في الله جاهدا
فيا عترة المختار يا راية الهدى
خذوا بيد البرسى عبد ولائكم
فمن حاد عنكم أو تولّى سواكم
عليكم سلام الله يا راية الهدى فويل لعبد غيرها جاء يتبع «١»

و يا شرفا من هامة النجم أرفع
إذا عدّ نظرا يا صاح إن كنت تسمع
هداة ولاة للرسالة منبع
و لا علم إلّا علمهم حين يرفع
إذا قام يوم البعث للخلق مجمع
بغير و لا أهل العبا ليس ينفع
إليكم غدا في موقفى أطلّع
فمن غيركم يوم القيامة يشفع
فليس له في رحمة الله مطمع

(١) أعيان الشيعة: ٤ / ٤٦٧.

فصل [أثر حبّ على و أثر بغضه عليه السّلام]

و عن ابن عباس عن رسول الله صلّى الله عليه و آله أن الله نصب عليا علما بينه و بين خلقه فمن عرفه كان مؤمنا و من أنكره كان كافرا و من جهله كان ضالّا و من ساواه بغيره كان مشركا، و من جاء بولايته كان فائزا، و دخل الجنة آمنا و من جاء بعداوته دخل النار صاغرا «١».

و عن سديف عن جابر بن عبد الله عن أبي عبد الله عليه السّلام و عنه عن رسول الله صلّى الله عليه و آله من كتاب ما اتفق من الأخبار قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: يا على أنت صاحب حوضي و وارث علمي، و حامل لوائى و منجز و عدى، و مفرّج همى، و مستودع مواريث الأنبياء، و أنت أمين الله فى أرضه، و خليفته على خلقه، و أنت مصباح النجاة و طريق الهدى و إمام التقى، و الحجّة على الورى، و أنت العلم المرفوع فى الدنيا و الصراط المستقيم يوم القيامة «٢».

و عن أبي سعيد الخدري قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال في خطبته: أيها الناس من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يهوديا لا ينفعه إسلامه، وإن أدرك الدجال آمن به، وإن مات بعثه الله من قبره حتى يؤمن به «٣».

و في رواية: من أبغضنا أهل البيت لم يبعثه الله يهوديا ولا نصرانيا، ولكن خيرا منه.

و هذا أفصح الكلام و معناه يكون خيرا منه اليهود و النصارى فويل لمبغضهم و طوبى لمحبيهم.

أيها الناس: إن ربّي عز و جل مثّل لي أمّتي في الطين و علّمني أسماءهم كما علّم آدم الأسماء، فمرّ بي أصحاب الرايات فاستغفرت لشيعتي علي، ألا إن أصحاب الجنة علي

(١) بحار الأنوار: ٣٢ / ٣٢٤ ح ٣٠٠.

(٢) أمالي الصدوق: ٣٠٦ المجلس ٥٠، و بحار الأنوار: ٣٨ / ١٠٠ ح ٢.

(٣) بحار الأنوار: ٢٧ / ١٣٥ ح ١٣٢.

ص: ٨٠

و شيعته «١».

و من ذلك ما رواه ابن عباس قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا معاشر الناس، إن الله أوحى إليّ أني مقبوض و أن ابن عمّي هو أخى و وصيّي و وليّ الله و خليفتي، و المبلّغ عنّي و هو إمام المتّقين و قائد الغرّ المحجلين و يعسوب الدين، و إن استرشدتموه أرشدكم، و إن تبعتموه نجوتهم، و إن أطعتموه فالله أطعتم، و إن عصيتموه فالله عصيتم، و إن بايعتموه فالله بايعتم، و إن نكثتم بيعته فبيعه الله نكثتم، إن الله عز و جل نزل على القرآن و على سفيره، فمن خالف القرآن ضلّ، و من ابتغى علمه من غير عليّ زلّ، معاشر الناس ألا إن أهل بيتي خاصّتي و قرابتي، و أولادى و ذريّتى و لحمى و دمي و وديعتى و إنكم مجموعون غدا و مساء لون عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهم، فمن آذاهم فقد آذاني، و من ظلمهم فقد ظلمنى، و من نصرهم فقد نصرنى و من أعزّهم فقد أعزّنى، و من طلب الهدى من غيرهم فقد كذّبني، فاتقوا الله و انظروا ما أنتم قائلون غدا فإنى خصم لمن كان خصمهم و من كنت خصمه فالويل له «٢»:

علوت به قدرا و طبت به ذكرا

بنى الوحي و الآيات يا من مديحهم

و أعلى الورى فخرا و أرفعهم قدرا

مهابط سرّ الله خزّان غيبه

فلا أرتجى فى الناس زيدا و لا عمرا

ركائب آمالى إليكم حشّتها

و من ذا الذى أضحى برفع نداكم

نزىلا و ما أبدلتم عسره يسرا؟

و من ذلك ما رواه حذيفة بن اليمان قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ بيد الحسن بن علي و هو يقول: أيها الناس هذا ابن علي فاعرفوه، فوالذي نفس محمد بيده إنه لفي الجنة و محبة في الجنة، و محبة محبيه في الجنة «٣».

و عن أبي الطيب الهروي عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام: أنا حرب لمن حاربكم و سلم لمن سالمكم، مبغض لمن أبغضكم، محبة لمن أحبكم، شافع لمن والاكم أخذ بيد من مال إليكم «٤».

(١) بصائر الدرجات: ٨٦ ح ١٥ باب انه عرف ما رأى في الأظلة، و بحار الأنوار: ١٧ / ١٥٣ ح ٥٩.

(٢) بحار الأنوار: ٢٣ / ١٥٣ ح ١١٨ و: ٣٨ / ٩٤ ح ١٠.

(٣) بحار الأنوار: ٢٧ / ١٣٦ ح ١٣٤.

(٤) بحار الأنوار: ٢٢ / ٢٨٦ ح ٥٥، و كفاية الطالب: ٣٣٠.

ص: ٨١

و من ذلك من كتاب الفردوس للديلمى مرفوعا إلى جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مكتوب علي باب الجنة لا إله إلا الله محمد رسول الله علي أخوه ولي الله «١»، أخذت ولايته و عهده علي الذر قبل خلق السماوات و الأرض بألفى عام، من سره أن يلقي الله و هو عنه راض فليتلو عليا و عترته فهم نجباء و أوليائي و خلفائي و أحبائي «٢».

و عن كعب بن عياض عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: لعلي نوران نور في السماء، و نور في الأرض، فمن تمسك بنور منهما دخل الجنة، و من أخطأهما دخل النار و ما بعث الله وليا إلا و قد دعاه إلى ولاية علي طائعا أو كارها «٣».

و من ذلك من كتاب اللباب مرفوعا إلى ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ستكون بعدى فتنة مظلمة لا ينجو منها إلا من تمسك بالعروة الوثقى، قيل: و من هي يا رسول الله؟ قال:

علي بن أبي طالب «٤».

يؤيد ذلك ما رواه في مناقب الغزالي الشافعي مرفوعا إلى أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من ناصب عليا الخلافة بعدى فهو كافر «٥»، و هذا فلان قد ناصب عليا الخلافة و غضبه، فما تقول؟

و عن سعيد بن جبیر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: جحود نعمة الله كفر و جحود نبوتى كفر، و جحود ولاية على كفر، لأن التوحيد لا يبنى إلّا على الولاية.

و عن الأسماخ بن الخزرج قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا على لا يتقدمك بعدى إلّا كافر، و لا يتخلف عنك إلّا كافر، أنت نور الله فى عباده و حجة الله فى بلاده و سيف الله على أعدائه، و وارث علوم أنبيائه، أنت كلمة الله العليا و آيته الكبرى، و لا يقبل الله الإيمان إلّا بولايتك «٦».

(١) كنز العمال: ١١ / ٦٢٤ ح ٣٣٠٤٣.

(٢) بحار الأنوار: ٨ / ١٣١ ح ٣٤.

(٣) البحار: ١١ / ٦٠ ح ٦٩.

(٤) البحار: ٣٦ / ٢٠ ح ١٦ و ٣٧ / ٣٠٧ ح ٤٠.

(٥) مناقب ابن المغازلي: ٤٦ ح ٦٨، و مسند شمس الأخبار: ١ / ١٠٥.

(٦) كنز الفوائد: ١٨٥، و مائة منقبة: ٧٩، و كفاية الطالب: ٢١٥، و مناقب ابن المغازلي: ٤٦ ح ٦٩ و تاريخ بغداد: ١١ / ١٠٢.

ص: ٨٢

و من ذلك ما رواه ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن يوم القيامة يوم شديد الهول فمن أراد منكم أن يتخلص من أهوال القيامة و شدائده فليوال وليي، و ليتبع وصيى و خليفتى و صاحب حوضى على بن أبى طالب، فإنه غدا على الحوض يزود عنه أعداءه و يسقى منه أوليائه فمن لم يشرب لم يزل ظمآنًا لم يرو أبداً و من شرب منه لم يظمأ بعده أبداً، ألا و إن حباً على علامة بين الإيمان و النفاق فمن أحبه كان مؤمناً، و من أبغضه كان منافقاً، فمن سره أن يمر على الصراط كالبرق الخاطف و يدخل الجنة بغير حساب، فليوال وليي و خليفتى على أهلى و أمتى على بن أبى طالب، فإنه باب الله و الصراط المستقيم، و على يعسوب الدين، و قائد الغر المحجلين و مولى من أنا مولاه، لا يحبه إلّا طاهر الولادة زاكى العنصر و لا يبغضه إلّا من خبث أصله و ولادته، و ما كلمنى ربى ليلة المعراج إلّا قال لى: يا محمد اقرأ عليا منى السلام و عرفه أنه إمام أوليائى و نور من أطاعنى فهنيئاً له بهذه الكرامة منى «١».

و قال صلى الله عليه وآله: لا تستخفوا بالفقير من شيعة على فإن الرجل منهم يشفع فى مثل ربيعة و مضر «٢».

(١) بعضه فى بحار الأنوار: ٨ / ١٩ ح ٦.

فصل [إقرار الأمم بفضل على عليه السلام]

و عن أبي الحمراء قال: قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله يوما: أبا الحمراء انطلق و ادع لى مائة من العرب و خمسين رجلا من العجم، و ثلاثين رجلا من القبط، و عشرين رجلا من الحبشة.

قال: فذهبت فأتيت بهم، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فصف العرب ثم صف العجم خلف العرب، ثم صف القبط خلف العجم ثم صف الحبشة خلف القبط، ثم حمد الله و أتنى عليه بمحمد لم تسمع الخلائق مثلها ثم قال: معاشر العرب و العجم و القبط و الحبشة شهادة لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أن محمدا عبده و رسوله و أن عليا أمير المؤمنين ولى الله، قالوا:

نعم. قال: اللهم أشهد حتى قالها ثلاثة، ثم قال: يا على آتني بدواة و بياض فأتاه بهما، فقال:

اكتب «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أقرت به العرب و العجم و القبط و الحبشة أقرّوا بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أن محمدا عبده و رسوله و أن عليا أمير المؤمنين ولى الله» ثم ختم الصحيفة و دفعها إلى على بن أبى طالب «١».

و من ذلك فى كتاب الأمالى مرفوعا إلى أم سلمة قالت: كان يومى من رسول الله صلى الله عليه وآله فجئت لأدخل فردنى رسول الله صلى الله عليه وآله فرجعت خائفة ثم رجعت ثانية و أتيت الباب لأدخل فمنعنى رسول الله صلى الله عليه وآله فكبوت لوجهى خوفا من ذلك، ثم لم ألبث أن أتيت الباب ثالثة فقلت: أأدخل يا رسول الله؟ فقال: ادخلى فدخلت و على جاث بين يديه و هو يقول: فذاك أبى و أمى يا رسول الله فإذا كان كذا و كذا فبم تأمرنى؟ فقال: آمرک بالصبر ثم أعاد ثانية فأمره بالصبر، ثم أعاد الثالثة فقال: يا على «يا أخى» إذا كان ذلك منهم فقم و اشهر سيفك وضعه على عاتقك و اضرب به قدما حتى تلقانى و سيفك شاهرا يقطر من دماهم، ثم التفت إلى و قال: يا أم سلمة ما رددتك لأمر تحذرينه، و لكن كان جبرائيل عن يمينى و على عن يسارى،

و كان يخبرنى بالأحداث التى تكون بعدى، و يأمرنى أن أخبر بذلك عليا و أوصيه، يا أم سلمة اسمعى و اشهدى هذا على بن أبى طالب أخى فى الدنيا و الآخرة، يا أم سلمة اسمعى و اشهدى هذا على بن أبى طالب صاحب لوائى فى الدنيا و الآخرة «١».

و عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: على خليفة الله و وليه و حجته على جميع خلقه، طاعته مقرونة بطاعة الله و طاعتي، فمن عرفه عرفني، و من أنكره أنكرني، ثم قال: أنا و علي و فاطمة و الحسن و الحسين و تسعة من ولد الحسين حجج الله على خلقه، أعداؤنا أعداء الله و أوليائنا أولياء الله «٢».

(١) الحديث بطوله في بحار الأنوار و المصنّف اختصره: ٢٢ / ٢٢١ ح ١.

(٢) بحار الأنوار: ٣٦ / ٢٢٧ ح ٥. و الحديث طويل.

ص: ٨٥

فصل [على عليه السلام الإمام المبين]

و من ذلك ما رواه ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: **وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ** «١» قام رجلان فقالا: يا رسول الله، أ هي التوراة؟ قال: لا. قالوا: فهو الإنجيل؟ قال: لا.

قالا: فهو القرآن؟ قال: لا. فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام فقال: هو هذا الذي أحصى الله فيه علم كل شيء، و إن السعيد كل السعيد من أحبّ عليا على حياته و بعد وفاته، و الشقي كل الشقي من أبغض هذا في حياته و بعد وفاته «٢».

قال حذيفة بن اليمان: رأى أمير المؤمنين عليه السلام رجلا من شيعته و قد أثر فيه السن و هو يتجلد، فقال له: كبر سنك يا رجل، فقال: في طاعتك يا أمير المؤمنين. فقال: إنك تتجلد.

فقال: على أعدائك. فقال: أجد فيك بقيّة، فقال: هي لك يا أمير المؤمنين «٣».

و قال أمير المؤمنين عليه السلام: نحن أئمة المسلمين و حجة الله على العالمين، و نحن أمان لأهل السماوات و الأرضين، و لو لانا لساخت الأرض بأهلها «٤».

و قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله اختارني و اصطفاني، و جعلني سيّد المسلمين و اختار لي وزيرا من أهلي، و جعله سيّد الوصيّين، الحياة معه سعادة، و الموت معه سعادة، أوّل من آمن بي و صدّقني اسمه في التوراة مقرون مع اسمي، و زوجته الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء ابنتي، و ابنه ريحانتاي من الدنيا و سيّدا شباب أهل الجنّة، و الأئمة من ولده حجج الله على خلقه، من تبعهم نجا من النار و من اقتدى بهم هدى إلى الصراط المستقيم، ما وهب الله

(١) يس: ١٢.

(٢) بحار الأنوار: ٣٥ / ٢٢٧ ح ٢، و: ٢١ / ١٤٣ ح ٦.

(٣) بحار الأنوار: ١٨٦ / ٤٢ ح ١.

(٤) أصول الكافي: ١ / ١٧٩ ح ١٢، و بصائر الدرجات: ٤٨٨.

ص: ٨٦

محبّتهم لعبد إلّا دخل الجنّة «١».

و عن سعيد بن المسيّب عن عبد الرحمن بن عروة قال: قلت: يا رسول الله أرشدني إلى النجاة، فقال: إذا اختلفت الأهواء، و افتترقت الآراء فعليك بعلي بن أبي طالب فإنّه إمام أمّتي و خليفتي عليهم بعدى و الفاروق بين الحق و الباطل من سأله أجابه، و من استرشده أرشده، و من طلب الحق عنده وجده، و من التمس الهدى لديه صادفه و من لجأ إليه آمنه، و من استمسك به نجاه، و من اقتدى به هداه، يا ابن سمرّة، سلم من سلم إليه و والاه، و هلك من ردّ عليه و عاداه، يا ابن سمرّة، إن عليا منّي و أنا منه، روحه روحى و طينته طينتى، و هو أخى و أنا أخوه و زوجه سيّدة نساء العالمين من الأوّلين و الآخرين و أبناؤه سيّدا أهل الجنّة الحسن و الحسين، و تسعة من ولد الحسين هم أسباط النبيّين تاسعهم قائمهم يملأ الأرض عدلا و قسطا، كما ملئت ظلما و جورا «٢».

و عن ابن عباس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: إنّ الله عز و جل أمرنى أن أقيم عليا إماما و حاكما و خليفة، و أن اتخذه أخا و وزيرا و وليا و هو صالح المؤمنين أمره أمرى، و حكمه حكمى، و طاعته طاعتى، فعليكم طاعته و اجتناب معصيته فإنّه صديق هذه الأمّة، و فاروقها و محدثها و هارونها و يوشعها و آصفها و شمعونها، و باب حطّتها و سفينة نجاتها و طالوتها، و ذو قرنيها ألاّ إنه محنة الورى و الحجة العظمى و العروة الوثقى، و إمام أهل الدنيا و إنه مع الحق و الحق معه و إنه قسيم الجنّة فلا يدخلها عدوّ له و لا يزحزح عنها ولى له، قسيم النار فلا يدخلها ولى له، و لا يزحزح عنها عدوّ له، ألاّ إن ولاية على ولاية الله و حبه عبادة الله، و اتباعه فريضة الله و أولياؤه أولياء الله، و حربه حرب الله و سلمه سلم الله «٣».

و قال رسول الله صلّى الله عليه و آله لعلّى: يا على مثلك فى أمّتى كمثل **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** من قرأها مرّة فكأنما قرأ ثلث القرآن، و من قرأها مرتين فكأنما قرأ ثلثي القرآن، و من قرأها ثلاث مرّات فكأنما ختم القرآن فمن أحبّك بلسانه فقد كمل ثلث الإيمان، و من أحبّك بلسانه و قلبه فقد

(١) بحار الأنوار: ٣٨ / ٩٢ ح ٦.

(٢) بحار الأنوار: ٣٦ / ٢٢٦ ح ٢.

(٣) بحار الأنوار: ٣٨ / ٩٣ ح ٧ بتفاوت ليس ييسير.

ص: ٨٧

كمل ثلثا الإيمان، و من أحبّ بيده و قلبه و لسانه فقد كمل الإيمان، و الذى بعثنى بالحق نبيا لو أحبّك أهل الأرض كمحبة أهل السماء لما عذب الله أحدا بالنار، يا على بشرنى جبرائيل عن ربّ العالمين فقال لى: يا محمد بشر أخاك عليا أنى لا أعذب من تولّاه و لا أرحم من عاداه «١».

و عن سعيد بن جبیر عن عائشة قالت قال رسول الله صلّى الله عليه و آله يوما لعلی: أنت سيّد العرب، فقلت: يا رسول الله أ لست سيّد العرب؟ فقال: أنا سيّد ولد آدم و على سيّد العرب «٢»، فقلت:

و ما السيد؟ فقال: من فرضت طاعته كما فرضت طاعتي.

و قال لعلی عليه السّلام: أنت منى بمنزلة شيث من آدم و بمنزلة سام من نوح، و بمنزلة إسحاق من إبراهيم، و بمنزلة هارون من موسى، و بمنزلة شمعون من عيسى، إلّا أنّه لا نبى بعدى، يا على أنت وصيى و خليفتى، و من نازعك فى الإسلام بعدى فليس من الإسلام فى شيء، و أنا خصيمه يوم القيامة، يا على أنت أفضل أمّتى فضلا، و أقدمهم سلما و أكثرهم علما و أوفرهم حلما «٣»، و أشجعهم قلبا و أسخاهم كفا، و أنت الإمام بعدى، و أنت الوزير و أنت الوزير و أنت قسيم الجنّة و النار «٤» تعرف الأبرار من الفجار، و تميّز الأخيار من الأشرار و المؤمنين من الكفار «٥».

و عن ابن عباس قال: رأيت جابر بن عبد الله متوكئا على عصى يدور فى سكك الأنصار و يقول: يا معاشر الأنصار أدّبوا أولادكم بحبّ على، فمن أبى فانظروا فى حال أمّه «٦».

و عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: يا على من أحبّك فقد أحبّنى، و من سبّك فقد سبّنى، يا على أنت منى و أنا منك، روحك من روحى و طينتك من طينتى، و إنّ الله سبحانه خلقنى و إياك و اصطفانى و إياك، و اختارنى للنبوّة و اختارك للإمامة فمن أنكر إمامتك فقد أنكر نبوتى، يا على أنت وصيى و خليفتى، أمرك أمرى و نهيك نهى، أقسم بالذى بعثنى بالنبوّة و جعلنى خير البرية إنك حجة الله على خلقه، و أمينه على وحيه و خليفته على عباده

(١) بحار الأنوار: ٢٢ / ٣١٧ ح ٢.

(٢) ذخائر العقبى: ٧٠.

(٣) كنز العمال: ١٣ / ١١٤ ح ٣٦٣٧٠.

(٤) ذخائر العقبى: ١ / ٩٥، مناقب ابن المغازلى: ٦٧ ح ٩٧.

(٥) بحار الأنوار: ٣٧ / ٢٥٤ ح ١.

(٦) بحار الأنوار: ٣٨ / ٧ ح ١٣.

و أنت مولى كل مسلم و إمام كل مؤمن، و قائد كل تقى، و بولايتك صارت أمّتى مرحومة، و بعداوتك صارت الفرقة المخالفة منها ملعونة، و إن الخلفاء بعدى اثنا عشر أنت أولهم و آخرهم القائم الذى يفتح الله به مشارق الأرض و مغاربها كأننى أنظر إليك و أنت واقف على شفير جهنم و قد تطاير شررها و علا زفرها و اشتد حرّها، و أنت آخذ بزمامها فتقول لك جهنم:

أجرنى يا على فقد أطفأ نورك لهبى، فتقول لها: قرى يا جهنم خذى هذا و اتركى هذا «١».

و قال صلى الله عليه و آله: من كتب فضيلة من فضائل على لم تزل الملائكة تغفر له، و من ذكر فضيلة من فضائله غفر الله له ما تقدّم من ذنوبه و ما تأخّر، و لا يتم إيمان عبد إلّا بحبه و ولايته، و إن الملائكة تتقرب إلى الله تعالى بمحبته، و من حفظ من شيعتنا أربعين حديثا بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما، و غفر له «٢».

و عن سعيد بن جبیر من كتاب الأمالى قال: أتيت ابن عباس أسأله عن على بن أبى طالب و اختلاف الناس فيه، فقال: يا ابن جبیر جئت تسألنى عن خير هذه الأمة بعد محمد صلى الله عليه و آله، جئت تسألنى عن رجل له ثلاثة آلاف منقبة فى ليلة واحدة- و هى ليلة الفدية-، وصى رسول الله صلى الله عليه و آله و خليفته، و صاحب حوضه و لوائه، ثم قال: و الذى اختار محمدا خاتما لرسله، لو كان نبت الدنيا و أشجارها أقلاما و أهلها كتابا و كتبوا مناقب على و فضائله من يوم خلق الله الدنيا إلى فنائها ما كتبوا معشار ما آتاه الله من الفضل «٣».

و قال رسول الله صلى الله عليه و آله «٤»: أنا سيّد النبیین و وصيّ سيّد الوصيين، و إن الله أوحى إلى آدم يا آدم إني أكرمت الأنبياء بالنبوة، و جعلت لهم أوصياء و جعلتهم خير خلقى، فأوص إلى شيث ابنك. و أوصى شيث إلى سنان، و سنان إلى محلث و أوصى محلث إلى محقوق و محقوق إلى عيثما و عيثما إلى أخنوخ، و هو إدريس و أوصى إدريس إلى ناحور، و ناحور إلى نوح و نوح إلى سام، و سام إلى عابر و عابر إلى برعانا، و برعانا إلى يافث و يافث إلى أبره و أبره إلى خفيصة، و خفيصة إلى عمران و دفعها عمران إلى إبراهيم، و إبراهيم إلى إسماعيل و إسماعيل

(١) بحار الأنوار: ٢٨ / ٣٨ ح ١ بتفاوت و الحديث طويل.

(٢) بحار الأنوار: ٣٩ / ٩٢ ح ١ باختصار.

(٣) بحار الأنوار: ٤٠ / ٧ ح ١٧ و فيه: ليلة القرية بدل الفدية مع تفاوت فى بقية الحديث.

(٤) إلى هنا الرواية فى بحار الأنوار: ٢٣ / ٥٧ ح ١.

إلى إسحاق، وأوصى إسحاق إلى يعقوب ويعقوب إلى يوسف، ويوسف إلى شرياً وشرياً إلى شعيب ودفعها شعيب إلى موسى، وموسى إلى يوشع بن نون ويوشع إلى داود وداود إلى سليمان، وأوصى سليمان إلى آصف بن برخيا وأوصى آصف زكريا، ودفعها زكريا إلى عيسى ابن مريم وأوصى عيسى إلى شمعون وأوصى شمعون إلى يحيى، ويحيى إلى منذر ومنذر إلى سليمة ودفعها سليمة إلى بردة ودفعها بردة إلى، وأنا دافعتها إليك يا على وتدفعها أنت إلى الحسن ويدفعها الحسن إلى الحسين، ويدفعها الحسين إلى أوصيائه حتى تدفع خير أهل الإرث بعدك، ولتكفرن بك الأمة ولتختلفنَّ عليك، والثابت عليك كالثابت معي، والشاذَّ عنك في النار، والنار مثوى الكافرين «١».

وإن الله جعل لكل نبي عدواً من شياطين الإنس والجن. احتج خصم، فقال: كيف تجدد النص (كذا) عليه السلام مخالفة هذه الوصية إذ كتمها بعد هذا النص الصريح على على؟

فقلت له: أ لست تعلم أنت و كل مسلم أن اليهود والنصارى كنتموا نصّ موسى وعيسى على محمد صلى الله عليه وآله ونسوا اسمه الموجود في التوراة والإنجيل المذكور في صريح القرآن واستدبروه وجحدوه وكنتموه ولم يلتفتوا إليه، وأن قوم موسى شهدوا على موسى باستخلافه لهارون أخيه، ولما غاب عنهم عكفوا على العجل وأرادوا قتل هارون، وقد صرح القرآن بذلك، وأن اليهود جحدوا صريح النص على محمد صلى الله عليه وآله في كتابهم جهلاً وحباً للرئاسة، وهكذا ضلّ من هو دونهم طلباً للرئاسة وحسداً على النعمة والفضيلة، أو ليس قد قال النبي صلى الله عليه وآله: ستفترق هذه الأمة على ثلاثة وسبعين «٢» واحدة ناجية والباقيون في النار، وهذا عذر واضح لعلى عليه السلام وعترته وقعودهم عن حقهم، لأنه لا تقوى فرقة واحدة على اثنتين وسبعين، وأين أهل النصر لهم وقد أعذر القرآن من (اقر) «٣» عن أكثرهم مرّتين بغير خلاف، ثم إن الله سبحانه قد نصّ على معرفته أبلغ ممّا نصّ على أوليائه في المشارق والمغارب من حكم هو صانعها، وآيات هو موجود بدئها، كل عاقل يشهد بوجود الصانع وقدرته، وقد كان قوم جحدوا

(١) بحار الأنوار: ٥٧ / ٢٣، ح ١.

(٢) راجع: سنن أبي داود ح ٤٥٩٧ كتاب السنّة، ومسنّد أحمد: ح ١٦٤٩٠ وفي رواية اثنتين وسبعين.

(٣) كذا بالأصل.

وأنكروا وجود الصانع وما آمن بوحديته إلّا قليلاً، فعند ذلك تهذيب للبس الأمر، والثابت عليك كالثابت معي، والشاذَّ عنك في النار والنار مثوى للكافرين، إن الله جعل لكل نبي عدواً [من] شياطين الإنس والجن وعدواً من المجرمين، فعدو آدم إبليس وعدو سليمان الشياطين، وعدو شيث أولاد قابيل وعدو انوش كيومرت، وعدو إدريس الضحّاك وعدو نوح عوج وجهانيان، وعدو صالح افراسياب، وعدو إبراهيم نمرود بن كنعان، وعدو موسى فرعون وقارون وهامان وعوج بن بلعام، وعدو يوشع بن نون لهراسب، وعدو داود جالوت، وعدو عيسى أشبّح بن اشجان، وعدو شمعون بخت نصر، وعدو محمد صلى الله عليه وآله

آله أبو جهل و أبو لهب، و عدوك يا على تيم وعدى و بنو أمية، و الله عدو للكافرين. و إنما حسدك على فضلك أهل العداوة و الحسد.

و قال رسول الله صلى الله عليه و آله: إن حبّ أهل بيتي ينفع من أحبهم فى سبع مواطن مهولة: عند الموت، و فى القبر و عند القيام من الأجداث، و عند تطاير الصحف و عند الميزان، و عند الصراط، فمن أحبّ أن يكون آمناً فى هذه المواطن فليوال عليا بعدى و ليتمسك بالحبل المتين على بن أبى طالب عليه السّلام و عترته من بعده، فإنّهم خلفائى و أوليائى، علمهم علمى و حلمهم حلمى، و أدبهم أدبى و حبهم حبّى، سادة الأولياء و قادة الأتقياء، و بقية الأنبياء، حريهم حربى و عدوهم عدوى «١».

و قال رسول الله صلى الله عليه و آله لحذيفة بن اليمان: يا حذيفة إن عليا حجة الله الإيمان به إيمان بالله، و الكفر به كفر بالله و الشرك به شرك بالله؛ و الشك فيه شك فى الله و الإلحاد فيه إلحاد فى الله و الإنكار له إنكار لله، و الإيمان به إيمان بالله، يهلك فيه رجلان و لا ذنب له: محبّ غال، و مبغض قال «٢».

و قال صلى الله عليه و آله: خذوا بحجرة الأنزع البطين على بن أبى طالب فهو الصديق الأكبر و الفاروق الأعظم، من أحبّه أحبّه الله و من أبغضه أبغضه الله و من تخلف عنه محقه الله «٣».

(١) بحار الأنوار: ٢٧ / ١٦٢ ح ١٠.

(٢) بحار الأنوار: ٣٨ / ٩٧ ح ١٤ و الحديث طويل اختصره المصنّف، ينابيع المودة: ١ / ٢٥٣.

(٣) بحار الأنوار: ٢٣ / ١٢٩ ح ٦٠.

ص: ٩١

و قال رسول الله صلى الله عليه و آله يوماً و قد أخذ بيدي الحسن و الحسين عليهما السّلام قال: أنا رسول الله و هذان الطيّبان سبطاى و ريحانتاى، فمن أحبهما و أحبّ أباهما و أمهما كان معى يوم القيامة و فى درجتى، ألا و إن الله خلق مائة ألف نبي و أربعة و عشرين ألف نبي، أنا أكرمهم على الله و لا فخر، و خلق مائة ألف وصى و أربعة و عشرين ألف وصى، على أكرمهم و أفضلهم عند الله، ألا و إن الله يبعث أناسا وجوههم من نور على كراسى من نور عليهم ثياب من نور فى ظل عرش الرحمن بمنزلة الأنبياء، و ليسوا أنبياء، و بمنزلة الشهداء و ليسوا شهداء.

فقال رجل: أنا منهم يا رسول الله؟

فقال: لا، فقال آخر: أنا منهم.

فقال: لا.

فقليل: من هم يا رسول الله؟

فوضع يده الشريفة على كتف علي وقال: هذا و شيعته، ألا إن عليا و الطيبين من عترته كلمة الله العليا و عروته الوثقى و أسماؤه الحسنى مثلهم فى أمتى كسفينة نوح من ركبها نجا، و من تخلف عنها غرق، و مثلهم فى أمتى كالنجوم الزاهرة كلما غاب نجم طلع نجم إلى يوم القيامة، ألا و إن الإسلام بنى على خمس دعائم: الصلاة و الزكاة، و الصوم و الحج، و ولاية علي ابن أبى طالب عليه السلام، و لم يدخل الجنة حتى يحب الله و رسوله و علي بن أبى طالب و عترته «١».

و روى السدى فى قوله تعالى: **وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ** «٢»، قال:

شيعة علي يعدلون بالحق من صدّ عنه و يهتدون بالدين القيم و هو حب علي و عترته.

و روى أيضا قوله تعالى: **يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** «٣» قال: شيعة علي على الصراط المستقيم و هو حب علي «٤»، و يأمرون به و هو العدل.

(و روى) أحمد أن الصراط لا يجوز عليه إلّا من عرف عليا و عرفه؛ و أنّ الجنة لا يدخلها

(١) بحار الأنوار: ٢٣ / ١٢٥ ح ٥٣ و: ٦٨ / ٣٧٦ ح ٢٢.

(٢) الأعراف: ١٨١.

(٣) و ورد أن حبّ آل محمد جواز على الصراط. ضوء الشمس: ١ / ٩٩.

(٤) فى البحار: ٣٥ / ٣٦٣ الصراط المستقيم هو علي، و فى ٣٩ / ٢٠٢ جواز الصراط المستقيم حب علي.

ص: ٩٢

إلّا من كان فى صحيفته حب علي و عترته «١».

و روى ابن عباس أن جبرئيل يجلس يوم القيامة على باب الجنة فلا يدخلها إلّا من كان معه براءة من علي «٢».

و روى فى تفسيره الوكيل بن الجراح عن السدى و سفيان الثورى أن الصراط المستقيم حبّ علي «٣».

و من كتاب الأمالى عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله لمّا عرج بى إلى السماء السابعة، و منها إلى سدرة المنتهى و منها إلى حجب النور نادانى ربّى جل جلاله يا محمد أنت عبدى و أنا ربك فلى فاضع، و إيّاي فاعبد و على فتوكل فإنّى قد رضيتك عبدا و حبيبا و رسولا و رضيت لك عليا خليفة و بابا، و جعلته حجّتى على عبادى و أمانا لخلقى، به يقام

دينى و تحفظ حدودى و تنفذ أحكامى، و يعرف أعدائى من أوليائى و بالأئمة من ولده أرحم عبادى، و بالقائم المهديّ أعمار أرضى بتسبيحى و تقديسى و تهليلى و تمجيدى، و به أطهر الأرض من أعدائى و به أحببى عبادى و بلادى و به أظهر الكنوز و الذخائر و أظهره على الأسرار و الضمائر، و أنصره بأوليائى و أمدّه بملائكتى فهو وليّى حقا و مهديّ عبادى صدقا «٤».

و من كتاب المناقب مرفوعا إلى ابن عمر قال: سألت رسول الله صلى الله عليه و آله عن على بن أبى طالب عليه السلام فقلت: يا رسول الله ما منزلة على منك؟

فغضب ثم قال: ما بال قوم يذكرون رجلا عند الله منزلته كمنزلتى و مقامه كمقامى، إلّا النبوة يا ابن عمر إن عليا منى بمنزلة الروح من الجسد، و إن عليا منى بمنزلة النفس من النفس، و إن عليا منى بمنزلة النور من النور، و إن عليا منى بمنزلة الرأس من الجسد، و إن عليا منى بمنزلة الزر من القميص، يا ابن عمر؛ من أحبّ عليا فقد أحببني، و من أحببني فقد أحب الله و من أبغض عليا فقد أبغضني، و من أبغضني فقد غضب الله عليه و لعنه، ألا و من أحب عليا فقد أوتى كتابه بيمينه و حوسب حسابا يسيرا، ألا و من أحب عليا لا يخرج من الدنيا حتى يشرب

(١) ورد أن حبّ على براءة من النار. الفردوس: ٢ / ١٤٢ ح ٢٧٢٣.

(٢) مناقب الخوارزمي: ٣٢٠، و مائة منقبة: ٦٣.

(٣) ورد أن أهل البيت هم الصراط المستقيم. راجع رشفة الصادى: ٢٥.

(٤) بحار الأنوار: ٢٣ / ١٢٨ ح ٥٨.

ص: ٩٣

من الكوثر و يأكل من طوبى، و يرى مكانه من الجنة.

ألا من أحب عليا هانت عليه سكرات الموت و جعل قبره روضة من رياض الجنة، ألا و من أحب عليا أعطاه الله بكل عضو من أعضائه خولا و شفاعة ثمانين من أهل بيته، ألا و من عرف عليا و أحبه بعث الله إليه ملك الموت كما يبعث إلى الأنبياء و جنبه أهوال منكر و نكير و فتح له فى قبره مسيرة عام، و جاء يوم القيامة أبيض الوجه يزفّ إلى الجنة كما تزفّ العروس إلى بعلها، ألا و من أحب عليا أظله الله تحت ظل عرشه و آمنه يوم الفزع الأكبر، ألا و من أحب عليا قبل الله حسناته و دخل الجنة آمنا، ألا و من أحب عليا سمى أمين الله فى أرضه، ألا و من أحبّ عليا وضع على رأسه تاج الكرامة مكتوبا عليه أصحاب الجنة هم الفائزون، و شيعة على هم المفلحون، ألا و من أحبّ عليا مرّ على الصراط كالبرق الخاطف، ألا و من أحبّ عليا لا ينشر له ديوان و لا ينصب له ميزان، و تفتح له أبواب الجنة الثمان، ألا و من أحبّ عليا و مات على حبه صافحته الملائكة و زارته أرواح الأنبياء، ألا و من مات على حب على فأنا كفيله الجنة، ألا و إن لله بابا من دخل منه نجا من النار و هو حب على، ألا و من أحب عليا أعطاه الله بكل عرق فى جسده و شعرة فى بدنه مدينة فى الجنة، يا ابن عمر، ألا و إن عليا سيّد الوصيّن و إمام المتّقين، و

خليفتي على الناس أجمعين، و أبو الغر الميامين، طاعته طاعتى، و معرفته هى معرفتى، يا ابن عمر و الذى بعثنى بالحق نبيا لو كان أحدكم صف قدميه بين الركن و المقام يعبد الله ألف عام، ثم ألف عام صائما نهاره قائما ليله، و كان له ملء الأرض مالا فأنفقه، و عباد الله ملكا فأعتقهم، و قتل بعد هذا الخير الكثير شهيدا بين الصفا و المروة، ثم لقي الله يوم القيامة باغضا لعلى لم يقبل الله له عدلا و لا صرفا و زج بأعماله فى النار و حشر مع الخاسرين «١».

فصل

على أمير المؤمنين عليه السلام فهو المنتجب بالوصية المنتخب من الطينة الزكية الحاكم بالسوية العادل فى القضية، العالى البنية إمام سائر البرية، بعل فاطمة الرضية، والد العترة الزكية، ليث

(١) بحار الأنوار: ٢٤ / ٤٥ ح ١٧ بتفاوت.

ص: ٩٤

الحروب و مفرج الكروب، الذى لم يفر من معركة قط، و لا ضرب بسيفه إلّا قط، و لا لقي كتيبة إلّا انهزمت و لم يقاتل تحت راية إلّا غلبت، و لم يفلت من بأسه بطل و لا ضرب بحسامه شجاعا إلّا قتل، و لم يرافق سرية إلّا كان النصر معها، و لم يلق جحفلا إلّا ولّوا مدبرين و انقلبوا صاغرين، و كانت وثبته إلى عمرو أربعين ذراعا و رجوعه إلى خلف عشرين ذراعا، و ضرب الكافر يوم أحد فقطعه و جواده نصفين ثم حمل على سبعة عشر كتيبة جمعها سبعون ألفا ففرقها، و بدد شملها و مزقها، حتى تحير الفريقان من بأسه و تعجبت الأملاك من حملاته، و هذه خواص إلهية و آيات ربّانية، الليث الباسل و البطل الجلاجل، و الهزبر المنازل و الخطب النازل، و القسورة الذى ليس له منازل، ولايته فريضة و اتباعه فضيلة، و محبته إلى الله وسيلة، و من أحبه فى حياته و بعد وفاته كتب الله له من الأمن و الإيمان ما طلعت عليه الشمس و غربت. و ها أنا أقول:

هو المسك أم طيب الوصى يفوح

و آدم أم سر المهيمن نوح

و هارون أم موسى العصا و مسيح

على سماه هاشم و ذبيح

و صبح جلال فى الأنام يلوح

و عين الورى بل للخلائق روح

من الله فى الذكر المبين صريح

هى الشمس أم نور الضريح يلوح

و بحر ندى أم روضة حوت الهدى

و داود هذا أم سليمان بعده

و أحمد هذا المصطفى أم وصيه

سماه محيط المجد بدر دجنة

حبيب حبيب الله بل سر سره

له النص فى يوم الغدير و مدحه

إمام إذا ما المرء جاء بحبه
له شيعة مثل النجوم زواهر
عليك سلام الله يا راية الهدى
فميزانه يوم المعاد رجيح
إذا جاء ولت تلقى العدو طريح
سلام سليم يفتدى و يروح «١»

(١) أعيان الشيعة: ٤ / ٤٦٨.

ص: ٩٥

فصل

قال سبحانه و تعالى: فَطَرَتَ اللَّهُ اللَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا «١» قال ابن عباس: هي في ثلاث كلمات لا إله إلا الله محمد رسول الله على ولي الله.

و كل واحدة من هذه رباط الأخرى، و هي المستول عنها في القبر و إليها الإشارة بقوله:

إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا «٢» فالسمع للتوحيد، و البصر للنبوة، و الفؤاد للولاية.

فصل

الدين عدل الله و العدل قسط الله، و القسط هو القسطاس المستقيم، و القسطاس هو الميزان، فالدين هو الولاية.

(١) الروم: ٣٠.

(٢) الاسراء: ٣٦.

ص: ٩٦

فصل [على عليه السلام الميزان يوم القيامة]

قال الله سبحانه: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ «١» قال ابن عباس: الموازين الأنبياء والأولياء «٢»، و الميزان يقتضى كفتين و شاهدين ضرورة فالكفة الأولى منه: لا إله إلا الله، و قسطاسه المرفوع: محمد رسول الله قائما بالقسط، و الكفة الأخرى: على ولى الله، و إليه الإشارة بقوله: وَ السَّمَاءَ رَفَعَهَا وَ وَضَعَ الْمِيزَانَ.

قال العالم عليه السلام: السماء رسول الله و الميزان على «٣» لأن بحبه توزن الأعمال، و قوله: وَ لَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ «٤» أى لا تظلموا عليا حقّه لأنه من جهل حقّه لا ميزان له.

و روى فى قوله تعالى: اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ «٥» قال: الكتاب القرآن و الميزان الولاية، و قال على بن إبراهيم «٦»: الكتاب على و الميزان أيضا على، لأنه ما لم تكن لك الولاية فلا دين و لا كتاب، لأن الولاية بها يتم الدين و بها ينعقد اليقين، فالولاية هى ميزان العباد يوم المعاد، فإذا وضعت السماوات و الأرض و ما بينهما من الراسيات و الشامخات، مقابل لا إله إلا الله فلا يلزم يقوم لها وزن، وضعت الولاية مقابلها و هى على ولى الله رجحت الميزان لأن الولاية معها التوحيد و النبوة، لأنها جزء من التوحيد و جزء من النبوة، فهى جامعة لسرّ التوحيد، و النبوة خاتمة لهما و ذلك لأن لا إله إلا الله روح الإيمان و ظرف الباطن محمد رسول الله رسوخ الإسلام و ظرف الظاهر على ولى الله ظرف الإسلام و الإيمان، و روح

(١) الأنبياء: ٤٧.

(٢) فى البحار ٧ / ٢٥١ عن الإمام الصادق عليه السلام: الموازين الأنبياء و الأوصياء.

(٣) بحار الأنوار: ٢٤ / ٦٧ ح ١.

(٤) الرحمن: ٧ - ٨.

(٥) الشورى: ١٧.

(٦) تفسير القمى: ١ / ٣٠.

ص: ٩٧

الظاهر و الباطن. فلهذا لو جاء العبد يوم القيامة و فى ميزانه الجبال الراسيات من الأعمال الصالحات، و ليس فيه ولاية على التى هى كمال الدين، و رجح الموازين لا بل كمال سائر الأديان، لأن دين محمد كمال كل دين و ختم كل شريعة للنبيين و تصديقا للمرسلين، و حبّ على كمال هذا الكمال، و ختم هذا الخاتم و تمام هذا المتمّم و المكمل للكمال كمال الكمال، و الكمال جمال فحبّ على كمال كل دين، لأن الله لم يبعث نبيا يدعو الناس إليه و يدل عباده عليه، إلا و قد أخذ عليه ولاية على طوعا أو كرها فكل دين ليس معه حبّ على و ولايته فلا كمال له، و ما لا كمال له ناقص، و الناقص لا يقبل و لا يوزن و لا يعرض، لأن الله

لا يقبل إلّا الطيب، وإليه الإشارة بقوله: **وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ** «١» و الحق هو العدل و العدل هو الولاية، لأن الحق على فمن كملت موازينه بحب على رجع و أفلح، وإليه الإشارة بقوله:

فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ «٢» و هم أهل الولاية الذين سبقت لهم من الله العناية، وإليه الإشارة بقوله: **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ** «٣» قال: الكلم الطيب: لا إله إلّا الله محمد رسول الله، و العمل الصالح يرفعه، قال: العمل الصالح حب على، فكل عمل ليس معه حب على فلا يرفع، و ما لا يرفع لا يسمع، و ما لا يسمع فلا يرفع، و ما لا يرفع لا يسمع و لا يسمع و لا يرفع، فهو وبال و ضلال و هباء منثور.

يؤيد هذه المقالة و يحقق هذه الدلالة أن جبرائيل سيّد الملائكة، و الأنبياء سادة أهل الأرض، و الرسل سادة الأنبياء و كل منهم سيّد أهل زمانه، و محمد صلى الله عليه و آله سيّد الأنبياء و المرسلين و سيّد الخلائق أجمعين لأنه الفاتح و الخاتم و الأول و الآخر، له سؤدد التقدم و التخت، لأنه لولاه ما خلقوا و ما كانوا فلأحدثته على سائر الآحاد شرف الواحد على سائر الأعداد، و جبرائيل خادمه و الأنبياء نوّابه، لأنهم بعثوا إلى الله يدعون و بنوّة محمد يخبرون و بفضلته على الكل يشهدون و بولاية على يقرّون و بحبه يدينون و على سلطان رسالة محمد و حسامها و تمام أحكامها و ختامها. دليله قوله: **وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا** «٤»

(١) الأعراف: ٨.

(٢) الأعراف: ٨.

(٣) فاطر: ١٠.

(٤) الاسراء: ٨٠.

ص: ٩٨

يعنى عليا و أميرا و وزيرا، فمحمد سيّد أهل السّمّاءات و الأرضين، و على نفس هذا السيّد و روحه و لحمه و دمه، و أخوه و فتاه و مؤانسه و مؤاسيه و مفديه، و سلطان دولته و حامى ملّته و فارس مملكته، فعلى سلطان أهل السّمّاءات و الأرضين، و أميرهم و وليّهم و مالّكهم، لأنّه أولى بهم من أنفسهم لأنه أمين الله و أميره، و وليّه و والده فى الفخار على الإنس و الجنة، سيّدا لشباب أهل الجنة، فكل من سكن الجنة من الإنس و الجن فالحسن و الحسين سيّده، و أهل الجنة سادة الخلائق، فالحسن و الحسين سادة السادات، و لا يسود أهل الآخرة إلّا من ساد أهل الدنيا، و أبوهما خير منهما بنص الحديث الذى عليه الإجماع، فأمر المؤمنين سيّد سادات أهل الدنيا و الآخرة، و زوجته الزهراء سيّدة النساء لأنّها بضعة النبوة و لحمة الرسالة، و شمس الجلالة و دار العصمة، و بقيّة النبوة، و معدن الرحمة، و منبع الشرف و الحكمة، فهو السيد ابن السيد أخو السيد أبو السادة قرين السيادة و الزيادة، فهو الولي الذى حبه أمان و بغضه هوان، و معرفته إيقان، و إليه الإشارة بقوله: **وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَرَحْمَتُهُ** «١» فالرحمة محمد صلى الله عليه و آله، و الفضل على. دليله قوله: **قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا** «٢» يعنى بدين محمد

و ولاية على، لأن لأجلهما خلق الخلق و بهما أفاض عليه الرزق، لأن كل ما ينظره الإنسان فهو الحسن أو الإحسان، فالحسن هما و الإحسان بهما، أما الحسن فدليله قوله: «أول ما خلق الله نوري» «٣» فهو النور الجارى فى آحاد الموجودات، و أفرادها، و أما الاحسان فقوله: «أنا من الله و الكل منى» «٤» فالكل من أجله و بأجله، فهو الحسن و الإحسان كما قيل:

جميع ما أنظره جماله	و كل ما خيل لي خياله
و كل ما أنشقه نسيمه	و كل ما أسمعته مقاله
ولى فم شرفه مديحه	ولى يد كرمها نواله
ما يعرف العشق سوى متيم	لذله قيل الهوى و قاله

(١) النساء: ٨٣.

(٢) يونس: ٥٨.

(٣) تقدّم تخريجه.

(٤) تقدّم الحديث.

ص: ٩٩

و ذلك لأنه مصدر الأشياء، و من هو مصدر الأشياء فعودها إليه ضرورة، بدؤها منك و عودها إليك، و من هو المبدأ و المعاد فزمام الأمور منوط به، فتقها و رتقها بيدك و من بيده الفتق و الرتق له الحكم و إليه ترجعون.

فصل

و لما طلعت شمس الأسرار من مطالع العناية، و لمعت بوارق الأسرار من مشارق الهداية، و عرفت أن الحى القيوم جلّ اسمه فضل الحضرة المحمدية أن جعل نورها هو الفيض الأول، و جعل سائر الأنوار تشرق منها، و تتشعشع عنها، و جعل لها السبق الأول فلها السبق على الكل، و الرفعة على الكل و الإحاطة بالكل، و الله من ورائهم محيط، فكنت كما قيل:

تركت هوى ليلي و سعدى بمعزل	و ملت إلى محبوب أول منزل
و نادتنى الأشواك و يحك هذه	منازل من تهوى فدونك فانزل
غزلت لهم غزلا دقيقا فلم أجد	له ناسجا غيرى فكسرت مغزلى

أو كما قيل:

ما الحب إلّا للحبيب الأول

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى

فاعلم أن الله سبحانه ما أنعم على عبد بمعرفة محمد و حبّ على فعذبّه قط، و لا حرمه عبدا فرحمه قط.

فصل [اتّحاد النور و معناه]

محمد و على نور واحد قديم، و إنّما انقسما تسمية ليمتاز النبي عن الولي كما امتاز الواحد عن الأحد، فكل أحد واحد و لا ينعكس، و كذا كل نبي ولي و لا ينعكس، فلهذا لا توزن الأعمال يوم القيامة إلّا بحب على لأن الولاية هي الميزان كما تقدّم.

ص: ١٠٠

فصل [أثر حبّ على و طاعته عليه السّلام]

التوحيد لا يقابله شيء قلّ أم جلّ، و كذا حبّ على إذا كان في الميزان لا ينقصه شيء من الذنوب قلّ أم جلّ، فإذا كان حبّه في الميزان فلا سيئة، و إذا لم يكن فلا حسنة، لأنّ الحسنات بالتحقيق حبّه، و السيئات بغضه، لأنّ حبّه حسنة لا يضرّ معها سيئة، و بغضه سيئة لا ينفع معها حسنة «١»، و إليه الإشارة بقوله: فَأُولَئِكَ يَبْدَلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ «٢» و قوله:

وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا «٣» و ليس في القيامة إلّا مؤمن و كافر و منافق، و الكافر ليست له حسنات توزن و لا للمنافق، فتعين أن ذلك للمؤمنين المذنبين و إنّما وسعه الرحمن لأن من جاء بالإيمان فكان كتابه متصل الحكم ثابتا في دار القضاء لأنّ مناه التوحيد، و شهوده النبوة، و سجله الولاية، فوجب له الإيمان من الله، المؤمن لإنصافه يوم لقائه، و أما المنافق فهو يجهد في الدنيا قد ضيّع الأصل و أكبّ على الفرع، و الفرع لا يثبت إلّا مع الأصل، و لا أصل هناك فلا فرع إذا فهو يسعى مجدا لكنه ضائع جدا و إليه الإشارة بقوله: الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا «٤»

فإذا ورد القيامة لا يرى شيئا ممّا كان يظن أنه يلقاه، لأنّ المنافق لا برهان له فأعماله بالظن، و الظن لا يغني عن الحق شيئا، لأنّ ما لا برهان له لا أصل له، و ما لا أصل له لا فرع له، فلا قبول له و لا وجود له، و المنافق لا برهان له فلا أصل له و لا فرع له، فلا إيمان له، فلا نجاة له.

و دليله ما رواه صاحب الكشف من الحديث القدسي من الرب العلي أنه قال: لأدخلن

(١) بحار الأنوار: ٣٩ / ٢٤٨ ح ١٠ و ٢٥٦ ح ٣٣.

(٢) الفرقان: ٧٠.

(٣) الفرقان: ٢٣.

(٤) الكهف: ١٠٤.

ص: ١٠١

الجنة من أطاع عليا و إن عصاني، و لأدخلن النار من عصاه و إن أطاعني «١»، و هذا رمز حسن و ذلك لأن حب علي هو الإيمان الكامل، و الإيمان الكامل لا تضر معه السيئات، فقله: و إن عصاني فأني أغفر له إكراما له و أدخله الجنة بإيمانه فله الجنة بالإيمان، و بحب علي العفو و الغفران، و قوله: و لأدخلن النار من عصاه و إن أطاعني، و ذلك لأنه إذا لم يوال عليا فلا إيمان له، فطاعته هناك مجاز لا حقيقة لأن الطاعة بالحقيقة حبّ علي المضاف إليها سائر الأعمال، فمن أحب عليا فقد أطاع الله، و من أطاع الله نجا، فمن أحب عليا فقد نجا؛ فاعلم: أن حبّ علي الإيمان، و بغضه الكفر «٢»، و ليس هناك إلّا محب و مبغض، فمحبّه لا سيئة له فلا حساب عليه و من لا حساب عليه فالجنة داره، و مبغضه لا إيمان له، و من لا إيمان له لا ينظر الله إليه فطاعته عين المعصية فعدوه هالك، و إن جاء بحسنات العباد بين يديه، و وليّه ناج و لو كان في الذنوب إلى شحمتي أذنيه، و أين الذنوب مع الإيمان المنير؟ أم أين من السيئات مع وجود الإكسير؟ فمبغضه من العذاب لا يقال، و محبه لا يوقف و لا يقال، فطوبى لأوليائه و سحقا لأعدائه.

يؤيد هذا ما رواه ابن عباس، قال: جاء رجل إلى رسول الله فقال: يا رسول الله أ ينفعني حبّ علي في معادي؟ فقال له النبي صلى الله عليه و آله: لا أعلم حتى أسأل جبرائيل، فنزل جبرائيل مسرعا فقال له النبي صلى الله عليه و آله: أ ينفع هذا حبّ علي؟ فقال: لا أعلم حتى أسأل إسرافيل، ثم ارتفع فسأل إسرافيل، فقال: لا أعلم حتى أناجي ربّ العزة، فأوحى الله إلى إسرافيل قل لجبرائيل يقل لمحمد: أنت منّي حيث شئت، و أنا و علي منك حيث أنت منّي، و محب علي منّي حيث علي منك «٣».

يؤيد هذا ما رواه الرازي في كتابه مرفوعا إلى ابن عباس قال: إذا كان يوم القيامة أمر الله مالكا أن يسعر النار، و أمر رضوان أن يزخرف الجنة ثم يمد الصراط، و ينصب ميزان العدل تحت العرش، و ينادى مناد: يا محمد قرب أمتك إلى الحساب، ثم يمدّ علي الصراط سبع

(١) في الحديث: من أطاعه فقد أطاع الله و من عصاه فقد عصى الله. البحار: ٥٢ / ٣٥٠ ح ١٠٣.

(٢) بحار الأنوار: ٢٦ / ٢٤٣ ح ٤٨.

(٣) مائة منقبة: ٤٣، و الجواهر السنينة: ٣٠٣.

ص: ١٠٢

قناطر بعد كل قنطرة سبعة آلاف سنة، و على كل قنطرة ملائكة يتخطفون الناس فلا يمرّ على هذه القناطر إلّا من و الى عليا و أهل بيته، و عرفهم و عرفوه، و من لم يعرفهم سقط في النار على أمّ رأسه و لو كان معه عبادة سبعين ألف «١» عابد لأنّه لا يرجح في الحشر ميزان، و لا تثبت على الصراط قدم انسان إلّا بحب علي.

و إليه الإشارة بقوله: **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ «٢»** يعني في الدنيا وليه يغلب خصمه، و في الآخرة يثبت قدمه، دليل ذلك ما رواه ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: يا علي ما ثبت حبك في قلب مؤمن إلّا و ثبت قدمه على الصراط حتى يدخله الجنة «٣».

(١) بحار الأنوار: ٢٠٩ / ٣٩ ح ٣٢.

(٢) إبراهيم: ٢٧.

(٣) بحار الأنوار: ٢٧ / ٧٧ ح ٨ بتفاوت بسيط.

ص: ١٠٣

فصل [موالاة علي و عدم إدراك كنهه عليه السلام]

أيّها الطائر في جو التقليد لا يأوى على غدران الحكماء، و لا يرتع في رياض العلماء، و لا يثبت في قلبه حبّ الحب، و لا يثبت إلّا في محجبات الكتاب، إلى متى أنت بعيد عن النور؟ محبوب عن السرور، غافل عن أسرار السطور، مكبّ على النظر في سواد المسطور، أما أسمعك منادى الرحمن؟ **أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا «١»**، إلى متى أنت كشارب ماء البحر كلّما ازداد شربا ازداد عطشا؟ ألم تعلم أن الله سبحانه خلق تسع عشر ألف عالم و ألف ألف عالم مبدؤها نور الحضرة المحمدية و سرّها الولاية الإلهية و ختمها الخلافة المهدية و العصمة الفاطمية؟ و ذلك كلّ فاض عن الكلمة الإلهية (الغيب) و هو ألف غير معطوف كما قالوا: (١١١١) ألف معطوف، و ألف غير معطوف، و ألف عنده الوقوف، و ألف هو منتهى الألوف، خلقها و هو غنى عن خلقها، و سلمها إلى الولي الكامل لأنه وليه الذي أقامه في الخلق مقامه، فهو الولي المطلق و المتصرّف العادل، فلا يسأل عمّا يفعل، و كيف يسأل المؤيّد بالحكمة؟ المخصوص بالعصمة، الذي يريد الله ما يفعل لأن فعله الحق، و العدل، و يفعل الله ما يريد، لأنه لا يريد إلّا ما يريد الله، لأن قلبه مكان مشيئة الله، أوجده موجد الكل قبل الكل، و أوجد لأجله الكل و اختاره على الكل، و ولّاه أمر الكل و حكمه على الكل، فهو الكلمة التامة، و الحاكم يوم الطامة، و كيف لا يكون كذلك و شيعته غدا بيض الصحائف، خضر الملابس، آمنين من العذاب، يدخلون الجنة بغير حساب.

دليل ذلك ما رواه صاحب كتاب الأربعين عن أنس بن مالك قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد يا علي يا ولي، يا سيّد يا صديق يا ديّان يا هادي، يا زاهد يا فتى يا طيب يا طاهر، مرّ أنت و شيعتك إلى الجنة، بغير حساب.

يؤيد ذلك ما رواه صاحب كتاب النخب قال: تشاجر رجلان في خلافة علي و إمامته فجاءا إلى شريك فسألاه، فقال لهما: حدثني الأعمش عن حذيفة بن اليمان عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: إن الله خلق عليا قضييا في الجنة من تمسك به فهو من أهل الجنة، فاستعظم الرجل ذلك فجاء إلى ابن الدراج فأخبره، فقال: لا تعجب حدثني الأعمش عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن الله خلق قضييا من نور في بطن العرش لا يناله إلّا علي و من تولاه.

فقال الرجل: هذا من ذاك نمضي إلى وكيع، فجاء فأعلمه فقال: لا تعجب، حدثني الأعمش عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: أركان العرش لا ينالها إلّا علي و شيعته، فاعترف الرجل بفضل علي عليه السلام «١».

و من كتاب المناقب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن لله عمودا من نور يضيء لأهل الجنة كالشمس لأهل الدنيا لا يناله إلّا علي و شيعته «٢»، و إن حلقة باب الجنة من ياقوتة حمراء طولها خمسون عاما، صفائح من ذهب إذا نقرت طنت و قالت في طنينها: يا علي «٣».

و كيف لا يكون كذلك؟ و هو الاسم الأعظم الذي به تنفعل الكائنات، الحاكم المتصرف في سائر الموجودات، فهو الأول و الآخر و الباطن و الظاهر، الأول بالأنوار و الآخر بالأدوار، و الباطن بالأسرار، الظاهر بالآثار، فهو مقام الربّ العلي في وجوب الطاعة و الأمر نطق في كلمته، و ظهرت عنه مشيئته، فهو كهو في وجوب الطاعة و امتثال الأمر و الرفعة على الموجودات، و الحكم على البريات، و ليس هو بالذات المقدسة المنزهة عن الأشباه و الأمثال، المتعالية عن الصورة و المثال، لا فرق بينهما و بينك إلّا أنهم عبادك و خلقك.

يؤيد هذا ما ورد في الحديث القدسي عن الربّ العلي أنه يقول: عبي أطعني أجعلك مثلي أنا حي لا أموت، أجعلك حيا لا تموت، أنا غني لا أفقر أجعلك غنيا لا تفقر، أنا مهما أشأ يكن أجعلك مهما تشأ يكن «٤».

(١) تقدّم الحديث.

(٢) بحار الأنوار: ٣٩ / ٢٦٨ ح ٤٥.

(٣) بحار الأنوار: ٣٩ / ٢٣٥ ح ١٨.

(٤) رواه باختصار في جامع الأسرار: ٢٠٤ ح ٣٩٣.

و منه أن لله عبادا أطاعوه فيما أراد فأطاعهم فيما أرادوا يقولون للشيء كن فيكون «١».

و ذلك لأن الكل عباد الله فإذا اختار الله عبدا ألبسه خلعة التفضيل، و نادى له فى الممالك بالتصرف و التبجيل، و جعل له الولاية المطلقة فصار عبدا لحضرتة و خالسا لولايته، و مولى لعباده و بريته و واليا فى مملكته، و هو المتصرف الوالى بإذن الرب المتعالى، و لهذا قالوا:

جنبونا آلهة تعبد، و اجعلوا لنا رباً نتوب إليه، و قولوا فىنا ما استطعتم «٢» و ذاك كما قيل:

جنبوهم قول الغلاة و قولوا ما استطعتم فى فضلهم أن تقولوا

فإذا عدت سماء مع الأرض إلى فضلهم فذاك قليل

و عنهم عليهم السلام، أنهم قالوا: كونوا لنا زينا، و لا تكونوا علينا شينا «٣»، فإنه ليس بين الله و بين أحد من خلقه قرابة. ألا من أئتم بإمام فليعمل بعمله، فما معنا براءة من النار، و ليس لنا على الله من حجة فاحذروا المعصية لنا و المغالاة فىنا، فإن الغلاة شر خلق الله يصغرون عظمة الله و يدعون الربوبية لعباد الله، و الله إن الغلاة شر من اليهود و النصارى و المجوس و الذين أشركوا، و إلينا يرجع الغالى فلا نقبله لأن الغالى اعتاد ترك الصلاة و الزكاة و الصوم، فلا يقدر على ترك عادته و بنا يلحق المقصر فنقبله لأن المقصر إذا عرف عمل.

و عنهم عليهم السلام أنهم قالوا: نزهونا عن الربوبية و ارفعوا عنا حظوظ البشرية «٤»- يعنى الحظوظ التى تجوز عليكم - فلا يقاس بنا أحد من الناس «٥»، فإننا نحسن الأسرار الإلهية المودعة فى الهياكل البشرية، و الكلمة الربانية الناطقة فى الأجساد الترابية، و قولوا بعد ذاك ما استطعتم فإن البحر لا ينزف، و عظمة الله لا توصف.

فيا أيها الواقف بين جدران التقليد، تنظر إلى الحق من بعيد، أما بلغك أن النبى صلى الله عليه و آله حنّ الجذع اليابس إليه، و قبل البعير قدميه، و انشق لعظمته القمر و نبع الماء الطاهر من بين يديه

(١) تقدّم الحديث مع تخريجه.

(٢) بحار الأنوار: ٢٥ / ٣٤٧ و ٢٨٣ ح ٣٠ بتفاوت. و قريب منه فى بصائر الدرجات: ٢٤١ ح ٥.

(٣) بحار الأنوار: ٧١ / ٢٨٦ ح ٤١.

(٤) شرح الزيارة الجامعة: ١ / ٢٠١ بلفظ ... و ادفعوا عنا، و ورد: لا تجعلونا أربابا و قولوا فى فضلنا ما شئتم. البحار: ٢٦ / ٢ ح ١.

(٥) تقدّم الحديث مع تخريجه.

ص: ١٠٦

و انهمر، و اخضر العود اليبس فى يديه و أثمر، و كان يرى من خلفه كما يرى بين يديه إذا نظر «١»، و لا ينام قلبه لنوم عينيه «٢»، و لا يؤثر فى الرمل و طء قدميه، و يؤثر فى الحجر، و كان يظّله الغمام إذا سار و سفر «٣»، و ركب البراق فاخترق السبع الطباق فى أقل من لمح البصر، الجوهر الشفاف الذى ليس له ظل كظلّ البشر «٤»، و فى ذلك آيات لمن نظر و اعتبر، و كان أمير المؤمنين عليه السّلام مشاركا له فيما غاب و حضر، فهو السرّ الذى لا ينكره إلّا من أبى و كفر، و الولي الذى تعرض عليه أعمال البشر «٥»، و إليه الإشارة بقوله: «ظاهرى إمامة و باطنى غيب لا يدرك» «٦»، فهم فى الأجساد أشباح، و فى الأشباح أرواح، و فى الأرواح أنوار، و فى الأنوار أسرار، فهم الصفوة و الصفات و الأصفياء، و إليه الإشارة بقوله: «لولانا ما عرف الله و لو لا الله ما عرفنا» «٧»، كما قيل:

لما كان الذى كانا

فلولاه و إيانا

بإياه و إيانا

فصار الأمر مقسوما

و الشبح هو الذى يرى شخصه، و لا يعرف معناه.

(١) أخبار الدول: ٨٤ و المعجم الأوسط: ٣ / ٣٢٣.

(٢) الشفاء: ٢ / ١٥٣.

(٣) بحار الأنوار: ٣٥ / ١٢٩ ح ٧٤.

(٤) من علامات الإمامة عدم وجود الظلّ، راجع بحار الأنوار: ٢٥ / ١١٦ ح ١.

(٥) بحار الأنوار: ٢٢ / ٥٥٠ ح ٢.

(٦) بحار الأنوار: ٢٥ / ١٧١ ح ٣٨ بتفاوت.

(٧) البحار: ٢٦ / ١٠٧ ح ١٠ و: ٢٢ / ١٤٧ ح ١٤١.

فصل [علم آل محمد للغيب]

و ها إتنا نورد فى هذا الفصل شمة من أسرار الأئمة الهداة و البررة السادات، و الميامين الولاة، و نطقهم بالمغيبات، و إظهارهم الكرامات و إبرازهم الخفيات، توييخا لأهل الجهالات، الذين أنكروا هذه الحالات، و منعوا هذه الصفات، و زعموا أنهم من العداة.

و كيف لا يطلعون على الغيب «١»؟

(١) إن الذى يدعى علم الغيب للإمام و النبى: لا يدعى على نحو الاستقلالية، بل يدعى أن الله أطلع نبيه و أهل بيته على الامور الغيبية التى لم يطلع عليها أحدا.

و إن شئت قلت: علم الغيب لذات الشخص و بلا توسط من الغير هو العلم الثابت لواجب الوجود و الذى هو عين الذات، و هذا مختص بالله و لغيره كفر.

أما العلم بالغيب الذى هو بتوسط الله تعالى و ليس هو عين الذات، فهذا الذى علمته الأئمة و رسول الله صلى الله عليه و آله و عليه دلت الآيات و الروايات:

فعن أبى عبد الله الصادق عليه السلام قال: «و الله لقد أعطينا علم الأولين و الآخرين».

فقال له رجل من أصحابه: «جعلت فداك أ عندكم علم الغيب؟

فقال له عليه السلام: «ويحك إنى أعلم ما فى أصلاب الرجال و أرحام النساء، و يحكم و سعو صدوركم و لتبصر أعينكم و لتع قلوبكم، فنحن حجة الله تعالى فى خلقه و لن يسع ذلك إلّا صدر كل مؤمن قوى قوته كقوة جبل تهامة إلّا بإذن الله، و الله لو أردت أن أحصى لكم كل حصة عليها لأخبرتكم» (بحار الأنوار: ٢٦ / ٢٨ ح ٢٨ باب جهات علومهم عن مناقب آل أبى طالب: ٣ / ٣٧٤).

و قال رسول الله صلى الله عليه و آله لعلى: «إن الله أطلعنى على ما شاء من غيبه و حيا و تنزيلا و اطلعك عليه إلهاما» (مشارك أنوار اليقين: ١٣٥-١٣٦ و ٢٥ و فى بحار الأنوار: ٢٦ / ٤ ح ١: «أنا صاحب اللوح المحفوظ ألهمنى الله علم ما فيه».

و قيل لأبى جعفر عليه السلام: إن شيعتك تدعى أنك تعلم كيل ما فى دجلة. و كانا جالسين على دجلة.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: «يقدر الله عز و جل أن يفوض علم ذلك إلى بعوضة من خلقه؟»

قال: نعم.

فقال عليه السلام: «أنا أكرم على الله من بعوضته» ثم خرج. (إثبات الوصية: ١٩١ - ١٩٢).

ص: ١٠٨

و قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة يصف فيها الإمام: «فهو الصدق و العدل. يطلع على الغيب و يعطى التصرف على الإطلاق» (بحار الأنوار: ٢٥ / ١٧٠ ح ٣٨ و مشارق أنوار اليقين: ١١٥).

و قال الإمام الصادق عليه السلام: «يا مفضل من زعم أن الإمام من آل محمد يعزب عنه شيء من الأمر المحتوم فقد كفر بما نزل على محمد، و إنا لنشهد أعمالكم و لا يخفى علينا شيء من أمركم، و إن أعمالكم لتعرض علينا، و إذا كانت الروح و ارتاض البدن أشرفت أنوارها، و ظهرت أسرارها و أدركت عالم الغيب» (مشارق أنوار اليقين: ١٣٨).

و قال أمير المؤمنين عليه السلام: «و الله لو شئت أن أخبر كل رجل منكم بمخرجه و مولجه و جميع شأنه لفعلت، و لكن أخاف أن تكفروا في رسول الله صلى الله عليه و آله، ألا و إني مفضيه إلى الخاصة» (نهج البلاغة:

٢٥٠ الخطبة ١٧٥).

و قالت عائشة للإمام الحسن عليه السلام بعد أن أخبرها بما فعلته يوم وفاة الأمير و لم يطلع عليه أحد سواها:

يا ابن خبوت جدك و أبوك في علم الغيب، فمن ذا الذي أخبرك بهذا عنى!! (الهداية الكبرى: ١٩٧ - ١٩٨، ذيل الباب الرابع).

و عند ما أخبرها بخفايا ضميرها و ما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه و آله من حربها الأمير عليه السلام قالت: جدك أخبرك بذلك أم هذا من غيبك؟!

قال عليه السلام: «هذا من علم الله و علم رسوله و علم أمير المؤمنين» (الهداية الكبرى: ١٩٧ - ١٩٨، ذيل الباب الرابع).

و قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام لمن سألته عن القائم المنتظر عجل الله فرجه: «ألسنا قد قلنا لكم لا تسألونا عن علم الغيب فنخرج ما علمنا منه إليكم فيسمعه من لا يطيق استماعه فيكفر» (الهداية الكبرى: ٣٣٤ باب ١٣).

و عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «ألا إن للعبد أربع أعين: عينان يبصر بهما أمر دينه و دنياه، و عينان يبصر بهما أمر آخرته، فإذا أراد الله بعبد خيرا فتح له العينين في قلبه فأبصر بهما الغيب في أمر آخرته [و أمر آخرته]» (الخصال: ١ / ٢٤٠ ح ٩٠ باب الأربعة).

و رواه المتقى الهندي في كنز العمال بلفظ: «ما من عبد إلّا و في وجهه عينان يبصر بهما أمر الدنيا، و عينان في قلبه يبصر بهما أمر الآخرة، فإذا أراد بعبد خيرا فتح عينيه اللتين في قلبه: فأبصر بهما ما وعده بالغيب، فأمن بالغيب على الغيب» (كنز العمال: ٢ / ٤٢ ح ٣٠٤٣).

و فى قصة أبى يوسف و محمد بن الحسن صاحبى أبى حنيفة ما يؤكّد علم الإمام الكاظم عليه السّلام للغيب حيث قال أحدهما لصاحبه: جئنا لنسأله عن الفرض و السنّة و هو الآن جاء بشيء من علم الغيب.

فسألاه: من أين أدركت أمر هذا الرجل الموكل بك أنّه يموت فى هذه الليلة؟

قال الإمام عليه السّلام: «من الباب الذى أخبر بعلمه رسول الله صلّى الله عليه و آله على بن أبى طالب عليه السّلام» (الخراج و الجرائح: ٢٨٧ - ٢٨٨ الباب الثامن).

ص: ١٠٩

و أيضا فى قصة إخبار الإمام الرضا عليه السّلام ابن هذاب بما يجرى عليه ما يزيل الشكّ فى الباب حيث قال عليه السّلام له: «إن أخبرتك أنّك ستبلى فى هذه الأيام بذى رحم لك كنت مصدقا لى؟»

قال: لا، فإن الغيب لا يعلمه إلّا الله تعالى.

قال عليه السّلام: «أو ليس الله يقول: **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ** فرسول الله صلّى الله عليه و آله عند الله مرتضى، و نحن ورثة ذلك الرسول الذى أطلعه الله على ما يشاء من غيبه، فعلمنا ما كان و ما يكون إلى يوم القيامة، و إن الذى أخبرتك يا ابن هذاب لكائن إلى خمسة أيّام، فإن لم يصح ما قلت فهذه المدّة، و إلّا فإنّى كذاب مفتر، و إن صحّ فتعلم أنّك الراد على الله و على رسوله.

و لك دلالة أخرى فتصاب ببصرك و تصير مكفوفاً فلا تبصر سهلاً و لا جبلاً و هذا كائن بعد أيام.

و لك عندى دلالة أخرى أنّك ستحلف يمينا كاذبة فتضرب بالبرص.

قال محمد بن الفضل: بالله لقد نزل ذلك كلّه بابن هذاب (الخراج و الجرائح: ٣٠٦ الباب التاسع).

✽ أقول: هذه رواية صريحة فى علمهم للغيب لا ينكرها إلّا ناصبى.

و عن أمير المؤمنين عليه السّلام فى خطبة له: «و الإمام يا طارق بشر ملكى و جسد سماوى، و أمر إلهى و روح قدسى، و مقام علىّ و نور جلىّ و سرّ خفىّ، فهو ملك الذات إلهى الصفات، زائد الحسنات عالم بالمغيبات؛ خصّاً من ربّ العالمين و نصّاً من الصادق الأمين» (بحار الأنوار: ٢٥ / ١٧٢ ح ٣٨ باب جامع فى صفات الإمام).

و عن أبى جعفر الجواد عليه السّلام لما أخبر أمّ الفضل بنت المأمون بما فاجأها ممّا يعترى النساء عند العادة.

قالت له: لا يعلم الغيب إلّا الله.

قال عليه السلام: «و أنا أعلمه من علم الله تعالى» الإرشاد إلى ولاية الفقيه: ٢٥٤.

✽ أقول: وهذه رواية أخرى تنص على علمهم للغيب فلا تغفل و أزل الشك من قلبك.

و فى خطبة لأمير المؤمنين يذكر فيها صفات الإمام جاء فيها: «و يلبس الهيبة و علم الضمير، و يطلع على الغيب و يعطى التصرف على الإطلاق» مشارق أنوار اليقين: ١١٥ ..

هذا إضافة إلى روايات إخبارهم بأمور غيبية جزئية ليس هنا محل ذكرها.

و قال تعالى: **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ الْجَن:** ٢٦.

قال الإمام الرضا عليه السلام لعمر بن هذاب عند ما نفى عن الأئمة عليهم السلام علم الغيب محتجا بهذه الآية: «إن رسول الله هو المرتضى عند الله، و نحن ورثة ذلك الرسول الذى أطلعه الله على غيبه فعلمنا ما كان و ما يكون إلى يوم القيامة» (بحار الأنوار: ١٢ / ٢٢ و ١٥ / ٧٤).

و قال أبو جعفر عليه السلام: **«إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ»** و كان و الله محمد ممن ارتضاه» (الإرشاد الى ولاية الفقيه: ٢٥٧، و قريب منه فى الخرائج و الجرائح: ٣٠٦).

و قال: **ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ - تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ** آل عمران: ٤٤، هود:

٤٩، يوسف: ١٠٢.

ص: ١١٠

و علمه واجب لهم من وجوه: الأول أن الله سبحانه سطر فى اللوح المحفوظ علم ما كان و ما يكون، ثم أبرز إلى كل نبي منهم ما يكون له و لأوصيائه، إلى ظهور الشريعة التى تأتى بعده حتى ختمت الرسل بفاتهم، و ختمت الشرائع بخاتمها، فوجب أن يكون عنده علم ما سبق و ما يلحق إلى يوم القيامة، لكونه خاتما لأن كتابه الجامع المانع، ثم إنه ليلة المعراج لما وصل المقام الأسنى، و كان قاب قوسين أو أدنى، و علا على اللوح المحفوظ رفعة و علما، و خوطب من الأسرار الإلهية بما ليس فى اللوح، فكان علم الغيب الأول و الآخر عنده و له «١»، بل هو اللوح المحفوظ لأنه السابق على الكل وجودا، و الممد للكل جودا،

و قال: **وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ**. النساء: ١١٣، و هى عامة.

وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ يس: ١٢. و الإمام المبين هو أمير المؤمنين على عليه السلام (ينابيع المودة: ١ / ٧٧ ط. اسلامبول و ٨٧ ط. النجف، و تفسير نور الثقلين: ٤ / ٣٧٩ مورد الآية و الهداية الكبرى: ٩٨ الباب الثانى و الأنوار النعمانية: ١ / ٤٧ و: ٢ / ١٨).

و قال تعالى: وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ
يونس: ٦١، و سبأ: ٣.

و قال عز من قائل: وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا النَّبَأُ: ٢٩. و هم الكتاب المبين (ينابيع المودة:

١ / ٨١ ط. النجف و ١ / ٧١ ط. تركيا و مشارق أنوار اليقين: ١٣٦).

و قال تعالى: وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ الْأَعْرَاف: ١٥٦.

فروى عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسيرها: «علم الإمام، و وسع علمه الذى هو من علمه كل شيء» (نور الثقلين: ٢ / ٧٨ ح ٢٨٨ عن الكافى).

و قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا رحمة الله التى وسعت كل شيء» (الهداية الكبرى: ٤٠٠).

(١) الصحيح أن زمن علمهم هو عالم الأنوار و قد فصلناه فى كتاب علم آل محمد عليهم السلام و إليك مجمله:

* زمن علم آل محمد عليهم السلام قال رسول الله صلى الله عليه و آله «نبئت و آدم بين الروح و الجسد» «و جبت النبوة لى و آدم بين الروح و الجسد» «كنت نبياً و آدم بين الروح و الجسد» (فضائل ابن شاذان: ٣٤، كنز العمال: ١٢ / ٤٢٦ ح ٣٥٥٨٤ و ١١ / ٤٠٩ - ٤٥٠ ح ٣٢١١٥ و ٣١٩١٧، و الشريعة للآجرى: ٤١٦ - ٤٢١ - عدة أحاديث-، و الشفاء:

١ / ١٦٦، و سنن الترمذى: ٥ / ٥٨٥، و المعجم الكبير: ٢٠ / ٣٥٣، و الفردوس بمأثور الخطاب:

٣ / ٢٨٤ ح ٤٨٥٤).

فكونه نبياً ينبأ فى غاية الوضوح و الدلالة على تلقيه العلوم فى ذلك العالم؛ إذ يستحيل أن الله اتخذهُ نبياً و نبأهُ و هو فاقد للعلم.

و عن الإمام الباقر عليه السلام: «إن الله أول ما خلق خلق محمداً و عترته الهداة المهديين، فكانوا أشباح نور

ص: ١١١

بين يدي الله».

قلت: و ما الأشباح؟

قال: «ظلّ النور أبدان نورانية بلا أرواح، و كان مؤيداً بروح واحدة هى روح القدس» (أصول الكافى: ١ / ٤٤٢ ح ١٠ مولد النبى).

و عن الإمام العسكري عليه السلام: «هذا روح القدس الموكل بالأئمة عليهم السلام يوفقهم و يسددهم و يزينهم بالعلم» (الأنوار النعمانية: ١٨ / ٢).

و فى حديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال فيه: «فلما أراد أن يخلق الخلق نشرهم بين يديه فقال لهم من ربكم؟

فكان أول من نطق رسول الله و أمير المؤمنين و الأئمة صلوات الله عليهم، فقالوا: أنت ربنا، فحملهم العلم و الدين، ثم قال للملائكة: هؤلاء حملة علمى و دينى و أمنائى فى خلقى و هم المسئولون» (بحار الأنوار: ١٥ / ١٦ باب بدء خلق النبى ح ٢٢، و: ٢٦ / ٢٧٧ ح ١٩ باب تفضيلهم على الأنبياء، و التوحيد للصدوق: ٣١٩ باب معنى: **وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ** ح ١ باب ٤٩ ط. قم).

و عن رسول الله صلى الله عليه و آله فى حديث جاء فيه: «ثم جعلنا عن يمين العرش، ثم خلق الملائكة فهللنا فهللت الملائكة، و كبرنا فكبرت الملائكة، و كان ذلك من تعليمى و تعليم على، و كان ذلك فى علم الله السابق أن الملائكة تتعلم منا التسبيح و التهليل، و كل شىء يسبح لله و يكبره و يهلله بتعليمى و تعليم على» (بحار الأنوار: ٢٦ / ٣٤٥ باب فضل النبى و آله ح ١٨، و مشارق أنوار اليقين: ٤٠، و الأنوار النعمانية: ١ / ٢٢).

و قال صلى الله عليه و آله: «يا على نحن أفضل (من الملائكة) خير خليفة الله على بسيط الأرض و خيرة الله المقربين، و كيف لا نكون خيرا منهم؟ و قد سبقناهم إلى معرفة الله و توحيده؟! فبنا عرفوا الله و بنا عبدوا الله و بنا اهتدوا السبيل إلى معرفة الله» (بحار الأنوار: ٢٦ / ٣٤٩ - ٣٥٠ ح ٣٣).

و عن الإمام الصادق عليه السلام: «نحن شجرة النبوة و معدن الرسالة، و نحن عهد الله و نحن ذمة الله، لم نزل أنوارا حول العرش نسبح فيسبح أهل السماء لتسبيحنا، فلما نزلنا إلى الأرض سبّحنا فسبح أهل الأرض؛ فكل علم خرج إلى أهل السماوات و الأرض فمنا و عنا» (بحار الأنوار: ٢٥ / ٢٤ ح ٤١ و مشارق أنوار اليقين: ٤٥).

و قال الإمام الصادق عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «إن الله مثل لى أمتى فى الطين و علّمت الأسماء كما علم آدم الأسماء كلّها» (بصائر الدرجات: ٨٥ باب أنه عرف ما رأى فى الأظلة ح ٧).

و فى رواية عن الإمام الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «إن ربي مثل لى أمتى فى الطين و علّمنى أسماء الأنبياء - و فى نسخة الأشياء - كما علّم آدم الأسماء كلّها فمر بى أصحاب الرايات، فاستغفرت لعلى و شيعته» (بصائر الدرجات: ٨٦ باب أنه عرف ما رأى فى الأظلة ح ١٥).

و قال الإمام الجواد عليه السلام: «أنا محمد بن على الرضا أنا الجواد، أنا العالم بأنساب الناس فى الأصلاب

ص: ١١٢

فعلّم ما كان و ما يكون عنده و عند أوصيائه.

و احتجاج الجاهلين، و وقوف المقلّدين عند قوله «لا أعلم ما وراء هذا الجدار إلّا ما علّمنى ربّى» فيه أسرار كثيرة: الأوّل أنه شهد أن علمه من الله الذى اختاره و اصطفاه، الثانى قوله: لا أعلم، أى لا أنطق من العلم و لو بما وراء هذا الجدار إلّا إذا أمرت لأنه كان ينتظر

أنا أعلم بسرّائركم فظواهركم، و ما أنتم صائرون إليه، علم منحنا به من قبل خلق الخلق أجمعين فى الهداية الكبرى: علما أورثناه الله قبل الخلق أجمعين، و بعد فناء السّماوات و الأرضين، و لو لا تظاهر أهل الباطل و دولة أهل الضلالة، و وثوب أهل الشك؛ لقلت قولاً تعجب منه الأوّلون و الآخرون».

ثم وضع يده الشريفة على فيه و قال: «يا محمّد اصمت كما صمت آباؤك من قبل».

(مشارك أنوار اليقين: ٩٨ الفصل الحادى عشر، و الهداية الكبرى: ٢٩٦ باب ١١).

و روى صاحب بستان الكرامة أن النبى صلّى الله عليه و آله كان جالسا و عنده جبرائيل عليه السّلام فدخل على عليه السّلام فقام له جبرائيل عليه السّلام.

فقال النبى صلّى الله عليه و آله: «أتقوم لهذا الفتى؟».

فقال له عليه السّلام: نعم إن له علىّ حقّ التعليم.

فقال النبى صلّى الله عليه و آله: كيف ذلك التعليم يا جبرائيل؟

فقال: لما خلقنى الله تعالى سألتنى من أنت و ما اسمك و من أنا و ما اسمى؟

فتحيّرت فى الجواب و بقيت ساكنا، ثم حضر هذا الشاب فى عالم الأنوار و علّمنى الجواب، فقال: «قل: أنت ربّى الجليل و اسمك الجليل و أنا العبد الذليل و اسمى جبرائيل».

و لهذا قمت له و عظمته. (الأنوار النعمانية: ١ / ١٥).

و روى الصفورى قول أمير المؤمنين عليه السّلام: «سلونى قبل أن تفقدونى عن علم لا يعرفه جبرائيل و ميكائيل» (نزّهة المجالس: ١٢٩ / ٢ ط. التقدم العلمية بمصر ١٣٣٠ هـ، و ١٤٤ / ٢ ط. بيروت المكتبة الشعبانية المصورة عن مصر الأزهرية ١٣٤٦ هـ).

و قد أشار محبى الدين ابن عربى فى خطبة الفتوحات المكية إلى ذلك بقوله:

«الحمد لله الذى جعل الإنسان الكامل معلّم الملك و أدار بانقساره طبقات الفلك».

و فى حديث الإمام الصادق عليه السلام مع المفضل بعد ذكر الإمام رجعة أصحاب الكساء و شكايتهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ما حلّ بهم قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام لفضّة: «يا فضّة لقد عرفه رسول الله و عرف الحسين اليوم بهذا الفعل (ضرب فاطمة و إسقاط المحسن عليهما السلام) و نحن فى نور الأظلة أنوار عن يمين العرش» (الهداية الكبرى: ٤٠٨ باب ١٤).

هذا و روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «فى قاب قوسين علّمنى الله القرآن و علّمنى الله علم الأولين» (لوامع أنوار الكوكب الدرّى: ١ / ١١٧ - ١١٨).

ص: ١١٣

الغيب إذا سئل، و هم يقولون: معلم مجنون، فكيف لو نطق به قبل أن يسأل أو قبل أن يؤمر و ادعاه و هم متهموه بالسحر و الكهانة، لكان ذاك منافيا للحكمة، و كان إذا سئل صبر حتى يؤمر، ليندفع ظن الملحدين فيه. و كيف يحجب عنهم علم الغيب و الكرامات و هم خلفاء الله على الخلائق و أماناؤه على الحقائق؟ و ويل للمنكر و المنافق.

فمن ذلك. (الفصل الأوّل): فى أسرار النبي المصطفى و بعده آله الذين اصطفى.

ص: ١١٤

[الفصل الأوّل] أسرار النبي الأعظم صلى الله عليه وآله

فمن ذلك أسرار مولده: رواه زياد بن المنذر عن ليث بن سعيد قال: قلت لكعب الأحبار و هو عند معاوية، كيف تجدون صفة مولد النبي صلى الله عليه وآله؟ و هل تجدون لعترته فضلا؟ فالتفت إلى معاوية لينظر كيف هو فأنطقه الله فقال: هات يا أبا إسحاق، فقال كعب: إننى قرأت اثنين و سبعين كتابا نزلت من السماء، و قرأت صحيفة دانيال و وجدت فى الكل مولده و مولد عترته، و إن اسمه لمعروف، و لم يولد نبي نزلت عليه الملائكة قط ما خلا عيسى و أحمد، و ما ضرب على آدمية حجب البتّة غير مريم و آمنة، و كان علامة حملة أن نادى مناد فى السماء فى الليلة التى حملت به آمنة عليها السلام: أبشروا يا أهل السماء، فقد حمل الليلة بأحمد، و فى الأرض كذلك حتى فى البحور، و ما بقى يومئذ فى الأرض دابة تدبّ و لا طائر يطير، إلّا و علم بمولده صلى الله عليه وآله، و لقد بنى فى الجنة ليلة ولادته سبعون ألف قصر من ياقوت أحمر، و سبعون ألف قصر من اللؤلؤ الرطب، و سمّيت قصور الولادة، و قيل للجنة: اهتزّى و ازيّنى، فإن نبي أوّلئك قد ولد، فضحكت الجنة يومئذ فهى ضاحكة إلى يوم القيامة، و بلغنا أن حوتا من حيتان البحر يقال له طموسا و هى سيّدة الحيتان، لها سبعمائة ألف ذنب تمشى على ظهور سبعمائة ألف ثور، الواحد أكبر من الدنيا، لكل ثور منها سبعمائة ألف قرن من زمرّد أخضر اضطرب فرحا لمولده، و لو لا أن الله تعالى ثبته لجعل عاليها سافلها، و بلغنا يومئذ أنه ما بقى جبل إلّا لقى صاحبه بالبشارة و يقول: لا إله إلّا الله، و لقد خضعت الجبال كلّها لأبى قبيس كرامة لمحمد صلى الله عليه وآله، و لقد قدّست الأشجار أربعين يوما بأغصانها، و أزهارها و ثمارها، فرحا بمولده، و لقد ضرب بين السماء و الأرض سبعون عمودا من نور، و لقد بشرّ آدم بمولده فزاد فى حسنه سبعين ضعفا، و لقد بلغنى أن الكوثر اضطرب فرحا و طما ماؤه حتى رمى ألف قصر من قصور الجنة من الدرّ و الباقوت نثارا لمولده، و لقد زم إبليس و سبل و ألقى فى الحفير أربعين يوما، و لقد تنكست الأصنام كلّها و صاحت، و سمعوا صوتا من

الكعبة يقول:

يا قریش جاءکم البشیر، جاءکم النذیر، معه عمر الأبد، و الرمح الأكبر، و هو خاتم الأنبياء، و نجد فی الكتب أن عترته خیر البشر، و لا تزال الناس فی أمان من العذاب ما دامت عترته فی الدنيا، فقال معاوية: یا أبا إسحاق و من عترته؟ فقال: من ولد فاطمة، فعبس معاوية وجهه، و عضّ علی شفته، و قام من مجلسه «١».

و من ذلك من خواص مولده صلّى الله علیه و آله ما نزل فی الإنجیل: یا عیسی جد فی أمری و لا تهزل، و اسمع و أطع یا ابن الطهر البتول، خلقتک من غیر فحل آية للعالمین، فإیای فاعبد و علی فتوکّل، خذ الكتاب بقوة فبشر لأهل سوريا بالسريانية، تلمح من بین یدیک أنّی أنا الله الدائم، صدقوا النبی الأمّی صاحب الجمل، و الدرع و التاج، و هی العمامة، و البغل و الهراوة، و هی القضيب، الأكحل العين الصلت الجبین الواضح الخدين الأقنى الأنف المفلج الثنايا كأن عنقه إبريق فضة كأن الدهن یجرى فی تراقیه، أسمر اللون إذا مشى فکأنما ینقلع من صخر و ینحدر من صلب، عرقه فی وجهه كاللؤلؤ أو ریح المسک، لم یر قبله مثله أو بعده مثله، نکاح النساء قليل النسل و إنّما نسله من مبارکة لها بیت فی الجنة من قصب لا صخب فيه و لا نصب، یکفلها فی آخر الزمان کفل زکریا أمک لها فرخان یستشهدان، کلامه القرآن، و دینه الإسلام، و أنا السلام، طوبی لمن أدرك زمانه، و سمع کلامه «٢».

و من ذلك ما رواه ابن عباس عنه من نطقه بالغیب و إخباره بالملاحم، قال: حججنا مع رسول الله صلّى الله علیه و آله حجة الوداع فجاء حتى أخذ بحلقة باب الکعبة ثم أقبل علينا بوجهه و هو كالشمس فی الضحیة ثم قال: أ لا أخبرکم بأشراط الساعة؟ فقلنا: بلی یا رسول الله،

فقال: إنّ من اشراط الساعة إضاعة الصلاة، و اتباع الشهوات، و تعظیم المال، و بیع الدین بالدنيا فعندها یدوب قلب المؤمن فی جوفه كما یدوب الملح فی الماء، ممّا یرى من المنکر فلا یستطیع إنکاره، فقال سلمان: و کل هذا کائن یا رسول الله؟ فقال: إی و الذی نفس محمد

(١) الحديث بطوله فی البحار: ١٥ / ٢٦١ ح ١٢ مع تفاوت ببعض الألفاظ.

(٢) بحار الأنوار: ١٤ / ٢٨٤ ح ٦، و فيه تفاوت ببعض الألفاظ مثلاً بدل الدهن الذهب.

بیده، فعندها یلیهم من الأمراء الجور و الوزراء الفسق، و العرفاء الظلم، و الامناء الخيانة، فعندها یكون المنکر معروفاً و المعروف منکراً، و یصدق الکاذب و یکذب الصادق، و تتأمر النساء و تشاور الإمام و تعلو الصبيان المنابر، و یكون الفجور طرفاً، و الزکاة

مغرما و الغنى مغنما، و يجفو الرجل والديه و يبرّ «١» صديقه، و يطلع الكوكب المذنب فعندها تشارك المرأة زوجها فى التجارة، و يكون المطر قضا فإذا دخلت السوق فلا ترى إلّا داما لربّه، هذا يقول: لم أبع شيئا، و هذا يقول: لم أربح شيئا، فعندها يملكهم قوم إن تكلموا قتلوهم، و إن سكتوا استباحوهم، يسفكون دماءهم و يملئون قلوبهم رعبا، فلا تراهم إلّا خائفين مرعوبين، فعندها يؤتى بشيء من المشرق و شيء من المغرب، فالويل لضعفاء أمتى منهم و الويل لهم من الله، لا يرحمون صغيرا و لا يوقرون كبيرا، قلوبهم قلوب الشياطين، فعندها يلتقى الرجال بالرجال، و النساء بالنساء، و يغار على الغلام كما يغار على الجارية فى بيت أهلها، و تشبه الرجال بالنساء و النساء بالرجال، و تلعو الفروج السروج، فعلى أولئك من أمتى لعنة الله، فعندها تزخرف المساجد و المصاحف، و تعلى المنابر و تكثر الصفوف، قلوب متباغضة، و ألسن مختلفة، فعندها تحلى ذكور أمتى بالذهب، و يلبسون الحرير و الديباج و يظهر الربا و يتعاملون بالرشوة، و يستعملون الغيبة، فعندها يكثر الطلاق، فلا يقام لله حدّ فعندها يحجّ ملوك أمتى للنزهة، و تحجّ أوساطهم للتجارة، و تحجّ فقراؤهم للرياء و السمعة، فعندها يتعلّمون القرآن لغير الله و يتخذونه مزامير و يتفقهون للجدال، و يكثر أولاد الزنا و يعفون بالقرآن، و يتهافنون على الدنيا، فإذا انتهكت المحارم، و اكتسبت المآثم، سلط الأشرار على الأخيار، فهناك يفسد الكذب، و يتهافنون فى اللباس و يمطرون فى غير أوان المطر، و ينكرون الأمر بالمعروف فى ذلك الزمان حتى يكون المؤمن أذلّ من الأمة، و تظهر قراؤهم فيما بينهم التلاوة و العداوة، أولئك يدعون فى ملكوت السماء الأرجاس و الأنجاس فهناك يخشى الغنى من الفقير أن يسأله، و يسأل الناس فى محافلهم فلا يضع أحد فى يده شيئا فعندها يتكلم من لم يكن متكلمًا فلم يلبثوا هناك إلّا قليلا حتى تخور الأرض خورة حتى يظن كل قوم أنّها خارت فى ناحيتهم، ثم يمكثون ما شاء الله، ثم يمكثون فى مكثهم فتلقى لهم

(١) فى المطبوع يثر و جاء فى نسخة خطية: يبر.

ص: ١١٧

الأرض أفلاذ أكبادها ذهبا و فضة، فيومئذ لا ينفع ذهب و لا فضة «١».

و من ذلك من إخباره بالغيب أنه مسح التراب عن وجه عمّار بن ياسر يوم الخندق و قال:

تقتلك الفتنة الباغية «٢».

و قال لأبى ذر: كيف أنت إذا طردت و نفيت و أخرجت إلى الربذة «٣»؟

و قال: تبنى مدينة بين دجلة و دجيل و الفرات و قطر، بل تجبى إليها خزائن الأرض و يكون الخسف بها «٤»، يعنى بغداد.

و من كراماته صلى الله عليه و آله أنّه لما اشتد الأمر على المسلمين يوم الخندق صعد صلى الله عليه و آله مسجد الفتح و صلى ركعتين ثم قال: اللهم إن تهلك هذه العصابة لن تعبد بعدها فى الأرض، فجاءت الملائكة فقالت: يا رسول الله إن الله قد أمرنا

بالطاعة لك فمرنا بما شئت، فقال: زعزعوا المشركين واطردوهم، وكانوا من ورائهم، ففعلوا ذلك، فقال أبو سفيان لأصحابه: إن كنّا نقاتل أهل الأرض فلنا القدرة عليهم و إن كنّا نقاتل أهل السماء فما لنا طاقة بأهل السماء «٥».

و من ذلك من أسرار مولده صَلَّى الله عليه و آله أن الملك سيف بن ذى يزن قال لعبد المطلب رضى الله عنه: إننى أجد فى الكتاب المكنون، و العلم المخزون، أنه إذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة، و لكم الزعامة إلى يوم القيامة، تموت أمّه و أبوه و يكفله جدّه و عمّه، ولد فى عام الفيل و توفى أبوه و هو ابن شهرين. و ماتت أمّه و هو ابن أربع سنين، و مات عبد المطلب و هو ابن ثمان سنين، و كفله عمّه أبو طالب عليه السّلام «٦».

و من كراماته صَلَّى الله عليه و آله أن أبا ذر لما جاء إليه و أسلم على يده قال له: ارجع إلى بلادك فإنّ ابن عمّك قد مات، و قد خلف مالا فاحتو عليه و البث فى بلادك إلى وقت كذا و أتى.

(١) بحار الأنوار: ٦ / ٣٠٧ ح ٦ بتفاوت.

(٢) مسند البزار: ٢ / ٢١٥ ح ٦٠٤، و المعجم الأوسط: ٩ / ١٩٨ ح ٨٤٢٧، و مسند الشافعى: ١ / ٣٤٢، و المستدرک: ٣ / ١٣١.

(٣) البحار: ١٨ / ١١١ ح ١٨.

(٤) البحار: ١٨ / ١١١ ح ١٨.

(٥) بحار الأنوار: ٢٠ / ٢٤٨ ح ١٧.

(٦) بحار الأنوار: ١٥ / ١٨٨ ح ١١ عن الكافى.

ص: ١١٨

فرجع إلى اليمن فوجد كما أخبره رسول الله صَلَّى الله عليه و آله فاحتوى على المال، و بقى فى بلاده حتى ظهر رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و أتى إليه.

و من ذلك ما رواه وهب بن منبه عن ابن عباس: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله: لمّا عرج بى إلى السماء نادانى ربى يا محمد، إننى أقسمت بى و أنا و الله الذى لا إله إلّا أنا أنى أدخل الجنة جميع أمّتك إلّا من أبى، فقلت: ربى و من يابى دخول الجنة؟ فقال: إننى اخترت نبيا، و اخترت عليا وليا، فمن أبى عن ولايته فقد أبى دخول الجنة لأنّ الجنة لا يدخلها إلّا محبّه، و هى محرّمة على الأنبياء حتى تدخلها أنت و على و فاطمة و عترتهم و شيعتهم، فسجدت لله شكرا، ثم قال لى: يا محمد إنّ عليا هو الخليفة بعدك، و إنّ قوما من أمّتك يخالفونه و إنّ الجنة محرّمة على من خالفه و عاداه، فبشّر عليا أن له هذه الكرامة منى و أنى سأخرج من صلبه أحد عشر نقيبا منهم سيّد يصلّى خلفه المسيح ابن مريم يملأ الأرض عدلا و قسطا كما ملئت جورا و ظلما،

فقلت: ربّي متى يكون ذاك؟ فقال: إذا رفع العلم، و كثر الجهل، و كثر القراء، و قلّ العلماء، و قلّ الفقهاء، و كثر الشعراء، و كثر الجور و الفساد، و التقى الرجال بالرجال، و النساء بالنساء، و صارت الأمناء خونة، و أعوانهم ظلمة، فهناك أظهر خسفاً بالمشرق و خسفاً بالمغرب، ثم يظهر الدجال بالمشرق، ثم أخبرني ربّي ما كان و ما يكون من الفتن من أمية و بنى العباس، ثم أمرني ربّي أن أوصل ذلك كلّ إلى على فأوصلته إليه و عن أمر الله «١».

و من ذلك من كراماته صلّى الله عليه و آله ما رواه ابن عباس قال: لمّا زوّج النبي عليا بفاطمة، استدعى تميرات و فضلة من سمن عربي، و حفنة من سويق، و جعلها في قصعة كانت لهم، ثم فركه بيده الشريفة التي هي منبع البركات و معدن الخيرات، و فياض النعمات، و رحمة أهل الأرض و السماوات، ثم قال: قدموا الصحاف و الجفان و القصاع، فقدمت؛ فلم يزل يملأ من ذلك الهيس الجفان و يحملونها الى بيوت المهاجرين و الأنصار، و القصعة تمتلئ و تفيض حتى اكتفى سائر الناس و القصعة على حالها.

و من كراماته صلّى الله عليه و آله و مكاشفاته ممّا تكلم به عند موته و الناس حوله فقال: ابيضت وجوه و اسودت وجوه، و سعد أقوام و شقى آخرون، سعد أصحاب الكساء الخمسة، و أنا سيدهم و لا

(١) بعضه في البحار: ٨ / ٥ ح ٨ و: ٤٧ / ٣٨١ ح ١٠٢.

ص: ١١٩

فخر، عترتي أهل بيتي السابقون أولئك المقربون، سعد من تبعهم و شايعهم، على ديني و دين آبائي، أنجزت موعدك يا رب، و اسودت وجوه أقوام يردون ظماء إلى نار جهنم مرق البغل الأول الأعظم، و الآخر و الثاني حسابهم على الله، و ثالث و رابع كل امرئ بما كسب رهين، و علقت الرهون، و اسودت الوجوه، و هلكت الأحزاب و قادت الأمراء بعضها بعضا إلى النار، كتاب دارس و باب مهجور و حكم بغير علم، مبغض على و آل على في النار، محبّ على و آل على في الجنة «١».

(١) بحار الأنوار: ٢٢ / ٤٩٤ ح ٤٠.

ص: ١٢٠

الفصل الثاني [أسرار أمير المؤمنين عليه السلام و غيبه]

و في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام أنه لمّا ولد في البيت الحرام، و كعبة الملك العلام، خرّ ساجدا ثم رفع رأسه الشريف فأذن، و أقام و شهد لله بالوحدانية، و لمحمد صلّى الله عليه و آله بالرسالة و لنفسه بالخلافة و الولاية، ثم أشار إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله فقال: اقرأ يا رسول الله؟ فقال: نعم، فابتدأ بصحف آدم فقرأها حتى لو حضر شيث لأقرّ أنه أعلم بها منه، ثم تلا صحف نوح و صحف إبراهيم و التوراة و الإنجيل، ثم تلا قد أفلح المؤمنون «١» فقال له النبي: نعم.

أفلحوا إذ أنت إمامهم. ثم خاطبه بما خاطب به الأنبياء الأوصياء، ثم سكت، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: عد إلى طفولتك فامسك «٢».

و من كراماته التي لا تحدّ و فضائله التي لا تعدّ: أن راهب اليمامة الأثرم كان يبشّر أبا طالب عليه السلام بقدوم على عليه السلام و يقول له: سيولد لك ولد يكون سيّد أهل زمانه، و هو الناموس الأكبر، و يكون لنبي زمانه عضداً و ناصراً و صهراً و وزيراً، فاني لا أدرك أيّامه فإذا رأيته فأقرئه منّي السلام، و يوشك أنّي أراه، فلما ولد أمير المؤمنين عليه السلام مرّ أبو طالب عليه السلام عليه ليعلمه فوجده قد مات، فرجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخذه و قبله فسلم عليه أمير المؤمنين و قال:

أبتي جئت من عند الراهب الأثرم الذي كان يبشرك بي و قصّ عليه قصة الراهب، فقال له أبو عبد مناف: صدقت يا ولي الله «٣».

و من ذاك ما رواه محمد بن سنان قال: بينما أمير المؤمنين عليه السلام يجهّز أصحابه إلى قتال معاوية إذا اختصم إليه اثنان، فلغى أحدهما في الكلام فقال له: اخساً يا كلب، فعوى الرجل

(١) المؤمنون: ١.

(٢) بحار الأنوار: ٣٥ / ١٨ و ٣٧ ح ١٤ و ٣٧ بتفاوت و الحديث طويل.

(٣) في المصادر: الراهب المثرم.

ص: ١٢١

لوقتته و صار كلباً، فبهت من حوله، و جعل الرجل يتضرّع إلى أمير المؤمنين عليه السلام و يشير بإصبعه فنظر إليه و حرّك شفّته فإذا هو بشر سوى، فقام إليه بعض أصحابه و قال مالك: أ نهّجّ الناس إلى قتال معاوية و لك مثل هذه القدرة؟ فقال: و الذي فلق الحبة، و برأ النسمة، لو شئت أن أضرب برجلي هذه القصيرة بهذه الفلوات حتى أضرب بها صدر معاوية فأقبله عن سريره لفعلت، و لكن **بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ* لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ «١»**.

و من ذلك قوله لمروان بن الحكم يوم الجمل و قد بايعه: خفت يا ابن الحكم أن ترى رأسك في هذه البقعة، كلا لا يكون ذلك حتى يكون من صلبك طواغيت يملكون هذه الأمة «٢».

و من ذلك كلامه في كربلاء و هو في التوجّه إلى صفّين فقال: صبرا أبا عبد الله بشاطى الفرات ثم بكى، و قال: هذا و الله مناخ القوم و محطّ رحالهم «٣».

و من ذلك قوله بصفين و قد سمع الغوغاء يقولون: قتل معاوية، فقال: ما قتل و لا يقتل حتى تجتمع عليه الامّة «٤».

و من ذلك ما رواه القاضى ابن شاذان عن أبان بن تغلب عن الصادق عليه السّلام قال: كان أمير المؤمنين على منبر الكوفة يخطب و حوله الناس فجاء ثعبان ينفخ فى الناس و هم يتحاودون عنه، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: «وسّعوا له» فأقبل حتى رقى المنبر و الناس ينظرون إليه، ثم قَبِلَ أقدام أمير المؤمنين عليه السّلام و جعل يتمرّع عليها، و نفخ ثلاث نفخات، ثم نزل و انسأب، و لم يقطع أمير المؤمنين عليه السّلام خطبته، فسأله عن ذلك فقال: هذا رجل من الجن ذكر أن ولده قتله رجل من الأنصار اسمه جابر بن سبيع عند خفان «٥» من غير أن يتعرّض له بسوء و قد استوهبت دم ولده. فقام إليه رجل طوال بين الناس و قال: أنا الرجل الذى قتلت الحية فى المكان المشار إليه، و إنى منذ قتلتها لا أقدر أن أستقر فى مكان من الصياح و الصراخ فهربت إلى الجامع، و أنا منذ سبع ليال هاهنا.

(١) الأنبياء: ٢٦، و الحديث فى بحار الأنوار: ٣٢ / ٣٨٥ ح ٣٥٧.

(٢) مدينة المعاجز: ٣٩ / ٢.

(٣) بحار الأنوار: ٢٢ / ٣٨٦ ح ٢٨.

(٤) بحار الأنوار عن الخرائج: ٤١ / ٢٩٨ ح ٢٧ و فيه لا يهلك.

(٥) خفان موضع بالكوفة.

ص: ١٢٢

فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: خذ جملك و اعقره فى مكان قتل الحية و امض لا بأس عليك «١».

و من كرامته عليه السّلام قوله: إن الله أعطانى ما لم يعط أحدا من خلقه، فتحت لى السبل، و علمت الأسباب و الأنساب، و أجرى لى السحاب، و لقد نظرت فى الملكوت فما غاب عنى شيء ممّا كان قبلى، و لا شيء ممّا يأتى بعدى، و ما من مخلوق إلّا و بين عينيه مكتوب مؤمن أو كافر نحن نعرفه، إذا رأيناه «٢».

و من ذلك قوله عليه السّلام لرميلة و كان قد مرض و أبل و كان من خواصّ شيعته فقال له: وعكت يا رميلة، ثم رأيت خفا فأتيت إلى الصلاة، قال: نعم يا سيدى، و ما أدراك؟ فقال: يا رميلة ما من مؤمن و لا مؤمنة يمرض إلّا مرضنا لمرضه، و لا حزن إلّا حزننا لحزنه، و لا دعا إلّا أمنا على دعائه، و لا سكت إلّا دعونا له، و ما من مؤمن و لا مؤمنة فى المشارق و المغارب إلّا و نحن معه «٣».

و من ذلك ما رواه الأصبغ بن نباتة عن زيد الشحام أن أمير المؤمنين عليه السّلام جاءه نفر من المنافقين فقال له: أنت الذى تقول أن هذا الجرى مسخ حرام؟ فقال: نعم، فقالوا: أرنا برهانك؟ فجاء بهم إلى الفرات، ثم نادى مناش مناش «٤»، فأجابه الجرى:

ليبيك، فقال له أمير المؤمنين: من أنت؟ فقال: ممن عرضت ولايتك عليه فأبى فمسخ، وإن فيمن معك من يمسح كما مسخنا و يصير كما صرنا، فقال أمير المؤمنين: بين قصتك ليسمع من حضر فيعلم.

فقال: نعم كنّا أربعة و عشرين قبيلة من بنى إسرائيل، و كنّا قد تمرّدنا و عصينا و عرضت علينا ولايتك فأبينا، و فارقنا البلاد و استعملنا الفساد فجاءنا آت أنت و الله أعلم به منّا فصرخ فينا صرخة فجمعنا جمعا واحدا، و كنّا متفرّقين فى البرارى فجمعنا لصرخته ثم صاح صيحة اخرى و قال: كونوا مسوخا بقدره الله فمسخنا أجناسا مختلفة، ثم قال: أيّتها القفار كونى أنهارا تسكنك هذه المسوخ و اتصلى ببحار الأرض حتى لا يبقى ماء إلّا و فيه من هذه

(١) بصائر الدرجات: ٢٠١ باب أنّهم جرى لهم ما جرى للرسول ح ٣-٤ و البحار: ٣٩ / ١٧٢ ح ١٤.

(٢) بحار الأنوار: ٣٩ / ٣٣٦ ح ٥.

(٣) بحار الأنوار: ٢٦ / ١٥٤ ح ٤٣.

(٤) فى البحار: هناس.

ص: ١٢٣

المسوخ كما ترى «١».

فصل

نازع فى هذا الحديث من اعترضه الشك فقال: نطق بلسان الحال أو بلسان المقال، فقلت له: أ ما تسمع قول الله تعالى: **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ «٢»** فجعله لمن يعقل، ثم عطف على من لا يعقل فقال: **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**، ثم قال: **إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا «٣»**، أخبر سبحانه أن كل شيء يسبح لربه بلسان الحال و لسان المقال، و لكن لسان المقال منه مستور عنكم لم يلزمكم الله بمعرفته، لأن العفو هو الستر فلو كشف الستر عنه عرفتموه مثل تسبيح الحصى بكف رسول الله صلى الله عليه و آله و إذا نطق الحصى الصوان بلسان المقال فلم لا ينطق الجرى و هو حيوان، و قوله:

إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا، يعنى أن سائر المخلوقات غير المكلفين يسبحون و لا يسأمون، و أنتم مع وجوب التكليف عليكم تتسبون و تسأمون، و هو مع جهلكم و سهوكم، حلیم عنكم و غفور لكم.

و من ذلك ما رواه عبيد السكسكى عن أبى عبد الله عليه السلام قال: **إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا قَدِمَ مِنْ صَفِينٍ وَقَفَ عَلَى شَاطِئِ الْفَرَاتِ، وَ أَخْرَجَ قَضِييَا أَخْضَرَ وَ ضَرَبَ بِهِ الْفَرَاتَ، وَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَانْفَجَرَتْ اثْنَتَى عَشْرَةَ عَيْنًا كُلَّ فَرْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ** ثم

تكلّم بكلام لم يفهموه، فأقبلت الحيتان رافعة أصواتها بالتهليل والتكبير، وقالت: السلام عليك يا حجّة الله في أرضه و عين الله الناظرة في عباده خذلك قومك كما خذل هارون بن عمران قومه، فقال لأصحابه: سمعتم؟

فقالوا: نعم، فقال هذه آية لى و حجّة عليكم «٤».

و من ذلك من قضاياه الغريبات و حلّه للمشكلات، أن رجلا حضر مجلس أبا بكر فادّعى

(١) بحار الأنوار: ٢٧ / ٢٧١ ح ٢٤.

(٢) الاسراء: ٤٤.

(٣) الاسراء: ٤٤ - ٤٥.

(٤) بحار الأنوار عن الخرائج: ٣٣ / ٤٦ ح ٣٩١.

ص: ١٢٤

أنه لا يخاف الله و لا يرجو الجنّة و لا يخشى النار، و لا يركع و لا يسجد، و يأكل الميتة و الدم و يشهد بما لم ير و يحبّ الفتنة، و يكره الحق و يصدّق اليهود و النصارى، و أن عنده ما ليس عند الله و له ما ليس لله، و أنا أحمد النبي و أنا على و أنا ربّكم، فقال له عمر: ازدددت كفرا على كفرك، فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: هوّن عليك يا عمر، فإنّ هذا رجل من أولياء الله لا يرجو الجنّة، و لكن يرجو الله و لا يخاف النار، و لكن يخاف ربّه و لا يخاف الله من ظلم، و لكن يخاف عدله لأنّه حكم عدل، و لا يركع و لا يسجد فى صلاة الجنّاة و يأكل الجراد و السمك، و يحبّ الأهل و الولد و يشهد بالجنّة و النار، و لم يرهما و يكره الموت و هو الحق، و يصدّق اليهود و النصارى فى تكذيب بعضهم بعضا، و له ما ليس لله لأنّ له ولدا و ليس لله ولد، و عنده ما ليس عند الله، فإنّه يظلم نفسه و ليس عند الله ظلم، و قوله: أنا أحمد النبي، أى أنا أحمدّه عن تبليغه الرسالة عن ربّه، و قوله: أنا على يعنى على فى قولى و قوله، و أنا ربّكم أى لى كم أرفعها و أضعها.

ففرح عمر و قام فقبل رأس أمير المؤمنين عليه السّلام و قال: لا بقيت بعدك يا أبا الحسن «١».

و من ذلك أن ابن الكواء قدم إلى أمير المؤمنين و هو يخطب فقال: إنّى وطأت على دجاجة ميتة فخرجت منها بيضة أ فأكلها؟ قال: لا، قال: فإن استفرختها فخرج منها فروخ فأكله؟

فقال: نعم. فقال: كيف ذاك؟ فقال: لأنّه حى خرج من ميت، و تلك ميتة خرجت من ميت «٢».

أقول: وكيف لا يكون ذاك كذلك؟ وقد روى الحسن البصرى أن الخضر لما التقى بموسى و كان بينهما ما كان جاء عصفور فأخذ قطرة من البحر فوضعها على يد موسى فقال الخضر: ما هذا؟ قال: يقول ما علمنا و علم سائر الأولين و الآخرين فى علم وصى النبى الأُمى إلّا كهذه القطرة فى هذا البحر «٣».

و روى ابن عباس عنه أنه شرح له فى ليلة واحدة من حين أقبل ظلامها حتى أسفر صباحها و طفى مصباحها فى شرح الباء من بسم الله و لم يتعد إلى السين، و قال: لو شئت

(١) بحار الأنوار عن المناقب: ٢٢١ / ٤٠ ح ٤ و الحديث طويل.

(٢) شرح الأخبار للقاضى: ٣٢٤ / ٢، و مناقب آل أبى طالب: ١٩٦ / ٢ و فيهما: استحضنتها.

(٣) بحار الأنوار: ١٨٦ / ٤٠ ح ٧١.

ص: ١٢٥

لأوقرت أربعين بعيرا من شرح بسم الله «١».

نعم هذا أخو النبى و وصيه، و نائب الحق و وليه، و أسد الله و عليه، و مختاره و رضىه، الذى و اسى النبى و ساواه، و بمهجته فى الملمات وقاه، و أجابه حين دعاه و لباه، و شيد الدين بعزمه و بناه، و كان بيت النبوة مرباه، و مبناه، و شمس الرسالة عرسه، و غصن الجلالة و النبوة ولده، الذى نصر الرسول و حماه، و غسل النبى و واره، و قام بدينه و دينه و قضاءه، وليد الحرم و ربيب الكرم، و فتاه الذى أباد الشرك و أفناه.

و من ذلك: أن رجلا من الخوارج مرّ بأمير المؤمنين عليه السّلام و معه حوتان من الجرى قد غطاهما بثوبه فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: بكم شريت أبويك من بنى إسرائيل؟

فقال له الرجل: ما أكثر ادّعاءك للغيب؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: أخرجهما.

فأخرجهما.

فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: من أنتما؟ فقالت إحداهما: أنا أبوه، و قالت الأخرى: أنا أمّه.

و من ذلك ما رواه محمد بن سنان قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السّلام يقول للرجل: يا مغرور إننى أراك فى الدنيا قتيلا بجراحة من عبد أم معمر تحكم عليه جورا فيقتلك توفيقا يدخل بذلك الجنة على رغم منك، و إن لك و لصاحبك الذى قمت مقامه صلبا و هتكا تخرجان من عند رسول الله صلى الله عليه و آله فتصلبان على أغصان دوحه يابسة فتورق فيفتتن بذاك من

والاك، فقال عمر: و من يفعل ذاك يا أبا الحسن؟ فقال: قوم قد فرقوا بين السيوف و أغمادها، ثم يؤتى بالنار التى أضرمت لإبراهيم و يأتى جرجيس و دانيال و كل نبي و صدّيق، ثم يأتى ريح فينسفكما فى أليم نسفا «٢».

و من ذلك: أن أمير المؤمنين عليه السّلام قال يوما للحسن: يا أبا محمد ما ترى عند ربى تابوتا من نار يقول يا على استغفر لى، لا غفر الله له.

و روى فى تفسير قوله تعالى: **إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** «٣»، قال: سأل رجل

(١) تذكرة الخواص: ١٥٣، و الطرائف: ١ / ٢٠٥ بتحقيقنا، و البحار: ١٨٦ / ٤٠ ح ٧١.

(٢) مدينة المعاجز: ٢ / ٤٤، و البحار: ١٣ / ٥٣ بتفاوت.

(٣) لقمان: ١٩.

ص: ١٢٦

أمير المؤمنين عليه السّلام ما معنى هذه الحمير؟

فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: الله أكرم من أن يخلق شيئا ثم ينكره، إنّما هو زريق و صاحبه فى تابوت من نار فى صورة حمارين إذا شهقا فى النار انزعج أهل النار من شدة صراخهما.

و من ذلك: أن الخوارج يوم النهروان جاءهم جواسيسهم فأخبروهم أن عسكر أمير المؤمنين عليه السّلام أربعة آلاف فارس فقالوا: لا ترموهم بسهم و لا تضربوهم بسيف، و لكن يروح كل واحد منكم إلى صاحبه برمحه فيقتله، فعلم أمير المؤمنين عليه السّلام بذلك من الغيب، فقال لأصحابه: لا ترموهم و لا تطاعنوهم، و استلوا السيف فإذا جاء كلا منكم غريمه فليقطع رمحه و يمشى إليه فيقتله فإنّه لا يقتل منكم عشرة، و لا يفلت منهم عشرة. فكان كما قال «١».

و من ذلك - أى من كراماته -: ما رواه ابن عباس أن رجلا قدم إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فاستضافه فاستدعى قرصا من شعير يابسة و قeba فيه ماء ثم كسر قطعة فألقاها فى الماء ثم قال للرجل: تناولها فأخرجها فإذا هى فخذ طائر مشوى، ثم رمى له أخرى، و قال: تناولها فأخرجها فإذا هى قطعة من الحلوى، فقال الرجل: يا مولاي تضع لى كسرا يابسة فأجدها أنواع الطعام، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: نعم هذا الظاهر و ذاك الباطن و إن أمرنا هكذا «٢».

و من ذلك: قصة فضة الجارية و أنها لما جاءت إلى بيت الزهراء عليها السّلام و لما دخلت بيت النبوة و معدن الرحمة و منبع العصمة، و دار الحكمة و أم الأئمة، لم تجد هناك إلّا السيف و الدرع و الرحى، و كانت فضة بنت ملك الهند و كان عندها ذخيرة من الإكسير، فأخذت قطعة من النحاس و ألانتها و جعلتها على هيئة سمكة و ألقت عليها الدواء و صبغتها ذهباً، فلما جاء أمير

المؤمنين عليه السّلام وضعتها بين يديه فلما رآها قال: أحسنت يا فضة لكن لو أذنبت الجسد لكان الصبغ أعلى و القيمة أعلى، فقالت: يا سيدي أ تعرف هذا العلم؟

فقال: نعم، و هذا الطفل يعرفه و أشار إلى الحسن عليه السّلام فجاء و قال كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام، ثم قال لها أمير المؤمنين: نحن نعرف أعظم من هذا، ثم أومى بيده، و إذا عنق

(١) المعجم الأوسط: ٣٢٣ / ٢ و مناقب الخوارزمي: ٢٦٣.

(٢) بحار الأنوار: ٢٧٣ / ٤١ ح ٢٩ و فيه: الحلواء.

ص: ١٢٧

من ذهب و كنوز سائرة، فقال: ضعيفا مع أخواتها، فوضعتها فسارت «١».

و من ذلك: ما رواه عمّار بن ياسر قال: كنت مع سيدي أمير المؤمنين عليه السّلام يوما في بعض صحارى الحيرة، و إذا راهب يضرب ناقوسه، فقال لي: يا عمّار أ تدري ما يقول الناقوس؟

فقلت: يا مولاي، و ما تقول الخشبة؟ فقال: إنها تضرب مثلا للدنيا و تقول:

مهلا مهلا رفقا رفقا

أهل الدنيا خلوا الدنيا

حقا حقا صدقا صدقا

إن المولى صمد ببقى

قد أهوتنا و استغوتنا

يا مولانا إن الدنيا

إلا أهت منا ركنا

ما من يوم يمضى منها

فيها إلا إذ قد متنا

لسنا ندري ما قدمنا

قال عمار: فأتيت الراهب من الغد فقلت له: اضرب الناقوس.

فقال: و ما تفعل به و أنت مسلم؟

فقلت: لأريك سرّه، قال: فأخذ يضرب ناقوسه، و أنا أتلو عليه ما يقول، فخرّ ساجدا و أسلم، و قال: إنّ عندي بخط هارون بن عمران بيده أن الله يبعث في الاميين رسولا له وزير يعلم ما يقول الناقوس «٢».

و من ذلك ما روى من كراماته: أن فرعوناً لما لحق هارون بأخيه موسى دخلا عليه يوماً فأوجسا خيفة منه، فإذا فارس يقدمهما و لباسه من ذهب، و فى يده سيف من ذهب، و كان فرعون يحبّ الذهب فقال لفرعون: أجب هذين الرجلين و إلّا قتلتك، فانزعج فرعون لذلك و قال: عودا إلىّ غدا، فلما خرجا دعا البوابين و عاقبهم، و قال: كيف دخل علىّ هذا الفارس بغير إذن؟ فحلّقا بعزّة فرعون ما دخل إلّا هذان الرجلان، و كان الفارس مثال علىّ الذى آيد الله به النبيّين سرّاً، و آيد به محمدا جهراً، لأنّه كلمة الله الكبرى التى أظهرها الله لأوليائه فيما شاء من الصور فنصرهم بها، و بتلك الكلمة يدعون الله فيجيبهم و ينجيهم، و إليه الإشارة فى

(١) بحار الأنوار: ٢٧٣/٤١ ح ٢٩ بتفاوت بسيط.

(٢) بحار الأنوار: ١٧٢/٤٠ ح ٥٤ و فيه: يفسّر ما يقول الناقوس.

ص: ١٢٨

قوله: **وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا** «١» قال ابن عباس: و كانت الآية الكبرى لهما هذا الفارس و السلطان.

و من ذلك ما رواه الرضا عليه السلام عن آبائه الطاهرين عليهم السلام أن يهوديا جاء إلى أبى بكر فى ولايته و قال له: إن أبى قد مات و خلف كنوزا، و لم يذكر أين هى، فإن أظهرتها كان لك ثلث و للمسلمين ثلث آخر، ولى ثلث و أدخل فى دينك، فقال أبو بكر: لا يعلم الغيب إلّا الله، فجاء إلى عمر فقال له مقالة أبى بكر، ثم دلّه علىّ علىّ عليه السلام فسأله فقال: رح إلى بلد اليمن و اسأل عن وادى برهوت بحضر موت، فإذا حضرت الوادى فاجلس هناك إلى غروب الشمس فسيأتيك غرابان سود مناقيرها تنعب فاهتف باسم أبيك و قل له: يا فلان أنا رسول وصى رسول الله صلى الله عليه و آله إليك كلمنى فأنّه يكلمك فأسأله عن الكنوز فإنّه يدلك على أماكنها، فمضى اليهودى إلى اليمن و استدلى علىّ الوادى و قعد هناك، و إذا بالغرابين قد أقبلتا فنادى أباه فأجابه، و قال: و يحك ما أقدمك إلى هذا الموطن، و هو من مواطن أهل النار؟ فقال:

جئت أسألك عن الكنوز، أين هى؟ فقال: فى موضع كذا و فى حائط كذا. ثم قال: ويلك اتبع دين محمد تسلم فهو النجاة. ثم انصرف الغرابان، و رجع اليهودى فوجد كنزا من ذهب و كنزا من فضّة، فأقر بعيرا و جاء به إلى أمير المؤمنين عليه السلام و هو يقول: أشهد أن لا إله إلّا الله و أنّ محمدا رسول الله و أنك وصى رسول الله و أخوه و أمير المؤمنين حقّا كما سميت، و هذه الهدية فاصرفها حيث شئت فإنك وليه فى العالمين «٢».

و من ذلك ما رواه ابن عباس أن جماعة من أهل الكوفة من أكابر الشيعة سألوا أمير المؤمنين أن يريهم من عجائب أسرار الله فقال لهم: إنكم لن تقدروا أن تروا واحدة، فتكفروا، فقالوا: لا شك أنك صاحب الأسرار، فاختر منهم سبعين رجلا و خرج بهم إلى ظاهر الكوفة ثم صلى ركعتين و تكلم بكلمات و قال: انظروا فإذا أشجار و أثمار حتى تبين لهم أنه الجنة، فقال أحسنهم قولاً: هذا سحر مبين، و رجعوا كفّارا إلّا رجلين، فقال لأحدهما: أسمعت ما قال أصحابك و ما هو و الله بسحر، و ما أنا بساحر، و لكنه علم الله و رسوله، فإذا رددتم علىّ

(١) القصص: ٣٥.

(٢) مدينة المعاجز: ٢ / ٤٧ ح ٣٩٣.

ص: ١٢٩

فقد رددتم على الله، ثم رجع إلى المسجد يستغفر لهم، فلما دعا تحول حصى المسجد درّاً و ياقوتا فرجع أحد الرجلين كافراً و ثبت الآخر «١».

و من ذلك أنه كان يقول لابن عباس: كيف أنت يا ابن عم إذا ظلمت العيون العين؟

فقال: يا مولاي كلمتني بهذا مرارا و لا أعلم معناه، فقال: عين عتيق و عمر و عبد الرحمن ابن عوف، و عين عثمان و ستضم إليها عين عائشة، و عين معاوية و عين عمرو بن العاص، و عين عبد الرحمن بن ملجم، و عين عمر بن سعد «٢».

و من ذلك قوله لدهقان فارس و قد حذّره من الركوب و المسير إلى الخوارج فقال له: أعلم أن طوالع النجوم قد نحست فسعد أصحاب النحوس و نحس أصحاب السعود، و قد بدا المريخ يقطع في برج الثور و قد اختلف في برجك كوكبان و ليس الحرب لك بمكان، فقال له: أنت الذي تسير الجاريات و تقضى على بالحادثات، و تنقلها مع الدقائق و الساعات، فما السراري و ما الذراري؟ و ما قدر شعاع المدبرات؟

فقال: سأنظر في الاسطرلاب و أخبرك، فقال له: أ عالم أنت بما تم البارحة في وجه الميزان؟ و أى نجم اختلف في برج السرطان؟ و أى آفة دخلت على الزبرقان؟

فقال: لا أعلم، فقال: أ عالم أنت أن الملك البارحة انتقل من بيت إلى بيت في الصين، و انقلب برج ماجين و غارت بحيرة ساوة، و فاضت بحيرة خسرمة و قطعت باب البحر «٣» من سقبة «٤»، و نكس ملك الروم بالروم و ولى أخوه مكانه، و سقطت شرفات الذهب من قسطنطينية الكبرى، و هبط سور كرنديب، و فقد ربان اليهود، و هاج النمل بوادي النمل، و صعد سبعون ألف عالم و ولد في كل عالم سبعون ألفا، و الليلة يموت مثلهم.

فقال: لا أعلم، فقال: أ عالم أنت بالشهب الحرس و الأنجم و الشمس، و ذوات الذوايب التي تطلع مع الأنوار و تغيب مع الأسحار؟ فقال: لا أعلم، فقال: أ عالم أنت بطلوع النجمين

(١) مدينة المعاجز: ٢ / ٤٧ ح ٣٩٣.

(٢) معاني الأخبار: ٣٨٧ باب نوادر المعاني و فيه بدل أسماء الرجال قوله: و أما العيون فأعداؤه رابعهم قاتله.

(٣) أو الصخرة كما في نسخة أخرى.

(٤) في البحار: من سفينته.

ص: ١٣٠

الذين ما طلعا إلّا عن مكيدة، و لا غابا إلّا عن مصيبة، و إنهما طلعا غربا فقتل قابيل هابيل، و لا يظهران إلّا بخراب الدنيا؟ فقال: لا أعلم، فقال: إذا كنت لا تعلم طرق الدنيا فإنّي أسألك عن قريب، أخبرني ما تحت حافر فرسى الأيمن و الأيسر من المنافع و المضار، فقال: أنا في علم الأرض أقصر منّي في علم السماء، فأمر أن يحفر تحت الحافر الأيمن فخرج كنز من ذهب، ثم أمر أن يحفر تحت الحافر الأيسر فخرج أفعى فتعلّق الحكيم فصاح يا مولاي الأمان، فقال: الأمان بالإيمان، فقال: لأطيلن لك الركوع و السجود، فقال: سمعت خيرا، فقال:

خيرا أسجد لله و تضرّع بى إليه، ثم قال: يا سهر سقيل سوار نحن نجوم القطب، و أعلام الفلك، و إن هذا العلم لا يعلمه إلّا نحن و بيت في الهند «١».

و من ذلك ما رواه أحمد بن عبد العزيز الجلودى قال: خطب أمير المؤمنين عليه السّلام بالبصرة فقال: سلوني قبل أن تفقدوني، سلوا من عنده علم المنايا و البلايا، و الأنساب في الأصلاب، و فصل الخطاب «٢».

روى الصدوق في العيون بسنده عن أبى الصلت الهروى قال: كان الرضا عليه السّلام يكلم الناس بلغاتهم، و كان و الله أفصح الناس بلغاتهم و أعلمهم بكل لسان و لغة، فقلت: يا ابن رسول الله إننى لأعجب من معرفتك بهذه اللغات على اختلافها، فقال:

يا أبا الصلت أنا حجة الله، و ما كان الله ليتخذ حجة على قوم و هو لا يعرف لغاتهم، أ ما بلغك قول أمير المؤمنين عليه السّلام: «أوتينا فصل الخطاب [فهل فصل الخطاب] إلّا معرفة اللغات؟ أنا دابة الأرض، أنا حى لا أموت، و إذا مت يرث الله الأرض و من عليها، سلوني فإننى لا أسأل عما دون العرش إلّا أجبت «٣»»، و قوله: «عما دون العرش» رمز له وجوه: الأوّل منها أن العرش هو العلم، و العرش عند علماء الحروف هو محمد، و العرش العرش و قوله «عما دون العرش» لا يستلزم أنه لا يعلم ما وراء ذلك، بل إن عقول البشر لا تعي القول عما وراء العرش، و لا تحتمله بل تعمى دونه البصائر و الأبصار.

(١) بحار الأنوار: ٣٣٧ / ٣٧ و ٣٣٦ / ٤١ ح ٥٧.

(٢) بصائر الدرجات: ٢٠١ باب أنّهم جرى لهم ما جرى للرسول: ح ٣ - ٤.

(٣) و فى بصائر الدرجات (٤٥٤ ح ١٢): بروح القدس علموا ما دون العرش إلى ما تحت الثرى.

ص: ١٣١

آه لو أجد له حملة! قال: فقام إليه رجل فى عنقه كتاب رافعا صوته: أيها المدعى ما لا تعلم، المقلد ما لا يفهم، إني سائلك فأجب، قال: فوثب إليه أصحاب على ليقتلوه، فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: دعوه فإن حجج الله لا تقوم بالبطش، و لا بالباطل تظهر براهين الله، ثم التفت إلى الرجل و قال: سل بكل لسانك فإنني مجيب إن شاء الله تعالى، فقال الرجل: كم بين المشرق و المغرب؟ فقال: مسافة الهواء، و قال: و ما مسافة الهواء؟ قال: دوران الفلك، قال:

و ما دوران الفلك؟ قال: مسيرة يوم الشمس، قال الرجل: صدقت، قال: فمتى القيامة؟ قال:

عند حضور المنيّة، و بلوغ الأجل، قال: صدقت، قال: فكم عمر الدنيا؟ قال: يقال سبعة آلاف ثم لا تحديد، قال: صدقت، قال: فأين مكة من بكة؟ فقال: مكة أكناف الحرم و بكة مكان البيت؟ قال: و لم سميت مكة؟ قال: لأن الله تعالى مك الأرض من تحتها أى دحاها، قال: فلم سميت بكة؟ قال: لأنها أبكت عيون الجبارين و المذنبين، قال: صدقت، قال: و أين كان الله قبل خلق عرشه؟ فقال أمير المؤمنين: سبحان الله من لا يدرك كنه صفته حملة عرشه على قرب زمراتهم من كراسى كرامته، و لا الملائكة المقربون من أنوار سبحات جلاله، و يحك لا يقال لم و لا كيف، و لا أين و لا متى، و لا بم و لا حيث، فقال الرجل: صدقت، قال: فكم مقدار ما لبث العرش على الماء قبل خلق الله الأرض و السماء؟ فقال: أ تحسن أن تحسب؟ فقال: نعم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أ فرأيت لو صبّ فى الأرض خردل حتى سد الهواء و ملأ ما بين الأرض و السماء، ثم أذن لك على ضعفك أن تنقله حبة حبة من المشرق إلى المغرب، ثم مد لك فى العمر حتى نقلته و أحصيته لكان ذلك أيسر من إحصاء ما لبث العرش على الماء قبل خلق الأرض و السماء، و إنما وصفه لك جزاء من عشر عشير جزء من مائة ألف جزء و أستغفر الله من القليل فى التحديد، قال: فحرّك الرجل رأسه، و قال: أشهد أن لا إله إلا الله [و أن محمدا رسول الله] «١».

يؤيد هذا ما رواه الرازى فى كتابه المسمى بمفاتيح الغيب قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: ليلة اسرى بى إلى السماء، رأيت فى السماء السابعة ميادينا كميادين أرضكم هذه، و رأيت أفواجا من الملائكة يطيطون لا يقف هؤلاء لهؤلاء، و لا هؤلاء لهؤلاء، قال: فقلت لجبرائيل عليه السلام: من

(١) بحار الأنوار: ٥٧ / ٢٣١ ح ١٨٨ عن كتاب المختصر مع تفاوت.

ص: ١٣٢

هؤلاء؟ فقال: لا أعلم، فقلت: و أين يمضون؟ فقال: لا أعلم، فقلت: سلهم، فقال: لا أقدر و لكن سلهم أنت يا حبيب الله، قال: فاعترضت ملكا منهم و قلت: ما اسمك؟ فقال: كيكائيل، فقلت:

من أين أتيت؟ فقال: لا أعلم، فقلت: و أين تمضى؟ فقال: لا أعلم، فقلت: و كم لك فى السير؟

فقال: لا أعلم، غير أنى يا حبيب الله أعلم أن الله سبحانه يخلق فى كل سنة آلاف سنة كوكبا، و قد رأيت ستة آلاف كوكبا خلقهن و أنا فى السير «١».

و من ذلك ما رواه أصحاب التواريخ أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان جالسا و عنده جنى يسأله عن قضايا مشكلة فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام فتصاغر الجنى حتى صار كالعصفور ثم قال: أجرني يا رسول الله، فقال: ممن؟ فقال: من هذا الفتى المقبل، فقال النبي صلى الله عليه وآله: و ما ذاك؟ فقال الجنى:

أتيت سفينة نوح لأغرقها يوم الطوفان، فلما تناولتها ضربني هذا فقطع يدي، ثم أخرج يده مقطوعة فقال النبي: هو ذلك «٢».

و بهذا الإسناد أن جنيا كان جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام فاستغاث الجنى و قال: أجرني سليمان فأرسل إلى نورا من الجن فطلت عليهم فجاءني هذا الفارس فأسرني و جرحني، و هذا مكان الضربة إلى الآن لم يندمل، فنزل جبرائيل عليه السلام و قال: الحق يقرئك السلام و يقول لك: إني لم أبعث نبيا قط إلا جعلت عليا معه سرا، و جعلته معك جهرا «٣».

فيا خامد الفطنة، يا من يقول هذا التناسخ و من أين لك علم التناسخ؟

و قدمك في طريق الحق غير راسخ، أ ما علمت أن اسم الله الأعظم نير لك في كل تركيب، و كذا كلمة الله العليا تظهر في كل صورة و تفعل كل عجب، و كيف تشك في قول محمد صلى الله عليه وآله إذا قال: أنا الفاتح، أنا الخاتم، و ترتأب في علي، أ ليس هو قسيم النور الأول الذي يتشعشع في جسد كل من والاه، فإنه أمل كل ولي و غاية كل صفى، ثم ظهر مع محمد صلى الله عليه وآله في هذا الجسد، كما كان معه في كل مقام.

(١) بحار الأنوار: ٥٧ / ٣٣٨ ح ٢٩.

(٢) حلية الأبرار: ١٥ / ٢، و مدينة المعاجز: ٣ / ٧٦ - ٥١٢.

(٣) المراقبات: ٢٥٩، و جامع الأسرار: ٣٨٢ ح ٧٦٣.

ص: ١٣٣

الفصل الثالث في أسرار فاطمة الزهراء عليها السلام

فمن ذلك من أسرار مولدها الشريف ما رواه أصحاب التواريخ: أن خديجة لما حضرتها الولادة بعث الله عز و جل إليها عشرين من الحور العين بطشوت و أباريق و ماء من حوض الكوثر، و جاءتها مريم بنت عمران و سارة و آسية بنت مزاحم، بعثن الله عليها أمرها، فلما وضعها أشرق الدنيا و امتلأت منها الأفطار بالطيب و الأنوار، و فاح عطر العظمة، و امتلأت بيوت مكة بالنور، و لم يبق في شرق الأرض و لا غربها موضع إلا أشرق نورا، و ظهر في السماء نور أزهر لم يكن قبل هذا، و قالت النسوة: خذيها يا خديجة طاهرة معصومة بنت نبي، زوجة وصي، نور و ضى عنصر زكي، أم أبرار، حبيبة جبار، صفوة أطهار، مباركة بورك فيها و في ولدها.

و لما تناولتها خديجة قالت: أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن أبى سيّد الأنبياء، و أن بعلى سيّد الأوصياء، و أن ولدى سادة الأسباط.

ثم سلمت على النسوة و سمّت كل واحدة منهن باسمها، و بشر أهل السماء بعضهم بعضا بولادة الزهراء، و كانت تحدث خديجة فى الأحشاء و تونسها بالتسبيح و التقديس، و كان نورها و خلقها و خلالها و جمالها لا يعدو رسول الله صلى الله عليه و آله «١».

و من كراماتها على الله: أنها لما منعت حقّها أخذت بعضادة حجرة النبى و قالت: ليست ناقة صالح عند الله بأعظم منى، ثم رفعت جنب قناعها إلى السماء و همّت أن تدعو فارتفعت جدران المسجد عن الأرض، و نزل العذاب فجاء أمير المؤمنين عليه السلام فمسك يدها و قال: يا بقية النبوة و شمس الرسالة، و معدن العصمة و الحكمة، إن أباك كان رحمة للعالمين فلا تكونى عليهم نقمة، أقسم عليك بالرفء و الرحيم، فعادت إلى مصلّاها «٢».

(١) يراجع المجلّد ٤٦ من بحار الأنوار - تاريخ فاطمة عليها السلام.

(٢) وفاة الزهراء: ٦٣، و الاحتجاج: ٥٦ و المسترشد: ٣٨٢.

ص: ١٣٤

الفصل الرابع فى أسرار الحسن بن على عليهما السلام

فمن ذلك: أنه لما قدم من الكوفة جاءت النسوة يعزيّنه فى أمير المؤمنين عليه السلام، و دخلت عليه أزواج النبى صلى الله عليه و آله، فقالت عائشة: يا أبا محمد ما مثل فقد جدك إلّا يوم فقد أبوك، فقال لها الحسن: نسيت نبشك فى بيتك ليلا بغير قبس بحديدة، حتى ضربت الحديد كفك فصارت جرحا إلى الآن فأخرجت جردا أخضر فيه ما جمعته من خيانة حتى أخذت منه أربعين دينارا عددا لا تعلمين لها وزنا ففرقتها فى مبعضى على صلوات الله عليه من تيم و عدى، و قد تشفيت بقتله، فقالت: قد كان ذلك «١».

و من ذلك: أن معاوية لما أراد حرب على عليه السلام و جمع أهل الشام، سمع بذلك ملك الروم فقبل له: رجلان قد خرجا يطلبان الملك، فقال: من أين؟ فقبل له: رجل بالكوفة و رجل بالشام، فقال: [فسألهم عن صفتهم، فوصفوهما له، ثم قال لخزان بيوت خزائنه: أخرجوا إلى الأصنام، فنظر إليها فقال: الشامى ضال و الكوفى هاد] «٢» ثم كتب إلى معاوية أن ابعث إلى أعلم أهل بيتك، و بعث إلى أمير المؤمنين عليه السلام ابعث إلى أعلم أهل بيتك، حتى أجمع بينهما و أنظر فى الانجيل من أحق بالملك منكما و أخبركما، فبعث إليه معاوية ابنه يزيد، و بعث إليه أمير المؤمنين الحسن عليه السلام، فلما دخل يزيد أخذ الرومى يده فقبلها، و لما دخل الحسن عليه السلام قام الرومى فانحنى على قدميه فقبلهما، فجلس الحسن عليه السلام لا يرفع بصره، فلما نظر ملك الروم إليهما أخرجهما معا، ثم استدعى يزيد وحده، و أخرج له من خزائنه ١١٣ صنما تماثيل الأنبياء و صورهم و قد

زينت بكل زينة، فأخرج صنما فعرضه على يزيد فلم يعرفه، ثم عرض آخر فلم يعرفه، ثم سأله عن أرزاق العباد و عن أرواح المؤمنين، و أرواح

(١) الهداية الكبرى للخصيبي: ١٩٧.

(٢) زيادة عن البحار: (٣٣/ ٢٣٤ ح ٥١٧) لتقويم المعنى.

ص: ١٣٥

الكفار، أين تجمع بعد الموت؟ فلم يعرف، فدعا الحسن بن علي عليه السلام و قال: إنما بدأت بهذا حتى يعلم أنك تعلم ما لا يعلم، و أن أباك يعلم [لا] أبوه و أن أباك رباني هذه الأمة، و قد نظرت في الإنجيل فرأيت الرسول محمدا و الوزير عليا و نظرت إلى الأوصياء فرأيت أباك فيها وصي محمد، فقال للرومي: سلني عما بدا لك من علم التوراة، و الإنجيل و الفرقان، أخبرك، فدعا الأصنام، فأول صنم عرضه عليه على صفة القمر فقال الحسن عليه السلام: هذه صفة آدم أبي البشر، ثم عرض عليه آخر في صفة الشمس، فقال: هذه صفة حواء أم البشر، ثم عرض آخر، فقال: هذا عليه صفة شيث بن آدم، و هذا أول من بعث و كان عمره في الدنيا ١٥٤٠ سنة، ثم عرض عليه آخر فقال: هذه صفة نوح صاحب السفينة، و كان عمره في الدنيا ٢٥٠٠ سنة و لبث في قومه ألف سنة إلّا خمسين عاما، ثم عرض عليه آخر، فقال: هذه صفة إبراهيم عريض الصدر طويل الجبهة، ثم عرض عليه آخر، فقال: هذه صفة موسى بن عمران و كان عمره ٢٤٥ سنة و كان بينه و بين إبراهيم ٥٠٠ سنة، ثم عرض عليه آخر، فقال: هذه صفة إسرائيل و هو يعقوب الحزين، ثم عرض عليه آخر، فقال: هذه صفة إسماعيل، ثم عرض عليه آخر، فقال: هذه صفة يوسف بن يعقوب، ثم عرض عليه آخر، فقال: هذه صفة داود صاحب الجراب، ثم عرض عليه آخر فقال: هذه صفة شعيب، ثم زكريا، ثم عيسى ابن مريم روح الله و كلمته، و كان عمره في الدنيا ٢٣ سنة ثم رفعه الله إليه ثم يهبط إلى الأرض بدمشق و يقتل الدجال، ثم عرضت عليه أصنام الأوصياء، و الوزراء، فأخبر بأسمائهم، ثم عرضت عليه أصنام في صفة الملوك و قال له ملك الروم: هذه أصنام لم نجد صفتها في التوراة و الإنجيل، فقال الحسن عليه السلام: هذه صفة الملوك، فقال عند ذلك ملك الروم عند ذاك:

أشهد لكم يا آل محمد أنكم أوتيتم علم الأولين و الآخرين، و علم التوراة و الإنجيل، و صحف إبراهيم و ألواح موسى، و إنا نجد في الإنجيل أن أول فتنة هذه الأمة و ثوب شيطانها الضليل على ملك نبيا و اجتراه على ذريته، ثم قال للحسن عليه السلام: أخبرني عن سبعة أشياء خلقها الله تعالى، لم تركض في رحم، فقال الحسن عليه السلام: آدم و حواء، و كبش إبراهيم، و ناقة صالح، و إبليس و الحية و الغراب الذي ذكر في القرآن، ثم سأله عن أرزاق الخلائق فقال الحسن عليه السلام:

في السماء الرابعة تنزل بقدر و تبسيط، و سأله عن أرواح المؤمنين أين تكون؟ فقال: تجتمع

ص: ١٣٦

عند صخرة بيت المقدس فى كل ليلة جمعة و هى العرش الأدنى و منها ييسط الله الأرض و إليها يطويها و إليها المحشر. ثم سأله عن أرواح الكفار فقال: تجتمع فى وادى حضر موت عند مدينة اليمن ثم يبعث الله نارا من المشرق و نارا من المغرب و يتبعها ريح شديد فيحشر الناس عند صخرة بيت المقدس فأهل الجنة عن يمينها، و أهل النار عن يسارها فى تخوم الأرض السابعة، فتحشر الناس عند الصخرة، فمن وجبت له الجنة دخلها و من وجبت له النار دخلها، و ذلك قوله: فريق فى الجنة و فريق فى السعير.

فالتفت الملك إلى يزيد و قال: هذا بقية الأنبياء و خليفة الأوصياء، و وارث الأصفياء و ثانى النقباء، و رابع أصحاب الكساء، و العالم بما فى الأرض و السماء، أ فقياس هذا بمن طبع على قلبه و هو من الضالين، ثم كتب إلى معاوية: من آتاه الله العلم و الحكمة بعد نبيكم و حكم التوراة و الإنجيل و أخبار الغيب، فالحق و الخلافة له، و من نازعه فإنه ظالم، ثم كتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام إن الحق لك و الخلافة فيك و فى ولدك إلى يوم القيامة، فقاتل من قاتلك يعذبه الله بيدك، فإن من عصاك و حاربك عليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين «١».

و من ذلك من كراماته ما روى عن مولانا الباقر عليه السلام أن جماعة من أهل الكوفة قالوا للحسن عليه السلام: يا ابن رسول الله ما عندك من عجائب أسرار أمير المؤمنين عليه السلام الذى كان يرينا أى شىء نريد يرينا إياه؟

فقال: هل تعرفون أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقالوا: نعم، فرفع سترا كان على باب البيت، و قال:

انظروا، فنظروا فإذا أمير المؤمنين، فقالوا: نعم، هذا أمير المؤمنين لا نشك فيه و نشهد أنك خليفة حقا و صدقا «٢».

(١) بحار الأنوار: ٣٣ / ٢٣٧ ح ٥١٧ و الحديث طويل جداً اختصر هنا.

(٢) مدينة المعاجز: ٣ / ٧٦ - ٥١٢.

ص: ١٣٧

الفصل الخامس فى أسرار الحسين بن على عليهما السلام

فمن ذلك أنه لما أراد الخروج إلى العراق قالت له أم سلمة: يا بنى لا تحزننى بخروجك فإننى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: يقتل ولدى الحسين بالعراق، فقال لها الحسين عليه السلام: يا أمّاه إننى مقتول لا محالة و ليس من الأمر المحتوم بد و إننى لأعرف اليوم الذى اقتل فيه و الحفرة التى أدفن فيها، و من يقتل معى من أهل بيتى و من شيعتى، و إن أردت أريتك مضجعى و مكانى، ثم أشار بيده فانخفضت الأرض حتى أراها مضجعه و مكانه «١».

و من ذلك من كتاب الراوندى أن رجلا جاء إلى الحسين عليه السلام فقال: أمى توفيت و لم توص بشىء غير أنّها أمرتنى أن لا أحدث فى أمرها حدثا حتى أعلمك يا مولاي، فجاء الحسين عليه السلام و أصحابه فرآها ميتة فدعا الله ليحييها فإذا المرأة

تتكلم، وقالت: ادخل يا مولاي و مرني بأمرک، فدخل و جلس و قال لها: أوصي یرحمک الله، فقالت: يا سيدی، إن لی من المال کذا و کذا و قد جعلت ثلثه إلیک لتضعه حیث شئت، و الثلثان لابنی هذا إن علمت أنه من موالیک، و إن کان مخالفا فلا حظ للمخالف فی أموال المؤمنین، ثم سألته أن یتولّى أمرها و أن یصلّى علیها، ثم صارت میّتة كما كانت «٢».

(١) بحار الأنوار عن الکافی: ٤٤ / ٣٣٠ ح ٢.

(٢) الخرائج و الجرائح: ٢٤٥ باب ٤، و فرج المهموم: ٢٢٧.

ص: ١٣٨

الفصل السادس فی أسرار علی بن الحسین علیهما السلام

فمن ذلك ما رواه خالد بن عبد الله قال: کان علی بن الحسین علیه السلام حاجاً فجاء أصحابه ف ضربوا فسطاطه فی ناحية فلما رآه قال: هذا مکان قوم من الجن المؤمنین و قد ضیقتم علیه، فناداه هاتف: يا ابن رسول الله قرب فسطاطک منّا رحمة لنا، و إنّ طاعتک مفروضة علینا، و هذه هدیتنا إلیک فاقبلها، قال جابر: فنظرنا و إذا إلی جانب الفسطاط أطباق مملوءة رطباً و عنباً، و موزاً و رماناً، فدعا زین العابدین علیه السلام من کان معه من أصحابه، و قال: کلوا من هدیة إخوانکم المؤمنین «١».

و من ذلك ما رواه صاحب کتاب الأربعین: أن بنی مروان لما کثر استنقاصهم بشیعة علی ابن الحسین علیه السلام شکوا إلیه حالهم فدعا الباقر علیه السلام و أخرج إلیه حقاً فیهِ خیط أصفر و أمره أن یحرّکة تحریکاً لطیفاً فصعد السطح و حرّکة، و إذا بالأرض ترجف و بیوت المدينة تساقطت حتی هوى من المدينة ستمائة دار، و أقبل الناس هاربین إلیه یقولون: أجرنا یا ابن رسول الله، أجرنا یا ولی الله، فقال: هذا دأبنا و دأبهم یرتقون بنا و نحن نفنیهم «٢».

و من ذلك أن رجلاً سأله فقال: بما ذا فضلنا علی أعدائنا و فیهم من هو أجمل منّا؟ فقال له الإمام علیه السلام: أ تحبّ أن ترى فضلك علیهم؟ فقال: نعم، فمسح یده علی وجهه، و قال: انظر، فنظر فاضطرب، و قال: جعلت فداک ردنی إلی ما کنت، فإنی لم أر فی المسجد إلّا دباباً، و قرداً و کلباً، فمسح یده فعاد إلی حاله «٣».

و إلیه الإشارة بقوله: «أعداء علیّ مسوخ هذه الامّة»، و فی النقل: اقتلوا الوزغ فإنّها مسوخ بنی أمیة «٤».

(١) بحار الأنوار عن دلائل الطبری: ٤٦ / ٤٥ ح ٤٥ بتفاوت.

(٢) الهدایة الکبری: ٢٢٧-٢٢٨ باب ٦ و: ٣٢٢ باب ١٢، و دلائل الإمامة: ٢، و البحار: ٢٥ / ٣٧٩.

(٣) بحار الأنوار: ٤٦ / ٤٩ ح ٤٩.

(٤) الخرائج: ٨٢٣ و بحار الأنوار: ٢٧ / ٢٦٩ ح ١٩ بتفاوت.

ص: ١٣٩

الفصل السابع فى أسرار أبى جعفر الباقر عليه السّلام

فمن ذلك ما رواه محمد بن مسلم قال: كنت عند أبى جعفر عليه السّلام إذ وقع إليه ورشنانان ثم هدلا فرد عليهما فطارا، فقلت: جعلت فداك ما هذه؟ فقال: هذا طائر ظن فى زوجته سوءا فحلفت له فقال لها: لا أرضى إلّا بمولاي محمد بن على عليه السّلام، فجاءت فحلفت له بالولاية أنّها لم تخنه فصدّقها، و ما من أحد يحلف بالولاية إلّا صدّق إلّا الإنسان، فإنّه حلّاف مهين «١».

و من ذلك ما رواه ميسر قال: قمت بباب أبى جعفر فخرجت جارية جلاسية فوضعت يدي على رأسها فنادانى من أقصى الدار: ادخل لا أبا لك فلو كانت الجدران تحجب أبصارنا عنكم كما تحجب أبصاركم لكنّا نحن وإياكم سواء «٢».

و من ذلك ما رواه محمد بن مسلم قال: خرجت مع أبى جعفر عليه السّلام إلى مكان يريد فسرنا، و إذا ذئب قد انحدر من الجبل و جاء حتى وضع يده على قريوس السرج، و تناول فخاطبه فقال له الإمام عليه السّلام: ارجع فقد فعلت، قال: فرجع الذئب مهرولا، فقلت: يا سيدى ما شأنه؟

فقال: ذكر أن زوجته قد عسرت عليها الولادة فسأل لها الفرج و أن يرزقه الله ولدا لا يؤذى دواب شيعتنا، فقلت له: اذهب فقد فعلت، قال: ثم سرنا، و إذا قاع محدب يتوقّد حرّا، و هناك عصافير يتطايرون، و درن حول بغلته فرجوها، و قال: لا و لا كرامة، قال: ثم سار إلى مقصده، فلما رجعنا من الغد وعدنا إلى القاع و إذا العصافير قد طارت و دارت حول بغلته و رفرفت، فسمعتة يقول: اشربى و ارتوى، قال: فنظرت، و إذا فى القاع ضحاح «٣» من الماء، فقلت: يا سيدى بالأمس منعته و اليوم سقيتها؟ فقال: اعلم أن اليوم خالطتها القنابر فسقيتها،

(١) بحار الأنوار: ٦٥ / ٢٤ ح ٤٠.

(٢) بحار الأنوار: ٤٦ / ٢٤٨ ح ٤٠ و فيه لا أم لك.

(٣) الضحاح فى الأصل ما رقّ من الماء على وجه الأرض ما بلغ الكعبين «النهاية».

ص: ١٤٠

و لو لا القنابر لما سقيتها، فقلت: يا سيدى، و ما الفرق بين القنابر و العصافير؟

فقال: ويحك أما العصفير فإنهم موالى الرجل «١» لأنهم منه، و أما القنابر فإنهم موالينا أهل البيت، وإنهم يقولون فى صفيهم: بوركنم أهل البيت عليهم السلام، و بورك شيعتكم، و لعن الله أعدائكم، ثم قال: عادانا من كل شىء حتى الطيور الفاخنة و من الأيام الأربعاء «٢».

أقول: فى هذا الحديث رمز حسن يشير إلى أن كلاً يميل إلى شكله و يفرح بنظيره، و ينبعث إلى طبعه، و إليه الإشارة بقوله صلى الله عليه و آله: يعرف ولد الحرام بأكله للحرام، و هذا أيضاً رمز و هو أن ولد الحرام مادته من الحرام فهو يحب ما هو منه، و عدوهم من الرجل فهو لا يحب إلّا مادته، و محبهم و وليهم طينته منهم، و هى طينة خلق منها أولاد الحلال فلا يحبهم إلّا ولد الحلال، و ليس محبهم إلّا ولد الحلال.

و من ذلك ما رواه إسماعيل السندى عن أبى بصير عن أبى جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول لرجل من خراسان كان قدم إليه: كيف أبوك؟

فقال الرجل: بخير،

فقال: فأخوك؟

قال: خلفته صالحاً، فقال: قد هلك أبوك بعد خروجك بيومين، و أما أخوك فقتلته جاريته يوم كذا، و قد صار إلى الجنة؛ فقال الرجل: جعلت فداك، إن ابني قد خلفته و جعاً، فقال:

أبشر فقد برىء و زوجته عمه ابنته و صار له غلام و سمّاه علياً، و ليس من شيعتنا، فقال الرجل:

فما إليه من حلية؟ فقال: كلا قد أخذ من صلب آدم أنه من أعدائنا فلا تغرنك عبادته و خشوعه «٣».

و من ذلك ما رواه جابر بن يزيد قال: كنّا مع أبى جعفر عليه السلام فى المسجد فدخل عمر بن عبد العزيز و هو غلام، و عليه ثوبان معصران فقال أبو جعفر عليه السلام: لا تذهب الأيام حتى يملكها هذا الغلام، و يستعمل العدل جهراً و الجور سراً فإذا مات تبكيه أهل الأرض و يلعنه

(١) فى البحار: عمر.

(٢) بحار الأنوار: ٢٧ / ٢٧٢ ح ٢٥ بتفاوت.

(٣) بحار الأنوار: ٤٦ / ٢٤٣ ح ٣١ بتفاوت كبير.

أهل السماء «١».

و من ذلك ما رواه أبو بصير قال: قال لى مولاى أبو جعفر عليه السّلام: إذا رجعت إلى الكوفة يولد ولد تسميه عيسى، و يولد ولد و تسميه محمدا و هما من شيعتنا و أسماؤهما فى صحيفتنا، و ما يولدون إلى يوم القيامة، قال: فقلت: و شيعتكم معكم؟ قال: نعم، إذا خافوا الله و اتقوه و أطاعوه «٢».

و من ذلك أنه دخل المسجد يوما فرأى شاباً يضحك فى المسجد فقال له: تضحك فى المسجد و أنت بعد ثلاثة من أصحاب القبور؟ فمات الرجل فى أوّل اليوم الثالث، و دفن فى آخره «٣».

و من ذلك ما ورد فى كتاب كشف الغمة عن أبى بصير عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قلت له يوما: أنتم ذرية رسول الله صلى الله عليه و آله؟

قال: نعم، قلت: و رسول الله وارث الأنبياء؟

قال: نعم، قلت: و أنتم ورثة رسول الله؟

قال: نعم، قلت: فتقدر أن تحيى الموتى و تبرئ الأكمه و الأبرص و تخبر الناس بما يأكلون، و ما يدخرون؟

قال: نعم، بأمر الله، ثم قال: ادن منى، فدنوت منه فمسح يده على وجهى، فأبصرت السماء و الأرض، ثم مسح يده على وجهى فعدت كما كنت لا أرى شيئا «٤».

(١) بحار الأنوار: ٢٥١ / ٤٦ ح ٤٤ بتفاوت.

(٢) بحار الأنوار: ٢٧٤ / ٤٦ ح ٧٩.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) بصائر الدرجات: ٢٨٩ ج ٦ باب ٣ ح ١ باب أنهم يحيون الموتى. و الهداية الكبرى: ٢٤٣ باب ٧ و بحار الأنوار: ٢٣٧ / ٤٦ ح ١٣.

ص: ١٤٢

الفصل الثامن فى أسرار الإمام الصادق عليه السّلام

من ذلك ما رواه محمد بن سنان أن رجلاً قدم عليه من خراسان و معه صرر من الصدقات معدودة مختومة، و عليها أسماء أصحابها مكتوبة، فلما دخل الرجل جعل أبو عبد الله يسمي أصحاب الصرر، و يقول: أخرج صرة فلان فإن فيها كذا و كذا، ثم قال: أين صرة المرأة التي بعثتها من غزل يدها أخرجها فقد قبلناها؟ ثم قال للرجل: أين الكيس الأزرق، و كان فيما حمل إليه كيس أزرق فيه ألف درهم، و كان الرجل قد فقدته في بعض طريقه، فلما ذكره الإمام استحيا الرجل و قال: يا مولاي إنني فقدته في بعض الطريق، فقال له الإمام عليه السلام:

تعرفه إذا رأيته؟ فقال: نعم، فقال: يا غلام، أخرج الكيس الأزرق، فأخرجه، فلما رآه الرجل عرفه، فقال الإمام: إننا احتجنا إلى ما فيه فأحضرناه قبل وصولك إلينا، فقال الرجل: يا مولاي إنني ألتمس الجواب بوصول ما حملته إلى حضرتك، فقال له: إن الجواب كتبناه و أنت في الطريق «١».

و من ذلك ما رواه عبد الله بن الكاهلي قال: قال لي الصادق عليه السلام: إذا لقيت السبع فاقراً في وجهه آية الكرسي، و قل: عزمت عليك بعزيمة الله و عزيمة رسوله، و عزيمة سليمان بن داود، و عزيمة على أمير المؤمنين و الأئمة من بعده، فإنه ينصرف عنك، قال: فخرجت مع ابن عم لي قادمًا من الكوفة فعرض لنا السبع فقرأت عليه ما علّمني مولاي فطأطأ رأسه و رجع عن الطريق، فلما قدمت إلى سيدي من قبل أن أعلمه بالخبر، فقال: أتراني لم أشهدكم إن لي مع كل ولي أذن سامعة، و عين ناظرة، و لسان ناطق، ثم قال: يا عبد الله أنا و الله صرفته عنكما و علامة ذلك أنكما كنتما على شاطئ النهر «٢».

(١) بحار الأنوار: ٤٧ / ١٥٥ ح ٢١٨.

(٢) بحار الأنوار: ٤٧ / ٩٥ ح ١٠٨.

ص: ١٤٣

أقول: في هذا الحديث أسرار غريبة، الأول إطاعة الوحوش لهم عيانا و سماعا، و الثاني إخباره أنه لم يرغب عنهم و أنه يشهد سائر أوليائه لأن الإمام مع الخلق كلهم لم يرغب عنهم، و لم يحتجبوا عنه طرفة عين، و لكن أبصارهم محجوبة عن النظر إليه، و إن الدنيا بين يدي الإمام كالدرهم بين يدي الرجل يقلبه كيف شاء، و الثالث أنه أنكر عليه و قال: أتراني لم أشهدكم؟ حيث إنه حسب أن الحجة لا يشهد لمحجوج عليه بعد أن يثبت أنهم عين الله الناظرة في عباده، و يده المبسوطة بالفضل في بلاده، و لسانه المترجم عنه، و أن قلوب الأولياء مكان مشيئة الله و خزائن أسرارِهِ و باب حكمته.

و من ذلك ما رواه أبو بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن المعلى بن خنيس ينال درجتنا، و إن المدينة من قابل يليها داود بن عروة، و يستدعيه و يأمره أن يكتب له أسماء شيعتنا فيأبى فيقتله و يصلبه، فينال بذلك درجتنا، فلما ولي داود المدينة من قابل أحضر المعلى و سأله عن الشيعة فقال: أعرفهم، فقال: اكتبهم لي و إلّا ضربت عنقك، فقال: بالقتل تهددني و الله لو كانوا تحت قدمي ما رفعتهما عنهم، فأمر بضرب عنقه و صلبه، فلما دخل عليه الصادق عليه السلام قال: يا داود قتلت مولاي و وكيلي، و ما كفك القتل حتى صلبته، و الله لأدعون الله عليك كما قتله، فقال له داود: أ تهددني بدعائك؟ ادع الله لك فإذا استجاب

لك فادعه علىّ، فخرج أبو عبد الله عليه السّلام مغضبا، فلما جن الليل اغتسل و استقبل القبلة، ثم قال: يا ذا يا ذى يا ذوا إرم داود سهما من سهام قهرک تبلبل به قلبه، ثم قال لغلّامه: اخرج و اسمع الصائح. فجاء الخبر أن داود قد هلك، فخر الإمام ساجدا و قال: إنّه لقد دعوت الله عليه بثلاث كلمات لو قسمت على أهل الأرض لزلزلت بمن عليها «١».

و من كراماته عليه السّلام: أن المنصور يوما دعاه، فركب معه إلى بعض النواحي، فجلس المنصور على تلال هناك و إلى جانبه أبو عبد الله، فجاء رجل و همّ أن يسأل المنصور ثم أعرض عنه، و سأل الصادق عليه السّلام فحثى له من رمل هناك ملء يديه ثلاث مرّات، فقال: اذهب و أغل، فقال له بعض حاشية المنصور: خرجت عن الملك و سألت فقيرا لا يملك شيئا، فقال الرجل و قد عرق وجهه خجلا ممّا أعطاه: إننى سألت من أنا واثق بعطائه، ثم جاء بالتراب إلى بيته،

(١) بحار الأنوار: ٤٧ / ١٨١ ح ٢٧ و تصويب العبارة منه.

ص: ١٤٤

فقال له زوجته: من أعطاك هذا؟ فقال: جعفر، فقالت: و ما قال؟ قال: قال لى: أغل، فقالت:

إنّه صادق، فاذهب بقليل منه إلى أهل المعرفة فإننى أشمّ منه رائحة الغنا، فأخذ الرجل منه جزءا و مرّ به إلى بعض اليهود فأعطاه فيما حمل منه إليه عشرة آلاف درهم، و قال له: أتبنى بباقيه على هذه القيمة «١».

و من ذلك: أن المنصور لمّا أراد قتل أبى عبد الله عليه السّلام استدعى قوما من الأعاجم يقال لهم البعرعر «٢» لا يفهمون و لا يعقلون، فخلع عليهم الدباج الثقيل، و الوشى المنسوج، و حملت إليهم الأموال، ثم استدعاهم و كانوا مائة رجل، و قال للترجمان: قل لهم: إن لى عدوا يدخل على الليلة فاقتلوه إذا دخل، فأخذوا أسلحتهم و وقفوا ممتثلين لأمره، فاستدعى جعفرا عليه السّلام و أمره أن يدخل وحده، ثم قال للترجمان: قل لهم هذا عدوى فقطعوه، فلمّا دخل الإمام تعاووا عوى الكلاب، و رموا أسلحتهم، و كتفوا أيديهم إلى ظهورهم، و خرّوا له سجدا، و مرغوا وجوههم على التراب، فلمّا رأى المنصور ذاك خاف، و قال: ما جاء بك؟ قال: أنت، و ما جئتك إلّا مغتسلا محتطا، فقال المنصور: معاذ الله أن يكون ما تزعم، ارجع راشدا، فخرج جعفر عليه السّلام و القوم على وجوههم سجدا، فقال للترجمان: قل لهم: لم لا قتلتم عدو الملك؟ فقالوا: نقتل ولينا الذى يلقانا كل يوم و يدبر أمرنا كما يدبر الرجل أمر ولده و لا نعرف ولها سواه، فخاف المنصور من قولهم فسرّحهم تحت الليل، ثم قتله بعد ذلك بالسم «٣».

و من كراماته عليه السّلام أن فقيرا سأله فقال لعبده: ما عندك؟ قال: أربعمئة درهم، فقال: أعطه إياها، فأعطاه، فأخذها و ولى شاكرا، فقال لعبده: أرجعه، فقال: يا سيدى سألت فأعطيت، فما ذا بعد العطاء، فقال له: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: خير الصدقة ما أبقت غنى، و إنّا لم نغنىك فخذ هذا الخاتم فقد أعطيت فيه عشرة آلاف درهم، فإذا احتجت فبعه بهذه القيمة «٤».

و من ذلك من كتاب الراوندى عن أبى عبد الله عليه السّلام أنه قال: علمنا غابر و مزبور، و نكت فى القلوب، و نقر فى الأسماع، و عندنا الجفر الأبيض و الجفر الأحمر، و مصحف فاطمة و الجامعة،

(١) بحار الأنوار: ١٥٥ / ٤٧ ح ٢١٨.

(٢) كذا بالأصل و هي غير موجودة في البحار مع أنه ينقله عن المشارق.

(٣) بحار الأنوار: ١٨١ / ٤٧ ح ٢٧.

(٤) بحار الأنوار: ٤٧ / ٦٠ ح ١١٦.

ص: ١٤٥

فأما الغابر فعلم ما كان، و أما المزبور فعلم ما يكون، و أما النكت في القلوب فهو الإلهام، و أما النقر في الأسماع فهو حديث الملائكة، و أما الجفر الأحمر ففيه سلاح رسول الله صَلَّى الله عليه و آله، و أما الجفر الأبيض فوعاء فيه التوراة و الإنجيل و الزبور و الكتب الأولى، و أما مصحف فاطمة ففيه ما يكون من الحوادث، و اسم من يملك إلى يوم القيامة، و أما الجامعة ففيها جميع ما يحتاج الناس إليه حتى أرش الخدش، و عندنا صحيفة فيها اسم من ولد و من يولد، و اسم أبيه و أمه من الذر إلى يوم القيامة، ممن هو من أعدائنا، ذلك فضل الله علينا و على الناس «١».

و من ذلك: ما رواه أحمد البرقي عن أبيه عن سدير الصيرفي قال: رأيت رسول الله صَلَّى الله عليه و آله في النوم و بين يديه طبق مغطى، فدنوت منه و سلّمت عليه، فكشف الطبق و إذا فيه رطب، فقلت: يا رسول الله ناولني رطبة، فأكلتها، ثم طلبت أخرى فناولني حتى أكلت ثمان رطبات، فطلبت أخرى فقال: حسبك.

قال: فلما استيقظت من الغد دخلت على الصادق عليه السلام و إذا بين يديه طبق مغطى كما رأيته في المنام، فكشف عنه، و إذا فيه رطب، فقلت: جعلت فداك ناولني رطبة، فناولنيها فأكلتها، ثم سألته أخرى فأعطاني، فناولني ثمان رطبات فأكلتهن، ثم سألته أخرى، فقال:

حسبك لو زادك جدّي صَلَّى الله عليه و آله لزدتك «٢».

(١) الإرشاد للمفيد: ١٨٦ / ٢ كلام الصادق حول ميراث الرسول، و أصول الكافي: ٢٣٨ / ١.

(٢) بحار الأنوار: ٤٧ / ٦٣ ح ٢.

ص: ١٤٦

الفصل التاسع في أسرار أبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام

فمن ذلك أن الرشيد لما حج دخل المدينة فاستأذن عليه الناس، فكان آخر من أذن له موسى بن جعفر عليهما السلام، فلما أدخل عليه دخل و هو يحرك شفتيه، فلما قرب إليه قعد الرشيد على ركبتيه و عاتقه، ثم أقبل عليه، و قال: كيف أنت يا أبا الحسن؟ كيف عيالك؟ كيف عيال أبيك؟ كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ و هو يقول: خير، خير، خير، فلما قام أراد الرشيد أن ينهض فأقسم عليه أبو الحسن فقعد، ثم عاتقه و خرج، فلما خرج قال له المأمون: من هذا الرجل؟

قال: يا بني هذا وارث علوم الأولين و الآخرين، هذا موسى بن جعفر، فإن أردت علما حقاً فعند هذا «١».

و من ذلك ما رواه أحمد البزاز قال: إن الرشيد لما أحضر موسى عليه السلام إلى بغداد فكّر في قتله، فلما كان قبل قتله بيومين، قال للمسيب و كان من الحراس عليه لكنه كان من أوليائه، و كان الرشيد قد سلم موسى إلى السندی بن شاهك و أمره أن يقيده بثلاثة قيود من الحديد ووزنها ثلاثين رطلاً قال: فاستدعى المسيب نصف الليل و قال: إنني طاعن عنك في هذه الليلة إلى المدينة لأعهد إلى من بها عهداً يعمل به بعدى، فقال المسيب: يا مولاي كيف أفتح لك الأبواب و الحرس قيام؟

فقال: ما عليك، ثم أشار بيده إلى القصور المشيدة و الأبواب العالية، و الدور المرتفعة، فصارت أرضاً، ثم قال لى: يا مسيب كن على هيئتك فأني راجع إليك بعد ساعة، فقال: يا مولاي أ لا أقطع لك الحديد؟ قال: فنفضه و إذا هو ملقى، قال: ثم خطا خطوة فغاب عن عيني، ثم ارتفع البنيان كما كان.

قال المسيب: فلم أزل قائماً على قدمي حتى رأيت الأبنية و الجدران قد خرت ساجدة

(١) بحار الأنوار: ٤٨ / ١٣٣ ح ٦ و الحديث طويل.

ص: ١٤٧

إلى الأرض، و إذا بسيدى قد أقبل و عاد إلى محبسه و أعاد الحديد إليه، فقلت: يا سيدى، أين قصدت؟ فقال: كل محب لنا فى الأرض شرقاً و غرباً حتى الجن فى البرارى و مختلف الملائكة «١».

و من ذلك ما رواه صفوان الجمال بن مهران قال: أمرنى سيدى أبو عبد الله عليه السلام يوماً أن أقدم ناقته على باب الدار، فجئت بها، قال: فخرج أبو الحسن موسى مسرعاً و هو ابن ست سنين فاستوى على ظهر الناقة و أثارها و غاب عن بصرى، قال: فقلت: إنّا لله و إنّا إليه راجعون، و ما أقول لمولاي إذا خرج يريد ناقته، قال: فلما مضى من النهار ساعة إذا الناقة قد انقضت كأنها شهاب و هى ترفض عرقاً، فنزل عنها و دخل الدار فخرج الخادم، و قال: أعد الناقة مكانها و أجب مولاك، قال: ففعلت ما أمرنى و دخلت عليه، فقال: يا صفوان إنمّا أمرتك إحضار الناقة ليركبها مولاك أبو الحسن، فقلت فى نفسى: كذا و كذا فهل علمت يا صفوان إلى أين بلغ عليها فى هذه الساعة؟ إنّه بلغ ما بلغه ذو القرنين و جاوزه أضعافاً مضاعفة و أبلغ كل مؤمن و مؤمنة سلامى «٢».

و من ذلك ما رواه المسيب أن الرشيد لما أراد قتل موسى أرسل إلى عمّاله في الأطراف فقال: التمسوا لى قوما لا يعرفون الله أستعين بهم فى مهمّ لى، فأرسلوا إليه قوما يقال لهم العبدّة، فلما قدموا عليه و كانوا خمسين رجلا أنزلهم فى بيت من بيوت داره قريب المطبخ، ثم حمل إليهم المال و الثياب و الجواهر و الأشربة و الخدم، ثم استدعاهم و قال: من ربّكم؟

فقالوا: ما نعرف ربّا و ما سمعنا بهذه الكلمة، فخلع عليهم، ثم قال للترجمان: قل لهم إن لى عدوّاً فى هذه الحجرة فادخلوا إليه فقطعوه، فدخلوا بأسلحتهم على أبى موسى عليه السّلام و الرشيد ينظر ما ذا يفعلون، فلما رأوه رموا أسلحتهم و خرّوا له سجدا فجعل موسى يمرّ يده على رءوسهم و هم يبكون، و هو يخاطبهم بالسنتهم، فلما رأى الرشيد ذلك غشى عليه و صاح بالترجمان أخرجهم، فأخرجهم يمشون القهقرى إجلالا لموسى عليه السّلام، ثم ركبوا خيولهم و أخذوا الأموال و مضوا «٣».

(١) مدينة المعاجز: ٣٨٤ / ٦.

(٢) الهداية الكبرى: ٢٧٠ باب ٩.

(٣) بحار الأنوار: ٤٨ / ٢٤٩ ح ٥٧.

ص: ١٤٨

الفصل العاشر فى أسرار أبى الحسن على بن موسى عليهما السّلام

فمن ذلك أن الرضا عليه السّلام لما قدم من خراسان توجّهت إليه الشيعة من الأطراف، و كان على بن أبى أسباط قد توجّه إليه بهدايا و تحف فأخذت القافلة و أخذ ماله و هداياه و ضرب على فيه، فانتشرت نواجذه فرجع إلى قرية هناك و نام، فرأى الرضا عليه السّلام فى منامه، و هو يقول:

لا تحزن إن هداياك وصلت إلينا، و أما فمك و ثناياك فخذ من السعد المسحوق و احشى به فاك، فانتبه مسرورا و أخذ من السعد وحشى به فاه فرد الله عليه نواجذه، قال: فلما وصل إلى الرضا عليه السّلام و دخل عليه قال له: قد وجدت ما قلناه لك فى السعد حقّا فادخل هذه الخزانة فانظر، فدخل فإذا ماله و هداياه كلّا على حدته «١».

و من ذلك أن رجلا من الواقعة جمع مسائل مشكلة فى طومار، و قال فى نفسه: إن عرف معناه فهو ولى الأمر، فلما أتى الباب، وقف ليخف الناس من المجلس، فخرج إليه خادم و بيده رقعة فيها جواب مسألة الإمام عليه السّلام فقال له الخادم: أين الطومار؟ فأخرجه، فقال له: يقول لك ولى الله هذا جواب ما فيه. فأخذه و مضى «٢».

و من ذلك أن الرضا عليه السّلام قال يوما فى مجلسه: لا إله إلّا الله مات فلان، ثم صبر هنيهة، و قال: لا إله إلّا الله غل و كفر، و حمل إلى حفرتة، ثم صبر هنيهة، و قال: لا إله إلّا الله وضع فى قبره، و سئل عن ربّه فأجاب، ثم سئل عن نبيه فأقرّ، ثم سئل عن إمامه فأخبر، و عن العترة، فعدهم، ثم وقف عندى فما باله وقف، و كان الرجل واقفيا «٣».

و من ذلك ما رواه الراوندى فى كتابه عن إسماعيل قال: كنت عند الرضا عليه السلام فمسح يده

(١) بحار الأنوار: ٤٩ / ٧١ ح ٩٥.

(٢) بحار الأنوار: ٤٩ / ٧١ ح ٩٥.

(٣) المصدر نفسه.

ص: ١٤٩

على الأرض فظهرت سبايك من فضة، ثم مسح يده فغابت، فقلت: أعطنى واحدة منها، فقال: إنَّ هذا الأمر ما آن وقته «١».

أقول: الفرق بين الشعبذة و السحر و السيمياء، و الكرامات و المعجزات، الأول منها قلب العين حتى يرى الإنسان شيئاً فيتخيَّله و لا حقيقة له و لا يبقى، و أما المعجزات و الكرامات فقلب أعيان الأشياء و تحويلها إلى حقيقة أخرى باقية لا تزول إلّا إذا أراد المظهر لها زوالها.

و من كراماته عليه السلام أن أبا نواس مدحه بأبيات فأخرج له رقعة فيها تلك الأبيات فتحرير أبو نواس، و قال: و الله يا ولى الله ما قالها أحد غيرى، و لا سمعها أحد سواك، فقال: صدقت، و لكن عندى فى الجفر و الجامعة أنك تمدحنى بها.

و من ذلك ما رواه أبو الصلت الهروى قال: بينما أنا واقف بين يدى أبى الحسن الرضا عليه السلام إذ قال لى: سيحفر لى هاهنا قبر فتظهر صخرة لو اجتمع عليها كل معول بخراسان لم يقدروا على قلعها، فمرهم أن يحفروا لى سبع مرّات إلى أسفل، و أن يشق لى ضريح فإنّ الماء سينبع حتى يمتلئ اللحد و ترى فيه حيتانا صغارا، ثم يخرج حوت كبير يلتقط الحيتان الصغار ثم يغيب، فدع يديك على الماء و تكلم بهذا الكلام فإنّه ينضب لك و لا يبقى منه شيء، و لا تفعل ذلك إلّا بحضرة المأمون، ثم قال لى: يا أبا الصلت غدا أدخل إلى هذا الفاجر، فإن خرجت مكشوف الرأس فتكلّم أكلمك، و إن خرجت مغطّى الرأس فلا تكلمنى.

قال أبو الصلت: فلما أصبحنا من الغد لبس ثيابه، و جلس فى محرابه، فجاء غلام المأمون و قال: أجب أمير المؤمنين، فلبس نعله و رداءه، و قام يمشى و أنا أتبعه، ثم دخل على المأمون و بين يديه أطباق و فاكهة، و بيده عنقود من عنب قد أكل بعضه و بقى بعضه، فلما رآه مقبلا و ثب قائما و عاتقه و أجلسه، ثم ناوله العنقود، و قال: يا ابن رسول الله هل رأيت أحسن من هذا العنب؟

فقال: قد يكون فى بعض الجنان أحسن منه، ثم قال له: كل منه، فقال له الرضا عليه السلام:

أعفى، فقال: لا بد من ذلك، ثم قال: و ما يمنعك أن تتهمنى؟ ثم تناول العنقود منه و أكل منه، و ناوله الرضا عليه السلام فأكل منه ثلاث حبّات، ثم رمى به، و قال له المأمون: إلى أين؟

ص: ١٥٠

فقال له الرضا عليه السلام: إلى حيث وجهتني، ثم خرج عليه السلام مغطى الرأس حتى دخل الدار ثم أمر أن تغلق الأبواب، ثم نام على فراشه.

قال: فكنت واقفا في صحن الدار باكيا حزينا إذ دخل إليّ شاب حسن الوجه أشبه الناس بالرضا فبادرت إليه وقلت: من أين دخلت و الباب مغلق؟ فقال: الذي جاء بي من المدينة في هذا الوقت هو الذي أدخلني الدار و الباب مغلق، فقلت: من أنت؟

فقال عليه السلام: أنا حجة الله يا أبا الصلت، أنا محمد بن علي، ثم مضى نحو أبيه الرضا عليه السلام فدخل، فأمرني بالدخول، فلما نظر إليه الرضا عليه السلام نهض إليه ليعتنقه، ثم سجد سجدتي إلى فراشه و أكبّ عليه محمد بن علي عليه السلام فسرّ إليه سرّاً لا أفهمه، و رأيت على شفة الرضا بياضا أشدّ بياضا من الثلج، و رأيت أبا جعفر عليه السلام يلحسه بلسانه ثم أدخل يده بين صدره و ثوبه فاستخرج منه شيئا شبه العصفور فابتلعه، ثم مضى الرضا عليه السلام فقال لي: يا أبا الصلت ايتني المغسل و الماء من الخزانة، فقلت: ما في الخزانة مغسل و لا ماء، فقال: ائتمر بما أمرك به.

قال: فدخلت الخزانة و إذا فيها مغسل و ماء فأتيته بها، ثم شمريت ثيابي لأعاونه، فقال:

تنح فإن لي من يساعدني، ثم قال لي: أدخل الخزانة و أخرج السفت الذي فيه كفه و حنوطه، فدخلت و إذا أنا بسفت لم أره من قبل ذلك فأخرجته إليه و صليّ عليه، ثم قال: اتّنى بالتابوت، فقلت: أ أمضى إلى النجار؟

فقال: إن في الخزانة تابوتا، فدخلت و إذا تابوت لم أر مثله قط، فأخرجته إليه فوضعت فيه بعد أن صليّ عليه، تباعد عنه و صليّ ركعتين، و إذا بالتابوت قد ارتفع فانشق السقف و غاب التابوت.

فقلت: يا ابن رسول الله الساعة يأتي المأمون و يسألنا عن الرضا فما ذا نقول؟

فقال: اسكت يا أبا الصلت، سيعود، إنه ما من نبي في شرق الأرض يموت و وصيه في غربها إلّا جمع الله بين روحيهما.

فما تم الحديث حتى عاد التابوت، فقال: فاستخرج الرضا عليه السلام من التابوت و وضعه على فراشه كأنه لم يكفن و لم يغسل، ثم قال: افتح الباب للمأمون، ففتحت الباب، و إذا أنا بالمأمون و الغلمان على الباب، فدخل باكيا حزينا قد شق جيبه و لطم رأسه، و هو يقول:

ص: ١٥١

وا سيداه، ثم جلس عند رأسه، و قال: خذوا في تجهيزه، و أمر بحفر القبر، فظهر جميع ما ذكر الرضا عليه السلام.

فقلت: أمرنى أن أحفر له سبع مرّات، و أن أشق ضريحه، قال: فافعل، ثم ظهر الماء و الحيتان، فقال المأمون: لم يزل الرضا عليه السلام يرينا عجائبه فى حياته حتى أَرانا بعد وفاته.

فقال له وزيره الذى كان معه: أ تدرى ما أخبرك به؟

قال: لا.

قال: أخبرك أن ملككم يا بنى العباس مع كثرتكم و طول مدّتكم مثل هذه الحيتان، حتى إذا انقضت دولتكم و ولّت أيامكم سلّط عليكم رجلا فأفناكم عن آخركم.

فقال له المأمون: صدقت، ثم دفن الرضا عليه السلام و مضى «١».

(١) بحار الأنوار: ٢٩٣ / ٤٩ ح ٨.

ص: ١٥٢

الفصل الحادى عشر فى أسرار أبى جعفر محمد بن على الجواد عليهما السلام النور المستضىء

فمن ذلك ما روى عنه أنه جىء به إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله بعد موت أبيه الرضا و هو طفل، فجاء إلى المنبر و رقى منه درجة، ثم نطق فقال: أنا محمد بن على الرضا أنا الجواد، أنا العالم بأنساب الناس فى الأصلاب، أنا أعلم بسرائركم و ظواهركم، و ما أنتم صائرون إليه، علم منحنا به من قبل خلق الخلق أجمعين، و بعد فناء السماوات و الأرضين، و لو لا تظاهر أهل الباطل و دولة أهل الضلال، و وثوب أهل الشك، لقلت قولا يعجب منه الأولون و الآخرون، ثم وضع يده الشريفة على فيه و قال: يا محمد اصمت كما صمت آباؤك من قبل «١».

و من ذلك ما رواه أبو جعفر الهاشمى قال: كنت عند أبى جعفر الثانى ببغداد فدخل عليه ياسر الخادم يوما و قال: يا سيّدنا إن سيدتنا أم جعفر تستأذنك أن تصير إليها.

فقال للخادم: ارجع فإنى فى الأثر، ثم قام و ركب البغلة و أقبل حتى قدم الباب، فخرجت أم جعفر أخت المأمون فسلمت عليه و سألته الدخول على أم الفضل بنت المأمون، و قالت:

يا سيدى أحب أن أراك مع ابنتى فى موضع واحد فتقر عيني، قال: فدخل و الستور تشال بين يديه فما لبث أن خرج راجعا و هو يقول: **فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ. «٢»**

قال: ثم جلس فخرجت أم جعفر تعثر ذيلها، فقالت: يا سيدى أنعمت علىّ بنعمة فلم تتمّها، فقال لها: أتى أمر الله فلا تستعجلوا، إنه قد حدث ما لم يحسن إعادته فارجعى إلى أم الفضل فاستخبريها عنه، فرجعت أم جعفر فأعادت عليها ما قال، فقالت: يا عمّة

و ما أعلمه بذاك عنى، ثم قالت: كيف لا أدعو على أبى و قد زوجنى ساحرا، ثم قالت: و الله يا عمّة إنه لما طلع علىّ جماله حدث لى ما يحدث للنساء فضربت يدى إلى أثوابى فضممتها، فبهتت

(١) الهداية الكبرى: ٢٩٦ باب ١١ و بحار الأنوار: ٥٠ / ١٠٨ ح ٢٧.

(٢) يوسف: ٣١.

ص: ١٥٣

أمّ جعفر من قولها ثم خرجت مذعورة، و قالت: يا سيدى و ما حدث لها.

قال: «هو من أسرار النساء».

فقالت: يا سيدى أتعلم الغيب؟

قال: لا.

قالت: فنزل إليك الوحى؟

قال: لا.

قالت: فمن أين لك علم ما لا يعلمه إلّا الله و هى؟

فقال: «و أنا أيضا أعلمه من علم الله «١»».

قال: فلما رجعت أمّ جعفر قالت له: يا سيدى و ما كان إكبار النسوة؟

قال: هو ما حصل لأمّ الفضل. فعلمت أنّه الحيض «٢».

(١) روحى فداه نفى أولا علم الغيب الاستقلالى ثم أثبتته بتعليم الله تعالى.

(٢) الهداية الكبرى: ١٩٧ ذيل الباب ٤ و الإرشاد إلى ولاية الفقيه: ٢٥٤.

ص: ١٥٤

الفصل الثاني عشر في أسرار أبي الحسن الهادي عليه السلام

فمن ذلك ما رواه محمد بن الحسن الحضيبي «١» قال: حضر مجلس المتوكل مشعبذ «٢» هندي فلعب عنده بالحقق فأعجبه، فقال له المتوكل: يا هندي الساعة يحضر مجلسنا رجل شريف فإذا حضر فالعب عنده بما يخجله، قال: فلما حضر أبو الحسن المجلس لعب الهندي فلم يلتفت إليه، فقال له: يا شريف أ ما يعجبك لعبي، كأنك جائع؟ ثم أشار إلى صورة مدورة في البساط على شكل الرغيف و قال: يا رغيف مرّ إلى هذا الشريف، فارتفعت الصورة فوضع أبو الحسن يده على صورة سبع في البساط و قال: قم فخذ هذا، فصارت الصورة سبعة، فابتلع الهندي و عاد إلى مكانه في البساط، فسقط المتوكل لوجهه، و هرب من كان قائما «٣».

و من ذلك ما رواه محمد بن داود القمي، و محمد الطلحي قال: حملنا مالا من خمس و نذور، و هدايا و جواهر، اجتمعت في قم و بلادها، و خرجنا نريد بها سيّدنا أبا الحسن الهادي عليه السلام فجاءنا رسوله في الطريق أن ارجعوا فليس هذا وقت الوصول إلينا، فرجعنا إلى قم و أحرزنا ما كان عندنا فجاءنا أمره بعد أيام أن قد أنفذنا إليكم إبلا غبراء فاحملوا عليها ما عندكم، و خلوا سبيلها فحملناها و أودعناها الله، فلما كان من قابل قدمنا عليه، قال: انظروا إلى ما حملتم إلينا، فنظرنا فإذا المنائح كما هي «٤».

(١) في نسخة خطية الحمصي.

(٢) كذا في الأصل يريد مشعود.

(٣) بحار الأنوار: ٥٠ / ٢١١ ح ٢٥.

(٤) بحار الأنوار: ٥٠ / ١٨٥ ح ٦٢.

ص: ١٥٥

الفصل الثالث عشر في أسرار أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام

فمن ذلك ما رواه علي بن عاصم الكوفي قال: دخلت على أبي محمد العسكري عليه السلام فقال لي: يا علي بن عاصم انظر إلى ما تحت قدميك فإنك على بساط قد جلس عليه كثير من النبيين و المرسلين، و الأئمة الراشدين.

قال: فقلت: يا سيدي لا أتعل ما دمت في الدنيا إكراما لهذا البساط؟

فقال: يا علي إن هذا النعل الذي في رجلك نجس ملعون [لا يقرّ بولائتنا].

قال: فقلت في نفسي: ليتني أرى هذا البساط، فعلم ما في ضميري، فقال: ادن مني، فدنوت منه، فمسح يده الشريفة على وجهي فصرت بصيرا قال: فرأيت في البساط أقداما و صوراً.

فقال عليه السّلام: هذا قدم آدم عليه السّلام و موضع جلوسه، و هذا أثر هابيل، و هذا أثر شيث، و هذا أثر نوح، و هذا أثر قيدار، و هذا أثر مهلائيل، و هذا أثر ديداد «١»، و هذا أثر اخنوخ، و هذا أثر إدريس، و هذا أثر توشلح «٢»، و هذا أثر سام، و هذا أثر أرفخشذ، و هذا أثر هود، و هذا أثر صالح، و هذا أثر لقمان، و هذا أثر إبراهيم، و هذا أثر لوط، و هذا أثر إسماعيل، و هذا أثر إلياس، و هذا أثر إسحاق، و هذا أثر يعقوب، و هذا أثر يوسف، و هذا أثر شعيب، و هذا أثر موسى، و هذا أثر يوشع بن نون، و هذا أثر طالوت، و هذا أثر داود، و هذا أثر سليمان، و هذا أثر الخضر، و هذا أثر دانيال، و هذا أثر اليسع، و هذا أثر ذو القرنين إسكندر، و هذا أثر سابور بن أرشير «٣»، و هذا أثر لؤى، و هذا أثر كلاب، و هذا أثر قصي، و هذا أثر عدنان، و هذا أثر عبد المطلب، و هذا أثر عبد الله، و هذا أثر عبد

(١) في البحار: ياره.

(٢) في نسخة متوشلح و هو المشهور و كذا في البحار.

(٣) في البحار: شابور بن أردشير.

ص: ١٥٤

مناف، و هذا أثر سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه و آله، و هذا أثر أمير المؤمنين عليه السّلام، و هذا أثر الأوصياء من بعده إلى المهدي عليه السّلام لأنّه قد وطئه و جلس عليه.

ثم قال: انظر إلى الآثار و اعلم أنّها آثار دين الله، و أنّ الشاك فيهم كالشاك في الله، [و من جردهم] كمن جحد الله، ثم قال: اخفض طرفك يا علي، فرجعت محجوبا كما كنت «١».

و من ذلك ما رواه الحسن بن حمدان عن أبي الحسن الكرخي قال: كان أبي بزا في الكرخ فجّهزني بقمّاش إلى سر من رأى فلما دخلت إليها جاءني خادم و ناداني باسمي و اسم أبي، و قال: أجب مولاك، فقلت: و من مولاى حتى أجيبه؟

فقال: ما على الرسول إلّا البلاغ المبين! قال: فتبعته فجاء بى إلى دار عظيمة البناء لا أشك أنّها الجنّة، و إذا رجل جالس على بساط أخضر و نور جلاله يغشى الأبصار فقال لى: إنّ فيما حملت من القماش خبرتين إحداهما فى مكان كذا، و الاخرى فى مكان كذا فى السفت الفلاني، و فى كل واحدة منهما رقعة مكتوب فيها ثمنها و ربحها، و ثمن إحداهما ثلاثة و عشرون دينارا و الربح ديناران، و ثمن الأخرى ثلاثة عشر دينارا، و الربح كالأولى، فاذهب فأت بهما.

قال الرجل: فرجعت فجئت بهما إليه فوضعتهما بين يديه فقال لى: اجلس فجلست لا أستطيع النظر إليه إجلالا لهيبته، قال: فمد يده إلى طرف البساط و ليس هناك شيء فقبض قبضة، و قال: هذا ثمن خبرتيك و ربحهما، قال: فخرجت و عدت المال فى الباب فكان المشتري و الربح كما كتب أبى لا يزيد و لا ينقص «٢».

(١) بحار الأنوار: ٥٠ / ٣٠٤ ح ٨١.

(٢) بحار الأنوار: ٥٠ / ٣١٤ ح ١٢.

ص: ١٥٧

الفصل الرابع عشر فى أسرار أبى صالح المهدي عليه السلام

فمن ذلك ما رواه الحسن بن حمدان عن حليلة «١» بنت محمد بن على الجواد قالت: كان مولد القائم ليلة النصف من شعبان سنة ٢٥٠ «٢» و أمه نرجس بنت ملك الروم فقالت حليلة:

فلما وضعته سجد، و إذا على عضده «٣» مكتوب بالنور: جاء الحق و زهق الباطل، قال: فجئت به إلى الحسن عليه السلام فمسح يده الشريفة على وجهه و قال: تكلم يا حجة الله و بقية الأنبياء، و خاتم الأوصياء، و صاحب الكرة البيضاء، و المصباح من البحر العميق الشديد الضياء، تكلم يا خليفة الأتقياء، و نور الأوصياء.

فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، و أشهد أن محمدا عبده و رسوله، و أشهد أن عليا ولي الله، ثم عدّ الأوصياء، فقال له الحسن عليه السلام: اقرأ ما نزل على الأنبياء، فابتدأ بصحف إبراهيم فقرأها بالسريانية، ثم قرأ كتاب نوح و إدريس، و كتاب صالح، و توراة موسى، و إنجيل عيسى، و فرقان محمد صلى الله عليه و عليهم أجمعين، ثم قص قصص الأنبياء إلى عهده عليه السلام «٤».

هذا بقية الله فى خلقه، و وجه الله فى عباده، و وديعته المستحفظة، و كلمته الباقية، و هذا بقية أغصان شجرة طوبى، هذا القاف، و سدرة المنتهى، هذا ريحان جنة المأوى، هذا خليفة الأبرار، هذا بقية الأطهار، هذا خازن الأسرار، هذا منتهى الأدوار، هذا ابن التسمية البيضاء، و الوجدانية الكبرى، و حجاب الله الأعظم الأعلى، هذا السبب المتصل من الأرض إلى السماء، هذا الوجه الذى يتوجه إليه الأولياء هذا الولي الذى بيمنه رزق الورى و ببقائه بقيت الدنيا، و بوجوده ثبتت الأرض و السماء، هذا الحجة من الحجج، هذا نسخة الوجود و الموجود، هذا غوث المؤمنين، و خاتم الوصيين و بقية النبيين، و مستودع علم الأولين

(١) فى نسخة خطية حكيمة.

(٢) كذا فى الأصل المطبوع و فى النسخة ٢٢٥ فأما فى كتاب دلائل الإمامة للطبرى: سنة ٢٥٧.

(٣) فى النسخة الخطية.

(٤) بحار الأنوار: ٥١ / ٢٧ ح ٣٧.

ص: ١٥٨

و الآخرين، هذا خاتم الألقاب الذاتية، و الأشخاص المحمدية، و العترة الهاشمية، هذا البقية من النور القويم، و النبا العظيم، و الصراط المستقيم، خلفاء النبي الكريم، و أبناء الرؤوف الرحيم، و أمناء العلى العظيم، ذرية بعضها من بعض، و الله سميع عليم.

أئمة اثنا عشر أشرف من تحت السماء

هم خلفاء أحمد و النقباء الحكماء

تعمى العيون عنهم و هم جلاء للعلماء

هذا الخليفة الوارث لأسرة النبوة و الإمامة، و الخلافة و الولاية، و السلطنة «١»، و العصمة و الحكمة، هذا الخلف من الآيات الباهرات، و النجوم الزاهرات، الذين لهم الحكم على الموجودات، و التصرف في الكائنات، و الاطلاع على الغيوب، و العلم بما فى الضمائر و القلوب، و الإحاطة بالمخلوقات و الشهادة لسائر البريات، شهد لهم بذلك الذكر المبين «٢»، بأنهم سادة الأولين و الآخرين، و الولاة على السماوات و الأرضين، و إن الذى وصل إلى الأنبياء قطرة من بحرهم، و لمعة من نورهم، و ذرة من سرهم، و ذلك لأن الذى كان عند الأنبياء من الاسم الأعظم حرفان لا غير، و كانوا يفعلون بهما العجائب، و عند آل محمد سبعون حرفا، و عندهم ما عند الأنبياء أيضا مضاف إليه، فالكل منهم و عنهم، و إليه الإشارة بقوله حكاية عن موسى عليه السلام: وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ «٣» و من هنا للتبعيض، و قال حكاية عن عيسى عليه السلام: لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ «٤»، و قال حكاية عن خاتم النبيين: وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ «٥»، و قوله: مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ

(١) فى النسخة الخطية و النقطة كما فى المفهوم الذى يراه المؤلف فى علم الحروف.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ هذه الآية فى آخر سورة التوبة.

(٣) الأعراف: ١٤٥.

(٤) النحل: ٣٩.

(٥) النحل: ٨٩.

ص: ١٥٩

شَيْءٍ «١»، فهم اللوح الحاوى لكل شىء، و الكتاب المبين الجامع لكل شىء، لأن كل ما سطر فى اللوح صار إليهم، دليله قوله: وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ «٢». و الإمام المبين هو اللوح المحفوظ «٣» المتقدم فى الوجود على سائر الموجودات، و سمّاه الإمام لأنه فوق الكل و إمام الكل، دليله قوله: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ اللّوْحَ الْمَحْفُوظَ» «٤» و نور محمد متقدّم فى علم الغيب على الكل و عدل على الكل، و عنه بدأ الكل و لأجله خلق الكل، فاللوح المحفوظ هو الإمام، و إليه الإشارة بقوله: وَكُلُّ شَيْءٍ

أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ فالكتاب المبين هو الإمام، وإمام الحق على، فعلى هو الكتاب المبين، وإليه الإشارة بما روى عن محمد الباقر عليه السلام أنه لما نزلت هذه الآية قام رجلان فقالا: يا رسول الله من الكتاب المبين أ هو التوراة؟

قال: لا. قالوا: فهو الإنجيل؟

قال: لا. قالوا: فهو القرآن؟

قال: لا. فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا هو الإمام المبين الذي أحصى الله فيه علم كل شيء «٥».

وإن كبر عليك أنه هو الكتاب المبين، فعنده علم الكتاب وإليه الإشارة بقوله: وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ «٦» فعلى الوجهين عنده علم الغيب من غير ريب.

أقول: يؤيد هذا ما رواه ابن عباس من كتاب المقامات قال: أنزل الله على نبيه كتابا من قبل أن يأتيه الموت عليه خواتيم من ذهب، فقال له: ادفعه إلى النجيب من أهلِكَ على بن أبي طالب عليه السلام و مره أن يفك خاتما منه و يعمل بما فيه، ففك منه خاتما و عمل بما فيه، ثم دفعه إلى الحسن عليه السلام ففك خاتما منه و عمل بما فيه ثم دفعه إلى الحسين عليه السلام ففك خاتما منه فوجد فيه: اخرج بقومك إلى الشهادة، واشتر نفسك لله، ثم دفعه إلى علي ابنه عليه السلام فوجد

(١) الأنعام: ٣٨.

(٢) يس: ١٢.

(٣) راجع تفسير الميزان: ١٧ / ٦٧ مورد الآية.

(٤) تقدّم الحديث.

(٥) تقدّم الحديث و راجع: ينابيع المودة: ١ / ٧٧ ط تركيا و: ٨٧ النجف، و تفسير الثقلين: ٤ / ٣٧٩.

(٦) الرعد: ٤٣.

ص: ١٦٠

فيه: اصمت و الزم بيتك و اعبد ربك حتى يأتيك اليقين، ففعل ثم دفعه إلى محمد ابنه عليه السلام ففك خاتما فوجد فيه: حدث الناس وافتهم، و لا تخافنّ إلّا الله فلا سبيل لأحد عليك، ففعل، ثم دفعه إلى ابنه جعفر ففك خاتما فوجد فيه: حدث الناس وافتهم و انشر علوم آبائك و صدق أهل بيتك، و لا تخافنّ أحدا إلّا الله هكذا حتى مضى، ثم صار إلى القائم عليه السلام «١».

يشهد بصحّة هذا الإيراد حديث اللوح الذى رواه جابر عن الزهراء عليها السّلام و هو لوح أهداه الله إلى رسوله فيه اسمه و اسم الخلفاء من بعده نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم» هذا كتاب من الله العزيز الحكيم إلى محمد نبيّه و سفيره نزل به الروح الأمين من رب العالمين، عظم يا محمد أمرى، و اشكر نعمائى، إننى أنا الله لا إله إلّا أنا فمن رجا غير فضلى، و خاف غير عدلى، عذبته عذابا أليما، فأياى فاعبد، و على فتوكل، إننى لم أبعث نبيا قط فأكملت أيامه إلّا جعلت له وصيا و إنى فضلتك على الأنبياء و جعلت لك عليا وصيا، و كرمتك بشبليک و سبطيک حسن و حسين، و جعلت حسنا معدن و حيا بعد أبيه، و جعلت حسينا خازن و حيا و أكرمته بالشهادة، و أعطيته مواريث الأنبياء فهو سيّد الشهداء، و جعلت كلمتى الباقية فى عقبه أخرج منه تسعة أبرار هداة أطهار منهم سيّد العابدين و زين أوليائى، ثم ابنه محمد شبیه جدّه المحمود الباقر لعلمى، هلك المرتابون فى جعفر، الراد عليه كالراد علىّ، حق القول منى أن أهيح بعده فتنة عمية، من جحد وليا من أوليائى فقد جحد نعمتى، و من غير آية من كتابى فقد افترى علىّ، ويل للجاحدين فضل موسى عبدى و حبيبى، و على ابنه وليى و ناصرى، و من أضع عليه أعباء النبوة يقتله عفريت مرید، حق القول منى لأقرن عينه بمحمد ابنه موضع سرى، و معدن علمى، و أختم بالسعادة لابنه على الشاهد على خلقى، أخرج منه خازن علمى الحسن الداعى إلى سبيلى، و أكمل دينى بابنه زكى العالمين عليه كمال موسى، و بهاء عيسى، و صبر أيوب، يذلّ أولياؤه فى غيبته و يتهادون براء و سهم إلى الترك و الديلم، و يصبغ الأرض بدمائهم و يكونون خائفين أولئك أوليائى حقّا، بكم أكشف الزلازل و البلاء، **أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ «٢»**.

(١) بحار الأنوار عن الكافى: ٣٦ / ١٩٢ ح ١.

(٢) بحار الأنوار: ٣٦ / ١٩٨ ح ٣ و الحديث طويل / و الآية ١٥٧ من سورة البقرة.

ص: ١٦١

فصل [آيات فى فضل الآل]

فهؤلاء سادة الأنام، و مصابيح الظلام، و كعبة الاعتصام، و ذروة الاحتشام، و أمناء الملك العلّام، الذين اصطفاهم للخطاب و ارتضاهم لميراث الحكمة و الكتاب، و إليهم الإشارة بقوله: **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا «١»** فهم السادة الأبرار و المصطفون الأخيار، الذين وصفهم بالطهارة و العصمة فى الكتاب، فقال: **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً «٢»** فهم الذرية الفاخرة، و سادة الدنيا و الآخرة، الذين دلّ الكتاب على أنهم الهداة المهديون.

فقال فى وصفهم ربّ العالمين: **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقَدَّهُ «٣»** ثم شهد الرسول بأنهم سفينة النجاة، فقال و قوله الحق صلى الله عليه و آله: «أهل بيتى كسفينة نوح من ركبها نجا و من تأخر عنها ضلّ و غوى» **«٤»**.

ثم أبان لنا ربّ الأرباب، أنهم ورثة الحكمة و الكتاب، فقال: **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَ جَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ «٥»**، فهم الذرية الطاهرون، و العترة المعصومون.

ثم صرح الذكر المبين أنهم ولاية يوم الدين، فقال: **إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ «٦»**، فإليهم الإياب، و عليهم الحساب، يوم الحساب أنتم أعلم أن حكم يوم المعاد

(١) فاطر: ٣٢.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) الأنعام: ٩٠.

(٤) بشار الأنوار: ٢٣ / ١٢٤، و الطرائف: ١ / ١٩٩ بتحقيقنا.

(٥) الحديد: ٢٦.

(٦) الغاشية: ٢٥ - ٢٦.

ص: ١٦٢

إليهم، و حساب العباد عليهم، فقال: **وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ «١»** فالشاهد محمد النبي، و السائق على الولي.

ثم أبان للخلق عددهم و نبأهم فقال: **وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً «٢»** فمنهم السادة النقباء، و الأسباط الأوصياء، ثم خصهم بالشرف و الفخار، و حصر فيهم العلم و الافتخار، فقال: **وَمِنْ آبَائِهِمْ وَ ذُرِّيَّتِهِمْ وَ إِخْوَانِهِمْ وَ اجْتَبَيْنَاهُمْ «٣»** فأباؤهم محمد و علي و فاطمة، و إخوانهم الحسن و الحسين، و ذرياتهم الخلفاء من عترة الحسين إلى آخر الدهر عليهم السلام.

ثم قال: **وَ اجْتَبَيْنَاهُمْ فَتَعَيَّنَ شَرَفُهُمْ وَ فَضْلُهُمْ وَ وَجِبَ اتِّبَاعُهُمْ**، و انقطاع الكل عن مرتبتهم و نزول الخلائق عن رفعتهم.

ثم أكد ذلك و عينه، و أشاع فضلهم و بينه، و أن الإمامة لا تكون إلّا في المعصوم البريء من السيئات، المطهر من الخطيئات، و أخرج من سواهم من دائرة الشرف و الحكم، و أشار إلى ذلك رمزا، فقال لنوح إذ قال: **رَبِّ إِنِّي ابْنِي مِنْ أَهْلِي* إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ «٤»**، ثم بين لعباده أنهم أئمة الحق، و أوضح لهم أنهم الداعون إلى الصدق، و أن من تبع غيرهم ضلّ و زلّ، فقال: **أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ «٥»**.

ثم توعّد عباده و خوفهم أن يتبعوا غيرهم فقال: **اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ «٦»** و الصدق فيهم و منهم.

ثم أمر عباده أن يدينوه بطاعتهم، فقال: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً «٧»** فجعل ولايتهم السلم و السلام.

(١) ق: ٢١.

(٢) المائدة: ١٢.

(٣) الأنعام: ٨٧.

(٤) هود: ٤٦.

(٥) يونس: ٣٥.

(٦) التوبة: ١١٩.

(٧) البقرة: ٢٠٨.

ص: ١٦٣

ثم بيّن في الآيات أنه اصطفاهم على الخلائق، وارتضاهم للغيب والحقائق، فقال: **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ «١»**.

ثم بيّن أنهم بنعم الله محسودون، وعلى فضل الله محسودون، فقال: **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا «٢»**، والملك العظيم هو وجوب الطاعة على سائر العباد.

ثم أوجب على العباد طاعتهم بالتصريح فقال: **أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ «٣»** يعني الذين قرنهم بالكتاب و الرسول.

ثم نهى عباده أن يتفرقوا عنهم فقال: **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ «٤»** يعني عليا وعترته، ثم قال: **وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ -** يعني غيرهم - **فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ -** يعني: فتضل بكم عن سبيله، فجعلهم سبيله الهادي إليه، و طريقه الدال عليه.

ثم جعل من مال عنهم تابعا للشيطان، ومخالفا للقرآن، وعاصيا للرحمن، فقال: **وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ** وهي طريق أعدائهم.

ثم بيّن أن من اتبعهم نال الرضوان، و فاز بالغفران، و نجا من النيران، فقال: **وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ «٥»** ومعناه قفوا عند علي و عترته فهم الباب و تمسكوا بحبهم تأمنوا العذاب، و اتبعوا سبيله فهو أم الكتاب؛ و اعلموا أن عليا مولاكم يغفر لكم خطاياكم.

ثم عدد مقاماتهم في الكتاب و عينهم بالخص و النص؛ فقال: **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ «٦»** يعني رهطك المصطفين.

ثم خصّهم بجوامع الشرف و التفضيل و التطهير، و هذا هو الفضل الذى لا يجحد و الشرف

(١) آل عمران: ٣٣.

(٢) النساء: ٥٤.

(٣) النساء: ٥٩.

(٤) الأنعام: ١٥٣.

(٥) النساء: ١٥٤.

(٦) الشعراء: ٢١٤.

ص: ١٦٤

الذى لا يحد.

ثم باهل بهم الأعداء فجعلهم على إثبات دينه شهداء، و على نبوة نبيه أدلاء، فقال:

فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَكُمْ «١».

ثم خصهم بالمقام الخاص، و جعلهم قنطرة الإخلاص، و نهج النجاة و الخلاص، فقال:

وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ «٢» و هى خصوصية خص بها الربّ الكريم فاطمة الزهراء بضعة الرءوف الرحيم.

ثم أوجب محبتهم على العباد، و جعلهم الذخر يوم المعاد، فقال: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى «٣».

ثم ذكر قصة نوح فقال: وَ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ «٤» و قال، عن هود: يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا «٥»، و قال لمحمد صلى الله عليه و آله: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى فلم يفرض لهم المودة إلا لأنهم نجوم الولاية، و شمس الهداية، لم يرتدوا عن الملة، و لم يفارقوا الكتاب و السنة، لا بل هم الكتاب و السنة، ففرض مودّتهم و طاعتهم، فمن أخذ بها و جب على رسول الله صلى الله عليه و آله أن يحبّه لأنه على منهاجه، و من لم يأخذ بها و جب على رسول الله صلى الله عليه و آله أن يبغضه لأنه ضيّع فريضة أمره الله و الرسول بها، لا بل هى رأس الفرض و تمام كل سنة و فرض، فأى شرف يعلو على هذا المقام.

ثم إنَّ الله لم يبعث نبياً إلّا و أمره أن لا يسأل أمّته أجراً على نبوّته، بل الله يوفيه أجره، و فرض لمحمد صلّى الله عليه و آله مودة أهل بيته عليهم السّلام، و أمره أن يبيّن فضلهم، فمن أخذ بهذه المودّة فهو مؤمن مخلص قد وجبت له الجنة، ثم قرن ذكر محمد بذكره فى الصلاة و قرن ذكرهم بذكر نبيّه فدلّ بذاك على رفيع شرفهم، و بيّن ذلك الصادق الأمين من قوله: اللّهم صلّ على محمد

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) الاسراء: ٢٦.

(٣) الشورى: ٢٣.

(٤) الشعراء: ١٠٩.

(٥) هود: ٥١.

ص: ١٦٥

و آل محمد صلّى الله عليه و آله، كما صليت على إبراهيم و آل إبراهيم أنك حميد مجيد «١».

ثم أعطاهم من الفضل ما لم يبلغ أحد وصفه، فسلم على الأكثر من رسله، و لم يسلم على آلهم فقال: **سَلامٌ على نُوحٍ فى العالَمينَ «٢»**، ثم قال: **سَلامٌ على إبراهيمَ «٣»** ثم قال:

سَلامٌ على موسى و هارونَ «٤»، ثم سلام على آل محمد صلّى الله عليه و آله، فقال: **سَلامٌ على إيلياسينَ «٥»** و ياسين اسم محمد بلغة طى.

ثم أنزل فى كتابه ما فرق به بين الآل و الأمة، فقال: **وَ اعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَى «٦»** فرضى لهم ما رضى لنفسه فبدأ بنفسه ثم بدأ برسوله، ثم بآل رسوله فجعل لنفسه نصيباً، ثم للنبي ثم لآله ثم قريهم إليه فى الطاعة فقال: **أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ «٧»** فبدأ بنفسه ثم برسوله المخبر عنه ثم بالهداة المهتدين من عترته، ثم أكّد لهم الولاية فقال: **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا «٨»** فجعل ولايتهم مع ولاية الرسول مقرونة بولايته، كما جعل سهمهم مع سهم الرسول مقروناً لسهمه فى القسمة «الغنيمة خ ل» فسبحان من فضلهم و رفعهم و اختارهم على العالمين.

فصل

ثم إنه لما أنزلت آية الصدقة نزه نفسه ورسوله ونزه أهل بيته، فقال: **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ «٩»** إلى آخر الآية، فلم يجعل له سهمًا ولا لرسوله ولا لآل رسوله من الصدقات، لأنها من أوساخ الناس، وهم مطهرون من الأدناس، فهم آل الذين أمر الله

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ح ٣٣٦٩.

(٢) الصفات: ٧٩.

(٣) الصفات: ١٠٩.

(٤) الصفات: ١٢٠.

(٥) التوبة: ٦٠.

(٦) الأنفال: ٤١.

(٧) النساء: ٥٩.

(٨) المائدة: ٥٥.

(٩) التوبة: ٦٠.

ص: ١٦٦

بطاعتهم، وذوو القربى الذين أمر الله بمودّتهم وصلّتهم، والموالى الذين أمر الله بطاعتهم ومعرفتهم، وأهل الذكر الذين أمر الله بمسألتهم، ورضى لهم ما رضى لنفسه، ونزههم عما نزه عنه نفسه، وجعلهم آل الرسول خاصة فقال: **قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا* رَسُولًا «١»**.

فهم آل الرسول وعترته، وأهل الله وخاصته، ومعهد التنزيل ونهايته، وسدنة الوحي وخزنته، كما قال أبو الحسن الرضا عليه السلام في مشاجرته: أ يحل لرسول الله صلى الله عليه وآله لو كان حيًّا أن يتزوج إليك؟ فقال المأمون: نعم.

فقال الرضا عليه السلام: لكنّه لا يحل له أن يتزوج إلىّ.

فقال المأمون: نعم. لأنك ابنه.

و هذا هو الفرق ما بين الآل و الأصحاب، لأنّ المأمون كان يزعم أن آل رسول الله أصحابه و أمّته، فأبان لهم الإمام من آله و أصحابه.

ثم إنه قال له سبحانه في لفظ التخصيص: **وَأَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ «٢»** فلفظ الأمر هنا خاص و معناه عام، لأنّه أدخله مع الأمّة لعموم الأمر، و ميّزهم عنهم بتخصيص لفظ الأهل، فكان رسول الله صلى الله عليه و آله بعد نزول هذه الآية يأتي إلى باب الزهراء عليها السلام فيقف هناك و يقول:

الصلاة يا آل محمد الصلاة «٣».

فصل «٤» [سر العدد ١٢]

و هم ١٢ سبطا خير أسباط المرسلين، و ١٢ نقيبا، و ١٢ نجما، بعدد البروج و الشهور

(١) الطلاق: ١٠.

(٢) طه: ١٣٢.

(٣) راجع مسند أحمد: ٣ / ٢٥٩ ط. م و: ٤ / ١٥٧ ط. ب و سنن الترمذی: ٥ / ٣٥٢ ح ٣٢٠٦ و تفسير الطبري: ٢٢ / ٥ مورد الآية.

(٤) جاء في هذا الفصل كثير من علم الحروف. و من الجدير بالذكر أن الحروف المدغمة المشددة تعدّ واحدة و الهمزة المدرجة و الألف المكتوبة و الملفوظة كذلك تعدّ واحدة ... و الألف علامة للإعراب و لغير الإعراب سواء وقعت في الفاء أو العين أو اللام.

ص: ١٤٧

و الأيام، و لكل إمام منهم ١٢ حرفا و هو سر من أسرار الولاية، و هو هذا مع التوحيد و النبوة لا إله إلّا الله ١٢، محمد رسول الله ١٢، النبي المصطفى ١٢، الصادق الأمين ١٢، على باب الهدى ١٢، أمين الله حقا ١٢، أمير المؤمنين ١٢، فاطمة أمة الله ١٢، البتول الزهراء ١٢، وارثة النبيين ١٢، الإمام الثاني ١٢، الحسن المجتبي ١٢، وارث المرسلين ١٢، الإمام الثالث ١٢، الحسين بن علي ١٢، خليفة النبيين ١٢، والد الوصيين ١٢، الإمام الرابع ١٢، الإمام السجّاد ١٢، علي بن الحسين ١٢، وارث المرسلين ١٢، سيّد العابدين ١٢، الإمام الخامس ١٢، الإمام الباقر ١٢، هو محمد بن علي ١٢، إمام المؤمنين ١٢، الإمام السادس ١٢، الإمام الصادق ١٢، هو جعفر بن محمد ١٢، قدوة الصديقين ١٢، الإمام السابع ١٢، الإمام الكاظم ١٢، هو موسى بن جعفر ١٢، خليفة النبيين ١٢، الإمام الثامن ١٢، الإمام الرضا ١٢، هو علي بن موسى ١٢، إمام المؤمنين ١٢، الإمام التاسع ١٢، الإمام الجواد ١٢، هو محمد بن علي ١٢، نجل المنتجبين ١٢، الإمام العاشر ١٢، الإمام الهادي ١٢، هو علي بن محمد ١٢، وارث الوصيين ١٢، الإمام الحادي عشر ١٢، الحسن العسكري ١٢، إمام المسلمين ١٢، الإمام الخاتم ١٢، القائم المهدي ١٢، محمد بن الحسن ١٢،

خليفة النبيين ١٢، خاتم الوصيين ١٢، هؤلاء العترة ١٢، الغر الميامين ١٢، بنو عبد المطلب ١٢، سادة أهل الجنة ١٢، محبهم مؤمن تقى ١٢، فى الجنة مخلد ١٢، عدوهم كافر شقى ١٢، فى النار مؤبد ١٢، اللهم صلّ عليهم ١٢، بأفضل صلواتك ١٢، يا ربّ العالمين.

فصل

و برهان ما هديت إليه، و دلت عليه، أن جميع الكلام إذا ردّ إلى الأصل كان منحصراً فى أربع كلمات، و هى: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، و الإسلام و الإيمان مبنى عليهما و كل واحدة من هذه الكلمات ١٢ حرفاً، و الإمام رأس الإيمان، و زمام الإسلام، فوجب أن يكون القائم بها ١٢ إماماً، و إليه الإشارة بقوله: **وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً** «١» و قوله:

(١) المائدة: ١٢.

ص: ١٦٨

وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشَرَ أَسْبَاطاً أُمَمًا فجعل القائم بأمره من النقباء الأولياء، و الأسباط الأوصياء ١٢، الثالث أنه جعل مصالح العالم فى الليل و النهار فى ١٢ ساعة، الرابع أنه جعل الشمس و القمر آيتين يهتدى بهما و سيرهما بالتقدير و التسخير فى ١٢ برجاً، و جعل شهور السنة ١٢ شهراً، فانظر بعين الاعتبار إلى هذه الأدوار كيف جرت بهذه الأسرار، بمشيئة الجبار، ذلك تقدير العزيز العليم.

ص: ١٦٩

فصل [مناقب الصنديد الكرّار]

فيا أيّها المرتاب فى فضل داحى الباب، و أمّ الكتاب و حاكم يوم الحساب، و ولى النعيم و العذاب، يوم المآب، مؤمن حبّه النجاة من العقاب، و عترته الهداة الأنجاء، أليس هو الرجل الذى قال فى حقّه النبىّ صلّى الله عليه و آله و قوله الحق: «من أراد أن ينظر إلى إسرافيل فى رفعتة، و إلى ميكائيل فى درجته، و إلى جبرائيل فى عظمتة، و إلى آدم فى هيبتة، و إلى نوح فى صبره و دعوته، و إلى إبراهيم فى سخاوته، و إلى موسى فى شجاعته، و إلى عيسى فى سماحته، و إلى محمد فى شرفه و منزلته، فلينظر إلى على بن أبى طالب عليه السّلام» «١» و هذا تنبيه و رمز إلى أنه الاسم الأعظم الجارى فى كل شيء، و أن كل شيء خلقه الله فإنّ علياً مولاه و معناه، لأنّه كلمة واجب الوجود و النور المشرق فى سماء الوجود و الموجود، فكل رفعة و إن علت - فإنّها تحت درجته، و كل منزلة - و إن علت - فهى دون منزلته، و تحت رتبته، فمقام الأملاك فى صوامع الأفلاك، دون منزلته و تحت رتبته، و مقام و نور الكواكب و الأقمار من إشراق شمس عظمتة، فهو العلى العظيم، ولى العلى العظيم، فهو عماد الأولياء، و دعوة الأنبياء.

فرفعة إسرائيل، و عظمة جبرائيل، و هيبه آدم، و كرم الخليل، و شجاعة موسى و سماحة عيسى، و حكمة داود، و ملك سليمان، ذرة من فخره و قطرة من بحره، و كيف لا يكون كذلك؟ و هو العلة في وجودهم، و سرّ موجودهم، فلولاه ما دار فلك، و لا سبّح لله ملك، فالنظر إليه عبادة، و الوقوف معه عبادة، و الموت على حبه شهادة، و موالاته سعادة، و هو الذي قال في حقّه الرسول يوم خبير: «لو لم أخف أن تقول أمّتي فيك ما قالت النصارى في

(١) مناقب ابن المغازلي: ٢١٢ ح ٢٥٦، و أمالي الشجرى: ١ / ١٣٣ و غرر البهاء الضوى: ٢٩٨ و روضة الواعظين: ١٢٨.

ص: ١٧٠

المسيح ابن مريم لقلت اليوم فيك حديثنا «١» فلو قال لدعوه ربّا، لكنّهم دعوه ربّا، و ما قال، و ذاك لعظيم الخصال و لما قال الرسول ما قال، قال المنافقون: ما باله يرفع خساسة ابن عمّه يريد أن يجعله ربّا فكفروا فيه بمقالة الرسول، و المنكر الآن لفضل ولى الرحمن لا فرق بينه و بين فلان و فلان.

فصل

و فى ذلك اليوم لما جاءت صفية إلى الرسول صلى الله عليه و آله و كانت أحسن الناس وجهاً فرأى فى وجهها شجة، فقال: ما هذه و أنت ابنة الملوك؟ فقالت: إنّ علياً لما قدم الحصن هزّ الباب فاهتزّ الحصن، و سقط من كان عليه من النظارة و ارتجف بى السرير، فسقطت لوجهى فشجّنى جانب السرير، فقال لها رسول الله صلى الله عليه و آله: يا صفية إنّ علياً عظيم عند الله، و إنه لما هزّ الباب اهتزّ الحصن و اهتزّت السماوات السبع، و الأرضون السبع، و اهتزّ عرش الرحمن غضباً لعلّى، و فى ذلك اليوم لما سأله عمر فقال: يا أبا الحسن لقد اقتلعت منيعاً و لك ثلاثة أيام خميصاً، فهل قلعتها بقوة بشرية؟ فقال: ما قلعتها بقوة بشرية، و لكن قلعتها بقوة إلهية، و نفس بلقاء ربّها مطمئنة رضية «٢».

فصل

و فى ذلك اليوم لما شطر مرحب شطرين، و ألقاه مجندلاً جاءه جبرائيل باسمًا متعجبًا فقال له النبى صلى الله عليه و آله: مم تعجبك؟ فقال: إنّ الملائكة تنادى فى صوامع و جوامع السماوات:

«لا فتى إلّا على و لا سيف إلّا ذو الفقار»، و أما إعجابى فإنّى لما امرت أن أدمّر قوم لوط حملت مدائنهم و هى سبع مدائن من الأرض السابعة السفلى إلى الأرض السابعة العليا، على ريشة من جناحى، و رفعتها حتى سمع حملة العرش صياح ديكهم، و بكاء أطفالهم، و وقفت بها إلى الصبح أنتظر الأمر و لم أنتقل بها، و اليوم لما ضرب على ضربته الهاشمية

(١) معجم الطبرانى الكبير: ١ / ٣٢٠ و مناقب الكوفى: ٢ / ٦١٥.

و كنت أمرت أن أقبض فاضل سيفه حتى لا يشق الأرض فيصل الثور الحامل لها يشطره شطرين، فتنقلب الأرض بأهلها فكان فاضل سيفه على أثقل من مدائن لوط، هذا وإسرافيل و ميكائيل قد قبضا عضده في الهواء!! «١».

أقول: استعظم الجاهل هذا الحديث، فاضل سيف على أثقل من مدائن لوط على يد جبرائيل هذا وإسرافيل و ميكائيل قد قبضا عضده في الهواء هو غلو.

فقلت: يا بعيد الفكرة و جامد الفطرة، جبرائيل و ميكائيل و إسرافيل خلق الله خلقوا من شعاع نور محمد و علي، و محمد و علي خلقا من جلال ذى الجلال، فهم صفة الله و كلمة الله و أمر الله، و خلق الله، و لهذا قال رسول الله صلى الله عليه و آله: لو كانت البحار مدادا و الغياض أقلاما، و السماوات صحفا، و الجن و الإنس كتّابا، لنفد المداد و كلت الثقلان، أن يكتبوا معشار عشر فضائل إمام يوم الغدير «٢»، و كيف يكتبون و أنى يهتدون؟

و لقد شهد لهذا الحديث النبوى الكتاب الإلهى من قوله: **قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا** «٣»، و أكبر كلمات الله على، و إليه الإشارة بقوله صلوات الله عليه: «أنا كلمة الله الكبرى» «٤» فله الفضل الذى لا يعد، و المناقب التى ليس لها حد، و لقد أنصف الشافعى محمد بن إدريس إذ قيل له: ما تقول فى على؟ فقال: و ما ذا أقول فى رجل أخفى أولياؤه فضائله خوفا، و أخفى أعداؤه فضائله حسدا، و شاع له بين ذين ما ملأ الخافقين «٥»، فأحببت أن أنظم هذا الحديث شعرا فقلت:

و أكبر فضل راح يرويه حاسد

روى فضله الحساد من عظم شأنه

و أخفاه بعضا حاسد و معاند

محبوه أخفوا فضله خيفة العدى

تجل بأن تحصى و إن عدّ قاصد

و شاعت له من بين ذين مناقب

علت فعلت أن يدن هاتيك راصد

إمام له فى جبهة المجد أنجم

(١) مدينة المعاجز: ١ / ٤٢٦، و البحار: ٢١ / ٤٠.

(٢) بحار الأنوار: ٤٠ / ٧٣ - ٧٥، و تذكرة الخواص: ٢٣، و الطرائف: ١ / ٢٠٨.

(٣) الكهف: ١٠٩.

(٤) روى الصدوق فى الأمالى ١١ مجلس ٣، عن النبى: «على كلمة الله العليا» و فى رواية: «الإمام كلمة الله» البحار ٢٥ / ١٦٩ و فى معانى الأخبار: «أنا كلمة الله التقوى».

(٥) كشف اليقين: ٤.

ص: ١٧٢

لها فوق مرفوع السماك منابر و فى عنق الجوزاء منها قلائد

مناقب إن جلت جلت كل كربة و طابت فطابت من شذاها المشاهد

فتى تاه فيه الخلق طراً فعابد له و مقر بالولاء و جاحد

إمام مبين كل فضل له حوى بمدحته التنزيل و الذكر شاهد

«١» فكل مبالغ فى فضله إلّا الغلو فهو معتذر، و كل مطنب و مطرب فى مدحه فهو مختصر، و إلى هذا المعنى أشار العارف الخليعى رضى الله عنه فقال:

سارت بأنوار علمك السير و حدثت عن جلالك السور

و الواصفون المحدثون غلوا و بالغوا فى علاك و اعتذروا

فصل [عدم إدراك حقيقة على عليه السلام]

و كيف لا يعتذرون و أنى يبصرون، و قد روى الأصعب بن نباتة أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يجلس للناس فى نجف الكوفة فقال يوماً لمن حوله: من يرى ما أرى؟.

فقالوا: و ما ترى يا عين الله الناظرة فى عبادته؟

فقال: أرى بعيراً يحمل جنازة، و رجلاً يسوقه و رجلاً يقوده، و سيأتيكم بعد ثلاث، فلمّا كان اليوم الثالث قدم البعير و الجنازة مشدودة عليه، و الرجلان معه، فسلمّا على الجماعة، فقال لهما أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن حيّاهم: من أنتم و من أين أقبلتم و ما هذه الجنازة و لما ذا قدمتم؟.

فقالا: نحن من اليمن، و أما الميّت فأبونا، و إنه عند الموت أوصى إلينا، فقال: إذا غسلتمونى، و كفنتموني، و صليتم علىّ فأحملوني على بعيرى هذا إلى العراق، و ادفنوني بنجف الكوفة، فقال لهما أمير المؤمنين: هل سألتماه لما ذا؟ فقالا: أجل قد سألناه، فقال:

يدفن هناك رجل لو شفع في يوم العرض في أهل الموقف لشفع، فقام أمير المؤمنين عليه السلام و قال: صدق، أنا و الله ذاك الرجل «٢».

(١) أعيان الشيعة: ٤ / ٤٦٨.

(٢) بحار الأنوار: ٤١ / ٣٥٧ ح ٦٥ بتفاوت.

ص: ١٧٣

فصل [ما عرف على سوى النبي عليهما السلام]

و كيف يعرف الناس علياً و يحيطون به خبراً و ذلك باب قد سدّ النبي طريق الوصول إليه، فقال و قوله الحق: «ما عرفك إلّا الله و أنا، و ما عرفني إلّا الله و أنت، و ما عرف الله إلّا أنا و أنت» «١».

هذا حديث صحيح و الناس مع صحّته يدعون معرفة الله و رسوله، و صدق الحديث يوجب كذب دعواهم، و صدق دعواهم يوجب كذب الحديث، و لكن الحديث صادق، فدعواهم في معرفة حقيقة الله و رسوله كاذبة، سبحانه ما عرفناك حق معرفتك، لأنّ حقيقة معرفة الله و معرفة حقيقة الله غير معلومة للبشر، و كذا معرفة حقيقة محمد و على عليهما السلام، و إليه الإشارة بقوله: «ما عرف الله غير الله، و ما وحدّ الله غير محمد رسول الله» «٢».

و كذا حقيقة محمد و على ما عرفها إلّا الله، و هم و قليل من أوليائهم، ممّن وصل إلى الدرجة العليا العاشرة من الإيمان. يدل على صحّة هذه الدعوى، و الشاهد ما ورد في كتاب البشائر: أن عمر دخل على رسول الله صلى الله عليه و آله في مسجده يوماً و بين يديه أمير المؤمنين فقال عمر: فمالى سألته «٣» ... الله.

قلت: أصدقكم لهجة أبو ذر، فقال: هو كما قلت، فقال عمر: فما لى سألته عنك فقال: هو في مسجده، فقلت: و من عنده؟

فقال: رجل لا أعرفه، و هذا على، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: صدق أبو ذر يا عمر، هذا رجل لا يعرفه إلّا الله و رسوله.

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٢٦٧، و إرشاد القلوب: ٢ / ٢٠٩ و بحار الأنوار: ٣٩ / ٨٤ ح ١٥.

(٢) في الحديث: يا على ما عرف الله إلّا بى ثم بك «البحار: ٢٢ / ١٤٨.

(٣) نقص بالأصل و لعله: .. سألته (أبا ذر) عن على فقال: لا يعرفه إلّا الله.

ص: ١٧٤

فصل

و بيان ما أشار إليه النبي و أحال عليه أن من عرف محمدا و عليا كمعرفة الله لهم، عرف الله «١» كما عرفوه، لكن الأول ممتنع فالثاني كذلك، مثاله من القرآن: قوله سبحانه لموسى:

لَنْ تَرَانِي* وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي «٢» فعَلَّقَ الرؤية على استقرار الجبل، و استقرار الجبل عند تجلّي نور الكبرياء محال، ف رؤية الرب الكبير المتعال بعين البصر محال. علق الممتنع على الممتنع فامتنع الثاني لامتناع الأول.

فمالك أيها المرتاب كلّما وضع الدليل ازدادت ضلالا عن السبيل، و كلّما لاح ضوء الصباح و فاح أقاح الإيضاح، زدت زكاما، و هل هذا ضلال عن الحق و شك في عين اليقين و إمام الصدق، فإذا كان المناق إذا تليت عليه آيات على أبي و استكبر، و الموافق إذا تليت عليه آياته أنكر و استكثر، فما الفرق إذا بين من عمى و أبصر؟ و لقد أحسن من أشار إلى هذا المقام فقال:

ذكرتك عند ذى ثقة صغى لى

أمير المؤمنين أراك لما

تكدر سرّه و بغى قتالى

و إن كررت ذكرك عند نغل

ذكرتك بالجميل من الخصال

فصرت إذا شككت بأصل امرأ

فأنت محكّ أولاد الحلال

فها أنا قد خبرت بك البرايا

كريم الأصل محمود الفعال «٣»

و ليس يطيق حمل ثناك إلّا

وجه آخر فى معنى قوله: «ما عرف الله إلّا أنا و أنت»، و ذاك أن العظمة التى رآها رسول الله ليلة المعراج و اختراقه الحجب السماوية، و وصوله إلى قاب قوسين و الكلام الذى خوطب

(١) فى الأصل المطبوع لفظ رجل بدل الله فتأمل المعنى جيّدا؟!

(٢) الأعراف: ١٤٣.

(٣) كان الشعر فى الأصل المطبوع مشوّها تشويها عجبيا و ممسوخا عن أصله إلى حدّ بعيد.

به بغير واسطة، ممّا لم ينله ملك مقرّب و لا نبي مرسل، و أن ذلك كله وصل إلى أمير المؤمنين و رآه كما رآه، و إليه الإشارة بقوله: «إنك ترى ما أرى و تسمع ما أسمع» «١» فما عرف الله سبحانه من جميع الخلائق بهذه المعرفة إلّا هم، و كذلك ما عرف

محمدا و عليا على ما هم عليه إلّا الله الذى أوجدهم من نور عظمته، و خصّهم بسرّه و كرامته، و جعلهم فى علو المقام تحت ذاته، و فوق جميع مخلوقاته؛ و من ذا الذى يحصى عدد أوراق الأشجار، و قطرات الأمطار، و ذرّات القفار، و رشحات البحار؟! و

وجه آخر فى معنى قوله: ما عرف الله إلّا أنا و أنت، و المراد أنه ليس بيننا و بين الله واسطة من المخلوقات، بل نحن أوّل المخلوقات و الخلائق، و عين الحقائق، و نحن فى مقامنا اللاحق سادة العبيد، و عبيد الحق.

(١) تقدّم الحديث.

ص: ١٧٦

فصل [حقيقة الإمام و الإمامة]

و إذا عرف الناس من معنى على العلى، إنّما شاهدوا منه ليتا جائلا، و هزبرا صائلا، و غضبا قاتلا، و بليغا قاتلا، و حاكما بالحق قاضيا، و غيثا هاملا، و نورا كاملا، فشهدوا صورة الجسم، و موقع الاسم، ذلك مبلغهم من العلم؛ و ما عرفوا أنه الكلمة التى بها تمّت الأمور، و دهرت الدهور، و الاسم الذى هو روح كل شىء، و الهاء التى فى هوية كل موجود، و باطن كل مشهود، و إن الذى خرج إلى حملة العرش من معرفة آل محمد مع قربهم من حضرة العظمة و الجلال كالقطرة من البحر، و ذلك لأن ذات الله تعالى غير معلومة للبشر كما مرّ، فلم يبق إلّا معرفة الصفات، و الناس فى معرفتها قسمان: قسم حظّهم منها الذكر لها و التقديس بها، فجعلوها فى السرّ أورادهم، و مركبهم إلى مطلبهم و مرادهم، فتجلّى عليهم نور الجمال، من سبحات الجلال، فصاروا فى القميص البشرية، أشخاصا سماوية، تخضع لهم السباع، و تذللّ لهم الضباع.

و هذا سرّ «١» تلاوة الأسماء؛ و كذلك الناس فى معرفة آل محمد؛ قسم عرفوا أنهم أولياء الله و الوسيلة إلى عفوه و رضاه، فقدّموهم فى حاجتهم لديه، و توسّلوا بهم إليه؛ و قسم عرفوا أنّهم الكلمة الكبرى، و الآية العظمى، لأن أقرب الصفات إلى حضرة الأحديّة، جمال الوحدانية؛ لأن الواحد إما أن يكون أوّل الأعداد و منبع الآحاد، و الواحد الفاضل عن الاثنين؛ و هو الذى لا يكون زوجا و لا فردا؛ ذلك هو الأحد الحق .. و أما الواحد الذى هو منبع الموجودات؛ فهو الواحد المطلق «٢» الذى لا يحدّ و لا يعدّ؛ و لا لأمره دفع؛ و لا لسلطانه نفاذ،

(١) فى الأصل المطبوع: أثر بدلا «عن سر» النسخة الخطية.

(٢) فى النسخة المخطوطة: و الأمر المتصل من الواحد إلى الأحد هو روح الحق و معنى سائر الخلق و هى الكلمة.

ص: ١٧٧

و لا لملكه فناء؛ و هى الكلمة التى تخضع لذكرها الموجودات؛ و تنفعل بسماعها الكائنات؛ و هى مستورة بين حرفين كن فيكون. فمن تجلّى على مرآة نفسه بوارق سرّهم الخفى؛ و اسمهم العلى خرق لهم الجدران؛ و سخرت لهم الأكوان، و كان من أولياء الرحمن، و أمن العذاب و الهوان.

يؤيّد هذا المدعى ما رواه طارق بن شهاب عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنه قال: يا طارق، الإمام كلمة الله و حجة الله، و وجه الله و نور الله، و حجاب الله، و آية الله، يختاره الله، و يجعل فيه منه ما يشاء، و يوجب له بذلك الطاعة و الأمر على جميع خلقه، فهو وليّه فى سماواته و أرضه، أخذ له بذلك العهد على جميع عباد، فمن تقدّم عليه كفر بالله من فوق عرشه فهو يفعل ما يشاء، و إذا شاء الله شيئاً يكتب على عضده، و تمّت كلمة ربّك صدقا و عدلا، فهو الصدق و العدل، ينصب له عمود من نور من الأرض إلى السماء يرى فيه أعمال العباد، و يلبس الهيبة و علم الضمير، و يطلع على الغيب و يعطى التصرف على الإطلاق، و يرى ما بين الشرق و الغرب فلا يخفى عليه شىء من عالم الملك و الملكوت، و يعطى منطق الطير عند ولايته. فهذا الذى يختاره الله لوحيه و يرتضيه لغيبه، يؤيّد بكلمته، و يلقنه حكمته، و يجعل قلبه مكان مشيئته، و ينادى له بالسلطنة و يدعّن له بالإمرة، و يحكم له بالطاعة، و ذلك لان الإمامة ميراث الأنبياء، و منزلة الأصفياء، و خلافة الله و خلافة رسل الله، فهى عصمة و ولاية، و سلطنة و هداية، لأنّها تمام الدين، و رجح الموازين، الإمام دليل للقاصدين، و منار للمهتدين، و سبيل للسالكين، و شمس مشرقة فى قلوب العارفين. ولايته سبب النجاة، و طاعته معرفة «١» للحياة، وعدة بعد الممات، و عزّ المؤمنين و شفاعة المذنبين، و نجاة المحبّين و فوز التابعين، لأنّها رأس الإسلام و كمال الإيمان، و معرفة الحدود و الأحكام، تبين الحلال من الحرام، فهى رتبة لا ينالها إلّا من اختاره الله و قدّمه، و ولّاه و حكمه.

فالولاية هى حفظ الثغور، و تدبير الأمور، و هى بعدد الأيام و الشهور، الإمام الماء العذب على الظمأ، و الدال على الهدى، المطهر من الذنوب، المطلع على الغيوب، فالإمام هو الشمس الطالعة على العباد بالأنوار، فلا تناله الأيدى و الأبصار.

(١) - فى النسخة المخطوطة مفترضة.

ص: ١٧٨

- و إليه الإشارة بقوله: **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** «١» و المؤمنون على و عترته فالعزة للنبي و للعترة، و النبي و العترة لا يفترقان إلى آخر الدهر-.

فهم رأس دائرة الإيمان و قطب الوجود، و سماء الجود، و شرف الوجود، و ضوء شمس الشرف و نور قمره، و أصل العزّ و المجد و مبدؤه و معناه و مناه، فالإمام هو السراج الوهاج، و السبيل و المنهاج، و الماء الثجاج، و البحر العجاج، و البدر المشرق و الغدير المغدق، و المنهج الواضح المسالك، و الدليل إذا عمت المهالك، و السحاب الهاطل، و الغيث الهامل، و البدر الكامل، و الدليل الفاضل، و السماء الظليلة، و النعمة الجليلة، و البحر الذى لا ينزف، و الشرف الذى لا يوصف، و العين الغزيرة، و الروضة المطيرة، و الزهر الأريج، و البدر البهيج، و النير اللاتح و الطيب الفائح، و العمل الصالح و المتجر الرابع، و المنهج الواضح، و الطيب الرفيق، و الأب الشفيق، و مفرع العباد فى الدواهي، و الحاكم و الأمر و الناهي، أمير الله على الخلائق، و أمينه على الحقائق، حجة الله

على عبادته، و محبته في أرضه و بلاده، مطهر من الذنوب، مبرأ من العيوب، مطلع على العيوب، ظاهره أمر لا يملك، و باطنه غيب لا يدرك، واحد دهره، و خليفة الله في نهيه و أمره، لا يوجد له مثيل، و لا يقوم له بديل.

فمن ذا ينال معرفتنا، أو ينال درجتنا، أو يدرك منزلتنا. حارت الألباب و العقول، و تاهت الأفهام فيما أقول، تصاغرت العظماء و تقاصرت العلماء، و كلت الشعراء و خرس البلغاء، و لكنت الخطباء، و عجزت الشعراء، و تواضعت الأرض و السماء، عن وصف شأن الأولياء، و هل يعرف أو يوصف، أو يعلم أو يفهم، أو يدرك أو يملك، شأن من هو نقطة الكائنات، و قطب الدائرات، و سرّ الممكنات، و شعاع جلال الكبرياء، و شرف الأرض و السماء؟

جل مقام آل محمد عن وصف الواصفين، و نعت الناعتين، و أن يقاس بهم أحد من العالمين، و كيف و هم النور الأول، و الكلمة العليا، و التسمية البيضاء، و الوحدانية الكبرى، التي أعرض عنها من أوبر و تولّى، و حجاب الله الأعظم الأعلى، فأين الأخيار من هذا؟ و أين العقول من هذا، و من ذا عرف، من عرف؟ أو وصف من وصف، ظنوا أن ذلك في غير آل محمد، كذبوا و زلّت أقدامهم، و اتخذوا العجل ربّاً، و الشيطان حزباً، كل ذلك بغضة لبيت

(١) - المنافقون: ٨.

ص: ١٧٩

الصفوة و دار العصمة، و حسدا لمعدن الرسالة و الحكمة، و زين لهم الشيطان أعمالهم فتبا لهم و سحقا، كيف اختاروا إماما جاهلا عابدا للأصنام جبانا يوم الزحام، و الإمام يجب أن يكون عالما لا يجهل، و شجاعا لا ينكل، لا يعلو عليه حسب، و لا يدانيه نسب، فهو في الذروة من قريش و الشرف من هاشم، و البقية من إبراهيم و النهمج من النبع الكريم، و النفس من الرسول و الرضى من الله، و القبول عن الله، فهو شرف الأشراف، و الفرع من عبد مناف، عالم بالسياسة قائم بالرياسة، مفترض الطاعة، إلى يوم الساعة، أودع الله قلبه سرّه، و أنطق به لسانه، فهو معصوم موفق ليس بجبان، و لا جاهل فتركوه يا طارق، و اتبعوا أهواءهم و **أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ «١»**.

و الإمام يا طارق بشر ملكي و جسد سماوي، و أمر إلهي و روح قدسي، و مقام على و نور جلي، و سرّ خفي، فهو ملكي الذات إلهي الصفات، زائد الحسنات عالم بالمغيبات، خصا من رب العالمين، و نسا من الصادق الأمين، و هذا كله لآل محمد صلى الله عليه و آله لا يشاركون فيه مشاركا، لأنهم معدن التنزيل، و معنى التأويل و خاصة الرب الجليل، و مهبط الأمين جبرائيل، صفات الله و صفوته، و سرّه و كلمته، شجرة النبوة، و معدن الفتوة، عين المقالة و منتهى الدلالة، و محكم الرسالة، و نور الجلالة، حبيب الله و وديعته، و موضع كلمة الله و مفتاح حكمته، مصابيح رحمة الله و ينابيع نعمته، السبيل إلى الله و السلسيل، و القسطاس المستقيم، و المنهاج القويم، و الذكر الحكيم، و الوجه الكريم، و النور القويم، أهل التشريف و التقويم و التقديم، و التفضيل و التعظيم، خلفاء النبي الكريم، و أبناء الرؤوف الرحيم و أمناء العلى العظيم، ذرية بعضها من بعض و الله سميع عليم، السناء الأعظم و الطريق الأقوم. من عرفهم و أخذ عنهم، فهو منهم، و إليه الإشارة بقوله: من تبعني فإنه مني، خلقهم الله من نور عظمتهم، و ولاهم أمر مملكته، فهم سرّ الله المخزون، و أولياؤه المقربون، و أمره بين الكاف و النون.

لا بل هم الكاف والنون، إلى الله يدعون و عنه يقولون، و بأمره يعلمون، علم الأنبياء في علمهم، و سرّ الأوصياء في سرّهم، و عزّ الأولياء في عزّهم، كالقطرة في البحر، و الذرة في القفر، و السماوات و الأرض عند الإمام منهم كيده من راحته يعرف ظاهرها من باطنها، و يعلم

(١) - القصص: ٥٠.

ص: ١٨٠

برّها من فاجرها، و رطبها و يابسها، لأنّ الله علم نبيّه علم ما كان و ما يكون، و ورث ذلك السرّ المصون، الأوصياء المنتجبون، و من أنكر ذلك فهو شقى ملعون، و كيف يفرض الله على عباده طاعة من يحجب عنه ملكوت السماء و الأرض؟ و إن الكلمة من آل محمد تنصرف إلى سبعين وجهاً.

- [قال المؤلف:] و كلما ذكر في الذكر الحكيم و الكلام القديم، من آية يذكر فيها العين و الوجه، و اليد و الجنب، فالمراد منها الولي لأنه جنب الله، و وجه الله، يعنى حق الله و علم الله، و عين الله و يد الله، لأنّ ظاهرهم باطن الصفات الظاهرة، و باطنهم ظاهر الصفات الباطنة، فهم ظاهر الباطن و باطن الظاهر و إليه الإشارة بقوله: «إن لله أعينا و أيادي، و أنا و أنت يا على منها»-

«فهم الجنب العلى و الوجه الرضى، و المنهل الروى، و الصراط السوى، الوسيلة إلى الله، و الوصلة إلى عفوه و رضاه، سرّ الواحد و الأحد، فلا يقاس بهم من الخلق أحد، فهم خاصة الله و خالصته، و سرّ الديان و كلمته، و باب الإيمان و كعبته، و حجة الله و محبّته، و أعلام الهدى و رايته، و فضل الله و رحمته، و عين اليقين و حقيقته، و صراط الحق و عصمته، و مبدأ الوجود و غايته، و قدرة الرب و مشيئته، و أمّ الكتاب و خاتمته، و فصل الخطاب و دلالته، و خزنة الوحي و حفظته، و أمانة الذكر و ترجمته، و معدن التنزيل و نهايته، فهم الكواكب العلوية، و الأنوار العلوية المشرقة من شمس العصمة الفاطمية، فى سماء العظمة المحمدية، الأغصان النبوية، النابعة فى الدرجة الأحمدية، الأسرار الإلهية المودعة فى الهياكل البشرية، الذرية الزكية، و العترة الهاشمية، الهادية المهديّة، أولئك هم خير البرية، فهم الأئمة الطاهرون و العترة المعصومون، و الذرية الأكرمين و الخلفاء الراشدين، و الكبراء الصديقين، و الأوصياء المنتجبين، و الأسباط المرضيين، و الهداة المهديين، و الغرّ الميامين، آل طه و ياسين، و حجة الله على الأولين و الآخرين، اسمهم مكتوب على الأحجار، و على أوراق الأشجار، و على أجنحة الطياري، و على أبواب الجنة و النار، و على العرش و الأفلاك، و على أجنحة الأملاك، و على حجب الجلال، و سرادقات العزّ و الجمال، و باسمهم تسبّح الطياري، و تستغفر لشيعتهم الحيتان فى لجج البحار، و إن الله لم يخلق خلقا إلّا و أخذ عليه الإقرار بالوحدانية، و الولاية

ص: ١٨١

للذرية الزكية، و البراءة من أعدائهم، و إن العرش لم يستقر حتى كتب عليه بالنور: لا إله إلّا الله محمد رسول الله على ولى الله»

«١».

يؤيد هذا ما رواه الخوارزمي في مناقبه مرفوعا إلى ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أتاني جبرائيل فنشر جناحيه، وإذا علي أحدهما مكتوب لا إله إلا الله محمد النبي، وعلى الآخر لا إله إلا الله على الولي، وعلى أبواب الجنة مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله، على أخوه وولي الله، أخذت ولايتهم على الذر قبل خلق السماوات والأرض بألفي عام» «٢».

و من ذلك ما رواه أبو بكر بن الخطيب مرفوعا إلى ابن عباس قال: «على أبواب الجنة مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله، فاطمة خيرة الله، الحسن والحسين صفوة الله، على محبهم رحمة الله، وعلى مبغضهم لعنة الله» «٣».

و من ذلك ما رواه محمد بن يعقوب الهاشمي عن علي بن موسى الرضا، عن أبيه موسى ابن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه أمير المؤمنين، عن محمد خاتم النبيين، عن جبرائيل الأمين، عن ميكائيل، عن إسرافيل، عن الله جل جلاله، أنه قال جل من قائل: أنا الله الذي لا إله إلا أنا خلقت الخلق بقدرتي، واخترت منهم أنبياء، واصطفيت من الكل محمدا صلى الله عليه وآله، وجعلته حبيبا ورضيا، وبعثته إلى خلقي، و اصطفيت له عليا و أيدته به، وجعلته أميني و أميرى، و خليفتي على خلقي، و وليي على عبادي، يبين لهم كتابي و يشرفهم بحكمي و جعلته العلم الهادي من الضلالة، و بابي الذي أوتى منه، و بيتي الذي من دخله كان آمنا من ناري، و حصني الذي من لجأ إليه حصنته من مكروه الدنيا والآخرة، و وجهي الذي من توجه إليه لم أصرف عنه وجهي، و حجتي على أهل سمائي و أرضي، و على جميع من سمّيته «٤» من خلقي، فلا أقبل عمل عامل إلا مع الإقرار بولايته مع نبوة أحمد رسولي، و يدي المبسوطة في عبادي، فبعضتي حلفت،

(١) - الحديث بطوله: في بحار الأنوار: ٢٥ / ١٧٠ ح ٣٨.

(٢) - بحار الأنوار: ٢٧ / ٢ ح ٢ بتفاوت.

(٣) - تاريخ بغداد: ١ / ٢٧٤ رقم ٨٨ و مناقب الخوارزمي: ٣٠٢ ح ٢٩٧ و مقتل الخوارزمي: ١ / ٤ - ١٠٨ و الطرائف: ١ / ٩٩ بتحقيقنا.

(٤) - في الأصل المطبوع من بينهن.

و بجلالي أقسمت، أنه لا يتولّى عليا عبد من عبادي إلا زحزحته عن النار، و أدخلته جنتي، و لا يعدل عن ولايته إلا من أبغضته، و أدخلته ناري «١».

فمن زحزح عن النار - التي هي بغض علي - و أدخل الجنة - التي هي حب علي - فقد فاز - لأن النجاة من النار و دخول الجنة بالإيمان، و الدرجات بالصالحات، من الأعمال، و الإسلام و الإيمان حب علي، لأن كمال الإسلام الإيمان، فلا إسلام حقيقي إلا

بالإيمان، بل الإسلام الحقيقي هو الإيمان، و الإيمان الحقيقي حبّ على، وإليه الإشارة بقوله: **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ «٢»** و ذلك أن الإسلام هو الإيمان، و الإيمان تمامه و كماله حبّ على، فلا إيمان إلّا بحبّ على، و لا نجاة إلّا به.

دليله أيضا قوله: **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ «٣»**، و المراد بهذا الإسلام حبّ على، لأنه أين كان الإيمان كان الإسلام من غير عكس، فكل مؤمن مسلم، و إليه الإشارة بقوله سبحانه: **قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا «٤»** فالإسلام بغير الإيمان لا ينجي، لأن الأعمال بخواتيمها، و خواتيم الشرائع الإسلام، و خواتيم الإسلام الإيمان، و ختم الإيمان حبّ على، فحبّ على خاتمة كل دين. و عين كل يقين، فحبّه الجنّة، و بغضه النار، دليل ذلك ما رواه صاحب الأمالي: أن جبرائيل نزل على رسول الله صلى الله عليه و آله فقال له: يا محمد السلام يقرئك السلام و يقول لك: خلقت السماوات السبع و ما فيهنّ، و الأرضين السبع و ما بينهنّ، و ما خلقت موضعا أكرم من الركن و المقام، و لو أن عبدا عبدني هناك منذ خلقت السماوات و الأرض، ثم لقيني يوم القيامة جاحدا لعلّي حقّا لأكبيته في سقر «٥».

و يؤيد ذلك ما ورد عنه صلى الله عليه و آله: و ليلة أسرى بي إلى السماء وجدت اسم على مقرونا باسمي في أربع مواضع: الأوّل وجدت على صخرة بيت المقدس مكتوبا لا إله إلّا أنا وحدى، محمد رسولى من خلقى أيّده بوزيره و نصرته به. قال: فقلت: يا جبريل و من وزيرى؟ فقال: على

(١) - بحار الأنوار: ٣٨ / ٩٨ ح ١٧ عن الأمالي بتفاوت.

(٢) - آل عمران: ١٩.

(٣) - آل عمران: ٨٥.

(٤) - الحجرات: ١٤.

(٥) - بحار الأنوار: ٢٧ / ١٦٧ ح ٣ و فيه لولاية على.

ص: ١٨٣

ابن أبى طالب. قال: لما أتيت إلى العرش و انتهيت إليه؛ وجدت مكتوبا على قائمة لا إله إلّا أنا وحدى محمد صفوتى من خلقى أيّده بوزيره و نصرته. فقلت: يا جبريل و من وزيرى؟ فقال:

على بن أبى طالب عليه السلام، قال: و لما انتهيت إلى سدرة المنتهى؛ وجدت عليها مكتوبا أنا الله لا إله إلّا أنا وحدى محمد صفوتى من خلقى أيّده بوزيره على و نصرته به «١»؛ ألا و إنه قد سبق فى علمى أنه مبتلى و مبتلى به؛ ممّا أتى قد نحلته و نحلته أربعة أشياء لا يفصح عن عقدها «٢».

فصل

و أنا أقول على فقري و إملاقي: يا آل الرسول صلوات الله عليكم و سلامه منّا إليكم كلّما تسنمت بعود الورق، و سجمت دموع الورق، لقد آتاكم الله من فضله ما لم يؤت أحدا من خلقه؛ طأطأ كل شريف رأسه لشرفكم و ذل كل عزيز لعزّتكم؛ و أشرقت الأرض بنوركم؛ و فاز العارفون بحبّكم؛ فأنتم ينابيع النعم؛ و مصابيح الظلم؛ و مفاتيح الكرم؛ و لو لا كم لم يخرج الوجود من العدم؛ فقلت:

يا آل طه أنتم أملى	و عليكم فى البعث متكلّى
بولاكم و بطيب مدحكم	أرجو الرضا و العفو عن زللى
رجب المحدث عبد عبدكم	الحافظ البرسى لم يزل
لا يخشى فى بعثه زللا	إذ سيده محمد و على

و إن الذى خرج إلى الملائكة من معرفتكم قليل من كثير؛ و كيف يعرفكم الناس مع جلالة قدركم؟ و أنتم النور الذى بهر عيون العقول؛ فحنأت «٣» عن إدراك مجدكم؛ و كيف تدرك عين الشمس أبصار الخفافيش؟ و معذور من أنكر غامض سرّكم؛ و خفى أمركم؛ و باهر نوركم؛ لأنّ الناظر فى صحائف مجدكم، حجبهم النظر إلى الظاهر عن إدراك السرائر؛ و صدّهم عن المعنى الشاهد زخرف الشاهد، فطوفوا بقصور المعنى؛ قصورا عن المعنى فكانوا كما قيل:

(١) - بحار الأنوار: ٢٧ / ٢ ح ٥.

(٢) - بحار الأنوار: ٣٦ / ١٥٩ ح ١٤٠.

(٣) - كذا بالأصل.

ص: ١٨٤

خلعنا هياكلنا فجادوا بلثمها فشاقيهم المعنى وفاتهم المعنى

فهم كالمنجم الذى نقل أحكام النجوم من علماء الهيئة؛ فهو يحدث الناس بما وعاه و لا يعقل ما رواه؛ ممّا يحجبه النور عنه و واره؛ و صغره البعد فى عينه و زواه؛ فإذا قيل له: إن الأرض بأسرها غائصة تحت الماء؛ و إن الخارج منها إنّما هو ربع الكرة؛ و منه المدن و القرى و الأقاليم السبعة؛ و البرارى و القفار؛ و البحار و الجبال، و الخراب و العمران؛ و إنّما المسكون جزء من هذا الربع؛ و ذلك لأنّ مشرق الشمس الذى هو تحت سهيل، فإنّ الشمس لا تغيّب هناك إلّا ستة أشهر و الباقي نهار، و ليس هناك نبات و لا حيوان؛ إلّا صخور محترقة من حرّ الشمس. و بعد الشمس عن الأرض هناك مائة ألف فرسخ و أربعة و عشرون ألف

فرسخ، وكذا ما يقابله تحت الجدى من ناحية المغرب فإنّ الزمان هناك ليل إلّا قليل ترى فيه الشمس عند صعودها فى برج السرطان، وهناك لا حيوان ولا نبات وتلك هى بلاد الظلمات، وهذه الأرض أكثرها جبال وصخور وغيرهما، ثم إن الأرض بأسرها؛ من مشرقها إلى مغربها؛ بر وبحر فى ضمن فلك القمر كالخردلة فى البر؛ وإن رقعة القمر بقدر مجموع الأرض ٣٣ مرة؛ ولذلك يراه الإنسان أين كان، وإن فلك القمر بالنسبة إلى فلك الشمس الذى هو تحت السلطنة كالقطرة فى البحر، ثم إن السماوات والأرض كالحلقة فى القلاة، وإن الفرس الجواد إذا كان فى أشد الطرد فإنه بقدر ما يضع حافره على الأرض ويرفعه تسير الشمس خمسمائة فرسخ «١» وإن قرص الشمس بقدر مجموع الأرض ٦٦ مرة «٢» وإن الأرض مساحة سطحها فى علم الهيئة عشرون ألف و ثلاثمائة ألف وستون ألف فرسخ، وإن كل فرسخ ثلاثة أميال، والميل أربعة آلاف ذراع، وإن النجم الذى يقال له السهى، وهو نجم خفى لا يرى إلّا فى الظلمة لذوى الأبصار السليمة، وإنه مع خفائه بقدر مجموع الأرض ١٨ مرة «٣» فهناك يدهش عند سماع هذا وينكره، ومن جهل شيئاً أنكره، وكذا من عرف أن نسبة السماوات والأرض والأفلاك فى عظمة صاحب: لولاك، نسبة لا شىء إلى شىء لأن الجزء لا

(١) - يقول علم الفلك الحديث ان الشمس ثابتة، والأرض هى المتحركة.

(٢) - قدرّت سعة الشمس فى العلوم الجديدة بأكثر من الأرض مقدار مليون و ثلاثمائة ألف مرة.

(٣) - فى القسم ١٥ مرة وليس فى علم الفلك الآن أحكام ثابتة عن مقدار السهى حتى نضع المقارنة.

ص: ١٨٥

يقاوم الكل وإن كثر، وإن الخلق لا يقابل الخالق وإن عظم، فإن خالقه أعظم، فالنبي الذى به ولأجله تكونت الأشياء، ولولاه لما كانت؛ هو أعظم منها، ونسبة الشمس والقمر والنجوم إلى جلال جمال أول ما خلق الله نوري لليل إلى الفجر، ونسبة السهى إلى نور البدر، لأنه هو النور الذى قهر غواسق العدم، وأضاءت به حنادس الظلم، وإن ما فى أيدي الناس من أسرار آل محمد عليهم السلام ومعرفتهم بالنسبة إلى ما خفى عليهم، كنسبة الله خلقه وكيف ينسب الخلق إلى خالقهم والمماليك إلى مالكيهم، وكيف يعرفون عظمة ربهم، أو يقدرونها على قدر عقولهم.

فصل

وعظمة الولي من عظمة النبي صلى الله عليه وآله، وعظمة النبي من عظمة الربّ العلى، لأنه آية الله وآية النبي، وكلمة الله وكلمة النبي، ونائب وحى الله وارث النبي، وبه يتم توحيد الله ودين النبي، وبيان هذا الشأن العظيم أنه أخذ له العهد على الأرواح، وجعل له الولاية المطلقة من الأزل، ولم تزل.

ص: ١٨٦

فصل [عالم آل محمد عليهم السلام قبل الخلق]

و إليه الإشارة بقوله: «كنت نبياً و آدم بين الماء و الطين و لا ماء و لا طين «١»، و كان على وليا قبل خلق الخلائق أجمعين» «٢»، ثم إنه أرسل الرسل إليه يدعون، و بمحمد يبشرون و يؤمنون، و بولاية على يتمسكون، و به إلى الله فى الملمات يدعون، ثم بعث نبيه محمدا صلى الله عليه و آله فختم به الموجود كما افتتح به الوجود، ثم خصه بجوامع الكلم، و أنزل إليه السبع المثاني و هى سورة الحمد و جعل لوليه فيها مقاما رفيعا فقال: اهدنا الصراط المستقيم، و الصراط المستقيم حبّ على، فأمره أن يسأل لأمنته الهداية الى حب على ثم إنه أمر نبيه أيضا بالتمسك به و الحث عليه فقال: فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ «٣» و هو حب على، ثم أكد ذلك فقال: فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ «٤» أى ادع الناس إلى حبّ على لأنه يدعو إلى الإيمان أولا، ثم إلى الفرائض لأن الأصل مقدّم على الفرع، فلا فرائض إلّا بالإيمان، و لا إيمان إلّا بحب على، لأن التوحيد لا ينعقد إلّا به، فما لم يكن الإيمان فلا فرائض، و ما لم يكن حبّ على فلا إيمان، فالإيمان و الفرائض حبّ على، فالأصل و الفرع حب على و ولايته.

(١) - كنز العمال: ١٢ / ٤٢٦ ح ٣٥٥٨، و فضائل ابن شاذان: ٣٤، و الفردوس: ٣ / ٢٨٤ ح ٤٨٥٤.

(٢) - لفظ الحديث: «كنت وليا و آدم بين الماء و الطين» المراقبات: ٢٥٩ و جامع الأسرار: ٣٨٢ ح ٧٦٣.

(٣) - الزخرف: ٤٣.

(٤) - هود: ١١٢.

ص: ١٨٧

فصل [السؤال عن على عليه السلام فى القبر]

ثم أخبر نبيه أن حب على هو المسئول عنه فى القبر فقال: **وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ «١»** يعنى يوم القيامة و فى القبر، ثم رفع نبيه إلى المقام الأسنى، و هو قاب قوسين أو أدنى، فخاطبه بلسان على ثم أمره أن يرفع عليا فوق كتفه، فقال فى خطبة الفخار:

أنا الواقف على التنجيين، قال المفسرون: هى الدنيا و الآخرة، أى أنا العالم بهما، و قيل:

المشرق و المغرب، و أنا المحيط بعلم ما بينهما، و قيل: الجنة و النار، و أنا القاسم لهما، و قيل:

لا بل هو إشارة إلى ارتفاعه فوق كتف رفيع المقام، و ليس فوق هذا المقام إلّا ذات الملك العلام، فأى رفعة فوق هذا؟ و أى مقام أعلى من هذا؟ لأن الله رفع رسوله حتى جاوز عالم الأفلاك و الأملاك، و عالم الملك و الملكوت، و عالم الجبروت، و وصل إلى عالم اللاهوت ١٨، و أمير المؤمنين عليه السلام ارتقى على كنفى صاحب هذا المقام.

فصل

ثم أمر رسوله بالتبليغ البليغ فيه، فقال: **بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ** ثم أكد ذاك بالتهديد، فقال: **وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ** «٢» **لَكِنَّكَ بَلَغْتَ فَأَنْتَ فَاعِلٌ**، فقد بَلِّغْ فما معناه؟ هذا رمز يدل على شرف الولاية و أنه لا قبول للأعمال، قلت أم جلت إلّا بها، والمراد أنهم إن لم يؤمنوا بعلى فلا ينفعهم إسلامهم، فكأن الرسالة لم تبلغهم، فعلم أنه من لم يؤمن بعلى لم يؤمن بمحمد، و من لم يؤمن بمحمد لم يؤمن بالله، لأن الإقرار بالولاية يستلزم الإقرار بالنبوة، والإقرار بالنبوة يستلزم الإقرار بالتوحيد، وكذا إنكار الولاية يستلزم إنكار النبوة، وإنكار التوحيد؛ لتوقف الاثنين على الولاية.

(١) - الزخرف: ٤٤.

(٢) - المائدة: ٦٧.

ص: ١٨٨

فصل [على عليه السلام الكتاب المبين]

ثم أنزل بعد الحمد الم، فجعل سرّ الأولين و الآخرين يتضمنه في هذه الأحرف الثلاثة، و في كل حرف منها الاسم الأعظم، و فيها معاني الاسم الأعظم ثم قال: **ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ** «١» يعنى على لا شك فيه، لأن القرآن هو الكتاب الصامت، و الولي هو الكتاب الناطق، فأينما كان الكتاب الناطق كان الكتاب الصامت!! فالولي هو الكتاب، و على هو الولي، فعلى هو الكتاب المبين، و الصراط المستقيم، فهو الكتاب و أم الكتاب، و فصل الخطاب و عنده علم الكتاب، و ويل للمنكر و المرتاب.

فصل [لو لا على عليه السلام ما خلقت الجنة]

ثم رفع مقامه بين النبيين و المرسلين، إلّا من هو منه في المقام مقام الألف المعطوف من اللام، فقال: **لو لا على ما خلقت جنتي** «٢»، و لم يقل لو لا النبيين ما خلقت جنتي، و ذلك لأن النبيين جاءوا بالشرائع، و الشرائع فرع من الدين، و التوحيد أصله، و الفرع مبنى على الأصل، و الأصل مبنى على الولاية، فالأصل و الفرع من الدين مبنى على حبّ على، فحب على هو الدين و الإيمان، و الجنة تنال بالإيمان، و الإيمان ينال بحب على، فلو لا حب على لم يكن الإيمان، فلم تكن الجنة، فلو لا على لم يخلق الله جنته، فاعلم أن الإيمان بالنبيين و المرسلين لا ينفع إلّا بحب على.

(١) - البقرة: ١.

(٢) - و في لفظ: «لو لا نا لم يخلق الله الجنة و لا النار و لا الأنبياء» البحار: ٢٦ / ٣٤٩ ح ٢٣.

فصل

أحبط أعمال العباد بغير حبه، فقال: لَنِ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ «١» وكيف يشرك بالرحمن من هو الأمان والإيمان؟ ومعناه أنك إن ساويت بعلى أحدا من أمّتك فجعلت له في الخلق مثلاً وشبهها، فلا عمل لك، و الخطاب له، والمراد أمّته.

فصل

ثم جعل دخول الجنّة بحبه وطاعته، و دخول النار ببغضه ومعصيته، فقال: لأدخلن الجنّة من أطاعه و إن عصاني، و لأدخلن النار من عصاه و إن أطاعني، و هذا رواه صاحب الكشاف و قد مرّ ذكره.

(١) - الزمر: ٦٥.

فصل [على عليه السلام ألف الغيب]

ثم أبان من فضل وليّه ما لم ينكره إلّا من تولّى و كفر، فقال: قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا «١» و الكلمة الكبرى على بن أبي طالب عليه السلام و تحتها باقى الكلمات، ثم أبان من فضله ما هو أعلى و أكبر لمن تولّى و استكبر، فقال: وَ لَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَ الْبَحْرُ يَمْدُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ «٢» و الكلمات كلّها حروف الكلمة الكبرى و داخلة تحتها، و فائضة عنها، و هى فائضة عن ذات الحق كفيض سائر الأعداد عن الواحد، و مبدأ الكلمات عن الألف، الذى أبداه عالم الغيب و أبدى عنه سائر الحروف و الكلم، فهو عليه السلام ألف الغيب، و عين الوجدانية الكبرى، التى أعرض عنها من أدبر و تولّى.

فصل [على عليه السلام السرّ فى فواتح السور]

ثم إنّ الله سبحانه أوحى إلى نبيّه صلى الله عليه و آله أن عليا معه فى السرّ المودع فى فواتح السور، و الاسم الأكبر الأعظم الموحى إلى الرسل من السرّ، و السرّ المكتوب على وجه الشمس و القمر و الماء و الحجر، و أنه ذات الذوات، و الذات فى الذات، فى الذات للذات، لأنّ أحدية البارى متنزّهة عن الأسماء و الصفات، متعالية عن النعوت و الإشارات، و أنه هو الاسم الذى إليه ترجع الحروف و العبارات، و الكلمة المتضرّع بها إلى الله سائر البريات، و أنه الغيب المخزون بين اللام و الفاء و الواو و الهاء و الكاف و النون، فقال سبحانه: حم عسق

(١) - الكهف: ١٠٩.

(٢) - لقمان: ٢٧.

ص: ١٩١

كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ «١». قال الصادق: عسق فيها سرّ على فجعل اسمه الأعظم مرموزا في فواتح القرآن و تحفه.

و إليه الإشارة بقوله: لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب «٢»، و معناه لا صلاة للعبد و لا صلة له بالرب، إلّا بحب على و معرفته.

فصل

ثم إن الملك العظيم الرحمن الرحيم، صرّح بهذا الشرف العظيم، في الذكر الحكيم، فقال في السورة التي هي قلب القرآن «يس»، و إنّما سمّيت قلب القرآن لأنّ باطنها محتو على سرّ محمد و على لمن عرف، فقال سبحانه: يس* و الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ «٣»، و الياء و السين اسم محمد ظاهرا و باطنا، و الياء و السين اسم على لأنّ الولاية باطن النبوة، فقال: يا حبيبي يا محمد بحق اسمك و اسم على الظاهر و الباطن في الياء و السين، إنّك رسولى بالحق إلى سائر الخلق.

فصل [الإمام محيط بالكون]

ثم صرّح لنا أن الولي هو المحيط بكل شيء، فهو محيط بالعالم، و الله من ورائهم محيط، فقال: وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ «٤» فأخبرنا سبحانه أن جميع ما جرى به قلمه و خطه في اللوح المحفوظ في الغيب، أحصيناه في إمام مبين، و هو اللوح الحفيظ لما في الأرض و السماء، هو الإمام المبين و هو على، فاللوح المحفوظ على، و هو أعلى و أفضل من اللوح بوجوده.

(١) - الشورى: ٣.

(٢) - صحيح مسلم: ١/ ٢٩٥ ح ٥٩٥ كتاب الصلاة.

(٣) - يس: ١.

(٤) - يس: ١٢.

ص: ١٩٢

(الأول) لأنّ اللوح وعاء الخط و ظرف السطور، و الإمام محيط بالسطور و أسرار السطور، فهو أفضل من اللوح.

(الثاني) لأنّ اللوح المحفوظ بوزن مفعول، و الإمام المبين بوزن فعيل، و هو بمعنى فاعل، فهو عالم بأسرار اللوح، و اسم الفاعل أشرف من اسم المفعول.

(الثالث) أن الولي المطلق ولايته شاملة للكل، و محيط بالكل و اللوح داخل فيها فهو دال على اللوح المحفوظ و عال عليه، و عالم بما فيه، ثم قال: على صراط مستقيم، أى يدل و يهدى إلى الصراط المستقيم الممتحن به سائر الخلائق، و هو حب على لأنه هو الغاية و النهاية.

فصل

ثم ذكر فى آخر هذه السورة آية فيها اسم الله الأعظم فقال: **سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ** «١»، و يخرج من تكسير حروفها السبيل «٢» السلام أنا هو محمد، ثم دلّنا بعد هذا المقام العظيم لنبيّه على مقام آخر فيها لوليه، و أنه هو كلمة الجبار و منبع سائر الأسرار، و مطلع فائض الأنوار، فقال: **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** «٣»، فجعل وجوده الوجود «٤»، و الموجود بين حرفى الأمر و هما الكاف و النون، و باطن الكاف و النون الاسم المخزون المكنون، لمن عرف هذا السرّ المصون، و إليه الإشارة بقوله: **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ** «٥» و الخلق و الأمر «٦» هما العين و الميم «٧»، و ذلك لأنّ ظهور الأفعال عن الصفات، و تجلّى الصفات عن الذات.

(١) - يس: ٥٨.

(٢) - كذا فى المطبوع السابق، و لكنه جاء فى النسخة الخطية «السيد».

(٣) - يس: ٨٢.

(٤) - فى النسخة الخطية وجود الجود.

(٥) - الأعراف: ٥٤.

(٦) - فى المخطوطة «فى الأمر».

(٧) - فى المخطوطة «العين فى الميم».

ص: ١٩٣

فصل [على عليه السلام الفاتح]

ثم إن الله سبحانه بشّر رسوله بأنه قد رحم أمته، و غفر ذنوبهم، و أكمل دينهم، و أتم نعمته عليه و نصره، و جعل هذه المقامات و الكرامات و العطايات كلها لعلی عليه السلام، و نزل ذلك فى آية واحدة من كتابه سبحانه و تعالى على رسوله و على أمته، فقال: **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا «١»** و الفتح كان على يد على، ثم قال: **لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ «٢»** قال ابن عباس: إن الله حمل رسوله ذنوب من أحبّ عليا من الأولين و الآخرين إكراما لعلی فيحملها عنهم إكراما لهم فغفرها الله إكراما لمحمد صلى الله عليه و آله ثم قال: **و يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ** يعنى بعلی، و إليه الإشارة و البشارة بقوله: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي «٣»** ثم قال:

و يَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا «٤» و كان النصر فى سائر المواطن بأسد الله الغالب و سيفه الضارب، و يَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا. فهذا على به الفتح، و على يده النصر و بحبه الغفران و الآمال، فكمال الدين و تمام النعمة على المؤمن، و به الهداية و هو الغاية و النهاية. و قلت:

يا من به نصر الإله نبيه	و الفتح كان بعضده و بعضبه
و كمال دين محمد بولائه	و تمام نعمته عليه بحبه
و ذنوب شيعته غدا مغفورة	يرضى الإله لأنهم من حزبه
و الحافظ البرسى يا مولى الورى	يرجوك فى يوم المعاد لذنبه

(١) الفتح: ١.

(٢) الفتح: ٢.

(٣) المائدة: ٣.

(٤) الفتح: ٣.

ص: ١٩٤

فصل [وصف على عليه السلام بالقرآن أعظم من وصف الأنبياء عليهم السلام]

ثم إن الله سبحانه وصف أنبياءه بأوصاف و وصف ولى نبيّه بأعلى منها، فقال فى نوح:

إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا» ١» وقال في علي: وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا» ٢» وأين الشاكر من مشكور السعي؟ و وصف إبراهيم بالوفاء فقال: وَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى» ٣» وقال في علي:

يُوفُونَ بِالنَّذْرِ» ٤» و وصف سليمان بالملك فقال: وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا» ٥» وقال في علي: وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا» ٦» و وصف أيوب بالصبر فقال: إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا» ٧» وقال في علي: وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا» ٨» و وصف عيسى بالصلاة و الزكاة فقال:

وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ» ٩» وقال في علي: وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا» ١٠» و وصف محمدًا بالعزة فقال: لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ» ١١» وقال في علي: وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى» ١٢» وقال في علي:

(١) الاسراء: ٣.

(٢) الاسراء: ١٩.

(٣) النجم: ٣٧.

(٤) الإنسان: ٧.

(٥) النساء: ٥٤.

(٦) الإنسان: ٢٠.

(٧) ص: ٤٤.

(٨) الإنسان: ١٢.

(٩) مريم: ٣١.

(١٠) الإنسان: ٢٦.

(١١) المنافقون: ٨.

(١٢) الليل: ١٩.

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا «١» و وصف الملائكة بالخوف فقال: يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ «٢»

و قال فى على: إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا «٣» و وصف ذاته المقدسة بصفات الألوهية فقال:

وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ «٤» و قال فى على: وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ «٥».

فصل

ثم أمر الله نبيه الكريم و رسوله الرؤوف الرحيم أن يرفعه إلى المقام الكريم فى التشريف و التعظيم، فقال بعد أن بالغ فى بليغ المقام: لو كانت السماوات صحفا و البحار مددا و الغياض أقلاما لنفد المداد و فנית الصحف و عجز الثقلان أن يكتبوا معشار فضل على و هذا مر ذكره لكن أعدناه ثانيا للحاجة إليه.

فصل

ثم دلّ على فضله النبى كما دلّ عليه الربّ العلى فبيّن أن الأعمال لا توزن يوم المآل و لا يبلغ بها الآمال إلّا بحبه فقال: لو أن أحدكم صف قدميه بين الركن و المقام، يعبد الله ألف عام، ثم ألف عام صائما نهاره قائما ليله فكان له ملء الأرض ذهباً فأنفقه و عباد الله ملكاً فأعتقهم ثم قتل بعد هذا الخير الكثير شهيدا بين الصفا و المروة ثم لقي الله يوم القيامة جاحدا لعلّى حقه لم يقبل الله له صرفا و لا عدلا و زج بأعماله فى النار. هذا أيضا مر ذكره.

فصل

ثم دلّ سبحانه على قرب عارفيه و مواليه من حضرة ربّه و باريه فقال فى حقه الرسول بعد

(١) المائدة: ٥٥.

(٢) النحل: ٥٠.

(٣) الإنسان: ١٠.

(٤) الأنعام: ١٤.

(٥) الإنسان: ٨.

بليغ المقال: «لو لم أخف لقلت» (١) و هذا كمال المبالغة و غاية الشرف لأن ما لم يقل أعظم ممّا قيل، و هذا مثل قوله سبحانه بعد أن مدح الجنة و وصفها فقال: **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمُ** (٢) و إذا كانت الجنة و هى دارة على لا توصف فكيف يوصف صاحب الدار.

فصل [مقام على عليه السلام عند الملائكة]

و أما مقامه عند الملائكة المقربين و رفعته عند جبرائيل الأمين فإنه كان يلزم ركاب على إذا ركب و يسير معه إذا سار و يقف إذا وقف و يكبر إذا كبر و يحمل إذا حمل لأنه خادمه و الخادم يدين بطاعة المخدم، و هو مع رفعته فى السماء و حمله للرسائل إلى الأنبياء فإنه فقير على لأنه وقف ببابه سائلا فقال: **مَسْكِينًا وَ يَتِيمًا وَ أَسِيرًا** فهذا سرّ الأسرار، و آية الجبار، الذى ينفذ عند عدّ فضائله رمل القفار، و ورق الأشجار، فلأنه إمام الأبرار، و والد السادة الأطهار، و قسيم الجنة و النار، سنان النبوة، و لسان الفتوة، و ختام الرسالة، و بيان المقالة، ينبوع الحكمة، و باب الرحمة، يعسوب الدين و الحكمة، و معدن الطهارة و العصمة، مريخ الانتقام و كيوان الرفعة و الاحتشام، كاسر قناة الغواية، و سفينة النجاة و الهداية و صاحب الخلافة و الأولوية من البداية إلى النهاية، و قلت:

الشرف العلى و من به أنا واثق

إلّا ولاك و من عداك فطالق

صار الصفى من بحر جودك دافق

يا فلک نوح و اللواء الخافق

عبدا و ما أنا عبد سوء آبق

صدق الولا و أنا المحبّ الصادق

يا أيها المولى الولى و من له

لا أبتغى مولى سواك و لا أرى

عين العلى بك أشرقت أنوارها

يا كاف الكل يا هاء الهدى

من قبل خلق الخلق أنت رضيتنى

و نقلت من صلب إلى صلب على

(١) و هو قوله: «لو لا أنى أخاف ... لقلت اليوم فيك مقالة لا تمرّ بملاّ إلّا أخذوا تراب نعليك» البحار: ٢٨٤ / ٢٥ ح ٣٥.

(٢) السجدة: ١٧.

أنا عاشق أنا عاشق أنا عاشق

كم يعذلونى فى هواك تعنفا

هذه شمة من أزهار أسرار إمام الأبرار و رشحة من نثار زخار منبع الأسرار، فقل للمنكر و المرتاب و الكفور: موتوا بغيظكم إن الله عليهم بذات الصدور.

فصل [آل محمد صلى الله عليه و آله صفات الديان]

آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين صفات الديان، و صفوة المنان، و خاصة الرحمن و سفراء الغيب و القرآن، فليس للخلق على عظمتهم نسبة، و لا بعظيم جلالهم معرفة، فمعرفة العامة لعلی أنه فارس الفرسان، و قاتل الشجعان و مبيد الأقران، و معرفة الخاصة له أفضل من فلان و فلان؛ فلذلك إذا سمعوا أسرارهم أنكروا و استكبروا و ذهلوا و جهلوا و هم فى جهلهم غير ملومين لأنهم لو عرفوا أن محمدا هو الواحد المطلق، و أن عليا هو العلى المطلق، فلهما الولاية على الكل، و السبق على الكل، و التصرف فى الكل، لأنهما العلة فى وجود الكل، فلهما السيادة على الكل، لكنهما خاصة إله الكل، و عبدى إله الكل، و مختارى معبود الكل، سبحانه إله الكل، و رب الكل، و فالى الكل، و مفضل محمد و على على الكل، و المستعبد بولايتهم و طاعتهم الكل، فمن عرف من مراتب الإبداع و الاختراع هذا القدر و تدبره، عرف مقام آل محمد و خبره، و إليه الإشارة بقوله: **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ** ^(١) لكنهم ردّوه و ما دروه فأنكروه و ما عرفوه و من جاءهم بشيء منه كذبوه و كفروه، و هذا شأن أهل الدعوى أنهم لم يزالوا منغمسين فى حياض التكذيب، فيا وارد السراب دون الشراب، و القانع بالعذاب دون الغلل العذاب، هذا إبليس (لعنه الله) عدو الرحمن و هو يجرى مجرى الدم فى كل إنسان و يعلم خواطر القلوب و وساوس الصدور و هواجس النفوس، و إليه الإشارة بقوله: **أَوْ مَنْ يَنْشُؤُا فِي الْحَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ** ^(٢)، و هو محيط بالخلائق مع جنوده، و هذه صفات الربوبية، فانظر إلى

(١) النساء: ٨٣.

(٢) الزخرف: ١٨.

ص: ١٩٨

المنافق و المرتاب و المعدم إذا ذكرت خواص إبليس قال مسلم، و إذا ذكرت خواص على أنكر و استعظم و طعن فى قائلها و توهم، و هو أحق بالطعن و أوصم، ثم يزعم بعد ذاك أنه آمن و أسلم، كلا و الليل إذا أظلم و الصبح إذا تبسّم، فيا مدعى اليقين و هو منغمس فى شكّه، و يا طالب الخلاص و هو مرتبط فى شرك شكّه، هذا جامسب **«١»** الحكيم، قد وضع كتاب القرانات، و تحدث فيه على المغيبات، و ذكر فيه ظهور الأنبياء إلى آخر الدهر، و تاريخ هذا الكتاب ٢٢١١ سنة، و قد ذكر فيه الملوك و الدول من أيام زرادشت إلى انقراض العالم، و تحدث فيه على الغيب فما أخطأ.

(١) فى المطبوع: جامبست.

فصل [التنبؤ بعلى عليه السلام]

و هذا سطيح أيضا قد نطق بالمغيبات، و ذكر ملة الإسلام قبل وصولها، و تحدّث على حوادث الدهر إلى أيام المهدي، و الكتابان مشهوران «١» يتداولهما الملوك و العلماء، و لم يخطئوا في النقل عنهم، فأما أخبار سطيح فقد رواها كعب بن الحارث، قال: إنَّ ذا يزن الملك أرسل إلى سطيح لأمر لا شك فيه، فلما قدم عليه أراد أن يجرب علمه قبل حكمه، فخبأ له دينارا تحت قدمه، ثم أذن له فدخل، فقال له الملك: ما خبأت لك يا سطيح؟

فقال سطيح: حلفت بالبيت و الحرم، و الحجر الأصم، و الليل إذا أظلم، و الصبح إذا تبسّم، و كل فصيح و أبكم، لقد خبأت لي دينارا بين النعل و القدم.

فقال الملك: من أين علمك هذا يا سطيح؟

فقال: من قبل أخ لي جنّي ينزل معي إذا نزلت، فقال الملك: أخبرني عمّا يكون في الدهر؟

فقال سطيح: إذا غارت الأخيار، و غازت الأشرار، و كذب بالأقدار، و حمل المال بالأوقار، و خشعت الأبصار لحامل الأوزار، و قطعت الأرحام، و ظهر الطعام لمستحلي الحرام في حرمة الإسلام، و اختلفت الكلمة، و غفرت الذمة، و قلّت الحرمة، و ذلك منذ طلوع الكوكب، الذي يفزع العرب، و له شبه الذنب، فهناك تنقطع الأمطار، ثم تقبل البرر «الهزبرخ» بالرايات الصفرة على البرازين البتر، حتى ينزلو مصر، فيخرج رجل من ولد صخر، فيبدل الرايات السود بالاحمر، فيبيح المحرمات، و يترك النساء بالتدايا معلقات، و هو صاحب نهب الكوفة، قرب بيضاء الساق مكشوفة، على الطريق مردوفة، بها الخيل محفوفة، قد قتل زوجها، و كثر عجزها، و استحلّ فرجها، فعندها يظهر ابن النبي المهدي، و ذلك إذا قتل المظلوم بيثرب

(١) في المخطوط و المطبوع و الكتابين مشهورين.

و ابن عمّه في الحرم، و ظهر الخفي فوافق الوسمي، فعند ذلك يقبل المشوم بجمعه المظلوم، فيطاهي الروم و يقتل القروم، فعندها ينكسف كسوف إذا جاء الزخوف و صفّ الصفوف، ثم يخرج ملك من اليمن من صنعاء و عدن أبيض كالشطن، اسمه حسين أو حسن، فيذهب بخروجه غمر الفتن، فهناك يظهر مباركا زكيا، و هاديا مهديا، و سيّدا علويّا، فيفرح الناس إذا أتاهم بمن الله الذي هداهم، فيكشف بنوره الظلماء، و يظهر به الحق بعد الخفاء، و يفرّق الأموال في الناس بالسواء، و يغمّد السيف فلا يسفك الدماء، و يعيش الناس في البشر و الهناء، و يغسل بماء عدله عين الدهر من القذى، و يرد الحق على أهل القرى، و يكثر في الناس الضيافة و القرى، و يرفع بعدله الغواية و العمى، كأنه كان غبارا فانجلي، فيملأ الأرض قسطا و عدلا، و الأيام حبا، و هو علم الساعة بلا امتراء «١».

هذا كلام سطحيّ وإخباره بالغيب في قديم الأيام، وليس بنبي ولا إمام، وأنت بالمرصاد في تكذيب أحاديث علي وعترته، تكذب ما نطقوا به من الغيب. أليس هو القائل وقوله الحق: «إن بين جنبي علما جمّا آه لو أجد له حملة» (٢)، وقوله: لقد احتويت على مكنون علم لو بحث به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى (٣).

وليس ذلك علم الشرع، وإلا لوجب عليه تعليمه، ولكن غامض الأسرار التي قال فيها:

«و لكن أخاف أن تكفروا بي و برسول الله صلى الله عليه و آله» (٤) و قد روى أبو عبيدة الحذاء، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: إن أحب أصحابي إلى أمهرهم وأفقههم في الحديث، وإن أسوأهم وأكثرهم عنتا ومقتا الذي إذا سمع الحديث يروى إلينا وينقل عنا لم يعقله عقله، ولم يقله قلبه، و أشمأز من سماعه وكفر به وجده، وكفر من رواه و دان به، فصار بذلك كافرا بنا و خارجا عن ولايتنا (٥).

(١) بحار الأنوار: ٥١ / ١٦٢ بتفاوت بسيط.

(٢) تقدّم الحديث.

(٣) في المصادر في الطوى البعيدة، نهج البلاغة: ٥٢ الخطبة ٥، و التذكرة الحمدونية: ١ / ٩١ ح ١٦٦.

(٤) نهج البلاغة: ٢٥٠ الخطبة ١٧٥.

(٥) بحار الأنوار: ٢٥ / ٣٦٥ ح ٦.

ص: ٢٠١

فصل

و من ذلك ما رواه صاحب الأمالي عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «يا علي إن الله أكرمك كرامة لم يكرم بها أحدا من خلقه، زوجك الزهراء من فوق عرشه، و أكرم محبيك بدخول الجنة بغير حساب، و أعدّ لشيعتك ما لا عين رأت و لا أذن سمعت، و وهب لك حب المساكين في الأرض، فرضيت بهم شيعة، و رضوا بك إماما؛ فطوبى لمن أحببك، و ويل لمن أبغضك. يا علي أهل مودّتك كل أم أو أب حفيظ، و كل ذي طمرين لو أقسم على الله لأبر قسمه.

يا علي شيعتك تزهر لأهل السماء كما تزهر الكواكب لأهل الأرض، تفرح بهم الملائكة، و تشتاق إليهم الجنان، و يفر منهم الشيطان. يا علي محبوب جيران الله في الفردوس الأعلى. يا علي أنا ولي لمن والاك، و عدوّ لمن عاداك. يا علي حربي حربي و سلمك سلمى. يا علي بشر أوليائك أن الله قد رضى عنهم و رضوا بك. يا علي شيعتك حزب الله و خيرة الله من خلقه. يا علي أنا أول من يحيى و أول من يكسى، غدا تحيي إذا حييت، و تكسى إذا كسيت» (١)

(١) فضائل الصحابة لأحمد: ٢/ ٦٦٣ ح ١١٣١، و كنز العمال: ١٣/ ١٥٦ ح ٣٦٤٨٢ و الطرائف: ١/ ١٠٨

ص: ٢٠٢

فصل [افتراق الأمة إلى ٧٣]

اعلم بعد ثبوت هذه الشواهد، و صدق الشاهد بهذه المشاهد، أن أهل الإسلام افترقوا على ثلاث و سبعين فرقة، و سيأتي تفصيلها فيما بعد في مكانه؛ و أصل هذه الثلاث و السبعين ثلاثة: الأشعرية، و المعتزلة، و الإمامية.

و الأشعرية، و المعتزلة أنكروا الإمامة من أصول الدين، و أثبتوا الإمامية الاثنا عشرية من الشيعة، لأن الله اختار محمدا و اختار شيعة آل محمد صلى الله عليه و آله، و آل محمد سفينة النجاة.

فالشيعة كسفينة النجاة راكبون وراءهم، قالوا إن الإنسان لو آمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله، و و الى عليا و عترته، فإنه ناج بالاجماع، لأن خلافة الرجلين لم يأت بها الكتاب و لا السنة، لكنها بزعمهم إجماع من الناس، و ما لم يأمر الكتاب و لا السنة باتباعه فلا يضر جهله، لكنه لو عرف الأول و والاه، و لم يعرف عليا و عاداه، فإنه هالك بالاجماع، و إليه الإشارة بقوله: **فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي** «١»، و إليه الإشارة بقوله: «أنت مني و أنا منك» «٢»، «حزبك حزبي و شيعتك شيعتي» «٣»، فمن كان من علي كان من محمد عليهما السلام، و من كان من شيعة محمد كان من حزب الله الناجي.

و مما يعاضد هذا ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لرجل من همدان و قد تعلّق بثوبه و قال: حدثني حديثا جامعا أنتفع به، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: حدثني رسول الله صلى الله عليه و آله: أني أرد أنا و شيعتي الحوض، فيصдرون رواء، و يمرّون مبيضة و جوههم، و يرد أعداؤنا ظماء مظمّين مسودة و جوههم، خذها إليك قصيرة من طويلة يا أخا همدان، أنت مع من أحببت،

(١) يوسف: ١٠٨.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ٧/ ٩٠ ح ٣٧٠٧ و الطرائف: ١/ ١٠٣ بتحقيقنا.

(٣) بحار الأنوار: ٤٠/ ٥٣ ح ٨٨ و: ٢٥/ ٤ ح ٦.

ص: ٢٠٣

و لك ما كسبت، ألا و إن شيعتي يناديهم الملائكة يوم القيامة: من أنتم؟ فيقولون: نحن العليون، فيقال لهم: أنتم آمنون ادخلوا الجنة مع من كنتم توالون «١».

و عنه صَلَّى الله عليه و آله أنه قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: يا أهل الموقف هذا على بن أبى طالب عليه السّلام خليفة الله فى أرضه و حجّته على عبادّه، فمن تعلّق بحبّه فى الدنيا فليتعلق به اليوم، ألا من ائتم بإمام فليتبعه اليوم و ليذهب إلى حيث يذهب «٢».

يؤيد هذا قوله عليه السّلام: كما تعيشون تموتون، و كما تموتون تبعثون، و كما تبعثون تحشرون «٣».

و الإنسان مع من أحب، و شيعة على عاشوا على حبّه فوجب أن يموتوا عليه، فوجب أن يبعثوا عليه. أصدق الحديث و حب على الصراط المستقيم، و النجاة من العذاب الأليم.

فالشيعة على الصراط المستقيم، و هذه فرقة النجاة، و شيعة الحق أجمعوا على أن الإمامة فرض واجب تعيينه على الله و رسوله لإجماع الناس على الحق، و ميلهم عن الباطل، مع وجود السياسة الشرعية و السياسة الإلهية؛ و حيث إن الإمام المعصوم فيهم فالإجماع فيهم، و استدّلوا بقوله صَلَّى الله عليه و آله: «من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» «٤». فتعيّن لصدق البرهان أن الحق معهم، و أن الباطل فى الطرف الآخر.

فصل [الاختلاف بعلى لا بالنبي عليهما السّلام]

لكن هؤلاء أهل الحق و النجاة لم يثبتوا للإمام إلّا أنه معصوم واجب الطاعة، و أنه أفضل من فلان و فلان، فهم فى فصول التوحيد الداخلة تحت جنسه و بحضرته الجليلة و الخفية لم يختلفوا، و كذا فى أبحاث النبوة و سرائرها و غامض البحث عنها، و أما فى فصول الإمامة

(١) بحار الأنوار: ٣٧ / ٣٤٦ ح ٣ ضمن حديث طويل.

(٢) الجواهر السنية للحر العاملى: ٢٧٢.

(٣) عوالى اللثالى: ٧٢ / ٤.

(٤) غيبة النعمانى: ٨٠ - ٨٦.

ص: ٢٠٤

الداخلة تحت جنسها العالى و أنواعها، فإنهم ينكرون الأكثر من ذلك و يكتفون منها بما ذكر، و ينسبون الباقي إلى قول الغلاة، و إليه الإشارة بقوله صَلَّى الله عليه و آله: «ما اختلفوا فى الله و لا فىّ و إنّما اختلفوا فيك يا على».

فإذا قلت لهم: ما التوحيد و ما جنسه و ما فصوله و ما القدر الواجب من معرفته؟ قالوا: أما الجنس من التوحيد فأنت تعرف أن الله تعالى موجود واجب الوجود، و إذا كان واجب الوجود فهو هو و الذى هو لم يزل و لا يزال، و أما فصل التوحيد فالسلب و

الإيجاب، أما الإيجاب فأن تثبت للحى المعبود من الصفات ما يجب إثباته، و أما السلب فأن تنفى عن ذاته المقدسة ما يجب نفيه، كل ذلك بالدليل، و من لم يعرف من التوحيد هذا القدر فليس بموحدا!

فصل

إذا قلت لهم يوما النبوة ما جنسها؟ و ما فصولها و ما الواجب من معرفتها؟ قالوا: إن النبى المرسل هو المبعوث إلى الناس كافة، المخبر عن الوحي السماوى بواسطة الملك، و أما فصولها فالعصمة و طهارة المولد، و أنه لا نبى بعده.

ص: ٢٠٥

فصل [عقيدتنا فى الإمامة]

و كل ما يجب اعتقاده من فصول التوحيد و نبوة محمد صلى الله عليه و آله يجب اعتقاده فى باب الإمامة، لأن القول فى الإمامة كالقول فى التوحيد و النبوة، لأن الإمامة جامعة للتوحيد و النبوة، فمن أنكر شيئا مما يوجب عليه إثباته من باب التوحيد فليس بمؤمن، و كذا من أنكر شيئا مما وجب عليه إثباته فى باب الإمامة فليس بموال، لأن إنكار الجزء من الواجب كإنكار الكل، فما لنا [نأخذ] طرفا من خصائص العصمة، و سندها عن المعصوم، الذى يجب تصديقه فيما صح نقله عنه، ثم نصدق بعضها و ننكر بعضها، بغير مرجع فنصدق ما أدركته عقولنا، و ننكر ما غاب عنا معرفته.

ثم نقول لقصور أفهامنا عن إدراك ذلك، يكفيننا فى باب الإمامة أن نعرف أن الإمام معصوم مفترض الطاعة، فهلا كفانا هذا فى باب التوحيد أن نعرف وجوب الوجود للحق سبحانه و تعالى، و لا نحتاج فى باقى الصفات، و كيف لم يجز هذا فى باب التوحيد؟ و يجوز فى الإمامة، و نقول فى الدعاء المنقول عنهم عليهم السلام «اللهم إنى أدينك بدينهم و ولايتهم و الرضى بما فضلتهم به، غير منكر و لا مستكبر» «١».

و التفضيل هنا ليس هو القدر الذى به الاشتراك من النبوة و الولاية بينهم و بين من تقدم من الأنبياء و الأولياء، و لكنه الأمر الذى لم يختص به سواهم مما بهر عيون العقول فأعماها، و رمى مقاتل الأفهام فأصماها، ثم إذا تليت علينا آيات فضلهم بما لا تناله أيدى أفهامنا أنكرنا و استكبرنا، فنحن إذا مع تعبدنا بأقوالهم مع تخالج الشكوك فى اعتقادها نتعبد بما لا نعرف، أو بما لا نعتقد، و التعبد بغير المعرفة ضلال، و بغير الاعتقاد وبال، لأن من استكبر فقد أنكر، و من أنكر لم يرض، و من لم يرض لم يطع، و من لم يطع لم يوال، و من لم يوال لا

(١) بحار الأنوار: ٨٦ / ٩ ح ٨ و لا يوجد فيه: بدينهم بل: بطاعتهم.

ص: ٢٠٦

دين له، و من لا دين له فهو كافر، فمن أنكر من لوازم الإمامة و أسرارها ما يجب على المولى المطلق إثباته ممّا وردت به النصوص عنهم و لو حرفا واحدا فهو كافر.

فصل [معنى الإمامة و جنسها]

و بيان المدعى أنّا نقول فى تعريف الإمامة و بيان جنسها و فصولها: الإمامة رئاسة عامة.

هذا جنس يقتضى فصولا أربعة: التقدّم، و العلم، و القدرة، و الحكم؛ و إذا انتقصت هذه الفصول انتقص الجنس، فلا تعريف، إذا فلا معرفة، فلا رئاسة عامة فلا إمامة، و هى رئاسة عامة، فالولى هو المتقدّم العام الحاكم المتصرّف على الإطلاق بالنسبة إلى الخلق.

أما تقدّمه فلأن الولاية هى العلة الغائية فى كمال الأصول و الفروع، و المعقول و المشروع، فلها التقدّم بالفرض و التأخّر بالحكم، لأنّ الولي المطلق هنا هو الإنسان الذى يلبسه الله خلعة الجمال و الكمال، و يجعل قلبه مكان مشيئته و علمه، و يلبسه قباء التصرّف و الحكم، فهو الأمر الإلهي فى العالم البشرى، فهو كالشمس المنيرة التى جعل الله فيها قوة النور و الحياة، و الإشراق و الإحراق، فهى الضوء لأهل الدقور «١»، و إليه الإشارة بقولهم: «الحق مقاماتك و آياتك و علاماتك، لا فرق بينها و بينك» «٢».

التأنيث فى الضمير راجع إلى ذواتهم التى هى صفات الحق و الجمال المطلق، و قوله:

«إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ» «٣»، الضمير هنا عائد إلى أجسادهم المقدّسة، و هياكلهم المعصومة المطهّرة التى هى وعاء الأمر الإلهي، و جمال النور القدسى. و سبب الفرق و النفي موجب لثبات خواص الربوبية لهم، لأنّ الربّ القديم جل جلاله حكم عدل نافذ الحكم، غنى عن الظلم، لا يتوهّم ولا يتهم، و الولي المطلق كذلك.

و هذه الصفات كلية، و الكلى لا يمنع من وقوع الشركة، لأنّه مقول على كثيرين مختلفين

(١) كذا بالأصل.

(٢) البحار: ٣٩٣ / ٩٥، و الإنسان الكامل: ١٢٨.

(٣) إقبال الأعمال: ٢١٤ / ٣.

ص: ٢٠٧

بالحقائق، فالله سبحانه حكمه فى العدل و عدله و غناه عن الظلم لذاته من غير استفادة، و الولي عدله و حكمته و عصمته خصّ من الله و تأييد له بتلك القوى الإلهية و الصفات الربّانية، و إليه الإشارة بقولهم: «إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ و خَلْقُكَ»، لأنّ هذا الاستثناء فارق بين الرب و العبد، لأنّ الربّ المعبود سبحانه علمه و قدرته، و قدمه و غناه عن خلقه، غير مستفاد من إله آخر بل هى صفات

ذاته، لأن واجب الوجود وجوب وجوده يقتضى صفات الألوهية، والإمام الولي قدرته و علمه و حكمه و تصرفه فى العالم من الله اختاره، فقدمه و ارتضاه فحكمه، ما اختار وليا جاهلا قط، فوجب له بهذه الولاية العامة التقدم و العلم و التصرف، و الحكم و العصمة عن الخطأ و الظلم.

أما التقدم فلأن الولي حجة الله، و الحجة يجب أن يكون قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق، و أما العلم فلأن الولي هو العلم المحيط بالعالم، فلا يخفى عليه شيء مما غاب و حضر إذ لو خفى عنه شيء لجهل و هو عالم، هذا خلف.

دليله: ما رواه المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: يا مفضل، إن العالم منّا يعلم حتى تقلّب جناح الطير فى الهواء، و من أنكر من ذلك شيئا فقد كفر بالله من فوق عرشه، و أوجب لأوليائه الجهل، و هم حلما علماء أبرار أتقياء.

و ذلك أن الولي لا يجوز أن يسأل عن شيء و ليس عنده علمه، و لا يجوز أن يسأل عن شيء و لا يعلمه، و القرآن قد شهد له بذلك، و إليه الإشارة بقوله: **وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ** «١»، و المراد به الولي، و لفظ العموم هنا مخصّص للأولياء، و ليس فى العطف تباعد و تراخ، و كلّما يجرى فى العالم الذى أبرزه الله إلى الوجود من عالم الغيب و الشهادة أخبر القرآن أن الله يراه و رسوله و وليّه، و من أصدق من الله حديثا.

و إليه الإشارة بقوله صلى الله عليه و آله: إنك تسمع ما أسمع، و ترى ما أرى «٢»، فقله «تسمع ما أسمع» هذا جار فى الأوصياء كافة، و قوله: «ترى ما أرى»، هذا مقام خصّ به على عليه السلام. و إليه الإشارة

(١) التوبة: ١٠٥.

(٢) تقدّم الحديث.

ص: ٢٠٨

بقوله: هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق «١»، و الكتاب على، و منه قوله: **وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ** «٢»، و الكتاب الناطق هو الولي، و إليه الإشارة بقوله: **وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا** «٣»، و ذلك لأنه ليس بين الله و بين رسوله سرّ، و كيف و هو بالمقام الأعلى و المكان الأدنى؟ و ليس بينه و بين رسول الله و وليّه سرّ، و هذا رمز، و حلّه أن ليس بينهم و بين الله واسطة من الخلق، و لا أول فى السبق، و لا أقرب إلى حضرة الحق، لأنهم الخلق الأوّل و العالم الأعلى، و الكل تحت رفعتهم، لأن الأعلى محيط بالأدنى ضرورة، و الولي يعلمه، فكل ما أبرزه الله من الغيب و بسطه قلمه فى اللوح المحفوظ فإنّ النبى و الولي يعلمه، و إليه الإشارة بقوله صلى الله عليه و آله: «إن الله أطلعنى على ما شاء من غيبه و حيا و تنزيلا و أطلعك عليه إلهاما، و إن الله خلق من نور قلبك ملكا فوكله باللوح المحفوظ، فلا يخط هناك غيب إلّا و أنت تشهده» «٤».

فالنبى و الولي مطلعان على علم الغيب، لكن النبى لا ينطق به إلّا مع الأمر لأنه الرسول «٥»، و إليه الإشارة بقوله: **وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ** «٦»، و أما

(١) الجاثية: ٢٩.

(٢) المؤمنون: ٦٣.

(٣) يونس: ٦١.

(٤) فى البحار: ٢٦ / ٤ ح ١: «أنا صاحب اللوح المحفوظ ألهمنى الله علم ما فيه».

(٥) و ذلك لقرب الناس فى زمن النبى صلى الله عليه و آله إلى الجاهلية و لسعيه إلى تثبيت الإسلام و قواعده.

(٦) ظاهر الآية نسبة العجلة إلى النبى و هو ينافى عظمتة صلى الله عليه و آله و توضيح ذلك:

أن الناس فى الجاهلية الجهلاء، و لن تتحمل نسبة العلم إلى النبى صلى الله عليه و آله بلا توسط الوحي بينه و بين الله، إمّا لأنّ الأنبياء يوحى إليهم عادة.

و إمّا لقرب عهدهم بالجاهلية و عدم معرفتهم المعرفة الحقيقة للنبى الأعظم، حتى إنهم كانوا ينادونه من وراء الحجرات باسمه.

و هم، مع أنّه صلى الله عليه و آله أبرز لهم مسألة الوحي، كذبوه و قالوا: هذا من عنده، أو من عند سلمان الفارسى.

فكيف لو لم يبرز لهم الوحي و جبرائيل عليه السلام!؟.

و ما يشير إلى ذلك أن النبى صلى الله عليه و آله عندما ما كان يأتيه الوحي، كان يقول جاء جبرائيل، و ذهب جبرائيل، و أخبرنى جبرائيل عن الله تعالى، و ما شابه ذلك، و ما ذاك إلّا للتأكيد أنّ هناك إلها و ديناً و إسلاماً و رسالة من السماء.

و من هنا نفهم الآيات و الروايات التى تحدّثنا أن النبى صلى الله عليه و آله لم يكن يعطى الجواب حتى ينزل الوحي،

ص: ٢٠٩

فهو كان يعلم الجواب، و لكن يريد أن يغرز فى نفوسهم فكرة الوحي من السماء.

قال تعالى: **وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ** طه: ١١٤.

فالنبى صلى الله عليه و آله قبل أن ينقضى الوحي من السماء عليه، كان مستعداً أن يقرأ على الناس القرآن، بل تقدم علمه للقرآن منذ عالم الأنوار.

و نسبة العجلة للنبي صَلَّى الله عليه و آله لم يكن المراد بها حتى أن التوقيت غير مناسب، بل لإبراز أن النبي صَلَّى الله عليه و آله كان يعلم بالقرآن و آياته قبل أن ينزل عليه جبرائيل، و بالتالي تكون الآية دليلاً على ما ذكره و ذكرناه سابقاً أن جبرائيل كان يذكره بالقرآن تذكيراً لا يجتمع مع النسيان.

إن قيل: يحتمل في الآية أن النبي صَلَّى الله عليه و آله كان يستعجل بالقرآن فيتلو الآية الأولى أو مطلعها قبل أن يكملها جبرائيل أو قبل أن ينتهي من السورة.

قلنا: فعل النبي الأعظم صَلَّى الله عليه و آله هذا إما مع التفاته إلى بقية الآيات التي يكملها جبرائيل، و إما مع عدم التفاته لها.

فعلى الأول لا معنى للنهي عن العجلة.

و على الثاني يكون النبي مفوتاً للوحي و مضيئاً لبعض الآيات، و لا قائل به إلّا من سفه قوله.

قال الشيخ الطبرسي في الآية: لا تحرك به لسانك لتعجل قراءته بل كررها عليهم ليتقرر في قلوبهم فإنهم غافلون عن الأدلة، ألهاهم حبّ العاجلة فاحتاجوا إلى زيادة تنبيه و تقرير (مجمع البيان: ١٠ / ٦٠٣ مورد الآية - القيامة: ١٦).

و قال سيد المفسرين: و يؤول المعنى إلى أنك تعجل بقراءة ما لم ينزل بعد، لأن عندك علماً في الجملة، لكن لا تكتف به و اطلب من الله علماً جديداً بالصبر و استماع بقية الوحي. و هذه الآية مما يؤيد ما ورد من الروايات أن للقرآن نزولاً دفعة واحدة غير نزوله نجوماً على النبي صَلَّى الله عليه و آله فلو لا علم ما منه بالقرآن قبل ذلك لم يكن لعجله بقراءة ما لم ينزل منه بعد معنى (تفسير الميزان: ١٤ / ٢١٥ مورد الآية - طه: ١١٤).

و قد أبطل السيد الطباطبائي نسبة عجلة النبي صَلَّى الله عليه و آله في القراءة قبل انتهاء جبرائيل.

(تفسير الميزان: ٢٠ / ١١٠ مورد الآية - القيامة: ١٦).

✽ أقول: عندى أن معنى الآية: أن النبي صَلَّى الله عليه و آله كان يقرأ القرآن على الناس أو كان يبلغ بعض أحكامه و معانيه للناس مرة واحدة، و ذلك قبل أن ينزل الوحي عليه به و قبل أن ينقضى إليه، فجاء الخطاب الإلهي ليقول: لا تعجل في تبليغ القرآن، و أبلغه للناس حتى قبل نزول جبرائيل به، أبلغهم إياه بالتأني ليفهموه و يعملوا به، و لك أن تقرأه عدة مرات على الناس و لا داعي للعجلة و الاختصار على المرة، فإن قلوبهم لم تلن بعد، و اشكر الله و قل ربّ زدني علماً لما أتاك علم القرآن قبل أن ينزل به جبرائيل.

و بذلك نفى محذور نسبة العجلة إلى النبي صَلَّى الله عليه و آله.

الولى فى النطق بالغيب مطلق العنان، و هذا الحديث يشهد للولى أنه عالم بكل العالم لأن العالم أول الموجودات و أعلاها، و فيه علم سائر الأشياء و مبدؤها و منتهاها، و إذا كان موكلًا باللوح و عالما بما فى اللوح، و واليا على اللوح، فهو عالم بما تحت اللوح ضرورة، و العالم بأجمعه تحت اللوح فهو إذا عالم بسائر العالم؛ و دالٌّ على سائر المعالم، دليل ذلك قولهم الحق: «ما منّا إمام إلّا و هو عالم بأهل زمانه» (١)».

فالعالم فيهم و منهم و عنهم، و القرآن عندهم و إليهم، و دين الله الذى ارتضاه لأتبيائه و رسله و ملائكته منهم و عنهم، و إليه الإشارة بقوله سبحانه شهادة لهم: **وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** (٢) و الكتاب المبين هم و عندهم و منهم و عنهم.

يؤيد هذه المقولات البيّنات، قوله صلى الله عليه و آله: أول ما خلق الله اللوح، ثم خلق القلم، ثم أشار إلى نهر فى الجنة أن اجمد فجمد و صار مدادا، ثم قال له: اكتب.

فقال: ربّى و ما أكتب؟

و يشير إليه ما روى عن ابن عباس ضمن حديث طويل عن رسول الله قال صلى الله عليه و آله: **«ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى** قال: و سألتنى ربى فلم أستطع أن أجيبه فوضع يده بين كتفى بلا تكييف و لا تحديد، فوجدت بردها بين تديى فأورثنى علم الأولين و الآخرين و علمنى علوما شتى، فعلم أخذ على كتمانها إذ علم أنه لا يقدر على حمله أحد غيرى، و علم خيرنى فيه، و علمنى القرآن فكان جبريل عليه السلام يذكرنى به، و علم أمرنى بتبليغه إلى العام و الخاص من أمتى.

و لقد عاجلت جبريل عليه السلام فى آية نزل بها على، فعاتبنى ربى و أنزل على: **وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا** (المواهب اللدنية: ٢ / ٣٨١ - ٣٨٢ بحث الإسراء و المعراج - الربع الأخير منه، و لوامع أنوار الكوكب الدرى: ١ / ١١٨ بتفاوت).

و فى الحديث الشريف «فى قَاب قَوْسَيْنِ عِلْمَنى الله القرآن و عِلْمَنى الله علم الأولين» (لوامع أنوار الكوكب الدرى: ١ / ١١٧ - ١١٨)

✽ هذا هو الهدف من التركيز على جبرائيل، و رأينا كيف أن النبى مع نصّ القرآن أنه **وَحْيٌ يُوحَى** نجد أن عمر و من يدين بدينه، كيف كذبوا النبى صلى الله عليه و آله يوم الوفاة و قالوا: إن الرجل ليهجر.

فكيف لو لم يكن التركيز على الوحى و جبرائيل؟

(١) بحار الأنوار: ٤٨ / ١١٠ ح ١٥ بتفاوت.

(٢) يونس: ٦١.

فقال: ما كان، و ما هو كائن إلى يوم القيامة «١».

و اشترط فيه البدء و هو النسخ **يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** و صار علم اللوح إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله ثم إلى الأوصياء إلى آخر الدهر، و ذلك لأن ما فى اللوح إن كان الخلق لا يحتاجون إليه فما الفائدة فى سطره؟ و إن كان محتاجا إليه و هو محجوب عنهم فالحكمة لا تقتضى حجب الفوائد، و إن كان غير محجوب فإمّا أن يعلمه الخاص دون العام أو كلاهما معا؟ فإن علمه الخاص فخاصة الله و آل محمد، و ان علمه العام فما يعلمه العام، فالخاص بعلمه أولى، و إلى هذا المعنى أشار ابن أبى الحديد فقال:

خلق الزمان و دارت الأفلاك

علام أسرار الغيوب و من له

ملق و لا توحيده إشراك

الجوهر النبوى لا أعماله

فصل

و إلى هذا المعنى أشار بقوله فى خطبة التطنجية: و لقد علمت ما فوق الفردوس الأعلى و ما تحت الأرض السابعة السفلى، و ما بينهما و ما تحت الثرى، كل ذلك علم إحاطة لا علم إخبار، و لو شئتم لأخبرتكم بآبائكم أين كانوا، و أين صاروا اليوم «٢».

(١) بحار الأنوار: ٥٧ / ٣٦١ - ٣٦٨ ح ٥.

(٢) راجع بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٥٩ - ٢٦٨.

فصل [علم الإمام بما كان و يكون]

و إيضاح هذا المشكل أن الله سبحانه لما أراد أن يخلق هذا العالم خلق اللوح و القلم و كتب فيه من الغيب ما يتعلق بهذا العالم و بذلك، ورد الأثر من قوله: جف القلم بما هو كائن «١»، و قوله: فرغ الله من حساب خلقه، ثم بعث إليهم من الهداة و الولاة، و أوحى إلى كل نبي و رسول ما يحتاج إليه أهل زمانه من العقائد و الشرائع، ممّا قضاة و قدره ممّا يعرف منه و يعبد، حتى ختم الوجود بمحمد كما افتتح به الوجود، و الفاتح الخاتم يجب أن يكون عنده علم ما كان و ما يكون، لأنه منه البداية و إليه النهاية، لأن الواحد أول العدد و منتهاه، فوجب أن يكون عنده علم ما كان و ما يكون، ممّا كتب فى اللوح و إلّا لزم العبث أو الظلم.

فجملة ما صار إلى الأنبياء و ما خفى عنهم ممّا كتب فى اللوح، و جرى به القلم صار إلى سيّد الأوّلين و الآخرين، و جميع ما صار إليه و حيا و إلهاما و مشاهدة فى المقام الأعلى و الخطاب الربّانى بغير واسطة صار إلى وصيه القائم بدينه أمير المؤمنين عليه السّلام، ثم إلى عترته الأبرار و خلفائه الأطهار، و قد صرّح القرآن بذاك من قوله: **وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ «٢»** و دلّ عليه قوله الحق: أعطيت ألف مفتاح من العلم يفتح كل مفتاح ألف باب، يفضى كل باب إلى ألف عهد، و صار ذلك فى الأوصياء من بعدى إلى آخر الدهر «٣».

فمن أنكر بعد هذا الشاهد الحق علم الغيب للإمام، و خالف بعد ما وضح من البرهان المبين، فقد كذب بالقرآن، و كفر بالرحمن، و كفى بجهنّ سعيّا.

(١) بحار الأنوار: ٢٨ / ٤٨ ح ١٤ بلفظ: بما فيه.

(٢) النمل: ٧٥.

(٣) بحار الأنوار: ٢٧ / ١٦٠ ح ٩ و الحديث طويل.

ص: ٢١٣

فصل

يؤيد هذا المدعى و الشاهد قوله سبحانه: **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**، و قوله: **فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ «١»**، قال: فيها يقدر الله ما يكون من الحق و الباطل فى تلك السنة، و له فيها المبدأ و المشية، يعنى النسخ يقدم ما يشاء و يؤخّر ما يشاء، من الأعمار و الأرزاق و البلايا، ثم يوحىها إلى الروح الأمين، فينزل بها إلى الرسول ثم يلتفت الرسول إلى أمير المؤمنين ثم إلى الأوصياء حتى ينتهى إلى صاحب الأمر و الزمان و يشترك له فيها البداية و المشية، لأن حكمه حكم الله، و مقامه مقامه، فهو مالك و مملوك، لأنّه سيد الخلق و عبد الحق، و ليلة القدر باقية و الحجة باقية، و أمر ليلة القدر فى كل سنة ينتهى إليه، لأن ما دامت الدنيا باقية فليلة القدر باقية لا تزول، و المشية و الحكم الإلهى لا يزول، و الولى باق لا يزول، و وصول الغيب إليه باق لا يزول، و لا يزول، صدق القرآن و دوام حكم الرحمن، و هذا مقام الولى المطلق.

و عن محمد بن سنان عن المفضل عن أبى عبد الله عليه السّلام أنّه قال له: يا مفضل من زعم أن الإمام من آل محمد يغرب «٢» عنه شيء من الأمر المختوم يعنى ممّا كتب العلم على اللوح، فقد كفر بما نزل على محمد، و إنّنا لنشهد أعمالكم و لا يخفى علينا شيء من أمركم، و إن أعمالكم لتعرض علينا «٣».

و إذا كانت الروح و ارتاض البدن أشرقت أنوارها، و ظهرت أسرارها، و أدركت عالم الغيب، و لا ينكر هذا إلّا الجاهل البليد فكيف تنكر أنت إحاطة روح الأرواح بعالم الغيب؟

و إذا قيل لك: إنّ عليا يعلم الغيب، و إذ كان الفضل بالعلم و السبق، و كان في العباد من هو أسبق، من آل محمد إلى العلم بأعمال العباد، فهو أفضل من آل محمد صلى الله عليه و آله.

(١) الدخان: ٤.

(٢) في البحار: ٢٥ / ١٧٥ ح ١: «الإمام لا يعزب عنه شيء».

(٣) راجع أمالي المفيد: ١٩٦ مجلس ٢٣ و تفسير القمّي: ١ / ٢٧٧.

ص: ٢١٤

فصل [عرض الأعمال على آل محمد عليهم السلام] «١»

المؤمن من الشيعة منهم من يرى أن الأعمال تعرض على النبي و الولي، و منهم من لا يرى ذلك، و منهم من يرى أنّها تعرض على الولي دون النبي، و تلك خاصة خصّ الله بها وليّه، و منهم من يرى أنه يشهدا و يعلمها، و هذا مقام التحقيق لا مقام التقليد، فنقول للمعتقد: الأعمال تعرض على النبي و الولي، ثم ترفع إلى حضرة الرب العلي، و مع عرضها فإن كان الإمام لا يعلمها إلّا بعد العرض؛ فما الفرق بين الإمام و المأموم؟ بل يكون في الرعية من هو أعلم منه، فأين الإمامة التي تعريفها أنّها رئاسة عامة؟ و أين عمومها إذن؟

و إن كان يعلمها قبل العرض فما الفائدة في عرض ما يعلمه؟ و كذا القول في رفع الأعمال إلى حضرة الربوبية، فإن كان الرب لا يعلمها إلّا إذا رفعت إليه، كان العبد أعلم من الربّ و هو محال، لأن الرب سبحانه عالم بأعمال عباده، و محيط بها و حافظ لها و قيوم عليها، و لا يخفى عليه شيء في الأرض، و لا في السماء، فما الفائدة إذا في عرض ما الله و رسوله و وليّه أعلم به؟ و الجواب عنه: أن الفائدة في عرضها على الله أن كثرة الأعوان تدلّ على عظمة السلطان.

(١) عن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال لمن سأله أن يدعو له: «أ و لست أفعل؟ و الله إن أعمالكم لتعرض على في كل يوم و ليلة» (أصول الكافي: ١ / ٢١٩ عرض الأعمال على النبي ح ٤).

و عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «تعرض الأعمال على رسول الله صلى الله عليه و آله كل صباح».

و في رواية: «اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: هم الأئمة» (أصول الكافي: ١ / ٢١٩ عرض الأعمال على النبي ح ٢ - ١).

و أخرج البخاري في الأدب المفرد عن أبي ذر أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله:

«عرضت على أعمال أمتي - حسننها و سيئها - فوجدت محاسن أعمالهم» (الأدب المفرد: ٨٠ ح ٢٣١ باب إمطة الأذى).

و أخرج الحارث و البزار عن رسول الله صلى الله عليه و آله: «حياتي خير لكم تحدثون و نحدث لكم و موتي خير لكم تعرض على أعمالكم» (المطالب العالية: ٢٢ / ٤ ح ٣٨٥٣).

ص: ٢١٥

و أما الفائدة في عرضها على الولي، فإن ذلك على سبيل الطاعة و التعظيم، لأنه ما من أمر ينزل من السماء و يصعد من الأرض إلّا و يعرض على الولي لتعلم الملائكة أن لله حجة في أمره، و أنه مطاع الأمر، و أن أهل السماوات و الأرض متعبدون «١» بخدمته و حبه و طاعته، و سبحان من استعبد أهل السماوات و الأرض بولاية محمد و آل محمد عليهم السلام.

يشهد بذلك ما رواه محمد بن سنان عن الصادق عليه السلام أنه قال: إن لنا مع كل ولي أذن سامعة، و عين ناظرة، و لسان ناطق «٢».

يؤيد ذلك ما رواه ابن بابويه عن الصادق عليه السلام أنه قال: ما من مؤمن يموت إلّا و يحضره محمد و علي فإذا رآهما استبشر «٣».

و هذا عند أهل التحقيق من أصل العقائد، لأن المؤمن إذا مات رأى حق اليقين و وصل إلى الله و حق اليقين، لأنهم أمر الله الذي يحضره المؤمن عند احتضاره، فيحول بين الشيطان و بينه، فيموت على الفطرة، و إذا مات على الفطرة دخل الجنة.

اعترض جاهل فقال: إذا كانوا يحضرون المؤمن عند موته فإذا مات ألف مؤمن في لحظة واحدة فكيف السبيل؟

قلت له: فيجب الاعتقاد و الاعتراف بحضورهم عند كل واحد واحد منهم لصدق وعدهم لشيعتهم و إعانته عند كربة الموت و تفريج همّه، و طرد الشيطان عنه، و الوصية لملك الموت فيه، فلا يلتفت إلى الوهم؛ لضعف العقل السخيف و الفهم و يقول: و كيف يحضر الجسم الواحد في الزمن الواحد في أمكنة متعددة «٤»؟ و إذا اعترضك الشيطان فردّه

(١) خ ل: مستعبدون.

(٢) البحار: ٩٥ / ٤٧ ح ١٠٨ و: ٢٦ / ٢٦٩ ح ٦ و الحديث طويل.

(٣) سوف نفصل ذلك عمّا قريب.

(٤) الصحيح إمكان حضورهم عليهم السلام في آن واحد عند أكثر من ميت و في أكثر من مكان:

جوز ابن العربي رؤية النبي محمد صلى الله عليه و آله بجسمه و روحه و بمثاله الآن. (الحاوي للفتاوى: ٢ / ٤٥٠).

و قال تاج الدين السبكي لمن سألته عن رؤية القطب في أكثر من مكان: الرجل الكبير (القطب) يملأ الكون. و أنشد بعضهم:

كالشمس في كبد السماء و ضوءها
يغشى البلاد مشارقا و مغاربا

(الحاوي للفتاوى: ٢ / ٤٥٤).

و صرح السيوطي بإمكان رؤية الأنبياء يقظة. (الرسائل العشرة: ١٨، و شرح السمائل المحمدية: ٢ /

ص: ٢١٤)

(٢٤).

و قال في الذخائر المحمدية: إن رؤيا النبي صلى الله عليه و سلم ممكن لعامة أهل الأرض في ليلة واحدة. (الذخائر المحمدية: ١٤٦).

و أجاب الشيخ بدر الدين الزركشي عن سؤال له في آن واحد من أقطار متباعدة مع أن رؤيته صلى الله عليه و آله حق: بأنه صلى الله عليه و آله سراج و نور الشمس في هذا العالم، مثال نوره في العوالم كلها، و كما أن الشمس يراها من في المشرق و المغرب في ساعة واحدة و بصفات مختلفة، فكذلك النبي صلى الله عليه و آله. و لله در القائل:

كالبدر من أي النواحي جئته
يهدى إلى عينيك نورا ثاقبا

(المواهب اللدنية: ٢ / ٢٩٧ خصائص رسول الله صلى الله عليه و آله).

هذا، و تواتر حديث: «من رآني فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل مكاني - لا يستطيع أن يتمثل بي - لا يتكون في صورتى - لا يتشبه بي» (المواهب اللدنية: ٢ / ٢٩٣ إلى ٣٠١ ذكر خصائصه و ذكر جملة من المصادر).

و في لفظ: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة» (المعجم الكبير: ١٩ / ٢٩٧ ح ٦٦٠ منه).

و قال العلماء في معناه: هو في الدنيا قطعا و لو عند الموت لمن وفق لذلك. (الذخائر المحمدية:

١٤٧).

و معلوم أنه يتفق رؤية أكثر من شخص للنبي الأعظم في وقت واحد.

و روى الإمام الرضا عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من رآني في منامه فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل في صورتى ولا في صورة أحد من أوصيائي» (كشف الغمة: ٣/ ١٢٠ فضائل الرضا، و الأنوار النعمانية: ٤/ ٥٤).

و قال القاضى أبو بكر ابن العربى: رؤيته صلى الله عليه وآله بصفته المعلومة إدراك على الحقيقة، و رؤيته على غير صفته إدراك للمثال، فإن الصواب أن الأنبياء لا تغيرهم الأرض، و يكون إدراك الذات الكريمة حقيقة، و إدراك الصفات إدراك المثال. (المواهب اللدنية: ٢/ ٢٩٤ خصائص النبي صلى الله عليه وآله، و إرشاد السارى:

١٤/ ٥٠٢ كتاب التعبير باب من رأى النبي فى المنام).

و قال القسطلانى: فإن قلت: كثيرا ما يرى على خلاف صورته المعروفة و يراه شخصان فى حالة واحدة فى مكانين، و الجسم الواحد لا يكون إلّا فى مكان واحد؟

أجيب: بأنه فى صفاته لا فى ذاته، فتكون ذاته عليه الصلاة و السلام مرئية، و صفاته متخيلة غير مرئية، فالإدراك لا يشترط فيه تحديق الأبصار و لا قرب المسافة، فلا يكون المرئى مدفونا فى الأرض و لا ظاهرا عليها، و إنما يشترط كونه موجودا. (إرشاد السارى: ١٤/ ٥٠٣ كتاب التعبير باب من رأى النبي فى المنام).

و من حال كثير من العلماء و قصصهم يعلم إمكان رؤية النبي و أهل بيته، و كما ذكر ذلك فى محله.

(راجع المواهب اللدنية: ٢/ ٢٩٧ - ٣٠١، و ينابيع المودة: ٢/ ٥٥١ - ٥٥٤، و كشف الغمة: ١/

ص: ٢١٧)

بقوله سبحانه: **وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا** «١».

فصل [الإمام مع الخلق لا يغيب عنهم]

و إذا كانوا عالمين بأوليائهم فهم عالمون بأعدائهم من غير شك؛ لدلالة الأعلى على الأدنى، لأن الولي على الكل يجب أن يكون عالما بالكل، و إلّا لكان رقيقا على البعض دون البعض، و الغرض عموم رئاسته، فالواجب عموم علمه و إحاطته، و إلّا لم يكن رئيسا مطلقا، و هو رئيس مطلق، هذا خلف.

و قد ورد عن أبى عبد الله عليه السلام أنه قال: **إِنَّ لِلَّهِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ عَالَمٍ**، كل عالم أكبر من السماوات و الأرض، و أنا الحجة عليهم «٢».

و لا يكون الحجة حجة على قوم إلا من يعلمهم و يشهدهم، و إلا لم يكن حجة، و هو حجة، فهو عالم برعيته، لأنه عين الله الناظرة في عباده، و عين الله مطلعة على سائر العباد، فهو في العالم كالشمس لأنه نور الحق في الخلق، و شعاعه مطلق على سائر العالم، و هو

٢٣٩-٣٨٣، و إلزام الناصب: / ٣٤٠ إلى ٤٢٧، و دلائل الإمامة: ٢٧٣ إلى ٢٨٨ و ٢٩٤ إلى ٣٢٠ معاجز المهدي و من رآه، و إعلام الوري: ٣٩٦-٤٢٥، و إرشاد الساري: ١٤ / ٥٠٢ ٥٠٤ كتاب التعبير، باب من رأى النبي في المنام).

قال الشيخ المرسى: لو حجب عنى رسول الله صلى الله عليه و آله طرفة عين ما عدت نفسى من المسلمين.

(المواهب اللدنية: ٢ / ٣٠٠ خصائص النبي صلى الله عليه و آله).

و بذلك يتضح إمكان رؤية آل محمد: الآن و فى كل مكان، و تقدم أنهم أحياء عند ربهم يرزقون، بلحهم و جسدهم و روحهم.

و هذا يدل أن الإمام حاضر عند كل انسان لا يغيب عنه شخص من الأشخاص، لذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه و آله: «إن للشمس وجهين وجه يلى أهل السماء و وجه يلى أهل الأرض، فالإمام مع الخلق كلهم لا يغيب عنهم و لا يحجبون عنه» (بحار الأنوار: ٢٧ / ٩ ح ٢١ و مشارق أنوار اليقين: ١٣٩).

و عن الإمام الصادق عليه السلام: «الحجة قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق» (كمال الدين: ١ / ٢٢١ باب ٢٢ ح ٥، و الإنسان الكامل: ٨٧).

(١) الكهف: ٤٥.

(٢) تقدم الحديث.

ص: ٢١٨

حجاب الله فى عالم الصور، و إليه الإشارة، يقول الرسول صلى الله عليه و آله: «على لا يحجبه عن الله حجاب» (١)، و هو السرّ و الحجاب، فالإمام نور إلهى و سرّ ربّانى، و تعلّقه بهذا الجسد عارضى، دليله قوله سبحانه: **وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا** (٢)، و نور الرب هو الإمام الذى بنوره تشرق الظلم، و يستضىء سائر العالم.

يعضد هذا التفسير ما ورد عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال: «إن للشمس وجهين، وجه يلى أهل السماء، و وجه يلى أهل الأرض» (٣)، فالإمام مع الخلق كلهم لا يغيب عنهم، و لا يحجبون عنه، بل هم محجوبون عنه، و ليس هو بمحجوب، لأن الدنيا عند الإمام كالدرهم فى يد الإنسان يقلّبه كيف شاء.

و عنهم عليهم السّلام: إن الله يعطى وليّه عموداً من نور بينه و بينه يرى فيه سائر أعمال العباد «٤» كما يرى الإنسان شخصه في المرأة من غير شك، كما رواه إسحاق بن عمّار عن أبي الحسن موسى عليه السّلام أنه قال: دخل عليه رجل من خراسان فكلمه بكلام الطير فأجابه موسى بمثل كلامه، فلما خرج الرجل قلت: يا سيدي ما سمعت مثل هذا الكلام، فقال عليه السّلام: هذا كلام قوم من أهل الصين و ليس كلام أهل الصين كلّ هكذا، ثم قال: أتعجب من هذا؟ قلت: نعم، قال:

سأريك ما هو أعجب، إن الإمام يعلم منطق الطير و منطق كل ذي روح، لا يخفى على الإمام شيء «٥».

فهم صلوات الله عليهم يشهدون الخلق عند الحياة و عند الممات، لأنهم العالمون عن الله بكل موجود و مفقود، كما ورد عن النبي صلى الله عليه و آله أنه مرّ على قبر فقال: أف، أف؛ فقليل: يا رسول الله ما ذا؟ فقال: إن صاحب هذا القبر سئل عنى فأمسك، فأففت عليه.

و من ذلك ما روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنه قال لكميل بن زياد و قد مرّ معه في جبانة فأسرع السير فقال له: «خفف الوطء يا كميل فإنهم يسمعون صرير نعالك».

(١) بحار الأنوار: ٩٦ / ٤٠ ح ١١٦.

(٢) الكهف: ٤٥.

(٣) بحار الأنوار: ٢٧ / ٩ ح ٢١ و فيه يضىء لأهل السماء - الأرض.

(٤) الهداية الكبرى: ٢٤٠ باب ٧، و بصائر الدرجات: ٤٣٥ ح ٣ باب أنه يرى ما بين المشرق و المغرب.

(٥) الأنوار النعمانية: ١ / ٣٣، و الهداية الكبرى: ١٧١ باب ٢.

ص: ٢١٩

و علم الإمام بهم ليس ظنّ و لا تقليد، و لكنّه علم إحاطة و تحقيق «١»، فعلم الله محيط بالمعلومات، و علمهم نافذ في طبقات السّماوات، لأنّ السّماوات و الأرض و ما فيها خزانة الله خلقها لأجلهم و سلّمها إليهم، فعندهم مفاتيح علمها و غيبها لا بل هم مفاتيح الغيب، و إليه الإشارة بقوله: **وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ «٢»** لأنّ الولي المطلق هو الذي بيده مفاتيح الولاية، بل هو مفتاح الولاية، يؤيّد ذلك قوله سبحانه: **صَرَّاحُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ «٣»**، و هذا صريح، قال الصادق عليه السّلام: صراط الله على جعله الله أمينه على علم ما في السّماوات و ما في الأرض، فهو أميره على الخلائق و أمينه على الحقائق «٤».

يؤيد هذا التفسير قول أمير المؤمنين في خطبة التطنجية: «لو شئت أخبرتكم بأبائكم وأسلافكم ممن كانوا و أين كانوا، و أين هم الآن و ما صاروا إليه؟ فكم من آكل منكم لحم أخيه و شارب برأس أبيه، و هو يشتاقه و يرتجيه، هيهات إذا كشف المستور و حصل ما فى الصدور، و أيم الله لقد كررتم كرات و كم بين كرة و كرة من آية و آيات».

و يجب من عموم علمه عموم إحاطته لأنه وجه الله الذى منه يؤتى، و السبب المتصل بين الأرض إلى السماء، و إليه الإشارة بقوله: **فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ «٥»**، و الشمس المنيرة التى لا يحتجب من ضوئها شيء أبداً، و الاسم الجارى السارى فى كل شيء، فهم إلى طرف الموجودات مولاها و معناها، و إلى حضرة الأحدية عبدها و وليها و خليفتها و عليها، و إليه الإشارة بقوله: **إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصْداً «٦»**، قال أبو جعفر عليه السلام: «الرصد التعلم من النبى» **«٧»**، و قوله: من بين يديه، يعنى يلقى فى قلبه الإلهام ليعلم النبى أنه قد بلغ رسالات ربه، و أحاط على بما لديه من العلم

(١) فصلناه فى كتابنا علم آل محمد.

(٢) الأنعام: ٥٩.

(٣) الشورى: ٥٣.

(٤) بحار الأنوار: ٢٥ / ١٧٠ ح ٣٨ بتفاوت.

(٥) البقرة: ١١٥.

(٦) الجن: ٢٧ - ٢٨.

(٧) بحار الأنوار: ٣٦ / ٨٩ ح ١٦ و فيه التعليق و الحديث طويل.

ص: ٢٢٠

وَ أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدْداً «١»، قال: علم ما كان و ما يكون إلى يوم القيامة، حتى معرفة كل إنسان باسمه و نسبه، و من يموت موتاً و من يقتل قتلاً، و من هو من أهل الجنة، و من هو من أهل النار **«٢»**.

و إليه الإشارة بقوله: **وَ كَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ «٣»**، و إنما رآه بمرآة إني جاعلك للناس إماماً **«٤»** فرآه بعين الولاية، لأن النبى قد يحجب عن الملكوت لأن الوحي منه يأتيه، و الولي لا يحجب عن الملكوت، فالنبى ينتظر الغيب و الولي ينتظر فى الغيب، و ليس الولي بهذا المقام أعلى من النبى بل هو فى سائر المقام تلميذه، و تحت مرتبته، و فيضه عنه، و علمه عنه، و قد يكون للولى ما ليس للنبى و إن كان من اتباعه، كقصة الخضر و موسى، و هذا إشارة إلى الإلهام، و إليه الإشارة بقوله: و لقد نظرت فى ملكوت السماوات و الأرض فما غاب عني شيء مما كان قبلى، و لا شيء مما هو كائن بعدى **«٥»**.

فذلك حق لأن الولي المطلق لو جهل شيئاً لجهل من ولاه، و لو علم شيئاً دون شيء لا تصف بالعلم تارة و بالجهل أخرى، فكان جاهلاً و هو عالم، هذا خلف؛ و لو جهل لارتفعت الولاية و العصمة، ما اتخذ الله ولياً جاهلاً قط، فيلزم لو جهل عدم الولي أو كونه جاهلاً و هو محال، فيكون عالماً بالكل و هو المطلوب، و إليه الإشارة بقول ابن أبي الحديد في مدحه له عليه السلام:

الظهور على مستودعات السرائر

و ذو المعجزات الباهرات أقلها

دليله قوله الحق: «أنا الهادي بالولاية» «٦» فهو عليه السلام غيب الله المكتوب، و علمه المنصوب، و خزانة غيبه في سماواته و أرضه، و وارث أسرار نبيه، فهو الإمام المبين الذي كلّفه الله هداية الخلق، و قضى فيه كل شيء فكل علم نزل إلى النبي صلى الله عليه و آله فهو عنده و منه

(١) الجن: ٢٧ - ٢٨.

(٢) و فيه رواية عن الإمام الباقر، راجع البحار: ٢٦ / ١٤ ح ٢.

(٣) الأنعام: ٧٥.

(٤) البقرة: ١٢٤.

(٥) بحار الأنوار: ٢٦ / ١٤١ ح ١٤ عن أمالي المفيد بتفاوت.

(٦) بحار الأنوار: ٢٦ / ١٥٣ ح ٤١ بتفاوت.

ص: ٢٢١

و فيه، و إليه الإشارة بقوله صلى الله عليه و آله: «أنت منّي و أنا معك سرّي و علانيتي، و أنت روحى التى بين جنبي، لحمك لحمي، و دمك دمي، و ما أفرغ جبرائيل في صدرى حرفاً إلّا و قد أفرغته في جوفك» «١».

و هذا كلام عظيم يصرح لعلّ بالتشريف و التعظيم، و التفضيل و التقديم، حيث هو قسيم بنعمة النبي الكريم، و شقيق نور الرءوف الرحيم، فهو منه في النور و الروح و الطينة، و الظاهر و الباطن، و لا فرق هناك إلّا النبوة، و هو الآيات و المقامات و الكلمات الثامات، و الأنوار الباهرات تقصر القول عن معرفة أسرارها، و تعمى عيون الأفهام عن بوارق أنوارها، سرّ الرحمن الرحيم، و ما يلقاها إلّا ذو حظّ عظيم، و من أنكر أن الإمام يعلم الغيب أنكر إمامته، و من أنكر إمامته لا يبالي محو المحكم من كتاب الله أو

جحد نبوة الأنبياء، و زعم أنه ليس إله فى السماء، فوجب أن يعلم الولي أهل ولايته أحياء و أمواتا، و إلّا لكان عالما فى وقت دون وقت و هو محال، لأن الولي هو الإنسان الكامل، فكيف يكون كاملا ناقصا، هذا خلف؟

(١) نفحات الأزهار: ٣١٦ / ٤، و فى لفظ عن رسول الله صلى الله عليه و آله: «معاشر الناس ما من علم إلّا علمنيه ربّي و أنا علّمته عليا» تفسير نور الثقلين: ٣٧٩ / ٤ و مناقب ابن المغازلي: ٥٠ ح ٧٣.

ص: ٢٢٢

فصل [حضور آل محمد عليهم السّلام عند كل ميّت]

أما علمه بهم عند الموت فدليله قوله لحارث همدان: يا حارث، قال: نعم يا مولاي، فقال: «لو قد بلغت نفسك التراقي لترانى حيث تحب» (١).

و هذا إشارة إلى حضوره عند الموتى. (٢)

(١) بحار الأنوار: ١٧٩ / ٦ ح ٧، و بشارة المصطفى: ٥ ح ٤ و رسائل المرتضى: ١٣٣ / ٣.

(٢) قال الإمام الصادق عليه السّلام: «إذا بلغت نفس احدكم هذه قيل له: أما ما كنت تحزن من همّ الدنيا و حزنها فقد أمنت منه و يقال له: أمامك رسول الله و على و فاطمة عليهم السّلام». (بحار الأنوار: ١٨٤ / ٦ ح ١٧ باب ما يعاين المؤمن و الكافر عند الموت، و الكافي: ١٣٤ / ٣ ح ١٠).

و عن أمير المؤمنين على عليه السّلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه و آله: و الذى نفسى بيده لا تفارق روح جسد صاحبها حتى يأكل من ثمر الجنة أو من شجر الزقوم، و حتى يرى ملك الموت و يرانى و يرى عليا و فاطمة و الحسن و الحسين، فإن كان يحبنا قلت: يا ملك الموت ارفق به فإنه كان يحبني و أهل بيتي.

و إن كان يبغضني و يبغض أهل بيتي قلت: يا ملك الموت شدد عليه فإنه كان يبغضني و يبغض أهل بيتي، لا يحبنا إلّا مؤمن و لا يبغضنا إلّا منافق شقي» (أهل البيت، توفيق أبو علم: ٦٨ - ٦٩ الباب الثانى، و بشارة المصطفى: ٦ ح ٧ مع تفاوت بسيط).

و عن أسماء بنت عميس قالت: إنّنا لعند على بن أبى طالب عليه السّلام بعد ما ضربه ابن ملجم إذ شقق شهقة، ثم أغمى عليه ثم أفاق فقال: «مرحبا مرحبا الحمد لله الذى صدقنا وعده، و أورتنا الجنة». فقليل له: ما ترى؟!

قال: «هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وأخى جعفر وعمى حمزة وأبواب السماء مفتحة والملائكة ينزلون يسلمون على و يبشرونى. وهذه فاطمة عليها السلام قد طاف بها و صائفها من الحور، وهذه منازل فى الجنة. لمثل هذا فليعمل العالمون» (ربيع الأبرار: ٢٠٨ / ٤ ذيل باب الموت و ما يتصل به من ذكر القبر و النعش).

و عن الفضل بن يسار عن أبى جعفر الباقر و جعفر الصادق عليهما السلام أنهما قالوا: «حرام على روح أن تفارق جسدها حتى ترى الخمسة: محمدا و عليا و فاطمة و حسنا و حسيناً» (كشف الغمة: ٢ / ٤٠ مناقب أمير المؤمنين عليه السلام).

و روى ابن أعثم رؤية معاوية عند موته لأمر المؤمنين عليه السلام قال: «ثم رحل معاوية عن ذلك المكان

ص: ٢٢٣

و أما علمه بهم بعد الموت فدلله قوله للأصمغ بن نباتة فى نجف الكوفة: «يا أصمغ إن فى هذا الظهر أرواح كل مؤمن و مؤمنة، فلو كشف لك ما كشف لى لرأيتهم خلقا يتحدثون على منابر من نور»، و ذلك حق لأن الولي إذا أحاط علما بالأحياء و جب أن يحيط علما بالأموات، و إلّا لامتنع الأول لامتناع الثانى، لكن الأول غير ممتنع فالثانى كذلك، لأن العلم الذى أيد به و علم به للأحياء به علم الموتى، و إليه الإشارة بقوله: **قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ** «١»، و الكتاب الحفيظ، هو الولي و علمه عنده و ذلك لأن اللوح المحفوظ فيه سطور غيب الله، و اللوح الحفيظ فى الأرض هو المستودع لغيب الله و إليه الإشارة بقوله: **بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ* فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ** «٢»، و الولي حافظ للذكر و عالم بتأويله و تنزيله، فاللوح المحفوظ بالحقيقة هو الولي، فمن أنكر علم الولي بأهل ولايته

حتى صار إلى الشام فدخل منزله، و اشتد عليه مرضه و كان فى مرضه يرى أشياء لا تسره، .. فكان يشرب الماء الكثير فلا يروى، و كان ربما غشى عليه اليوم و اليومين، فإذا أفاق من غشوته ينادى بأعلى صوته: «مالى و مالك يا ابن أبى طالب إن تعاقب فبذنوبى و إن تغفر فإنك غفور رحيم» (الفتوح لابن أعثم: ٢ / ٦١ ذكر انصراف معاوية عن مكة و ما يلي به فى سفره من المرض و خبر وفاته).

و عن سليم فى خبر طويل فيه ندم الخليفة الأول و الثانى عند الموت جاء فيه:

فقال له عمر: يا خليفة رسول الله لم تدعو بالويل و الثبور.

قال أبو بكر: هذا رسول الله و معه على بن أبى طالب يبشراننى بالنار و معه الصحيفة التى تعاهدنا عليها فى الكعبة و هو يقول صلى الله عليه وآله:

«لقد وفيت بها و ظاهرت على ولى الله فأبشر أنت و صاحبك بالنار فى أسفل السافلين» (إرشاد القلوب: ٢ / ٣٩٢ خبر وفاة أبى بكر و معاذ).

و عن نخلة بنت عبد الله قالت: رأيت بعد أن قتل زيد بن علي و صلب بثلاثة أيام فيما يرى النائم كأن نسوة من السماء نزلن عليهن ثياب حسنة حتى أحدقن بجذع زيد بن علي، ثم جعلن يندبنه و ينحن عليه كما ينوح النساء في المأتم.

قالت: و نظرت إلى امرأة قد أقبلت و عليها ثوب لها أخضر يلمع منه نور ساطع حتى وقفت قريبا من أولئك النساء، ثم رفعت رأسها و قالت: «يا زيد قتلوك يا زيد صلبوك يا زيد سلبوك يا زيد إنهم لن تنالهم شفاعة جدك عليه الصلاة و السلام غدا في يوم القيامة».

قالت نخلة: فقلت لإحدى النسوة تلك: من هذه المرأة الوسيمة من النساء؟

فقالوا: هذه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و آله (الفتوح لابن الأعمش: ٣ / ٢٩٥ ذيل خبر زيد بن علي).

(١) ق: ٤.

(٢) البروج: ٢٢.

ص: ٢٢٤

و مشاهدته لأعمالهم فقد كذب القرآن و كفر بالرحمن.

فصل

و كذا من خصص علمه بوقت دون وقت، و شيء دون شيء، فقد قضى للولى بالجهل، فيلزم من تكذيب الثانى تكذيب الأول، و من تصديق الأول تصديق الثانى، لعدم التخصيص، فيلزمه إذا التصديق بما كذب، و التكذيب بما صدق، و من الأول يلزم الكفر، و من الثانى يلزم الارتداد و فساد الاعتقاد، لكن الأول صادق، و الثانى كاذب.

ص: ٢٢٥

فصل [قدرة آل محمد التكوينية]

و أما القدرة «١» فإن الولى المطلق قدرته كعلمه، و علمه محيط، فقدرته كذلك لأن قلب

(١) قد فصلنا ذلك في كتابنا الولاية التكوينية و نجمل هنا فنقول:

الولاية التكوينية قدرة يمنحها الله لخاصة أوليائه الذين يتقربون من الله تعالى تقربا يصبح سبحانه و تعالى سمعهم و أبصارهم و أيديهم.

كما فى حديث التقرب بالنوافل المستفيض:

«لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه و بصره و لسانه و يده و رجله؛ ففى يسمع، و بى يبصر، و بى ينطق، و بى يبطش، و بى يمشى» (جامع الأسرار: ٢٠٤ ح ٣٩٣، و له ألفاظ أخرى (المعجم الأوسط: ١٠ / ١٦٣ ح ٩٣٤٨، و كنز العمال ٧ / ٧٧٠ ح ٢١٣٢٧، و أصول الكافى: ٢ / ٣٥٢ ح ٧، و علل الشرائع: ١ / ٢٢٧ باب ١٦٢).

قال الشيخ حسن زاده آملی: بل إن هذا الشخص، و لأن الحق يكون عينه التى يرى و أذنه التى بها يسمع، و عين جوارحه و قواه الروحية و الجسمية؛ فإن تصرفه الفعلى أيضا يكون كالحس و الجذبة الروحية، حتى يصير قوله و فعله واحدا، و لا يحتاج إلى الامتداد الزمانى فى حركاته و انتقالاته، بل يصير محلا لمشیئة الله و مظهر ل **إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** حيث يتحد عندها القول و الفعل (الإنسان الكامل: ١٧٣).

و قال الخواجه نصير الدين الطوسى: العارف إذا انقطع عن نفسه و اتصل بالحق رأى كل قدرة مستغرقة فى قدرته المتعلقة بجميع المقدورات، و كل علم مستغرق فى علمه الذى لا يعزب عنه شىء من الموجودات، و كل إرادة مستغرقة فى إرادته التى يمتنع أن يتأتى عليها شىء من الممكنات.

بل كل وجود فهو صادر عنه فائض عن لدنه فصار الحق حينئذ بصره الذى به يبصر و سمعه الذى به يسمع و قدرته التى بها يفعل و علمه الذى به يعلم و وجوده الذى به يوجد، فصار العارف حينئذ متخلقا بأخلاق الله فى الحقيقة (شرح الإشارات و التنبيهات: ٣ / ٣٨٩ عن السير إلى الله: ٧٩).

و قال الإمام الخمينى قدس سره:

«فإن للامام عليه السلام مقاما محمودا و درجة سامية و خلافة تكوينية تخضع لولايتها و سيطرتها جميع ذرات هذا الكون، و إن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب و لا نبي مرسل، و بموجب ما لدينا

ص: ٢٢٦

الولى مكان مشیة الرب العلى، و لسانه منبع حكمته، يفعل ما يريد الله، و يريد ما يفعل.

فصل

و أما الحكم المطلق فكما مر، لأن الولاية لها الحكم من البداية إلى النهاية، لأن الولاية علم اليقين و حق اليقين، لا ينسخ و لا يتغير و لا يتبدل بتغير الزمان، و لا ينسخ كنسخ الشرائع و الأديان، و لا يختم لأنه ختم الأكوان، و لا تسبق لأن لها السبق بالكون و المكان، فعهدا مأخوذ من الأزل و لم يزل، يتسلمها ولى من ولى و رضى من رضى إلى يوم القيامة، لأن الرب الملك الحق المبين أخذ لها العهد على أسماء قبل خلق الأرضين و السماوات، و هى الختم و الكمال لكل دين، و لها الحكم عند نصب الموازين،

و ويل للمكذّب بيوم الدين، و إلى هذا البرهان المبين الإشارة من قول الصادقين: سبحان من خلق السماوات و الأرضين، و ما سكن في الليل و النهار بمحمد و آل محمد صلّى الله عليه و آله.

من الروايات و الأحاديث فإن الرسول الأعظم صلّى الله عليه و آله و الأئمة عليهم السّلام كانوا قبل هذا العالم أنواراً؛ فجعلهم الله بعرشه محدقين و جعل لهم من المنزلة و الزلفى ما لا يعلمه إلّا الله» (الحكومة الاسلامية: ٥٢).

ص: ٢٢٧

فصل [الدنيا ملك لآل محمد عليهم السّلام]

هذا كلام الحجّة، و كلام الحجّة حجّة، فقلوه لمحمد و آل محمد هذا لام التملك و التخصيص، لأن من خلق الشىء لأجله فهو له فى الدنيا و الآخرة، لهم خلقت و إليهم سلمت، فدلّ بهذا الصريح أن ملك الدنيا و الآخرة و حكم الدنيا و الآخرة لا بل الدنيا و الآخرة لهم على غير مشارك و لا منازع، إن الكل عبيدهم و ملكهم «١»، و هم سادة الكل و مواليتهم، سبحان من استعبد أهل السماوات و الأرض بولاية محمد و آل محمد.

و هذا مصرح أن الكل لهم و عبيدهم، و أن لهم السيادة و السؤدد على جميع الخلائق، فالخلائق عبيدهم و هم عبيد الله و نواب مملكته، و خاصة حضرته و خزنة غيبه، و قوام خلقه.

و إلّا لزم كذب المعصوم أو تكذيبه، و الأوّل محال و الثانى كفر مثبت.

إن الدنيا و الآخرة ملكهم و مليكهم، و إليه الإشارة بقوله صلّى الله عليه و آله: «سبحان من يملكها محمداً و آل محمد و شيعتهم» «٢»، فتساوى طرفا الحكم و الملك فى الدارين لديهم و إليهم لعدم الترجيح و التخصيص، فمن اعتقد أن ملك الدنيا و الآخرة لهم آمن بالخصوص الإلهية و النصوص الإمامية، و من أنكر الطرفين كفر بالقرآن، و كذب أولياء الرحمن، و من صدق طرفاً و كذب طرفاً بعد ثبوت الطرفين لهم لزمه من إنكار الثانى إنكار الأوّل، و من تصديق الأوّل تصديق الثانى، لكن تكذيب الأوّل كفر فالثانى كذلك، و تصديق الأوّل إيمان فالثانى كذلك، و تصديق الثانى إيمان فتكذيب الأوّل كفر، فمن صدق الأوّل و كذب الثانى لزمه التكذيب بالصدق أو التصديق بما وجب تكذيبه، فيلزمه من ذلك الكفر بالإيمان و الإيمان بالكفر.

فبان بواضح البرهان الذى لا ينقض، و الحق الذى لا يدحض، أن لهم ملك الدنيا

(١) بحار الأنوار: ٣٣ / ٦٨ ح ٣٩٨.

(٢) تهذيب الأحكام: ٩٨ / ٣، و البحار: ٩٥ / ١٣٩.

و الآخرة، و حكم الدنيا و الآخرة، و الإنكار لذلك كفر لصدق دليله، و الشك فيه شرك لوضوح سبيله، و الريب فيه ارتداد لصحة تأويله، و التصديق به نجاة لبرد مقبله، و من كذب بما وجب تصديقه من الدين فقد كفر بوحى رب العالمين، و ذلك لأن الكتاب و العترة حبلان متصلان، و إليه الإشارة بقوله: «خلفت فيكم الثقلين كتاب الله و عترتى أهل بيتى، إن تمسكتم بهما لن تضلوا، أنبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض» (١)».

(١) قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «إني تارك فيكم الثقلين خليفتي كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء إلى الأرض و عترتى أهل بيتى، و إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض» (مسند احمد: ٥ / ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٩ و ٤ / ٣٦٧ ط. م و ٥ / ٤٩٢ ح ١٨٧٨٠ و ٦ / ٢٣٢ - ٢٤٤ ح ٢١٠٦٨ - ٢١١٤٥ ط. ب، و بحار الأنوار: ٢٣ / ١٠٧، و فضائل الصحابة لأحمد: ٢ / ٥٨٥ - ٦٠٢ - ٥٧٢ ح ٩٩٠ - ١٠٣٢ - ٩٦٨ - ٧٨٦). و له ألفاظ كثيرة (مجمع الزوائد: ١ / ١٧٠ ط. مصر و بغية الرائد فى تحقيق مجمع الزوائد:

٤١٣ ح ٧٨٤ عن ابن ثابت، و نزل الأبرار: ٣٢ و ٥٢ الباب الأول عن زيد و حذيفة بن أسيد، و المعجم الأوسط: ٤ / ٢٦٢ - ٣٢٨ ح ٣٤٦٣ - ٣٥٦٦ عن أبى سعيد، و الفردوس: ١ / ٦٦ ح ١٩٤ ط. كتب و ٩٨ ح ١٩٧ ط كتاب عن أبى سعيد، و البيان و التعريف فى أسباب ورود الحديث: ١ / ٣٧٠ ح ٤٣٧ عن زيد، و مشارق الأنوار: ١٠٩ الفصل السادس من الباب الثالث، و تلخيص المتشابه: ١ / ٦٢ رقم ٧٨ عن أبى سعيد و ٢ / ٦٩٠ ح ١١٥٠، و أخبار قزوین: ٣ / ٤٦٥، و السنن الكبرى للبيهقى: ٢ / ١٤٨ و: ٧ / ٣٠، و المطالب العالية: ٤ / ٦٥ ح ٣٩٧٢، و أمالى الشجرى: ١ / ١٤٣ - ١٤٩ - ١٥٢ - ١٥٤ - ١١٥ و ٤١٥، و مسند البزار: ٣ / ٨٩ ح ٨٦٤، و حلية الأولياء: ٩ / ٦٤، و تاريخ بغداد: ٨ / ٤٤٣ ترجمة زيد بن الحسن القرشى، و أهل البيت فى المكتبة العربية: ٢٨٠، و مسند شمس الاخبار: ١ / ١٢٦ أبو سعيد، و المعرفة و التاريخ: ١ / ٥٣٦ إلى ٥٣٨ عدة، و مسند أبى يعلى: ٢ / ٢٩٧ ح ١٠٢١، و المنتخب من مسند عبد بن حميد: ١٠٨ ح ٢٤٠ عن زيد بن ثابت و ١١٤ ح ٢٦٥ عن زيد ابن أرقم، و مشكاة المصابيح: ٣ / ١٧٣٥ - ١٧٣٢ - ١٧٣٥ ح ٦١٤٤ - ٦١٣١ - ٦١٤٣ باب فضائل على عن زيد و جابر، مصابيح السنة: ٤ / ١٨٥ - ١٨٩ ح ٤٨١٥ - ٤٨١٦.

و المصنف لابن أبى شيبة: ٦ / ٣١٣ - ٣٧١ ح ٣١٦٧٠ - ٣٢٠٧٧ و ٧ / ٤١١ ح ٣٦٩٤٢، و صحيح مسلم: ١٥ / ١٧٦ ح ٦١٧٨ ط. بيروت، و ٧ / ١٢٢ ط. مصر كتاب الفضائل - فضائل على ح ١٢ من بابه، و أسد الغاية ٢: ١٢ ترجمة الإمام الحسن ٧، و ج ٣: ١٤٧ ترجمة عبد الله بن حنطب و ٩٢ ترجمة عامر بن ليلى، و تحفة الاشراف: ٢ / ٢٧٨ ح ٢٦١٥، و جلاء الافهام: ١٢١ الفصل الرابع - معنى الآل، و تفسير المحرر الوجيز: ١ / ٣٦ المقدمة و الطبقات الكبرى ٢: ١٥٠ ذكر ما قرب لرسول الله من أجله، و مستدرک الصحيحين: ٣: ١٠٩ - ٥٣٣ كتاب معرفة الصحابة، و صحيح الترمذى ٥:

٦٦٣ - ٦٦٢ كتاب المناقب ح ٣٧٨٦، و ٣٥١ باب التفسير ط. مصر - دار الحديث، و خصائص النسائي: ٨٥، و المعجم الكبير للطبرانى ٣: ٦٥ - ٦٦ - ٦٧، و العقد الفريد ٤: ٥٣ كتاب الخطب -

قوله: حتى يردا على الحوض شريد و طريد، لأن الكتاب يعرف الأمة فضل الأئمة و وجوب طاعتهم، و العترة تشهد للكتاب بأنه الحق، فالكتاب نبذ و حرّف و ترك، و العترة قتلوا و شردوا و طردوا فهما صاحبان شريدان طريدان لا يأويهما أحد، و لم يسترشد بهما ضالّ حتى يردا الحوض شاكيين إلى الله و رسوله، فكلّما يجب من التصديق للكتاب يجب للعترة، و في الكتاب علم كل شيء، و بيان كل شيء، و كذا يجب أن يكون عند العترة لأنهم تراجمة القرآن، و سرّ غيب الرحمن، فعندهم علم كل شيء و إلّا لما كانا حبلين متصلين، و لما قال: «كهاتين»، و قرن إحدى إصبعيه إلى الأخرى، ثم بيّن أن علم القرآن عندهم و أنهم مساوين للكتاب في الشرف و الطاعة، فقال: «و لا أقول كهاتين فأفضّل هذه على الأخرى»، فمن آمن بكل الكتاب و أنكر حرفا منه لم يكن مؤمنا لأن اللازم له في الاعتقاد تصديق الكل، أو إنكار الكل، لكن إنكار الكل كفر، و تصديق الكل إيمان.

فصل

و كذا القول في العترة فمن أنكر حرفا من أقوالهم أو ردّ حديثا من أحاديثهم أو شك في شيء من أمرهم أو استعظم حديثا من سرائرهم، فقد أنكر الكل، فبان بهذه البراهين الموجبة لحق اليقين أن عليا حاكم يوم الدين، و مالك يوم الدين «١»، و ولي يوم الدين، بأمر ربّ العالمين.

خطبة الرسول في حجة الوداع، و الدر المنثور ٢: ٦٠ مورد آية **وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ** آل عمران ١٠٣ و ج ٦: ٧-٣٠٦، و تفسير الرازي ٨: ١٦٢ مورد آية **وَاَعْتَصِمُوا**، و تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١٢ ذيل خلافة علي ٧، و كنز العمال: ١ / ١٧٢ ح ٨٧٠ و ٣٧٩ ح ١٦٥٠، و ٣٨٤ ح ١٦٦٧ و ما بعدهم - باب الاعتصام بالكتاب و السنة -، و بحار الأنوار: ٣٦ / ٣٣١ - ٣٣٨ - ٣٧٣، و كفاية الأثر: ٨٧ - ٩١ - ١٢٨ - ١٣٧ - ١٦٣ - ٢٤١).

(١) سوف يأتي توضيحه من المصنّف في الفصل ما بعد اللاحق. و كذلك في ما بعد لاحق اللاحق.

فصل [الولاية المطلقة و المقيدة]

و بيان ذلك أن الملك و التملّك و الحكم و التحكّم، و الولاية و التولية إما أن يكون على الإطلاق أو بالتقيّد، فمالك يوم الدين الرحمن الرحيم مطلقا هو الله الذي لا إله إلّا هو الذي كل شيء ملكه و مملوكه، و هو الرب الذي تفتتح الفاتحة بحمده و تعديده صفاته، و تختتمها بالتضرّع إليه، و أما الحاكم في ذلك اليوم بالولاية عن أمر الله و رسوله أمير المؤمنين و ذلك لأن ولايته حبل ممدود و عهد مأخوذ من الأزل إلى الأبد غير محدود، فهو لما كان مالك الدنيا و أهلها، و حاكمها و وليّها، فكذا هو مالك الآخرة و حاكمها و وليّها، لأن ولايته عروة لا انفصام لها، و دولة لا انقضاء لها، و إليه الإشارة بقوله: **فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا** «١» و هو ولاية على و حكمه لا انقطاع لها، دليله قوله سبحانه: **أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ** «٢»، قال علي بن إبراهيم

فى تفسيره: أمير المؤمنين أحكم الحاكمين، فهنا إطلاق و تقييد، أما أمير المؤمنين عليه السلام فهو حاكم يوم الدين و مالكه و واليه، و صاحب الحساب عن أمر الله و أمر رسوله، و مالك يوم الدين مطلقا من غير تقييد ولاية، و لا إذن و الله رب العالمين رب الدنيا و الآخرة، و إله الدنيا و الآخرة، و خالق الدنيا و الآخرة.

فصل

و هذا مثل قول المتكلم: الله واجب الوجود حى، و الإنسان حال وجوده أيضا واجب الوجود حى، فأشركا فى لفظ الوجود و امتازا بفصل الإمكان و الوجوب، فالرب سبحانه حى واجب الوجود لذاته، و الإنسان حى واجب الوجود لغيره، فكذا إذا قلنا على مالك يوم

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) التين: ٨.

ص: ٢٣١

الدين و حاكم يوم الدين، و أنت تعلم أنه ولى الله و خليفته، و الولى له الحكم فلا يحتاج العقل السليم إذن مع معرفة الحكم المقيد إلى قرينة أخرى.

(تنبيه) كما أنه إذا قيل: فلان مالك ديوان العراق و حاكم ديوان العراق على الإطلاق، فيذهب العقل السليم إلى أنه هو السلطان و لا يحتاج إلى قرينة أخرى تميزه بل إطلاق اللفظ يدل على أنه هو الوزير و صاحب الدفتر، و كذا إذا قلت على مالك يوم الدين، فلا يذهب ذهن المؤمن الموحد العارف بالله، إلى أن عليا هو الله لا إله إلا الله، بل أنه ولى الله، و هو الوالى فله الولاية و الحكم بأمر الله الذى حكمه و ولّاه، و فوّض إليه أمره و ارتضاه، فبما عجا كيف يرضاه الله و أنت لا ترضاه **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**، ثم تدعى بعد ذلك أنك تعرفه و تتولاه، و أنت و الله الكاذب فى دعواه، فأنت كما قيل:

«و يدعى وصلها من ليس يعرفها إلاً بأسمائها فى ظاهر الكتب»

فأنت فى أمر على لم ترض برضى الله، و من لم يرض برضى الله، فعليه لعنة الله، أ لم تعلم يا منكر الحق بجهله و مدعى العرفان و ليس من أهله أن الدنيا و الآخرة لهم خلقت، و بهم خلقت، و من أجلهم خلقت، و إليهم سلمت، و الله غنى عن العالمين، و ما هو بهم و لهم و لأجلهم، فهو مالكهم و ملكهم من غير مشارك و لا منازع، و ثبوت ذلك من قول المعصوم، و وجوب تصديق قوله و اعتقاده، لأن من ردّ على الولى فقد ردّ على الرب العلى و من ردّ على العلى كفر، فمن ردّ على الحجة المعصوم فقد كفر، فبما قد صرح الدليل أن من أنكر ولاية على و حكمه فى الدنيا و الآخرة فقد كفر، و من أنكر أحد الطرفين فهو واقف بين جدارى

الكفر والإيمان، فإما أن يعتقد الطرفين فيؤمن، أو ينكر الطرفين فيكفر، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام لرجل قال له: أنا أحبُّك وأهوى فلان، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أنت الآن أعور فيما أن تعمى، أو تبصر «١»؟ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ، وما أنت عليهم بمسيطر.

(١) بحار الأنوار: ٢٧ / ٧٨ ح ١٦.

ص: ٢٣٢

فصل

و بيان هذا البرهان أنه تعالى أمر نبيه يوم الدار أن يجمع بنى عبد المطلب و يدعوهم إلى الله، فمن سبق منهم إلى تصديقه و أجاب دعوته و صدق رسالته، و رأى نصرته، كان له بذلك أربعة عهد من الله و رسوله، و يكون أخاه و صهره، و الحاكم بعده فما أجاب دعوته غير على فبايعه و نصره و فداه، و وفى بعهد الله فخاض فى رضاه الحتوف، و قتل فى طاعته الألوف، و كشف عن دينه الكربات، و كسر الرايات، و أخرج الناس من الظلمات، و لما قبض رسول الله صلى الله عليه و آله تواتبت الضباع على الأسد المناخ، و الولي المطاع، فعوت على الهزير الكلاب، و صار ملك أبى تراب، الذى صفى سبحانه بحد الحساب، و القرضاب، إلى ... الذى لم يحمر له حسام يوم الضراب، و لا مرّ فى ملمة «١» إلّا انقلب و خاب، و لم يدع إلى كريهة فأجاب.

فوجب فى عدل الكريم الوهاب، من باب **أَوْفُوا بَعَهْدِي أَوْفَ بَعَهْدِكُمْ** أن يوليه يوم القيامة عوضا عن حقّه الممنوع فى الدنيا حكم يوم الحساب، و إليه الإشارة بقوله: **وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ** «٢» لأن المواهب الربانية و التحف الإلهية، إما أن تكون استحقاقا أو تفضّلا، و كلاهما حاصلان لأمر المؤمنين عليه السلام، أما الاستحقاق فإنّ الله أوجد فيه من الأسرار الإلهية، و القوى الربانية، و الخواص الملكية ما لم يوجد فى غيره من البشر، حتى تاه ذو اللب فى معناه و كفر، و إليه الإشارة بقوله صلى الله عليه و آله: «خلقت أنا و على من جنب الله و لم يخلق منه غيرنا» «٣»، و جنب الله معناه علم الله، و حق الله له كإحياء الأموات و الإخبار بالمغيبات، و تكلم أذياب الفلوات، و إغاضة ماء الفرات، و رجوع الشمس له بعد الغياب، و إظهار و إيراد المعجبات، و أما التفضّل فإنّ الله يختص برحمته من يشاء، ففوّض الله إليه أمر العباد و جعله

(١) كذا فى النسخة الخطية، فى المطبوع بلفظ مسلم.

(٢) هود: ٣.

(٣) فى بحار الأنوار: «خلقنا الله جزءا من جنب الله» - ٢٤ / ١٩٢ ح ٨.

ص: ٢٣٣

الحاكم يوم المعاد، فهو حاكم يوم الدين، و مالك يوم الدين، و لى يوم الدين، و لا ينكر هذا الحق المبين، إّا من ليس له حظّ من الإيمان و اليقين، و من لا إيمان له كافر فوجب على من شَمَّ حقائق الإيمان استنشاق نسيم أزهار هذه الأشجار، و التصديق لهذه الآثار، و من أنكرها و لو حرفاً منها فقد عارض زكام الكفر خيشوم إيمانه فليداوه بسعوط التصديق، و لكن ذاك فى حقّ التحقيق، و من أعرض عن واضح الدليل، فقد ضلّ عن سواء السبيل.

ص: ٢٣٤

فصل [على عليه السّلام مالك يوم الدين]

اعترض معترض من أهل التقليد، و ممّن هو عن إدراك التحقيق بعيد، فقال: إذا قلنا مالك يوم الدين على، و حاكم يوم الدين على، يلزم أن يكون الرحمن الرحيم أيضاً عليا، فقلت له:

ليس الأمر كما ذهب إليه و همك، و قصر عن إدراكه فهمك، لأنّ لا ندعى أن عليا مالك يوم الدين من هذه الآية، لأنّا إذا قلنا: الحمد لله ربّ العالمين فإنّا نشهد أن جميع المحامد بجوامع الكلم من كل مادم و حامد، فإنّها لله ربّ العالمين يستحقّها و يستوجبها الرحمن الرحيم، و يجرى عليها عدلا و قسطا، مالك يوم الدين الذى طوق بإحسانه أهل سماواته و أرضه، أخرجهم بلطفه من كتم العدم، و أفاض عليهم من سحائب كرمه فوائض النعم، و وسعهم بجوده و عفوه و منه، فهو مالك يوم الدين الذى كل شيء ملكه و مملوكه، فله الملك للعباد، و العدل فى المعاد، لكنّه يملك من أراد، و إن تقطّعت أكباد ذوى العناد.

و إذا قلنا إياك نعبد و إياك نستعين نقرّ بأن الموصوف بهذه الصفات هو المعبود الحق.

فنقول: هناك اهدنا الصراط المستقيم نسأل بعد الحمد لواجب الوجود، و مفيض الكرم و الجود، أن يهدينا إلى حب على لأنه الصراط المستقيم صراط الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ، و هم آل محمد صلى الله عليه و آله الذين لأجلهم خلق الكون و المكان غير المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ، و هم (أى المغضوب عليهم) أعداؤهم الذين يبدّل الله صورهم عند الموت، و لَا الضَّالِّينَ و هم شيعة أعدائهم.

فصل

لما رأينا الله سبحانه قد أدخل نبيّه و وليّه فى صفاته، و خصّ محمدا و عليا بعظيم آياته، فقال فى وصف نبيّه الكريم: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ

ص: ٢٣٥

عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ «١» و قال فى حقّ وليّه: وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ «٢» فهو الحاكم الحكيم، لأنّ العلو هو الحكم، فهو العالى على العباد، و الحاكم يوم التناد، لأنّ كل حاكم عال من غير عكس، و كل حاكم يوم الدين مالك من غير عكس، فهو حاكم يوم الدين و مالك يوم الدين، بنص الكتاب المبين، لأنّ من حكم فى شيء ملكه، و إليه الإشارة بقوله: أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مُفَاتِحَهُ «٣» و مفاتيح الجنة و النار بيده فهو المالك ليومئذ و الحاكم إذا، و من كذب هذا و أنكر سيرى برهانه حين يبشّر

الله أكبر، و الحاكم يوم البعث حيدر، و لعنة الله على من أنكر، و قوله: حكيم لأنّه قسيم الجنة و النار لأن حبه إيمان و بغضه كفر، و هو يعرف وليّه و عدوّه فهو إذا يقسم عليه إلى النعيم و عدوّه إلى الجحيم، من غير سؤال فهو العلي الحكيم.

فصل

فأحبينا أن نكشف الستر، عن وجه هذا السرّ، و نبينه ليهلك من هلك عن بينة، و يحيى من حى عن بينة، فوجدناه من أسرار علم الحروف فى هذه الآيات الثلاث اسم على مرموزا مستورا، فالأوّل قوله: ع ل ي ح ل ي م فإن عدد حروفها ٧، و السبعة حروف الزاى و عنها تظهر الأسرار، و أما أعدادها فهى ١٨٨، و أما قوله: ال ص ر ا ط ال م س ت ق ي م، فإنّ عدد حروفها ١٤، و أعدادها ١٠١٣، «٤» و أما قوله: م ال ك ي و م ال د ي ن و هى ١٢ حرفا، و عنها يظهر السرّ الخفى و الأمر المخفى، من أسرار آل محمد لمن كان من أصحاب على، و أما أعدادها و هى ٢٣٢ «٥»، فمن عرف أسرار الحروف عرف أن العلي الحكيم، و الصراط المستقيم، و مالك يوم الدين، هو على بن أبى طالب عليه السّلام (بأمر ربّ العالمين).

(١) التوبة: ١٢٨.

(٢) الزخرف: ٤.

(٣) النور: ٦١.

(٤) كذا فى المخطوط، و فى المطبوع: ١٠١١.

(٥) كذا فى المطبوع أما فى المخطوط فالعدد ٢٤٢.

ص: ٢٣٦

فصل [اسم على و محمد عليهما السّلام على كل شىء] «١»

و كذا من تصفّح وجوه الآيات و الدعوات، و الأسماء الإلهيات، وجد اسم محمد و على فى كل آية محكمة ظاهرا و باطنا، لمن عرف هذا السرّ و وعاه، فلا يحجبك الشك و الريب فى نفى أسرار الغيب، لأن كل عدد ينحل أفراداه إلى الهوى فهو يشير إلى الهوية التى لا شىء قبلها، و لا شىء بعدها، و يشير بحروفه إلى الكلمة، التى هى أوّل الكلمات و روح سائر الكلمات، و لذلك ورد «٢» فى آيات أن القرآن ثلاثة أثلاث ثلث فى مدح على و عترته و محبّيه، و ثلث فى مثالب أعدائه و مخالفيه و الثلث الآخر ظاهره الشرائع و الأحكام و تبين الحلال و الحرام و باطنه اسم محمد و على. و ذلك أن القرآن له باطن و ظاهر فلا ترتب أيّها السامع عند ورود فضائل أبى تراب! أليس وجود الأشياء كلّها من الماء **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**، فالماء أبو الأشياء كلّها و هو عليه السّلام أبو تراب فهو سرّ الأشياء كلّها، و إليه الإشارة بقوله صلى الله عليه و آله: ليلة أُسرى بى إلى السماء لم أجد بابا و لا حجابا، و لا شجرة و لا ورقة و لا ثمرة، إلّا و عليها مكتوب على على، و ان اسم على مكتوب على كل شىء «٣».

(١) قال صَلَّى الله عليه وآله: «اسم على على كل حجاب في الجنة» (الأنوار النعمانية: ١ / ٢٤).

و قريب منه عن الإمام الصادق عليه السلام (الأنوار النعمانية: ١ / ١٦٩).

و أخرج الديلمي و الطبراني و غيرهما عن جابر قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: «مكتوب على باب الجنة: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، على أخو رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قبل أن يخلق السماوات و الأرض بألفى عام» (مجمع الزوائد: ٩ / ١١١، و بغية الرائد تحقيق مجمع الزوائد ١٤٣ ح ١٤٦٥٦، و المعجم الأوسط للطبراني:

٦ / ٢٣٤ ح ٥٤٩٤، و كتاب الأربعين للخزاعي: ٤٧ - ٥٨، و جواهر المطالب: ١ / ٧٢ - ٩٢).

و أخرجه القرشي بلفظ: «على باب الجنة: على ولي الله، فاطمة أمة الله، الحسن و الحسين صفوة الله» (مسند شمس الأخبار: ١ / ١٢١ باب ١٣، و كشف اليقين: ٤٤٩ ح ٥٥١).

(٢) الكافي: ٢ / ٦٢٧.

(٣) الأنوار النعمانية: ١ / ٢٤ - ١٦٩ و قد فصلنا ذلك في كتابنا الولاية التكوينية.

ص: ٢٣٧

يؤيد هذا ما رواه سليم بن قيس عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله أنه قال: على في السماء السابعة كالشمس في الدنيا لأهل الأرض، و في السماء الدنيا كالقمر في الليل لأهل الأرض، أعطى الله عليا من الفضل جزءا لو قسم على أهل الأرض لوسعهم، و أعطاه من العلم جزءا لو قسم على أهل الأرض لوسعهم «١»، اسمه مكتوب على كل حجاب في الجنة بشرني به ربّي، على محمود عند الحق، عظيم عند الملائكة، على خاصتي و خالصتي، و ظاهري و باطني، و سرّي و علانيتي، و مصاحبي و رفيقي و روحي و أنيسي، سألت الله أن لا يقبضه قبلي، و أن يقبضه شهيدا، و إنى دخلت الجنة فرأيت له حورا أكثر من ورق الشجر، و قصورا على عدد البشر، على منّي و أنا من على، من تولّى عليا فقد تولّاني، حبه نعمة و اتباعه فضيلة، لم يمش على وجه الأرض ماش أكرم منه بعدى، أنزل الله عليه رداء الفضل و الفهم، و زين به المحافل، و أكرم به المؤمنين و نصر به العساكر و أعزّ به الدين، و أخصب به البلاد و أعزّ به الأخيار، مثله كمثل بيت الله الحرام يزار و لا يزور، و مثله كمثل القمر إذا طلع أضاءت الظلم، و مثل الشمس إذا طلعت أضاءت الحنادس، و صفه الله في كتابه و مدحه في آياته و أجرى منازلته فهو الكريم حيا و الشهيد ميتا، و إن الله قال لموسى ليلة الخطاب: يا بن عمران إنّي لا أقبل الصلاة إلّا ممّن تواضع لعظمتي، و ألزم قلبه خوفاً و محبّتي و قطع نهاره بذكرى، و عرف حق أوليائي الذين لأجلهم خلقت سماواتي و أرضي و جنّتي و نارِي، محمد و عترته فمن عرفهم و عرف حقهم جعلته عند الجهل علما و عند الظلمة نورا، و أعطيته قبل السؤال و أجبتة قبل الدعاء «٢».

و من ذلك ما رواه وهب بن منبه قال: إن موسى ليلة الخطاب وجد كل شجرة و مدرة في الطور ناطقة بذكر محمد و نقبائه، فقال: ربّي إنّي لم أر شيئا ممّا خلقت إلّا و هو ناطق بذكر محمد و نقبائه، فقال الله: يا بن عمران إنّي خلقتهم قبل الأنوار، و جعلتهم

خزانة الأسرار، يشاهدون أنوار ملكوتي، و جعلتهم خزانة حكمتي، و معدن رحمتي و لسان سري و كلمتي، خلقت الدنيا و الآخرة لأجلهم، فقال موسى: ربى فاجعلنى من أمة محمد، فقال: يا بن عمران إذا

(١) بحار الأنوار: ٣٩ / ٣٧ ح ٧.

(٢) بحار الأنوار: ٢٦ / ٢٦٧ ح ١.

ص: ٢٣٨

عرفت محمدا و أوصيائه و عرفت فضلهم و آمنت بهم فأنت من أمته «١».

يؤيد هذا ما رواه صاحب الأمالي قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: يا على إن الله أعطى شيعةك سبع خصال: الرفق عند الموت، و الأنس عند الوحشة، و النور عند الظلمة، و الأمن عند الفزع، و القسط عند الميزان، و الجواز على الصراط، و دخول الجنة قبل الأمم بأربعين عاما «٢».

و ها أنا أقول بعد هذه البراهين مستمعا للمعرض عن حق اليقين:

و جمعها و أنت جهدك بأنك تنكر	كم جهد تبغنا لك فى الدلائل
و مطيب روائحو إلّا الجعل	لكل دليل الورد منعم صباحو نعم
من لا ترى الشمس عنبر و لا يرى البدر مقلتو	من يشمو يروح و هو عليل
فأنت فى ذا اعتقادك تشرب على	و لا الصباح المشرق أيش ينفعو قنديل
إلى متى أى محارف فى مهمة القول و الجدل	هذا الظمأ ماء البحار السبع و تنل غليل
هذا اعتقاد لحيدر عن طيب أصلك تنبه	شبه البهائم هائم لا بل أضلّ سبيل
فى القيل و القال تخطيط و تسمع الحق تنكر	و الفرع لا شك دائم على الأصول دليل
ايش ينفع الحج كلو و الزهد و الفقه فى غد	و حتى يقول العالم لك فى الفضول فضيل

(١) بحار الأنوار عن مقتضب الأثر: ٥١ / ١٤٩ ح ٢٤ بتفاوت بسيط.

لمن غدى ينتقص بصاحب التفضيل
ان لم تظلللك أصولك ما فى الفروع مقيـل
و فى الحديث ابن حنبل و فى العروض خليل
و كنت معروف انك معروف بالتفضيل
و فى الرواية مجاهد تجهد تذهب بكل دليل
هم و كنت ابن مالك قاضى القضاة جليل
و فى القرابة ابن أروى و جامع التنزيل
و بالرضى متوكل و حرف كل جميل
صائم و قائم دهرک تجهد بكل سبيل
تعتقد إلى جهنم تحشر نعم بلا تطويل
رب العلى إلى النبى المرسل أتى به جبريل «١»

الاصل تنكر و تنفى الفروع جهـدک تشبتو
لو كنت فى الفقه أحمد و فى الأصول الأشعـرى
و فى الطريقة شبلى و فى الحقيقة الواسطى
و فى التلاوة عاصم و فى الدراية زمخشـرى
و كنت فى الصدر الأول أبو هريرة فى الأثر
و فى الصحابة الأول نعم و فى حکمک عمر
و كنت بالعلم واثق و بالعبادة معتصـم
و كنت عمر الدنيا مشغول بالعلم و العمل
و ان لم تولى حيدر و كل فضل
هذا الحديث الصادق قد جاء عن

(١) هذا كما يظهر شعر عامى ممّا كان ينظمه شعراء الشعب فى عصر المؤلف البرسى، و لا نكاد نعرف أكثر ألفاظه و كيفية نطقه.

فصل [أثر كتمان العلماء للحقائق]

فى خاتمة هذا الدليل من كتاب الآيات مرفوعا إلى ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: لا يعذب الله هذا الخلق إلّا بذنوب العلماء الذين يكتمون الحق من فضل على و عترته، ألا و إنه لم يمش فوق الأرض بعد النبيين و المرسلين أفضل من شيعة على و محبيه الذين يظهرون أمره و ينشرون فضله، أولئك تغشاهم الرحمة و تستغفر لهم الملائكة، و الويل كل الويل لمن يكتنم فضائله و يكتنم أمره، فما أصبرهم على النار «١».

و ذلك حق لأن الكاتم لفضل على جهلا هالك حيث لا يعرف إمام زمانه، و الكاتم لفضله بغضا منافق لأن طينته خبيثة، ما أبغضك إلّا منافق شقى عرضت ولايتك على طينته فأبت فمسخت، و نودى عليها فى عالم المسوخات الخبيثات للخبثين و الخبيثيون للخبثات، فلا دين له و لا عبادة له، و المؤمن الموالى العارف بعلى عابد و إن لم يعبد، و محسن و إن أساء، و ناج و إن أذنب؛ و إليهم الإشارة: **لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ** «٢» هذا خاص لشيعه على عليه السلام لأن الكافر و المنافق لا يستحقان شيئا فلم يبق إلّا المؤمن، و ليس المؤمن إلّا شيعة على، فالمكفر عنهم سيئاتهم بحب على هم شيعة.

دليل ذلك ما رواه ميسر عن أبى عبد الله عليه السلام أنه قال له: ما تقول يا ميسر فيمن لم يعص الله طرفه عين فى أمره و نهيه لكنه ليس منّا و يجعل هذا الأمر فى غيرنا؟ قال ميسر: فقلت و ما أقول و أنا بحضرتك يا سيدى؟ فقال: هو بالنار، ثم قال: و ما تقول فيمن يدين الله بما تدين و يبرأ من أعدائنا لكن به من الذنوب ما بالناس إلّا أنه يجتنب الكبائر؟

قال: قلت و ما أقول يا سيدى و أنا فى حضرتك؟ فقال: إنه فى الجنة و إن الله قد ذكر ذلك

(١) الإمام على عليه السلام للهمدانى: ٣٥.

(٢) الزمر: ٣٥.

ص: ٢٤١

فى آية من كتابه، فقال: **إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ** «١»، و هو حب فرعون و هامان، **نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ نُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا** «٢»، و هو حب على عليه السلام.

و من ذلك قول الله سبحانه: **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ** «٣» إذا كانوا آمنوا فأين الظلمات؟ و معناه يخرجهم من ظلمات الخطايا إلى نور الإيمان و الولاية، و قوله: **وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَلِيِّ لَأَن الْكَفْرَ بِعَلِيِّ كَفَرُ بِاللَّهِ**، و الإيمان به إيمان بالله، **أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ** يعنى فرعون و هامان **يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ** و إذا كانوا كفروا من أين لهم النور؟

و هذا صريح أنه الكفر بعلى و ولايته يخرجهم من نور الإسلام - و هى الكلمتان الطيبتان - إلى ظلام الكفر بالولاية قال: **أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ** شهد القرآن و أكد أن من و الى غير على عليه السلام فمأواه النار. ثم قال: **هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**.

فالمبغض لعلى كافر و إن عبد، و المحب له عابد، و إن قعد، و إليه الإشارة بقوله: «حب على عبادة و ذكره عبادة و الموت على حبه شهادة، و موالاته أكبر الزيادة». «٤» و إليه الإشارة بقوله: **فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى** «٥» قال ابن عباس: الهدى على بن أبى طالب عليه السلام، و قوله: **بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ** «٦» يعنى بعلى.

و قوله **فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ** يعنى عليا.

فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ «٧» يعنى باتباعه، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يعنى يوم البعث بحبه، مثل قوله: بَلْ أَتَيْنَاهُمُ بِذِكْرِهِمْ يعنى بعلى فهم عن ذكرهم معرضون، وإليه الإشارة بقوله:

قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ «٨»، ومنه قوله: لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ «٩» يعنى نجاتكم وهو حب على.

(١) النساء: ٣١.

(٢) النساء: ٣١.

(٣) البقرة: ٢٥٧.

(٤) باختصار بشارة المصطفى: ٨٦.

(٥) طه: ١٢٣.

(٦) المؤمنون: ٧١.

(٧) البقرة: ٣٧.

(٨) ص: ٦٨.

(٩) الأنبياء: ١٠.

ص: ٢٤٢

فصل [حديث الطين]

ولذلك أصل، وهو خبر الطين الذى رواه إبراهيم عن الصادق عليه السلام فى معنى المزاج أنه قال: إن الله لما أراد أن يخلق الخلق ولا شىء هناك خلق أرضاً طيبة، وأجرى عليها ماء عذبا سبعة أيام، و عرض عليها ولا يتنا فقبلت، فأخذ من ذلك الماء العذب طينتنا ثم ثفل ذلك الماء طينة شيعتنا فهم منّا ولو كنّا وآباؤهم من الماء الذى نحن منه لكنّا وآباؤهم سواء، ثم خلق أرضاً سبخة وأخرى عليها ماء مالح ثم عرض عليها ولا يتنا فأبّت فأجرى عليها ذلك الماء سبعة أيام ثم خلق من ذلك الماء الطغاة والأئمة الكفار «١»، وإليه الإشارة بقوله:

وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ «٢».

ثم خلق من ثفل ذلك شيعة أعدائنا، ثم مزج ثفل ذلك الطين بطينة شيعتنا، لم يشهد أعداؤنا الشهادتين و لم يصلوا و لم يصوموا فما ظهر منهم من الخيرات و الحسنات فليست منهم و لا لهم، إنّما هو من مزاج طينة شيعتنا لهم، ثم مزج الماء الثانى بالماء الأول ثم عركه عرك الأديم ثم قبض منه قبضة و قال: و هذه الجنة و لا أبالى، ثم قبض قبضة و قال: و هذه النار و لا أبالى «٣».

أقول: تمسك أهل الأخبار بأذيال هذا الحديث ظاهر و أنكره أكثر أهل العدل لدلالة ظاهره على الأخبار و هو حديث حسن مملوء بالعدل كيف يتكلم و قد صرح القرآن به، و إليه الإشارة بقوله: **فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَ فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ** «٤» و قوله: **فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ** «٥».

(١) بحار الأنوار: ٢٦ / ٢٧٩ ح ٢٢ و الحديث طويل.

(٢) القصص: ٤١.

(٣) بحار الأنوار: ٢٦ / ٢٧٩ ح ٢٢ الحديث طويل.

(٤) الشورى: ٧.

(٥) البقرة: ١٠٥.

ص: ٢٤٣

و قوله: **وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ** «١» و المراد بالقول مني: العلم، و ذلك لأن علم الله سبحانه سابق على أفعال العباد و لا حق و كاشف فهو سبحانه يعلم قبل إيجادهم من المطيع و من العاصي، لأنه ليس عند الله زمان و لا مكان، ثم أخذ عليهم العهد فى الذرات و هو رمز رفيع و معناه علم قبل إنشاء ذراتهم، من جبلته الانقياد للطاعة، و من جبلته الظلم و الانقياد للمعصية فما يغنى النذر فصاروا فى العلم قبضتين: مطيع بالقوة، و عاص بالقوة، ثم لما أوجدهم و كلّفهم كشف العلم السابق ما فى جبالاتهم فصاروا فريقين، كما قال و قوله الحق مؤمن بالفعل و كافر، و لذلك قال: و لا أبالى، و فيه إشارة لطيفة معناها لا أبالى بعد أن فطرتهم على التوحيد، و عرضت عليهم الإيمان فى عالم الأرواح، ثم ذكرتهم العهد فى ظلم الأشباح، فمنهم من أبصر فاستبصر و منهم من أنكر فاستكبر، فلا أبالى إن نسب الجبرية الظلم إلىّ و أنا العدل الحكيم، و لا أبالى يوم القيامة فريقا فى الجنة بإيمانهم و فريقا فى السعير بكفرهم و طغيانهم، و إليه الإشارة بقوله: **أَصْحَابُ الْيَمِينِ وَ أَصْحَابُ الشِّمَالِ** «٢».

ثم خلط الماءين فما يفعله شيعتنا من الفواحش و الإثم فهو من طينة النواصب و مزاجهم و هو لهم و عليهم و إليهم، و ما يفعله النواصب من البر و الإحسان فهو من طينة المؤمن و من مزاجه فهو لهم و إليهم لأنه ليس من شأن المنافق بر، و لا من شأن المؤمن ظلم و لا كفر، فإذا عرضت الأعمال على الله قال الحكيم العدل سبحانه ألحقوا صالحات المنافق بالمؤمن لأنها من سجيته فهى له لأنها وفّت بالعهد المأخوذ عليها، و ألحقوا سيئات المؤمن بالمنافق لأنها من طينته و إليه لأنها وفّت بالعصيان و الإنكار.

ثم قال الصادق عليه السلام: وإن ذلك حكم إله السماء والأنبياء، وأما حكم إله السماء فذلك عقلا وشرعا وأصلا وفرعا و مزاجا وطبعاً، أما الأصل فلأن طينته من الأصل أقرت بالولاية فاستقرت، أما الفرع فلأنه عمل صالحا في دار التكليف فطاب أصلا وزكا فرعا، ومن آمن

(١) السجدة: ١٣.

(٢) الواقعة: ٢٧ و ٤١.

ص: ٢٤٤

و عمل صالحا فله الجنة جزاء وعدلا، وإليه الإشارة بقوله: الَّذِينَ آمَنُوا «١» يعنى يوم العهد المأخوذ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يعنى فى عالم التكليف كانت له جنات الفردوس نزلا فى عالم البعث والجزاء، لأنهم وصلوا يوم المنادة بيوم الأعمال، فوصله الله بيوم المجازاة وحسن المال.

فصل

و أما الطبع فلأن كل شكل يطلب طبعه ويميل إلى جنسه، وينفر من ضده، وأما حكم الأنبياء فمنه قول يوسف عليه السلام: **مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عَنْدهُ «٢»** فيوم القيامة ينزع الله ما كان فى طينة المؤمن من الخبيث المجاور لها بالامتزاج معها من طينة النواصب من السيئات فيرد إلى النواصب لأنها له ومنه وعليه، ثم ينادى: لا ظلم اليوم و ما ربك بظلام للعبيد، وإليه الإشارة والحكمة بقوله: **فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ «٣»** ولأنه كان الله قادرا أن يجعل كل جزء منها طيرا بذاته، و لكن القدرة والحكمة والعدل اقتضى و صول كل جزء منها إلى جزئه! و فى ذلك رمز دقيق و هو أن كل طبع يميل إلى طبعه ..

اعترض معترض فقال: هلا طاب الخبيث من الطين بمجاورة الطيب أو خبت الطيب بمجاورة الخبيث؟ قلنا: ليس من الطبع ما ليس فى الطبع لأنه يوجد فى قطعة الياقوت الأحمر الشفاف نقطة ترابية لم تنتقل بالمجاورة و طول الطبخ فى المعادن الجوهريّة، بل بقيت على حالها مظلمة فهي مظلمة إلى الأبد. و قد يوجد فى الحجر المظلم مثل المغناطيس نقطة تشف ضياء و نورا، و هي مجاورة للظلمة و لم ينتقل إليها فتصير مظلمة، فكذا ما فى مزاج المؤمن من طينة المنافق و بالعكس ... وإليه الإشارة بقوله: **وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ «٤»** إنما حملوا خطايا جواهرهم و سنخهم و ما هو منهم

(١) البقرة: ٨٢.

(٢) يوسف: ٧٩.

(٣) البقرة: ٢٤٠.

وإليهم؛ إذ كل جزء يلحق بجزئه ساء أم حسن، وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ و هو هذا.

فصل

و حكم المزاج المذكور في قوله: وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ «١» و هو حب فرعون و هامان إلّا اللمم، و هو المزاج من الطين إنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ لشيعتنا خاصة، لأن الكافر و المنافق لا نصيب لهما في المغفرة هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ «٢» و هو الطين الممزوج كما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ «٣» و هو رجوع كل سنخ إلى سنخه ترجع الأجزاء الخبيثة من الطين السنخ، و المنكر للولاية بسببته إلى سنخه المخالف و ترجع الأجزاء الطيبة من الطينة المؤمنة بأعمالها الحسنة إلى معدنها من الأجساد، المؤمن الطيب للطيب و الخبيث للخبيث، لأن الطيب في الخبيث مجاورة عارضة و لها اختيار، فوجب عودها إلى الأصل و كذا الخبيث حكمه أنهم اتخذوا الشياطين الخبيث و الطاغوت يعني فلانا و فلانا أولياء من دون الله يعني دون على، لأن ولاية على ولاية الله وَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ «٤» يعني بصلاتهم و صومهم، لأنها من غيرهم فهي لغيرهم، لأن ما ليس منهم ليس لهم. هذا آية المزاج لأن القرآن شفاء لما في الصدور و ظاهره نور فوق نور.

يؤيد هذا التفسير العظيم ما رواه السدى عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه و آله أنه قال: يا على إن الله يحبك و يحب من يحبك، و إن الملائكة تستغفر لك و لشيعتك و لمحبي شيعتك، و إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين محبو على؟ فيقوم قوم من الصالحين؟ فيقال لهم: خذوا بيد من شئتم و ادخلوا الجنة، و إن الرجل الواحد ينجي من النار ألف رجل، ثم ينادى المنادى:

أين البقية من محبو على؟ فيقوم قوم مقتصدون، فيقال لهم: تمنوا على الله ما شئتم؛ فيعطى

(١) الشورى: ٣٧.

(٢) هود: ٦١.

(٣) الأعراف: ٢٩.

(٤) الزخرف: ٣٧.

كل واحد منهم ما طلب؛ ثم ينادى: أين البقية من محبى على؟ فيقوم قوم قد ظلموا أنفسهم، فيقال: أين مبغضو على؟ فيقوم خلق كثير، فيقال: اجعلوا كل ألف من هؤلاء لواحد من محبى على فيجعل أعمال أعدائك لمحبيك فينجون من النار، و أنت الأجل الأكرم، و أنت العلى العظيم، محب الله و رسوله، و مبغضك مبغض الله و رسوله «١».

يتم هذا الدليل و التأويل ما رواه جرير عن ابن عمر، عن أبى هريرة، عن ابن عباس قال:

رأيت رسول الله صلى الله عليه و آله قد سجد خمس سجدة بغير ركوع، فقلت: يا رسول الله ما هذا؟

فقال: جاءنى جبرائيل فقال لى: يا محمد، الله يحبّ عليا فسجدت، ثم رفعت رأسى فقال لى: إن الله يحب الطاهرة الزكية فاطمة فسجدت، ثم رفعت رأسى فقال لى: إن الله يحب الحسن فسجدت، ثم رفعت رأسى فقال لى: إن الله يحب الحسين فسجدت، ثم رفعت رأسى فقال لى:

إن الله يحب من أحبهم فسجدت «٢».

فصل

عارض من لا يعلم و لا يفهم، جاهل مركب ليس له حظ من السرّ المبهم، فقال بجهله المحكم: بين لنا عليا هو الاسم الأعظم، فقلت له: يا قليل الهداية و بعيد الدراية، أ لم تعلم أن الولاية هى المبدأ و الغاية، و هى أول فرض يفرضه العلى، و أول خلعة كمال يلبسها النبى، ثم يلبس بعدها خلعة النبوة و الرسالة، فكم يقرأ فى الدعاء فيقول: إنى أسألك باسمك الذى خلقت به كل شىء و كتبته على كل شىء «٣».

(١) بحار الأنوار: ٤٢ / ٢٨ ح ٧.

(٢) بحار الأنوار: ٣٧ / ٥٩ ح ٢٨ عن المناقب.

(٣) بحار الأنوار: ٨٥ / ٢٣٣ - ٢٣٤ ح ١ و الحديث طويل.

ص: ٢٤٧

فصل [آل محمد الاسم الأعظم]

ثم أقول له مرشدا إلى الصواب: أ لم تعلم أنّا إذا اعتبرنا الأسماء و الصفات، فإنّا لا نجد أعظم من ثلاثة أسماء: اسم الذات، و اسم الصفات، و اسم هو سرّ الذات و روح الصفات، و هى الكلمة الجارية فى سائر الموجودات، فهى سرّ الذات و سرّ الصفات و بها تنفعل الكائنات، فاسم الله ال ه ال ه و هو اسم المقدس و هو علم على ذات الأحد الحق، و اسم الصفات للأحد الواحد و هو محمد، و الاسم الذى هو روح الصفات و سرّ الذات ع ل ي، و هو نور النور، و كل واحد من هذه الثلاثة اسم أعظم، فاسم الجلالة

هو الاسم المقدّس والمكرّم، واسم محمد صلى الله عليه وآله هو ظاهر الاسم الأعظم، لأن الواحد صورة الوجود، و منبع الوجود، و ظاهر المعدود.

واسم ع ل ي ظاهر الباطن و باطن الظاهر، فهو الاسم الأعظم بالحقيقة، لأنه جامع سرّ الربوبية، و سرّ النبوة، و سرّ الولاية، و سرّ الحكم و السلطنة، و سرّ الجبروت و العظمة، و سرّ التصرف الإلهي. و إليه الإشارة بقوله: **وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** «١»، و هو على عليه السلام؛ و بيان ذلك أنك إذا قلت: ال م تضمن بكل حرف منها محمد و على عليهما السلام، و إذا قلت الله فإنه علم على ذات المعبود واجب الوجود، و إذا قلت: يا الله، فإليه ناديت، و الاسم ناجيت، و المعنى عنيت، فهو اسم الذات المقدّسة، أو إذا أشبعت ضمة الهاء منه برزت الذات و فى طى حروفه اسم على، فهو يشير بالمعنى إلى ذات الربّ المعبود، و بالحروف إلى الكلمة التى قام بها الوجود، إذا قلت: لا إله إلّا هو، و هى حروف التنزيه و النفى و الإثبات و هى عشرة.

(١) الروم: ٢٧.

ص: ٢٤٨

و إليها الإشارة بقوله: **تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ** «١» و معناها أنه لا إله فى الوجود الواجب حى موجود لذاته قادر عالم مستحق للعبادة إلّا الله، ثم إن أعداد حروفها يتضمّن اسم على ظاهرا و باطنا، و معناه: الله لا إله إلّا الله، على سرّه الخفى، و أمينه الولي، و نوره المشهور فى السماوات و الأرض. «٢»

(١) البقرة: ١٩٦.

(٢) و على هذا يحمل حديث النّبى الأعظم صلى الله عليه وآله: «بعث على مع كل نبى سرا و بعث معى جهرا» (شرح دعاء الجوشن: ١٠٤، و جامع الأسرار: ٣٨٢ - ٤٠١ ح ٧٤٣ - ٨٠٤، و المراقبات: ٢٥٩) ..

* مبلغ أسرار على و آله عليهم السلام

و روى بلفظ: «يا على إن الله تعالى قال لى: يا محمد بعثت عليا مع الأنبياء باطنا و معك ظاهرا»، ثم قال صاحب كتاب القدسيات: و صرح بهذا المعنى فى قوله: أنت منى بمنزلة هارون من موسى و لكن لا نبى بعدى؛ ليعلموا ان باب النبوة قد ختم و باب الولاية قد فتح (الأنوار النعمانية: ١ / ٣٠).

أقول: يوجه كلام صاحب كتاب القدسيات: أن باب الولاية كان موجودا مع كل نبى سرا، إلّا أنه لم يفتح ظاهرا، فكان الأنبياء جميعا يستفيدون من هذا السرّ الولاى إلى أن وصل إلى النّبى الأعظم صلى الله عليه وآله فظهر هذا السرّ إلى العلن.

* و يؤيد ذلك:

- ما روى عن أبى محمد العسكري عليه السّلام قال: «فنحن السنام الأعظم و فينا النبوة و الولاية و الكرم، و نحن منار الهدى و العروة الوثقى، و الأنبياء كانوا يقتبسون من أنوارنا و يقتفون آثارنا» (بحار الأنوار: ٢٦ / ٢٦٤ باب جوامع مناقبهم ح ٤٩، و مشارق أنوار اليقين: ٤٩) ..

فهذا صريح فى أن أنوار محمد و آل محمد عليه السّلام كانت مع كل نبى سرّاً، و الكون ليس لمجرده بل ليستفيدوا منه، و يقتفون آثاره و آثار آل محمد التى لا يعرف تفسيرها إلّا هم، و إلّا كيف يكون للنور السرى مع كل نبى أثراً يقتفى و يهتدى به؟!

- و ما روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام لمن سأله عن فضله على الأنبياء الذين أعطوا من الفضل الواسع و العناية الإلهية قال: «و الله قد كنت مع إبراهيم فى النار؛ و أنا الذى جعلتها برداً و سلاماً، و كنت مع نوح فى السفينة فأنجيتته من الغرق، و كنت مع موسى فعلمته التوراة، و أنطقت عيسى فى المهد و علمته الإنجيل، و كنت مع يوسف فى الجب فأنجيتته من كيد أخوته، و كنت مع سليمان على البساط و سخرت له الرياح» (الأنوار النعمانية: ١ / ٣١).

و روى ابن الجوزى و القاضى عياض قول العباس يمدح النبى صلى الله عليه و آله:

و ردت نار الخليل مكتتما تجول فيها و لست تحترق

(الوفا بأحوال المصطفى: ٢٨ الباب الثانى - ح ٩، و ينابيع المودة: ١٣ - ١٤).

يا برد نار الخليل يا سببا لعصمة النار و هى تحترق

ص: ٢٤٩

(الشفاء بتعريف حقوق المصطفى: ١ / ١٦٧ - ١٦٨ الباب الثالث).

- و قال القسطلانى فى المواهب:

سكن الفؤاد فعش هنيئاً يا جسد	هذا النعيم هو المقيم إلى الأبد
روح الوجود حياة من هو واجد	لو لاه ما تمّ الوجود لمن وجد
عيسى و آدم و الصدور جميعهم	هم أعين هو نورها لما ورد
لو أبصر الشيطان طلعة نوره	فى وجه آدم كان أول من سجد

عبد الجليل مع الخليل و لا عند
إلّا بتخصيص من الله الصمد

أو لو رأى النمرود نور جماله
لكن جمال الله جل فلا يرى

(المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: ١ / ٤٤).

- و قال الشيخ محمد حسين الأصفهاني:

ذلك عزّ عزّ أن يضاهاى
بيمنه أكرم به من خلف
بل نور ياسين بدا فى غرته
بمرسلات اللطف و الإحسان

طأطأ كل الأنبياء لطاها
تقبلت تربة آدم الصفى
و سجدة الأملأك لا لغرته
به نجى نوح من الطوفان

(الأنوار القدسية: ٢٠).

- و قال الصفورى: لما ألقى ابراهيم فى النار كان نور محمد صلى الله عليه و آله فى جنبه، و عند الذبح كان النور قد انتقل إلى
إسماعيل. (نزهة المجالس: ٢ / ٢٤٥).

- ما روى أن الإمام الصادق عليه السلام هو الذى أبطل سحر موسى عليه السلام (الاختصاص: ٢٤٧).

- ما عن الإمام الحسن العسكرى عليه السلام:

«قد سعدنا ذرى الحقائق بأقدام النبوة و الولاية، و نورنا سبع طبقات أعلام الورى بالهداية، فنحن ليوث الوغى و غيوث الندى و
طعناء العدى، فينا السيف و القلم فى العاجل، و لواء الحمد و العلم فى الآجل ... فالكليم لبس حلّة الاصطفاء لما شاهدنا منه
الوفاء، و روح القدس فى جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة ... و هذا الكتاب ذرة من جبل الرحمة و قطرة من بحر الحكمة»
(المراقبات:

(٢٤٥).

- ما روى فى معنى قوله صلى الله عليه وآله «الله المعطى و أنا القاسم»: جميع ما يخرج من الخزائن الإلهية دنيا و أخرى إنما يخرج على يديه (شرح الشمانل: ٢ / ٢٤٦).

- و حديث أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا آدم الأول أنا نوح الأول» (الإنسان الكامل: ١٦٨).

- و قال الشعراوى قلت: «و بذلك قال سيدى على الخواص سمعته يقول: إن نوحا عليه السلام أبقى من السفينة لوحا على اسم على بن أبى طالب رفع عليه إلى السماء فلم يزل محفوظا من الغرق حتى رفع عليه» (الفتوحات الأحمديّة لسليمان الجمل: ٩٣).

ص: ٢٥٠

فصل

و إذا قلت هو، فهو اسم يشير إلى الهوية التى لا شىء قبلها و لا شىء بعدها، و على الألوهية الحقيقية، لأنه حرف واحد يدل على ذات واحدة لها الجلال و الإكرام، و البقاء و الدوام، و الملك المؤبد، و السلطان السرمذ، و العز المنيع، و المجد الرفيع، ثم إن أعداد هذين الحرفين، هى، و فيها اسم على تأويلا، و ذلك لأن الولى نوره متصل بالجبروت، لأنه وجه الحى الذى لا يموت، و الولى ليس بينه و بين الله حجاب، و هو السرّ و الحجاب، فتعين أن فى هذه الثلاثة الاسم الأعظم الذى هو سرّ السرّ لمن وعى و دعا، و هو غيب لا يدركه إلّا الأولياء، لأنه ظاهر التقديس، و باطن التنزيه، و سرّ التوحيد، و كلمة الرب المجيد، كلا بل هو إله الآلهة الرفيع جلاله، سرّه الخفى و الجلى، و نوره الوحى، و وجهه المضى، و ضياؤه البهى، و بهاؤه النبى.

دليله: ما ورد فى كتب الشيعة على أمير المؤمنين عليه السلام، أن إبليس مرّ به يوما فقال له أمير المؤمنين: يا أبا الحارث ما ادخرت لمعادك؟ فقال حبك «١».

فإذا كان يوم القيامة أخرجت ما ادخرت من أسمائك التى يعجز عن وصفها واصف، و لك اسم مخفى عن الناس ظاهره عندى، قد رمزه الله فى كتابه لا يعلمه إلّا الله و الراسخون فى العلم، فإذا أحب الله عبدا كشف الله عن بصيرته و علمه إيّاه، فكان ذلك العبد بذلك السرّ غير الأمة حقيقة، و ذلك الاسم هو الذى قامت به السماوات و الأرض، المتصرف فى الأشياء كيف يشاء.

- و قال رسول البشرية صلى الله عليه وآله: «أنا محمد النبى الأمى لا نبى بعدى، أوتيت جوامع الكلم و خواتمه، و علّمت خزنة النار و حملة العرش» (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى: ١ / ١٧٠ الباب الثالث - الفصل الأول).

(١) بحار الأنوار: ٢٧ / ٨٠.

ص: ٢٥١

و تصديق ذلك من طريق الاعتقاد، أن الله سبحانه يقول: عبادى من كانت له إليكم حاجة فسألكم بمن تحبون أجبتكم دعاه؟. ألا فاعلموا أن أحب عبادى إليّ، وأكرمهم لدى، محمد و على حبيبي و وليّى، فمن كانت له إلىّ حاجة فليتنوّل إلىّ بهما، فإنى لا أرد سؤال سائل سألنى بهما، فإنى لا أرد دعاءه، وكيف أرد دعاء من سألنى بحبيبي و صفوتي، و وليّى و حجّتى، و روحى و كلمتى، و نورى و آيتى، و بابى و رحمتى، و وجهى و نعمتى، لا و إنى خلقتهم من نور عظمتى، و جعلتهم أهل كرامتى و ولايتى، فمن سألنى بهم عارفا بحقّهم و مقامهم، وجبت له منى الإجابة؛ و كان ذلك حق على «١».

و الاسم الأعظم هو ما يجاب به الدعاء؛ فهم الاسم الأعظم و الصراط الأقوم، و إليه الإشارة بقوله: **سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى** «٢»، سَبِّحْ ربك العظيم، و الأعلى اسم الذات، و العظيم جامع للذات و الصفات.

دليله ما ورد عنه حين رد الشمس، ف قيل له: بما رجعت الشمس لك يا أمير المؤمنين؟

فقال عليه السّلام: سألت الله باسمه الأعظم فردّها إلىّ «٣».

و روى أنه قال فى دعائه عند الرجوع: باسمك العزيز، باسمك العظيم، و العزيز محمد، و العظيم على «٤»، فمعنى قوله: سَبِّحْ اسم ربك العظيم، معناه سَبِّحْ اسم ربك العظيم الأعلى باسمه العظيم الأعلى، لأن تقديس الصفات توحيد الذات، و محمد و على فى العظمة أعلى من كل موجود، لأنّهما على الوجود، و حقيقة الوجود، و أقرب إلى الذات من سائر الصفات.

و إليه الإشارة بقوله: **فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى** «٥»، و ليس ذلك قرب المكان، لأن الرحمن جل عن المكان، بل ذلك قرب الصفات من الذات، و ذاك قرب الواحد من الأحد، لأنّه الكلمة العليا التى لم تسبقها كلمة فى الأزل، و لم تنزل، و النور الذى شعشع عنه الوجود،

(١) و سائل الشيعة: ١١٤٢ / ٤ و ١٠٢ / ٧.

(٢) الأعلى: ١.

(٣) بصائر الدرجات: ٢١٧ ح ١ - ٤ باب ان عنده الاسم الأعظم.

(٤) الصحيفة الصادقية: ٢٣٢.

(٥) النجم: ٩.

و انتشر من كماله كل موجود، و الاسم المقدم على سائر الصفات، لأن الأحدية تعرف بالوحدانية، فهو الاسم العلى العظيم .. و إليه الإشارة فى التخصيص بقوله: **فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ** «١»، و المراد بالعبد هنا القرب، لأنه فى المقام الخاص، فسمّاه بالاسم الخاص و كان الوحي إليه فى ذلك المكان، أن عليا أمير المؤمنين، و قائد الغر المحجلين.

فصل [أسرار الفاتحة]

و بيان الفصل، اعلم أن أسرار الكتب الإلهية، و سرّ الولاية، و الهداية، و الرسالة، و الاسم الأكبر، و سر الغيب، فى فاتحة الكتاب؛ و سرّ الفاتحة فى مفتاحها، و هى بسم الله الرحمن الرحيم، و فيها إشارات ثلاث:

الأولى: قوله سبحانه: **وَ إِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ** «٢»، و المراد من الذكر و الوحدة قوله بسم الله الرحمن الرحيم، لأنها ذكر الله وحده.

الثانية: أن عدد حروفها ١٩، و عدد اسم و ا ح د ١٩ فهى، محتوية من الوحدة و التوحيد و الوحدانية، و الواحد صفة الأحد، و الواحد هو النور الأول، و هذا ذكر الذات بظاهر اسمها الأعظم.

الثالثة: قوله: بسم الله، و هو إشارة إلى باطن السين، و سرّ السين الذى بين الباء و الميم، الذى قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا باطن السين، و أنا سر السين» و هو الاسم المخزون، و هو باطن الاسم الأعظم، فإذا فتح الباب لأولى الألباب، فاستخرجوا من أسرار الكتاب اسما جامعا للذات و الصفات، و سرّ الذات و الصفات، فذلك هو الاسم الأعظم الذى تجاب [به] الدعوات، و تتفعل به الكائنات.

(١) النجم: ١٠.

(٢) الاسراء: ٢٦.

ص: ٢٥٣

فصل

ب س م ا ل ه، أما سر الباء فإنّها للنبوّة، و النقطة الولاية، ٢ إن السين عدده ١٠، أو هى اسم على، و الميم و عددها ٩٢ و هى اسم محمد قاسم الله الذى به بدأ فساواهما، الألف المعطوف لا الكلمة التامة التى ظهر بها الوجود، و فاض سرّها كل موجود، لأن عن الواحد انبسط كل معدود.

فصل [بعلی علیه السلام تكونت الكائنات]

و الدليل على صحة هذه المباحث و التأويل، ما رواه عمّار عن أمير المؤمنين عليه السلام فى كتاب الواحدة، أنه قال: «يا عمّار باسمى تكونت الكائنات و الأشياء، و باسمى دعا سائر الأنبياء، و أنا اللوح، و أنا القلم، و أنا العرش، و أنا الكرسي، و أنا السماوات السبع، و أنا الأسماء الحسنى، و الكلمات العليا «١»، و أين كان اسم على كان اسم محمد من غير عكس، لدخول الولاية تحت النبوة، كدخول الإنسان تحت الحيوان، فأين كان الإنسان كان الحيوان من غير عكس .. و إليه الإشارة بقوله فى صدر القرآن الشريف العظيم و أول الذكر الحكيم (ا ل م)، قال: حرف من حروف الاسم الأعظم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ، قال: الكتاب: على لا شك فيه هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ، قال: التقوى ما يحرز من النار، و ما يحرز من النار إلّا حبّ على، فحب على هو التقوى بالحقيقة، و كل تقوى غيره فهو مجاز، لأنها لا تحرز من النار.

قوله: الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ «٢»، قال: الغيب يوم الرجعة، و يوم القيامة، و يوم القائم، و هى أيام آل محمد.

و إليها الإشارة بقوله: وَ ذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ «٣»، فالرجعة لهم، و يوم القيامة لهم، و يوم القائم

(١) جامع الأسرار: ٢٠٥ ح ٣٩٤.

(٢) الآيات من أول سورة البقرة.

(٣) إبراهيم: ٥.

ص: ٢٥٤

لهم، و حكمه إليهم، و معول المؤمنين فيه عليهم.

و قوله الذين: يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ، قال: الصلاة بالحقيقة حب على، إن الصلاة هى الصلة بالله، و لا صلة للعبد بعفو الرب و رحمته و جواره إلّا بحب على، فمن أقام حب على فقد أقام الصلاة، و كل صلاة غيرها من المكتوبة المشروعة إذا لم يكن معها الولاية فهى مجاز، لا بل ضلال و وبال، لأنه قد عبد الله بغير ما أمر، فهو ضال فى سلوكه، عاص فى طاعته، معاقب فى عبادته.

قوله: وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ، قال: الإنفاق الواجب الذى تحبى فيه النفوس، و تنجو به الأرواح و الأجساد من العذاب الأليم، و هو معرفة آل محمد، و كل إنفاق غير هذا فهو مجاز، و إن كان واجب الإنفاق، و ما أفعّل بإنفاق يقوى به النفاق؟

قوله: وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ، يعنى فى حق على، لأنهم إن لم يؤمنوا بما أنزل فى حق على فليس إيمانهم بغيره إيماناً، و إن قيل إيمان فهو مجاز لا ينفع .. و إليه الإشارة بقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا «١»؛ فذكر أنهم آمنوا و سمّاهم مؤمنين، ثم قال لهم: آمنوا، و هذا تناقض، و ليس بتناقض، و لكن معناه: يا أيها الذين آمنوا بمحمد آمنوا بعلى حتى يتم إيمانكم.

قوله: أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ، يعنى فى حق على.

قوله: **وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** «٢»، يعنى يصدقون أن حكم الآخرة لعلى، كما أن حكم الدنيا مسلم إليه، **أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ**، قال بهذا الدين.

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ قال: بهذه المعرفة.

(١) النساء: ١٣٦.

(٢) الآيات من أول سورة البقرة.

ص: ٢٥٥

فصل [معرفة الإمام بالنورانية]

ومن هذا الباب ما رواه سلمان، وأبو ذر، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: من كان ظاهره فى ولايتى أكثر من باطنه خفت موازينه؛ يا سلمان لا يكمل المؤمن إيمانه حتى يعرفنى بالنورانية، وإذا عرفنى بذلك فهو مؤمن، امتحن الله قلبه للإيمان، وشرح صدره للإسلام، و صار عارفاً بدينه مستبصراً، ومن قصر عن ذاك فهو شاك مرتاب، يا سلمان و يا جندب، إن معرفتى بالنورانية معرفة الله، ومعرفة الله معرفتى، وهو الدين الخالص، بقول الله سبحانه:

وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ «١» وهو الإخلاص، وقوله: **حُنَفَاءَ** وهو الإقرار بنبوّة محمد صلى الله عليه وآله، وهو الدين الحنيف، وقوله: **وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ**، وهى ولايتى، فمن والانى فقد أقام الصلاة، وهو صعب مستصعب.

وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، وهو الإقرار بالأئمة، **وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ** أى ذلك دين الله القيم.

شهد القرآن أن الدين القيم الإخلاص بالتوحيد، والإقرار بالنبوّة والولاية، فمن جاء بهذا فقد أتى بالدين.

يا سلمان و يا جندب، المؤمن الممتحن الذى لم يرد عليه شىء من أمرنا، **إِلَّا** شرح الله صدره لقبوله، و لم يشك و لم يرتب، و من قال لم وكيف فقد كفر، فسلموا لله أمره، فنحن أمر الله، يا سلمان و يا جندب، **إِنَّ اللَّهَ جَعَلْنِي أَمِينَهُ** على خلقه، و خليفته فى أرضه و بلاده و عبادته، و أعطانى ما لم يصفه الواصفون، و لا يعرفه العارفون، فإذا عرفتمونى هكذا فأنتم مؤمنون، يا سلمان قال الله تعالى: **وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ** فالصبر محمد، و الصلاة ولايتى، و لذلك قال: **وَأَنَّهَا لَكَبِيرَةٌ**، و لم يقل و إنهما، ثم قال: **إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ** «٢»، فاستثنى

(١) البينة: ٥، و كان فى المطبوع: و ما أمروا **إِلَّا** بالتوحيد.

(٢) البقرة: ٤٥.

أهل ولايتي الذين استبصروا بنور هدايتي، يا سلمان، نحن سرّ الله الذي لا يخفى، و نوره الذي لا يطفى، و نعمته التي لا تجزى، أولنا محمد، و أوسطنا محمد، و آخرنا محمد، فمن عرفنا فقد استكمل الدين القيم.

يا سلمان و يا جندب، كنت و محمدا نورا نسبح قبل المسبّحات، و نشرق قبل المخلوقات، فقسم الله ذلك النور نصفين: نبي مصطفى، و وصي مرتضى، فقال الله عز و جل لذلك النصف:

كن محمدا، و للآخر كن عليا، و لذلك قال النبي صلّى الله عليه و آله: أنا من علي، و علي منّي، و لا يؤدى عنّي إلّا أنا أو علي «١» و إليه الإشارة بقوله: **وَأَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ** «٢»، و هو إشارة إلى اتحادهما في عالم الأرواح و الأنوار، و مثله قوله: **أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ** «٣»، و المراد هنا مات أو قتل الوصي، لأنّهما شيء واحد، و معنى واحد، و نور واحد، اتّحدا بالمعنى و الصفة، و افترقا بالجسد و التسمية، فهما شيء واحد في عالم الأرواح «أنت روحى التى بين جنبي» «٤»، و كذا في عالم الأجساد: «أنت منّي و أنا منك ترثنى و أرثك» «٥»، «أنت منّي بمنزلة الروح من الجسد».

و إليه الإشارة بقوله: **صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا** «٦»، و معناه صلّوا على محمد، و سلّموا لعلى أمره، فجمعهما في جسد واحد جوهرى، و فرق بينهما بالتسمية و الصفات فى الأمر، فقال: **صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا**، فقال: صلّوا على النبي، و سلّموا على الوصي، و لا تنفّعكم صلواتكم على النبي بالرسالة إلّا بتسليمكم على على بالولاية.

يا سلمان و يا جندب، و كان محمد الناطق، و أنا الصامت، و لا بد فى كل زمان من صامت و ناطق، فمحمد صاحب الجمع، و أنا صاحب الحشر، و محمد المنذر، و أنا الهادى، و محمد صاحب الجنة، و أنا صاحب الرجعة، محمد صاحب الحوض، و أنا صاحب اللواء، محمد صاحب المفاتيح، و أنا صاحب الجنة و النار، و محمد صاحب الوحي، و أنا صاحب الإلهام، محمد

(١) مسند أحمد: ١ / ٩٨ ط م و: ١٥٩ ح ٧٧٢ ط. ب و صحيح الترمذى: ٥ / ٦٣٢ ح ٣٧١٢.

(٢) آل عمران: ٦١.

(٣) آل عمران: ١٤٤.

(٤) تقدّم الحديث.

(٥) تقدّم الحديث.

(٦) الأحزاب: ٥٦.

صاحب الدلالات، و أنا صاحب المعجزات، محمد خاتم النبيين، و أنا خاتم الوصيين، محمد صاحب الدعوة، و أنا صاحب السيف و السطوة، محمد النبي الكريم، و أنا الصراط المستقيم، محمد الرؤوف الرحيم، و أنا العلي العظيم.

يا سلمان، قال الله سبحانه: **يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ** «١»، و لا يعطى هذا الروح إلّا من فَوْضٍ إليه الأمر و القدر، و أنا أحيى الموتى، و اعلم ما فى السَّمَاوَاتِ و الْأَرْضِ، و أنا الكتاب المبين، يا سلمان، محمد مقيم الحجّة، و أنا حجّة الحق على الخلق، و بذلك الروح عرج به إلى السماء، أنا حملت نوحا فى السفينة، أنا صاحب يونس فى بطن الحوت، و أنا الذى حاورت موسى فى البحر، و أهلكت القرون الأولى، أعطيت علم الأنبياء و الأوصياء، و فصل الخطاب، و بى تَمَّت نبوة محمد، أنا أجريت الأنهار و البحار، و فجّرت الأرض عيوننا، أنا كاب الدنيا لوجهها، أنا عذاب يوم الظلة، أنا الخضر معلّم موسى، أنا معلم داود و سليمان، أنا ذو القرنين، أنا الذى دفعت سمكها بإذن الله عز و جل، أنا دحوت أرضها، أنا عذاب يوم الظلة، أنا المنادى من مكان بعيد، أنا دابة الأرض، أنا كما يقول لى رسول الله صَلَّى الله عليه و آله:

أنت يا على ذو قرنيها، و كلا طرفيها، و لك الآخرة و الأولى، يا سلمان إن مَيِّتْنَا إذا مات لم يمْتَ، و مقتولنا لم يقتل، و غائبنا إذا غاب لم يغِب، و لا نلد و لا نولد فى البطون، و لا يقاس بنا أحد من الناس، أنا تكلمت على لسان عيسى فى المهد، أنا نوح، أنا إبراهيم، أنا صاحب الناقة، أنا صاحب الراجفة، أنا صاحب الزلزلة. أنا اللوح المحفوظ، إلىّ انتهى علم ما فيه، أنا أنقلب فى الصور كيف شاء الله، من رأيهم فقد رأيته، و من رأيهم فقد رأيته، و نحن فى الحقيقة نور الله الذى لا يزول و لا يتغير.

يا سلمان، بنا شرف كل مبعوث، فلا تدعونا أربابا، و قولوا فينا ما شئتم، ففينا هلك و بنا نجى. يا سلمان، من آمن بما قلت و شرحت فهو مؤمن، امتحن الله قلبه للإيمان، و رضى عنه، و من شك و ارتاب فهو ناصب، و إن ادعى ولايتى فهو كاذب.

يا سلمان أنا و الهداة من أهل بيتى سرّ الله المكّنون، و أولياؤه المقربون، كلّنا واحد، و سرّنا واحد، فلا تفرّقوا فينا فتهلكوا، فإنّا نظهر فى كل زمان بما شاء الرحمن، فالويل كل الويل لمن

(١) غافر: ١٥.

ص: ٢٥٨

أنكر ما قلت، و لا ينكره إلّا أهل الغباوة، و من ختم على قلبه و سمعه و جعل على بصره غشاوة، يا سلمان، أنا أبو كل مؤمن و مؤمنة، يا سلمان، أنا الطامة الكبرى، أنا الآزفة إذا أزفت، أنا الحاقة، أنا القارعة، أنا الغاشية، أنا الصاخة، أنا المحنة النازلة، و نحن الآيات و الدلالات و الحجب و وجه الله، أنا كتب اسمى على العرش فاستقر، و على السَّمَاوَاتِ فقامت، و على الأرض ففرشت، و على الريح فذرت، و على البرق فلمع، و على الوادى فهمع، و على النور فقطع، و على السحاب فدمع، و على الرعد فخشع، و على الليل فدجى و أظلم، و على النهار فأثار و تبسّم «١».

فصل [فى أسرار على عليه السّلام أيضا]

و من ذلك ما ورد عنه في كتاب الواحدة، قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: الحمد لله مدهر الدهور، و مالک مواضى الأمور، الذى كنّا بكيونيته، قبل خلق التمكين فى التكوين أوليين أزليين لا موجودين، منه بدأنا و إليه نعود، ألا إن الدهر فينا قسمت حدوده، و لنا أخذت عهوده، و إلينا ترد شهوده، فإذا استدارت ألوف الأطوار، و تطاول الليل و النهار، فلا لعلامة العلامة دون العامة و السامة، الاسم الأضخم، العالم غير المعلم، أنا الجنب، و الجانب محمد، العرش عرش الله على الخلاق، أنا باب المقام، و حجة الخصام، و دابة الأرض، و صاحب العصر «٢»، و فصل القضاء، و سفينة النجاة، لم تقم الدعائم بتخوم الأفطار، و لا أعمدة فساطيط السجاف إلّا على كواهل أمورنا، أنا بحر العلم، و نحن حجة الحجاب، فإذا استدار الفلك، و قيل مات أو هلك، ألا إن طرفى جبل المتين، إلى قرار الماء المعين، إلى بسيط التمكين، إلى وراء بيضاء الصين، إلى مصارع قبور الطالقانيين، إلى نجوم ياسين، و أصحاب السنين من العليين العالمين، و كنتم أسرار طواسين، إلى البيداء الغبراء، إلى حد هذا الثرى، أنا ديان الدين، لأركب السحاب، و لأضرب الرقاب، و لأهدم إرما حجرا حجرا، و لأجلس على حجر لى بدمشق، و لأسومن العرب سوم المنايا، فليل متى هذا؟ فقال: إذا مت و صرت إلى التراب «٣».

(١) باختصار فى عيون الحكم و المواعظ: ١٦٧.

(٢) فى البحار العضا.

(٣) و هو يشير إلى حديث الرجعة.

ص: ٢٥٩

و سوى على اللبن و ضربت على القباب «١».

فصل [كنه على عليه السلام]

و من خطبة له عليه السلام، بعد انصرافه من قتل الخوارج، فقال فيها بعد حمد الله و الصلوات على محمد صلى الله عليه و آله: أنا أول المسلمين، أنا أول المؤمنين، أنا أول المصلين، أنا أول الصائمين، أنا أول المجاهدين، أنا حبل الله المتين، أنا سيف رسول رب العالمين، أنا الصديق الأكبر، أنا الفاروق الأعظم، أنا باب مدينة العلم، أنا رأس الحلم، أنا راية الهدى، أنا مفتى العدل، أنا سراج الدين، أنا أمير المؤمنين، أنا إمام المتقين، أنا سيد الوصيين، أنا يعسوب الدين، أنا شهاب الله الناقب، أنا عذاب الله الواصب، أنا البحر الذى لا ينزف، أنا الشرف الذى لا يوصف، أنا قاتل المشركين، أنا مبيد الكافرين، أنا غوث المؤمنين، أنا قائد الغر المحجلين، أنا أضراس جهنم القاطعة، أنا رحاها الدائرة، أنا ساق أهلها إليها، أنا ملقى خطبها عليها.

أنا اسمى فى الصحف عاليا، و فى التوراة برياً، و عند العرب علياً، و إن لى أسماء فى القرآن عرفها من عرفها.

أنا الصادق الذى أمركم الله باتباعه فقال: **وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** «٢»، أنا صالح المؤمنين، أنا المؤذن فى الدنيا و الآخرة، أنا المتصدق راعها، أنا الفتى ابن الفتى، أنا الممدوح **بَ هَلْ أَتَى**، أنا وجه الله، أنا جنب الله، أنا علم الله، أنا عندى علم ما

كان و ما يكون إلى يوم القيامة، لا يدعى ذلك أحد و لا يدفعني عنه أحد، جعل الله قلبي مضيئاً، و عملي رزياً، لقنني ربي الحكمة و غذاني بها، لم أشرك بالله منذ خلقت، و لم أجزع منذ حملت، قتلت صناديد العرب و فرسانها، و أفنيت ليوثها و شجعانها، أيها الناس، سلوني عن علم مخزون و حكمة مجموعة «٣».

(١) البحار: ٥ / ٤١ ح ٥ بتفاوت. و قريب منه في: ٥٥ / ٤٠ ح ٩٠ ضمن حديث طويل عن النبي صلى الله عليه و آله.

(٢) الدهر: ١.

(٣) نفحات الأزهار للميلاني: ١٠ / ٢١٣.

ص: ٢٦٠

فصل [خطبة الافتخار]

و من ذلك ما ورد عنه في خطبة الافتخار، رواها الأصبع بن نباتة قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال في خطبته: أنا أخو رسول الله و وارث علمه، و معدن حكمه، و صاحب سره، و ما أنزل الله حرفاً في كتاب من كتبه إلّا و قد صار إليّ، و زاد لي علم ما كان و ما يكون إلى يوم القيامة، أعطيت علم الأنساب و الأسباب، و أعطيت ألف مفتاح يفتح كل مفتاح ألف باب، و مددت بعلم القدر، و إن ذلك يجرى في الأوصياء من بعدى ما جرى الليل و النهار حتى يرث الله الأرض و من عليها، و هو خير الوارثين.

أعطيت الصراط و الميزان و اللواء و الكوثر، أنا المقدم على بنى آدم يوم القيامة، أنا المحاسب للخلق، أنا منزلهم منازلهم، أنا عذاب أهل النار، ألا كل ذلك فضل من الله عليّ، و من أنكر أن لي في الأرض كرة بعد كرة و عوداً بعد رجعة، حديثاً كما كنت قديماً، فقد ردّ علينا، و من ردّ علينا فقد رد على الله.

أنا صاحب الدعوات، أنا صاحب الصلوات، أنا صاحب النقمات، أنا صاحب الدلالات، أنا صاحب الآيات العجيبات، أنا عالم أسرار البريات، أنا قرن من حديد، أنا أبداً جديد، أنا منزل الملائكة منازلها، أنا آخذ العهد على الأرواح في الأزل، أنا المنادى لهم أ لست بربكم بأمر قيوم لم يزل.

أنا كلمة الله الناطقة في خلقه، أنا آخذ العهد على جميع الخلائق في الصلوات، أنا غوث الأرامل و اليتامى، أنا باب مدينة العلم، أنا كهف الحلم، أنا دعامة الله القائمة، أنا صاحب لواء الحمد، أنا صاحب الهبات بعد الهبات و لو أخبرتكم لكفرتم، أنا قاتل الجبابرة، أنا الذخيرة في الدنيا و الآخرة، أنا سيّد المؤمنين، أنا علم المهتدين، أنا صاحب اليمين، أنا اليقين، أنا إمام المتقين، أنا السابق إلى الدين، أنا حبل الله المتين، أنا الذي أملأها عدلاً كما ملئت ظلماً و جوراً

ص: ٢٦١

بسيفى هذا، أنا صاحب جبريل، أنا تابع ميكائيل، أنا شجرة الهدى، أنا علم التقى، أنا حاشر الخلق إلى الله بالكلمة التى بها يجمع الخلائق، أنا منشئ «١» الأنام، أنا جامع الأحكام، أنا صاحب القضيب الأزهر و الجمل الأحمر، أنا باب اليقين، أنا أمير المؤمنين، أنا صاحب الخضر، أنا صاحب البيضاء، أنا صاحب الفيحاء، أنا قاتل الأقران، أنا مبيد الشجعان، أنا صاحب القرون الأولين، أنا الصديق الأكبر، أنا الفاروق الأعظم، أنا المتكلم بالوحى، أنا صاحب النجوم، أنا مدبرها بأمر ربى و علم الله الذى خصنى به، أنا صاحب الرايات الصفر، أنا صاحب الرايات الحمر، أنا الغائب المنتظر لأمر العظيم، أنا المعطى، أنا المبذل، أنا القابض يدى على القبض، الواصف لنفسى، أنا الناظر لدين ربى، أنا الحامى لابن عمى، أنا مدرجة فى الأكفان، أنا والى الرحمن، أنا صاحب الخضر و هارون، أنا صاحب موسى و يوشع بن نون، أنا صاحب الجنة، أنا صاحب القطر و المطر، أنا صاحب الزلازل و الخسوف، أنا مروع الألوف، أنا قاتل الكفار، أنا إمام الأبرار، أنا البيت المعمور، أنا السقف المرفوع، أنا البحر المسجور، أنا باطن الحرم، أنا عماد الأمم، أنا صاحب الأمر الأعظم، هل من ناطق يناطقنى؟

أنا النار، و لو لا أنى أسمع كلام الله و قول رسول الله صلى الله عليه و آله لوضعت سيفى فيكم و قتلتكم عن آخركم، أنا شهر رمضان، أنا ليلة القدر، أنا أم الكتاب، أنا فصل الخطاب، أنا سورة الحمد، أنا صاحب الصلاة فى الحضر و السفر، بل نحن الصلاة و الصيام و الليالى و الأيام و الشهور و الأعوام، أنا صاحب الحشر و النحر، أنا الواضع عن أمة محمد الوزر، أنا باب السجود، أنا العابد، أنا المخلوق، أنا الشاهد، أنا المشهود، أنا صاحب السندس الأخضر، أنا المذكور فى السماوات و الأرض، أنا الماضى مع رسول الله فى السماوات، أنا صاحب الكتاب و القوس، أنا صاحب شيث بن آدم، أنا صاحب موسى و إرم، أنا بى تضرب الأمثال، أنا السماء الخضر، أنا صاحب الدنيا الغبراء، أنا صاحب الغيث بعد القنوط.

ها أنا ذا فمن ذا مثلى، أنا صاحب الرعد الأكبر، أنا صاحب البحر الأكد، أنا مكلم الشمس، أنا الصاعقة على الأعداء، أنا غوث من أطاع من الورى و الله ربى لا إله غيره، ألا و إن للباطل جولة و للحق دولة، و إنى ظاعن عن قريب فارتقبوا الفتنة الأموية و الدولة الكسروية، ثم

(١) فى الأصل المطبوع: منشاء.

ص: ٢٤٢

تقبل دولة بنى العباس بالفرج و البأس، و تبنى مدينة يقال لها الزوراء بين دجلة و دجيل و الفرات، ملعون من سكنها، منها تخرج طينة الجبارين، تعالى فيها القصور، و تسبل الستور، و يتعلون بالمكر و الفجور، فيتداولها بنو العباس ٤٢ ملكا على عدد سنى الملك، ثم الفتنة الغبراء، و القلادة الحمراء فى عنقها قائم الحق، ثم أسفر عن وجهى بين أجنحة الأقاليم كالقمر المضىء بين الكواكب، ألا و إن لخروجى علامات عشرة، أولها تحريف الرايات فى أزقة الكوفة، و تعطيل المساجد، و انقطاع الحاج، و خسف و قذف بخراسان، و طلوع الكوكب المذنب، و اقتران النجوم، و هرج و مرج و قتل و نهب، فتلك علامات عشرة، و من العلامة إلى العلامة عجب، فإذا تمتّ العلامات قام قائمنا قائم الحق .. ثم قال: معاشر الناس نزها ربكم و لا تشيروا إليه، فمن حد الخالق

فقد كفر بالكتاب الناطق، ثم قال: طوبى لأهل ولايتي الذين يقتلون فيّ، و يطردون من أجلى، هم خزّان الله في أرضه، لا يفزعون يوم الفزع الأكبر، أنا نور الله الذي لا يطفى، أنا السرّ الذي لا يخفى «١».

يؤيد هذا الكلام و المقام ما ورد في الأمالي عن رسول الله صلى الله عليه و آله أنه قال: يا معشر قريش، كيف بكم و قد كفرتم بعدى، ثم رأيتموني في كتيبة من أصحابي أضرب وجوهكم بالسيف، أنا و على بن أبى طالب عليه السلام.

فنزل جبرئيل مسرعا، و قال: قل إن شاء الله «٢». «٣».

(١) راجع بحار الأنوار: ٣٨ / ٧٨ ح ١ و: ٣٩ / ٢٢٧ ح ١.

(٢) بحار الأنوار: ٣٢ / ٣٠٤ ح ٢٤٨ و: ٣٧ / ١١٣ ح ٦.

(٣) في البحار: قل: إن شاء الله أو على.

ص: ٢٤٣

فصل [خطبة التنجية]

و من خطبة له عليه السلام تسمّى التنجية، ظاهرها أنيق، و باطنها عميق، فليحذر قارئها من سوء ظنّه، فإن فيها من تنزيه الخالق ما لا يطيقه أحد من الخلائق، خطبها أمير المؤمنين عليه السلام بين الكوفة و المدينة، فقال: الحمد لله الذى فتق الأجواء و خرق الهواء، و علق الأرجاء و أضاء الضياء، و أحبى الموتى و أمات الأحياء، أحمده حمدا سطع فأرفع، و شعشع فلمع، حمدا يتصاعد فى السماء إرساله، و يذهب فى الجو اعتداله، خلق السماوات بلا دعائم، و أقامها بغير قوائم، و زينها بالكواكب المضيئات، و حبس فى الجو سحائب مكفهرات، و خلق البحار و الجبال على تلاطم تيار رفيق رقيق، فتق رتجاها «١» فتغطمطت أمواجه، أحمده و له الحمد، و أشهد أن لا إله إلا هو، و أشهد أن محمدا عبده و رسوله، انتجبه من البجوحة العليا، و أرسله فى العرب، و ابتعته هاديا مهديا حلالا «٢» طلسميا، فأقام الدلائل، و ختم الرسائل، بصرّ به المسلمين، و أظهر به الدين، صلى الله عليه و آله الطاهرين.

أيّها الناس، أنيبوا إلى شيعتى، و التزموا بيعتى، و واضبوا على الدين بحسن اليقين، و تمسّكوا بوصى نبيّكم الذى به نجاتكم، و بحبّه يوم الحشر منجاتكم، فأنا الأمل و المأمول.

أنا الواقف على التنجيين، أنا الناظر إلى المغربين و المشرقين، رأيت رحمة الله و الفردوس «٣» رأى العين، و هو فى البحر السابع يجرى فى الفلك فى زخاخير النجوم و الحبك، و رأيت الأرض ملتفة كالثوب القصور، و هى فى خزف من التطنج الأيمن ممّا يلى المشرق و التننجان، خليجان من ماء كأنهما أيسار تننجين، و أنا المتولى دائرتها، و ما

(١) كذا و الظاهر: رتاجها و فى الزام الناصب: و لجاها.

(٢) كذا بالأصل.

(٣) فى الأصل أفردوس.

ص: ٢٦٤

الفردوس؟ و ما هم فيه إلّا كالخاتم فى الإصبع، و لقد رأيت الشمس عند غروبها و هى كالطائر المنصرف إلى و كره، و لو لا اصطكاك رأس الفردوس، و اختلاط التطنجين، و صرير الفلك، يسمع من فى السماوات و الأرض رميم حميم دخولها فى الماء الأسود، و هى العين الحمئة، و لقد علمت من عجائب خلق الله ما لا يعلمه إلّا الله، و عرفت ما كان و ما يكون و ما كان فى الذر الأوّل مع من تقدّم من آدم الأوّل، و لقد كشف لى فعرفت، و علمنى ربى فتعلّمت، ألا فعوا و لا تضجوا و لا ترتجوا فلولاً خوفى عليكم أن تقولوا جن أو ارتد لأخبرتكم بما كانوا و ما أنتم فيه و ما تلقونه إلى يوم القيامة، علم أو عز إلى فعلمت، و لقد ستر علمه عن جميع النبيين إلّا صاحب شريعتكم هذه صلوات الله عليه و آله، فعلمنى علمه، و علمته علمى، ألا و إنّنا نحن النذر الأوّل، و نحن نذر الآخرة و الأوّل، و نذر كل زمان و أوان، و بنا هلك من هلك، و بنا نجا من نجا، فلا تستطيعوا ذلك فينا، فو الذى فلق الحبة، و برأ النسمة، و تفرّد بالجبروت و العظمة، لقد سخرت لى الرياح و الهواء و الطير، و عرضت علىّ الدنيا، فأعرضت عنها، أنا كاب الدنيا لوجهها فحنى، متى يلحق بى اللواحق، لقد علمت ما فوق الفردوس الأعلى، و ما تحت السابعة السفلى، و ما فى السماوات العلى، و ما بينهما و ما تحت الثرى.

كل ذلك علم إحاطة لا علم أخبار، أقسم بربّ العرش العظيم، لو شئت أخبرتكم بآبائكم و أسلافكم أين كانوا و ممّن كانوا و أين هم الآن و ما صاروا إليه، فكم من آكل منكم لحم أخيه، و شارب برأس أبيه، و هو يشنقه و يرتجيه.

هيهات هيهات، إذا كشف المستور، و حصل ما فى الصدور، و علم أين الضمير، و أيم الله لقد كوزتم كوزات، و كررتم كرات، و كم بين كرة و كرة من آية و آيات، ما بين مقتول و ميّت، فبعض فى حواصل الطيور، و بعض فى بطون الوحش، و الناس ما بين ماض و زاج «١»، و رايح و غاد، و لو كشف لكم ما كان منّى فى القديم الأوّل، و ما يكون منّى فى الآخرة، لرأيتم عجائب مستعظمت، و أمورا مستعجبات، و صنائع و إحاطات، أنا صاحب الخلق الأوّل قبل نوح الأوّل، و لو علمتم ما كان بين آدم و نوح من عجائب اصطنعتها، و أمم أهلكتها: فحق عليهم القول، فبئس ما كانوا يفعلون. أنا صاحب الطوفان الأوّل، أنا صاحب الطوفان الثانى، أنا

(١) كذا بالأصل.

ص: ٢٦٥

صاحب سيل العرم، أنا صاحب الأسرار المكنونات، أنا صاحب عاد و الجنات، أنا صاحب ثمود و الآيات، أنا مدمرها، أنا مزلزلها، أنا مرجعها، أنا مهلكها، أنا مدبرها، أنا بانيها، أنا داحيها، أنا مميتها، أنا محييها، أنا الأول، أنا الآخر، أنا الظاهر، أنا الباطل، أنا مع الكور قبل الكور، أنا مع الدور قبل الدور، أنا مع القلم قبل القلم، أنا مع اللوح قبل اللوح، أنا صاحب الأزلية الأولية، أنا صاحب جابلقا و جابرسا، أنا صاحب الرفوف و بهرم، أنا مدبر العالم الأول حين لا سماؤكم هذه و لا غبرائكم.

قال: فقام إليه ابن صويرة فقال: أنت أنت يا أمير المؤمنين؟

فقال: أنا أنا لا إله إلا الله ربّي و رب الخلائق أجمعين، له الخلق و الأمر، الذي دبر الأمور بحكمته، و قامت السماوات و الأرض بقدرته، كأني بضعيفكم يقول أ لا تسمعون إلى ما يدعيه ابن أبي طالب في نفسه، و بالأمس تكفهر عليه عساكر أهل الشام فلا يخرج إليها؟

و باعث محمد و إبراهيم! لأقتلن أهل الشام بكم قتلات و أى قتلات، و حقى و عظمتى لأقتلن أهل الشام بكم قتلات و أى قتلات، و لأقتلن أهل صفين بكل قتلة سبعين قتلة، و لأردنّ إلى كل مسلم حياة جديدة، و لأسلمن إليه صاحبه و قاتله، إلى أن يشفى غليل صدرى منه، و لأقتلن بعمار بن ياسر و بأويس القرني ألف قتيل أو لا يقال لا و كيف و أين و متى و أنى و حتى، فكيف إذا رأيتم صاحب الشام ينشر بالمناشير، و يقطع بالمساطير، ثم لأذيقنه أليم العقاب، ألا فابشروا، فإلى يرد أمر الخلق غدا بأمر ربى، فلا يستعظم ما قلت، فإننا أعطينا علم المنايا و البلايا، و التأويل و التنزيل، و فصل الخطاب و علم النوازل، و الوقائع و البلايا، فلا يعزب عنا شىء.

كأنى بهذا و أشار إلى الحسين عليه السلام قد ثار نوره بين عينيه، فأحضره لوقته بحين طويل يزلزلها و يخسفها، و ثار معه المؤمنون فى كل مكان، و أيم الله لو شئت سميتهم رجلا رجلا بأسمائهم و أسماء آبائهم فهم يتناسلون من أصلاب الرجال و أرحام النساء، إلى يوم الوقت المعلوم.

ثم قال: يا جابر، أنتم مع الحق و معه تكونون، و فيه تموتون، يا جابر إذا صاح الناقوس، و كبس الكابوس، و تكلم الجاموس، فعند ذلك عجائب و أى عجائب، إذا أنارت النار ببصرى،

ص: ٢٦٦

و ظهرت الراية العثمانية بوادى سوداء، و اضطربت البصرة و غلب بعضهم بعضا، و صبا كل قوم إلى قوم، و تحركت عساكر خراسان، و تبع شعيب بن صالح التيمى من بطن الطالقان، و بويج لسعيد السوسى بخوزستان، و عقدت الراية لعماليق كردان، و تغلبت العرب على بلاد الأرمن و السقلاّب، و أذعن هرقل بقسطنطينة لبطارقة سينان، فتوقعوا ظهور مكلم موسى من الشجرة على الطور، فيظهر هذا ظاهر مكشوف، و معاين موصوف، ألا و كم عجائب تركتها، و دلائل كتمتها، لا أجد لها حملة، أنا صاحب إبليس بالسجود، أنا معذبة و جنوده على الكبر و الغرور بأمر الله، أنا رافع إدريس مكانا عليا، أنا منطق عيسى فى المهد صبيبا، أنا مدين الميادين و واضع الأرض، أنا قاسمها أخماسا، فجعلت خمسا برا، و خمسا بحرا، و خمسا جبالا، و خمسا عمّارا، و خمسا خرابا.

أنا خرقت القلزم من الترجيم، و خرقت العقيم من الحيم، و خرقت كلًا من كل، و خرقت بعضا فى بعض، أنا طيرثا، أنا جانبوثا، أنا البارحلون، أنا عليوثوثا، أنا المسترق على البحار فى نواليم الزخار عند البيار، حتى يخرج لى ما أعد لى فيه من الخيل و الرجل، فأخذ ما أحببت، و أترك ما أردت، ثم أسلم إلى عمار بن ياسر اثنى عشر ألف أدهم على أدهم، منها محب الله و لرسوله، مع كل واحد اثنى عشر كتيبة، لا يعلم عددها إلّا الله، ألا فابشروا، فأنتم نعم الإخوان، ألا و إن لكم بعد حين طرفة تعلمون بها بعض البيان، و تنكشف لكم صنائع البرهان، عند طلوع بهرام و كيوان، على دقائق الاقتران، فعندها تتواتر الهزات و الزلازل، و تقبل رايات من شاطئ جيحون إلى بيضاء بابل.

أنا مبرج الأبراج و عاقد الرياح، و مفتاح الأفراج و باسط العجاج، أنا صاحب الطور، أنا ذلك النور الظاهر، أنا ذلك البرهان الباهر، و إنما كشف لموسى شقص من شقص الذر من المثقال، و كل ذلك بعلم من الله ذى الجلال.

أنا صاحب جنّات الخلود، أنا مجرى الأنهار أنهارا من ماء تيار، و أنهارا من لبن، و أنهارا من عسل مصفى، و أنهارا من خمر لذّة للشاربين، أنا حجت جهنّم و جعلتها طبقات السعير، و سقى الجير، و الأخرى عمقيوس أعددتها للظالمين، و أودعت ذلك كلّ وادى برهوت، و هو و الفلق و رب ما خلق، يخلد فيه الجبت و الطاغوت و عبيدهما، و من كفر بذى الملك

ص: ٢٤٧

و الملكوت، أنا صانع الأقاليم بأمر العليم الحكيم، أنا الكلمة التى بها تمّت الأمور و دهرت الدهور، أنا جعلت الأقاليم أرباعا، و الجزائر سبعا، فأقليم الجنوب معدن البركات، و إقليم الشمال معدن السطوات، و إقليم الصبا معدن الزلازل و إقليم الدبور معدن الهلكات.

ألا ويل لمدائنكم و أمصاركم من طغاة يظهرن فيغيرون و يبدلون إذا تمالت الشدائد من دولة الخصيان، و ملكة الصبيان، و النسوان، فعند ذلك ترتج الأقطار بالدعاة إلى كل باطل، هيهات هيهات، توقعوا حلول الفرج الأعظم، و إقباله فوجا فوجا، إذا جعل الله حصباء النجف جوهرًا، و جعله تحت أقدام المؤمنين، و تباع به للخلاف و المنافقين، و يبطل معه الياقوت الأحمر، و خالص الدر و الجوهر، ألا و إن ذلك من أبين العلامات، حتى إذا انتهى ذلك صدق ضياؤه، و سطع بهاءه، و ظهر ما تريدون، و بلغت ما تحبون، ألا و كم إلى ذلك من عجائب جمّة، و أمور ملمّة، يا أشباه الأعنام، و بهام الأنعام، كيف تكونون إذا دهمتكم رايات لبنى كنام مع عثمان بن عنبسة من عراض الشام يريد بها أبويه، و يزوج بها أميه، هيهات أن يرى الحق أموى أم عدوى.

ثم بكى صلوات الله عليه، و قال: واهّا للأمم، أ ما شاهدت رايات بنى عتبة مع بنى كنام السائرين أثلاثا، المرتكبين جبلا جبلا مع خوف شديد، و بؤس عتيد، ألا و هو الوقت الذى وعدتم به، لأحملنهم على نجائب، تحفّهم مراكب الأفلاك، كأنى بالمنافقين يقولون نص علىّ على نفسه بالربانية، ألا فاشهدوا شهادة أسألكم بها عند الحاجة إليها، إن عليا نور مخلوق، و عبد مرزوق، و من قال غير هذا فعليه لعنة الله و لعنة اللاعنين.

ثم نزل و هو يقول: تحصنت بذى الملك و الملكوت، و اعتصمت بذى العزّة و الجبروت، و امتنعت بذى القدرة و الملكوت، من كل ما أخاف و أحذر، أيها الناس ما ذكر أحدكم هذه الكلمات عند نازلة أو شدة إلّا و أزاحها الله عنه.

فقال له جابر: وحدها يا أمير المؤمنين، فقال: نعم و أضيف إليها الثلاثة عشر اسما، و ضمّني، ثم ركب و مضى «١».

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ٢٧ / ٣.

ص: ٢٤٨

فصل [أثار على عليه السلام بالكون]

و من خطبة له عليه السلام قال: أنا عندى مفاتيح الغيب، لا يعلمها بعد رسول الله إلّا أنا، أنا ذو القرنين المذكور فى الصحف الأولى، أنا صاحب خاتم سليمان، أنا ولى الحساب، أنا صاحب الصراط و الموقف، قاسم الجنة و النار بأمر ربّى، أنا آدم الأوّل، أنا نوح الأوّل، أنا آية الجبار، أنا حقيقة الأسرار، أنا مورق الأشجار، أنا مونغ الثمار، أنا مفجرّ العيون، أنا مجرى الأنهار، أنا خازن العلم، أنا طود الحلم، أنا أمير المؤمنين، أنا عين اليقين، أنا حجة الله فى السماوات و الأرض، أنا الراجفة، أنا الصاعقة، أنا الصيحة بالحق، أنا الساعة لمن كذب بها، أنا ذلك الكتاب الذى لا ريب فيه، أنا الأسماء الحسنى التى أمر أن يدعى بها، أنا ذلك النور الذى اقتبس منه الهدى، أنا صاحب الصور، أنا مخرج من فى القبور، أنا صاحب يوم النشور، أنا صاحب نوح و منجيه، أنا صاحب أيوب المبتلى و شافيه، أنا أقمت السماوات بأمر ربّى، أنا صاحب إبراهيم، أنا سرّ الكليم.

أنا الناظر فى الملكوت، أنا أمر الحى الذى لا يموت، أنا ولى الحق على سائر الخلق، أنا الذى لا يبدل القول لدىّ، و حساب الخلق إلىّ، أنا المفوض إلىّ أمر الخلائق، أنا خليفة الإله الخالق، أنا سرّ الله فى بلاده، و حجّته على عباده، أنا أمر الله و الروح، كما قال سبحانه:

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى «١».

أنا أرسيت الجبال الشامخات، و فجّرت العيون الجاريات، أنا غارس الأشجار، و مخرج الألوان و الثمار، أنا مقدّر الأقوات، أنا ناشر الأموات، أنا منزل القطر، أنا منور الشمس و القمر و النجوم، أنا قيّم القيامة، أنا القيم الساعة، أنا الواجب له من الله الطاعة، أنا سرّ الله المخزون، أنا العالم بما كان و ما يكون، أنا صلوات المؤمنين و صيامهم، أنا مولاهم و إمامهم، أنا صاحب النشر الأوّل و الآخر، أنا صاحب المناقب و المفاخر، أنا صاحب الكواكب، أنا عذاب الله

(١) الاسراء: ٨٥.

ص: ٢٤٩

الواصب، أنا مهلك الجبابرة الأوّل، أنا مزيل الدّول، أنا صاحب الزلازل و الرجف، أنا صاحب الكسوف و الخسوف، أنا مدمّر الفراغة بسيفى هذا، أنا الذى أقامنى الله فى الأظلة و دعاهم إلى طاعتي، فلما ظهرت أنكروا، فقال الله سبحانه: فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا

عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ، أنا نور الأنوار، أنا حامل العرش مع الأبرار، أنا صاحب الكتب السالفة، أنا باب الله الذى لا يفتح لمن كذب به و لا يذوق الجنة، أنا الذى تزدهم الملائكة على فراشى، و تعرفنى عباد أقاليم الدنيا، أنا رددت لى الشمس مرتين، و سلمت على كرتين، و صليت مع رسول الله القبلتين، و بايعت البيعتين، أنا صاحب بدر و حنين، أنا الطور، أنا الكتاب المسطور، أنا البحر المسجور، أنا البيت المعمور، أنا الذى دعا الله الخلائق إلى طاعتي، فكفرت، و أصرت، فمسخت، و أجابت أمة فنجت، و أزلت، أنا الذى بيدى مفاتيح الجنان، و مقاليد النيران، كرامة من الله، أنا مع رسول الله فى الأرض و فى السماء، أنا المسيح حيث لا روح يتحرك و لا نفس يتنفس غيرى، أنا صاحب القرون الأولى، أنا الصامت و محمد الناطق، أنا جاوزت بموسى فى البحر، و أغرقت فرعون و جنوده، و أنا أعلم همامهم البهائم، و منطلق الطير، أنا الذى أجوز السماوات السبع و الأرضين السبع فى طرفة عين، أنا المتكلم على لسان عيسى فى المهد، أنا الذى يصلى عيسى خلفى، أنا الذى أنقلب فى الصور كيف شاء الله، أنا مصباح الهدى، أنا مفتاح التقى، أنا الآخرة و الأولى، أنا الذى أرى أعمال العباد، أنا خازن السماوات و الأرض بأمر رب العالمين، أنا القائم بالقسط، أنا ديان الدين، أنا الذى لا تقبل الأعمال إلّا بولايتي، و لا تنفع الحسنات إلّا بحبى، أنا العالم بمدار الفلك الدوار، أنا صاحب مكيال و قطرات الأمطار، و رمل القفار بإذن الملك الجبار، ألا أنا الذى أقتل مرتين و أحيى مرتين و أظهر كيف شئت، أنا محصى الخلائق و إن كثروا، أنا محاسبهم بأمر ربى، أنا الذى عندى ألف كتاب من كتب الأنبياء، أنا الذى جحد ولايتي ألف أمة فمسخوا، أنا المذكور فى سالف الأزمان و الخارج فى آخر الزمان، أنا قاصم الجبارين فى الغابرين، و مخرجهم و معذبهم فى الآخرين، يغوث و يعوق و نسرا عذابا شديدا، أنا المتكلم بكل لسان، أنا الشاهد لأعمال الخلائق فى المشارق و المغارب.

أنا صهر محمد، أنا المعنى الذى لا يقع عليه اسم و لا شبه، أنا باب حطة، و لا حول و لا قوة إلّا بالله العلي العظيم «١».

(١) بحار الأنوار: ٣٩ / ٣٤٧ ح ٢٠.

ص: ٢٧٠

فصل [كلام الإمام إمام الكلام]

قال الصادق عليه السلام: الآيات السبع التى ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام هى أسماء الأئمة من ذرية الحسين عليه السلام و إن هذا الأمر يصير إلى من تلوى إليه أعنة الخيل من الآفاق، و هو المظهر على الدين كله و مالك قافاتها و كافاتها و دالاتها، و هو المهدي عليه السلام.

قال: و شرح ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام على الاختصار قال: أنا دحوت أرضها معناه أنه و عترته تسكن الأرض، و قوله: أنا أرسيت جبالها معناه إنه و عترته الأمان من الغرق و أنهم الجبال الرواسي، و قوله: أنا فجرت عيونها لأن الأئمة من عترته هم ينباع العلم و الحكم، و قوله: أينعت ثمارها إشارة إلى عترته، و قوله: أنا غرست أشجارها إشارة إلى أن الأئمة من عترته هم شجرة طوبى و سدرة المنتهى، و قوله: أنا أنشأ سبحانه إشارة إلى عترته، لأنهم الغيث الهامل، و قوله: أنا أسمعت رعدا معناه أنا أنبت العلم، و قوله: أنا نورت برقها لأن عترته نور العباد و البلاد، و قوله: أنا البحر الزاخر معناه بالعلم، و قوله: أنا شيدت أطوارها معناه شيدت الدين، و قوله: أنا قتلت مردة الشياطين يعنى أهل الشام، و قوله: أنا أشرقت قمرها و شمسها و أجريت فلكها، المراد

الأئمة فهم الشمس والاقمار و سفن النجاة، و قوله: أنا جنب الله يعنى حق الله و علم الله، و قوله: أنا دابة الأرض، معناه أفرق بين الحق و الباطل، و قوله:

و على يدى تقوم الساعة إشارة إلى المهدى عليه السلام يحكم فى الأرض زمانا طويلا، و إذا مات قامت الساعة، و قوله: فى يرتاب المبطلون، أى: من جحد ولايتى هلك. و من أقرّبها نجا.

قال: و إنما فسّر الإمام منها على مقدار عقل السائل «١».

(١) راجع ما ذكره المجلسى عن الإمام الباقر فى تفسيرها: ٣٩ / ٣٥٠.

ص: ٢٧١

فصل [أثر اسم على عليه السلام]

و من ذلك ما رواه صاحب عيون الأخبار قال: إن أمير المؤمنين عليه السلام مرّ فى طريق فسايره خبيرى فمرّ بواد قد سال فركب الخبيرى مرطه و عبر على الماء ثم نادى أمير المؤمنين عليه السلام:

يا هذا لو عرفت كما عرفت لجريت كما جريت، فقال له أمير المؤمنين: مكانك، ثم أوماً إلى الماء فجمد و مر عليه. فلما رأى الخبيرى ذاك أكبّ على قدميه و قال: يا فتى ما قلت حتى حولت الماء حجرا؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: فما قلت أنت حتى عبرت على الماء؟ فقال الخبيرى: أنا دعوت الله باسمه الأعظم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام و ما هو؟

قال: سألته باسم وصى محمد، فقال أمير المؤمنين: أنا وصى محمد، فقال الخبيرى: إنك، الحق. ثم أسلم. «١»

و من ذلك ما رواه عمّار بن ياسر قال: أتيت مولاى يوما فرأى فى وجهى كآبة فقال: ما بك؟ فقلت: دين أتى مطالب به، فأشار إلى حجر ملقى و قال: خذ هذا فاقض منه دينك، فقال عمّار: إنه الحجر، فقال له أمير المؤمنين: ادع الله بى يحولّه لك ذهباً. فقال عمّار: فدعوت باسمه فصار الحجر ذهباً فقال لى: خذ منه حاجتك، فقلت: و كيف تلين؟ فقال: يا ضعيف اليقين ادع الله بى حتى تلين فإن باسمى ألان الله الحديد لداود عليه السلام، قال عمّار:

فدعوت الله باسمه فلان فأخذت منه حاجتى، ثم قال: ادع الله باسمى حتى يصير باقيه حجرا كما كان «٢».

(١) مدينة المعاجز: ١ / ٤٣٠.

(٢) مدينة المعاجز: ١ / ٤٣١.

فصل

لعلك أيها الشاك في دينه، المرتاب في يقينه، تقول: كيف صار الحجر ذهباً؟

أما عرفت أن القدرة في يد القادر، والمراد من الأشياء غاياتها و غاية الحجر أن يصير ذهباً، وإنما يطلب الأمر الأعظم بالأعظم والعظيم من العظيم يرجى، و غاية الغايات و نهاية النهايات، و أعظم الأسماء و أقربها إلى حضرة الألوهية محمد و علي، و الولاية مبتدأ النبوة و نهايتها و بها تكمل أيام دولتها، و إليه الإشارة بقوله: **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي** «١»، لأنه لما اتخذه نبياً لم يطلب ذاك لذريته، و لما ألبسه خلعة الحلة و رفعه إلى رتبة الرسالة لم يطلب ذاك لذريته لعله ينسخ الشرائع و يغيرها، فلما قال له **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا** طلب ذاك لذريته، لأن الإمامة لم ينلها نسخ فهي غاية الغايات لأنها ختم الدين و نقطة اليقين، فهي سر السرائر و نور النور و الاسم الأعظم، فالدعاء باسم علي يحول التراب تبرا و الأحجار جوهرها و درا، و الظلمة نورا، و تجعل في الشجر اليابس ثمرا، و يعيد الأعمى بصيراً.

فصل [فضائل لآل محمد عليهم السلام]

اعلم أن إسرائيل عليه السلام لقّنه الله كلمة بها ينفخ في الصور فيصعق أهل السماوات و الأرض، و هي الاسم الذي قامت به السماوات و الأرض، ثم يناديهم بها فيقوم بها الأموات و يحيى الرفات و يجمع الشتات من العظام الدارسات و تعود بادرة كما ناداها الجبار في الأزل فأجابت بالكلمات التامة التي لها التفريق و الجمع و الموت و الحياة، و هي رموز مستورة في

(١) البقرة: ١٢٤.

القرآن:

أما عرفت أن الله برىء عن الصورة المثلى و أنه الحيّ الكريم المتعال و أن باسمه و قدرته و أمره يوجد الأشياء و يعدمها إذا شاء، و أنه ليس هناك جوارح تفعل و لا حركات و لكنها رموز مبهمات و كلمات تامات، و إليه الإشارة بقوله: «خمرت طينة آدم بيدي» «١» أي بقدرتي، و مثله: «أن الله خلق آدم على صورته» «٢» أي على الصورة التي كان عليها من الطين لم ينتقل من العلقة إلى المضغة، بل يقول: **كُنْ فَيَكُونُ**، فلو اطلعت على السر المصون في قوله **كُنْ فَيَكُونُ** لعرفت ما بين القلم و النون.

روى عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه و آله أنه استدعى يوماً ماء و عنده أمير المؤمنين و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام فشرب النبي صلى الله عليه و آله ثم ناوله الحسن فشرب، فقال له النبي:

هنيئاً مريئاً يا أبا محمد، ثم ناوله الحسين، فقال له النبي: هنيئاً مريئاً يا أبا عبد الله، ثم ناوله الزهراء فشربت، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: هنيئاً مريئاً يا أم الأبرار الطاهرين، ثم ناوله علياً فلما شرب سجد النبي صلى الله عليه وآله فلما رفع رأسه قال له بعض أزواجه: يا رسول الله شربت ثم ناولت الماء للحسن، فلما شرب قلت له هنيئاً مريئاً، ثم ناولته الحسين فشرب فقلت له كذلك، ثم ناولته فاطمة فلما شربت قلت لها ما قلت للحسن و للحسين ثم ناولته علياً فلما شرب سجدت فما ذاك؟

فقال لها: إنني لما شربت الماء قال لي جبرائيل والملائكة معه هنيئاً مريئاً يا رسول الله، و لما شرب الحسن قالوا له كذلك و لما شرب الحسين و فاطمة قال جبرائيل والملائكة: هنيئاً مريئاً، فقلت كما قالوا، و لما شرب أمير المؤمنين عليه السلام قال الله له: هنيئاً مريئاً يا وليي و حجتي على خلقي، فسجدت لله شكراً على ما أنعم عليّ في أهل بيتي «٣».

فلما وقر هذا في سمعه و وعاه لم يحمله عقله، و قال: يقول الله لعلي هنيئاً مريئاً؟.

أ ما سمعت ما صرّح به القرآن من كلام الرحمن فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ

(١) عوالى اللثالى: ٩٨ / ٤.

(٢) الكافى: ١٣٤ / ١.

(٣) بحار الأنوار: ٣١١ / ٤٣ ح ٧٣.

ص: ٢٧٤

هَنِئاً مَرِيئاً «١»، و إذا قال الله لعامة خلقه هنيئاً مريئاً فكيف تستعظم قوله لوليّه و عليّه هنيئاً مريئاً؟

ثم قلت له: أنت في اعتقادك في ولي معادك كمنافق مرّ في طريق فوافقه مؤمن فذكر علياً فقال المؤمن: صلى الله عليه، فغاظ ذاك المنافق و قال: لا يجوز الصلاة إلّا على النبي، فقال له المؤمن: فما تقول في قوله سبحانه هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ «٢» فهذه الصلاة على من؟ قال: على أمة محمد، فقال المؤمن: فكيف يجوز الصلاة على أمة محمد و لا يجوز الصلاة على آل محمد؟ فهت الذي كفر.

فانظر أيّها المؤمن كيف يستعظم المنافق سجود النبي عند تعظيم الله لعلي، و إليه أشار القرآن بقوله فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ يعنى بعلى وَ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ «٣» و الألف و اللام في الذكر هنا للتخصيص، و معناه أن كل آية تتضمن اسم محمد و على ظاهراً أو باطناً فإنّها أعظم ما في القرآن ذكراً، و إذا سجد هناك كان سجوده لله شكراً إذ عرفه أعظم الآيات ذكراً و أعلاها عنده قدراً.

(١) النساء: ٤.

(٢) الأحزاب: ٤٣.

(٣) الانشقاق: ٢١.

ص: ٢٧٥

فصل [الصلاة على آل محمد عليهم السلام و أثرها]

و أما الصلاة فإنَّ الله قد صَلَّى على المؤمنين عامة، و خص أمير المؤمنين عليه السلام وحده بصلوات فقال: **أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ «١»**، و تفسير هذا الفضل العظيم، و المقام الكريم، ما رواه ابن عباس أن حمزة حين قتل يوم أحد و عرف بقتله أمير المؤمنين عليه السلام فقال: **إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**، فنزلت الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ* **أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ «٢»** فكان هذا المقام لعلی عليه السلام.

فصل

يؤيد هذا قوله سبحانه: **وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ «٣»**، قال المفسرون: معناه تذكر إذا ذكرت، و إذا وجب ذكر النبي وجب ذكر الله، لما ورد عنه أن الصلاة عليه لا تقبل إلَّا بذكر الله، فالصلاة على محمد و آل محمد لازمة لذكر الله، و ذكر الله واجب و لازم و اللازم واجب و لازم، فالصلاة على محمد و آله واجبة على كل حال بيّنة، و إشارة ذكر محمد و آله ذكر الله لأن معرفة الله و ذكره بغير معرفتهم و ذكرهم لا تنفع بل هو عقاب و وبال، لأن المشروط لا يتم و لا يقبل إلَّا بشرطه، كالصلاة بغير وضوء، فالوضوء شرطها فهي بغير شرطها لا تنفع و لا ترفع، بل هي استهزاء و وبال، و كذا الذّاكر لله مع إنكاره لمحمد و آله فإنه غير ذاكر فهو ملعون على كل حال.

دليله ما رواه عن النبي صَلَّى الله عليه و آله أنه قال: لما خلق الله العرش خلق سبعين ألف ملك، و قال لهم:

(١) البقرة: ١٥٧.

(٢) البقرة: ١٥٧.

(٣) الشرح: ٤.

ص: ٢٧٦

طوفوا بعرش النور و سبّحوني و احملوا عرشي، فطافوا و سبّحوا و أرادوا أن يحملوا العرش فما قدروا، فقال الله لهم: طوفوا بعرش النور و صلوا على نور جلالى محمد حبيبى و احملوا عرشي، فطافوا بعرش الجلال و صلوا على محمد و حملوا العرش فأطاقوا حمله، فقالوا: ربنا أمرتنا بتسبيحك و تقديسك ثم أمرتنا أن نصلى على نور جلالك محمد فتتنقص من تسبيحك و تقديسك، فقال الله لهم: يا ملائكتى إذا صليتكم على حبيبى محمد فقد سبحتمنى و قدستمونى و هللتمنى «١».

يؤيد هذا الحديث ما رواه ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه و آله أنه قال: من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه ألف صلاة فى ألف صف من الملائكة و لم يبق رطب، و لا يابس إلّا و صلى على ذلك العبد لصلاة الله عليه «٢».

فما لك أيها الهائم مع البهائم كلّما أبصرتك زاد عماك؟ و كلّما بشرتك زادت غمّاك؟

و ما لى أراك كالبوم يرى الليل نهّارا لضعف بصره؟ فهلا كنت كالهدهد يرى الماء من تحت الصخرة لقوة نظره، فلو كنت هدهدا اهتديت.

فصل

و من العجب أنّهم يسمّون عليا مجهول القدر، و هو تحت مرتبة النبى لأنه نائبه و ابن عمّه و وزيره و زوج ابنته، لاختلاف العقول فى عظمتة. فقوم جحدوه و قوم عبدوه و قوم تبعوه، و كلّهم ما عرفوه لأن الذين عبدوه كفروا بعبادته، لأن المعبود واجب الوجود هو الله خالق الخلق و لا إله إلّا هو، و الذين جحدوه أيضا ما عرفوه و كفروا بجحدوه، و كيف يجحدون مولاهم و معناهم و نهج هداهم؟ و الذين تبعوه أيضا ما عرفوه إذ لو عرفوه ما ارتابوا فى فضله و أنكروه و أنزلوه عن رفيع قدره و صغروه، فهم فى معرفته كسائر إلى مرام فخبته الظلام فرأى ضياء قد لاح فيممه فما أدركه حتى طلع الصباح، فهو السرّ الخفى الذى حارت فى وصفه العقول ممّا يقول:

(١) بحار الأنوار: ٢٧ / ٢٥٨ ح ٨.

(٢) بحار الأنوار: ٢٧ / ٢٥٩ ح ٩.

ص: ٢٧٧

عن الصفات و أضحى دونه الشرف

فتاهت الناس فى معناه و اختلفوا

و كلّهم وصفوا و صفا و ما عرفوا

ما ذا أقول و قد جلّت مناقبه

هذا الذى جاز عن حد القياس علا

غال و تال و قال عنده و قفوا

أو كما قيل:

هذا هو السر و المعنى الخفى و من
ولا تكون هذا الكون من عدم
لولا ما كانت الدنيا و لا الفلك
إلى الوجود و هذا المالك الملك
للناس حتى لديه يسجد الملك
هذا الذى ظهرت آياته عجا

فصل

و انظر إلى العارفين بعلى عليه السلام كيف وصفوه فى حين أعداؤه قد وصفوه بأوصاف لو وصفه اليوم بها أحد من عار فيه بين أوليائه و محبيه لكفروه، و محقوه، و قتلوه، فمن ذلك قول أبى عبد الله بن الحجاج:

لو شئت مسخهم فى دارهم مسخوا
و إن أسماءك الحسنى إذا تليت
أو شئت قلت لها يا أرض انخسفى
على مريض شفى من سقمه و كفى

«١» و من ذاك قول صاحب بن عباد:

إذا أنعمت روحى فمبك نعيمها
بأسمائك الحسنى أروح مهجتى
و إن شقيت يوما فأنت رحيمها
إذا فاض من قدس الجلال نسيمها

و من ذلك قول ابن الفارض المغربى:

و لو رسم الراقى حروف اسمها على
و فوق لواء الجيش لو رقم اسمها
جبين مصاب جن أبرأه الرسم
لأسكر من تحت اللوا ذلك الرقم

فانظر إليهم فلا لحروف الاسم يعرفون، و لا للاسم يدركون، و لا بما قال شاعرهم يشعرون، و لمن آتاه الله من فضله يحسدون، و له لذاك يمقتون و يكفرون، قاتلهم الله أنهم يؤفكون، و لم لادعى الناس ابن الحجاج بقوله و ابن عباد كافرا و مغاليا إذ جعلاً القدرة

(١) الغدير: ٨٩ / ٤ و ٩٠ / ١٢.

ص: ٢٧٨

المطلقة و التصرف و تفويض الأمور إلى على فهو كفعل الله لكنه بقدرة الله و كرامة الله له، و لو أن عارفا قال اليوم عند بعض أهل الدعوى، يا على بحق قدرتك و أمرك النافذ في الأسماء و أسمائك الحسنی و تفويض الأمور إليك، خذ بيدي لكان السامع لهذا القول منه أعظم شيء عنده ثوابا قتله و تكفيره، فيا لله من أهل الدعوى الذين لم تنجل عليهم بوارق المعنى.

ص: ٢٧٩

فصل [سبب إخفاء النبي صلى الله عليه و آله للعلم الرباني]

في تأويل قول النبي صلى الله عليه و آله: «لا أعلم ما وراء هذا الجدار إلّا ما علّمني ربّي» «١»، و قول على:

«لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا» «٢»، و قوله: «سلوني عن طرق السماوات» «٣»، سلوني عما دون العرش» «٤»، «٥».

(١) تقدّم الحديث.

(٢) لعلّه تقدّم؛ و راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٧ / ٢٥٣ الخطبة ١١٣ و الأنوار النعمانية: ١ / ٢٦، و البحار: ٤٠ / ١٥٣، و كشف الغمة: ١ / ١٧٠.

(٣) نهج البلاغة: ٢٨٠ الخطبة ١٨٩.

(٤) و في حديث: سلوني عن علم لا يعرفه جبرائيل. نزهة المجالس: ٢ / ١٢٩.

(٥) قد وردت روايات عن آل محمد صلى الله عليه و آله تنص على إخفاء العلوم الصعبة نحو ما روى عن أبي عبد الله عليه السلام: «و الله لو أن على أفواههم أوكية لأخبرت كل رجل منهم ما لا يستوحش إلى شيء، و لكن فيكم الإذاعة، و الله بالغ أمره» (بحار الأنوار: ٢٦ / ١٤١ ح ١٣ باب أنه لا يحجب عنهم شيء).

و عن الإمام الباقر عليه السلام: «لو كان لألسنتكم أوعية لحدثت كل امرئ بما له و عليه» (بحار الأنوار:

٢٦ / ١٤٩ ح ٣٤ باب أنه لا يحجب عنهم شيء).

و قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

إني لأكتم من علمي جواهره	كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتننا
و قد تقدم في هذا أبو حسن	إلى الحسين و وصى قبله الحسن
يا ربّ جوهر علم لو أبوح به	لقليل لي: أنت ممن يعبد الوثنا
و لاستحل رجال مسلمون دمي	يرون أقبح ما يأتونه حسنا

(الأصول الأصيلية: ١٦٧، و غرر البهاء الضوى: ٣١٨، و مشارق أنوار اليقين: ١٧، و جامع الأسرار:

٣٥ ح ٦٤).

و تقدم من المصنف قول الإمام الصادق: «هيهات، و الله لو أخبرتك بكنه ذلك لقمت عني و أنت تقول إن جعفر بن محمد كاذب في قوله أو مجنون».

و قال عليه السلام: «إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلّا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان (الأصول الأصيلية: ١٦٩).

ص: ٢٨٠

هذا لفظه الظاهر يوهّم تفضيل الولي على النبي عليهما السلام، و العقل المحض عكسه لأن رتبة الولي و إن علت فهي تحت رتبة النبي، و إن تطاولت، و ذلك لأن سر الأولين و الآخرين أودع في النبي، ثم أحصر في الإمام الولي، فمنه فاض إليه و به دلّ عليه، و سائر الأسرار إلى الوجود منهما و عنهما و هما من الله و عنه، فما من غيب وصل إلى النبي بالوحي و الخطاب الإلهي إلّا و قد وصل إلى الولي ظاهره و باطنه، فالنبي إليه الإنذار و التنزيل، و الولي إليه الإهداء و التأويل .. و إليه الإشارة بقوله: **إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ** يا محمد **وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** «١» و هو على.

فالنبي أمر أن ينطق من الغيب بعلم الظاهر عند الإذن من الله لأنه صاحب الشرع .. و إليه الإشارة بقوله: **وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ** «٢» فالنبي أوتي من الله

و قال عليه السّلام: «لا تديعوا سرّنا و لا تحدّثوا به عند غير أهله فإن المذيع سرّنا أشدّ علينا من عدونا» (الخرائج و الجرائح: ٢٦٧ باب ٧).

و قد بيّن الإمام العسكري عليه السّلام علّة عدم إخبارهم بالامور الغيبية بقوله لموسى الجوهري: «ألسنا قد قلنا لكم لا تسألونا عن علم الغيب، فنخرج ما علمنا منه إليكم، فيسمعه من لا يطيقه استماعه فيكفر» (الهداية الكبرى: ٣٣٤ باب ١٣).

و الظروف التي كان يعيشها النبي صلّى الله عليه وآله و القليل من الأئمة كانت مختلفة فرسول الله صلّى الله عليه وآله كان في بداية الدعوة الإسلامية و قريب عهد بالجاهلية.

و إذا أردنا أن نبرم هذا الكلام فلا بأس بنقل كلام لسماحة الشيخ محمد الحسين المظفر يصلح أن يكون جوابا عن هذا المطلب: قال بعد أن ذكر توقف الرسالة على علم النبي صلّى الله عليه وآله بكل الأشياء: فعلم الرسول بالعالم و إحاطته بما يحدث فيه و قدرته على تعميم الإصلاح للداني و القاصي و الحاضر و الباد؛ من أسس تلك الرسالة العامة و قاعدة لزومية لتطبيق تلك الشريعة الشاملة.

غير أن الظروف لم تسمح لصاحب هذه الرسالة صلّى الله عليه وآله أن يظهر للأمة تلك القوى القدسية و العلم الربّاني الفيّاض. و كيف يعلن بتلك المواهب و الإسلام غضّ جديد، و الناس لم تتعرّف تعاليم الإسلام الفرعية بعد؟! فكيف تقبل أن يتظاهر بتلك الموهبة العظمى و تطمئن إلى الإيمان بذلك العلم. بل و لم يكن كل قومه الذين انضوا تحت لوائه من ذوى الإيمان الراسخ، و ما خضع البعض منهم للسلطة النبوية إلّا بعد اللتيا و التّى و بعد الترهيب و الترغيب» (علم الإمام: ٩ - ١٠).

نعم فقد أفصح النبي صلّى الله عليه وآله لخاصة أصحابه عن كنه حقيقته و حقيقة علمه ليس هنا محل ذكرها.

(١) الرعد: ٧.

(٢) طه: ١١٤.

ص: ٢٨١

العلم الظاهر و الباطن، و أمر أن ينطق ينطق منه بالظاهر لا غير لثلا يتهموه بالكهانة و السحر و قد اتهم، و الولي أمر عن الله و عن رسوله أن ينطق بالظاهر و الباطن .. و إليه الإشارة بقوله:

علّمني رسول الله ألف باب من العلم ففتح الله لي من كل باب ألف باب «١».

و هذا إشارة إلى علم الظاهر و الباطن، فمثال النبي و الولي في علم الظاهر و الباطن كمثل ملك اختار من عبيده عبيدين فجعل أحدهما له سفيرا و الآخر نائبا و وزيرا، و خزن عندهما علم المملكة و ولّاهما حكمها، ثم أمر الملك سفيره أن لا يحكم بما و

صل إليه و فوّض إليه إلّا بالظاهر من حكم الأديان لثلا يتّهمه أهل المملكة بالأخذ عن الكهان، و أمره أن يوصل علم الظاهر و الباطن إلى النائب الذى هو الوزير، و جعل له الحكم المطلق و ذلك لأن حكم الملك و السلطان قد وصلا إليه على الإطلاق، فهو مطلق العنان فيهما، فعلم أن قوله: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا. له معنيان، الأول أنه أعلى الموجودات لأنه قسيم النور الواحد الفائض عن الأحد فما فوقه إلّا ذات رب البريات، و سائر العوالم تحته من المخلوقات، و كيف يخفى الأدنى على ما هو منه؟ إلّا على فمعناه لو كشف الغطاء و هو الحجاب عن هذا الجسد الترابى أو الغطاء من الجسم الفلكى ما ازددت يقينا على ما علمته فى العالم النورانى من قبل خلق العرش و الكرسي.

و أما معناه الثانى فهو سرّ بديع فهو يقول عليه السّلام: «من عرفنى من شيعتى بسرّائى معرفتى»، و أننى اسم الله العظيم و وجهه الكريم و حجابيه فى هذا الهيكل الترابى و العالم البشرى، و اننى فى الجسد المركب آية الله و كلمته فى خلقه فإنه غدا إذا رآنى لا يزداد فى معرفتى يقينا لأنه لم يرتب فىّ من وراء الحجاب، فكيف يرتاب عند كشف الحجاب؟

و بيان هذا أن المخاطب بالقرآن النبى صلّى الله عليه و آله و المراد به الأمة كذلك الولى هو الناطق و المراد به عارفه لأن الأمة مضافة إلى النبيين، و التابعين مضافين إلى الولى، و إليه الإشارة بقوله سبحانه حكاية عن مؤمن آل فرعون: **وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢﴾** فهو المتكلّم و المراد به قومه لأنهم مضافين إليه، فقوله ما ازددت يقينا تكلم عليه السّلام بلسان

(١) بحار الأنوار: ٢٢ / ٤٦٢ ح ١٣.

(٢) يس: ٢٢.

ص: ٢٨٢

عارفيه من أوليائه أنهم لا تتخالجهم الشكوك فيه فهم كالتبر المسبوك، و النضار المحكوك، فى حبه و معرفته لا يزدادون فيه على الحك و السبك إلّا خلاصا و رفعة، فمن عرف مولى الأنام و لى يوم القيامة بهذا المقام، و جب عليه هجر الأنام و حبس الكلام، عن اللئام و العوام، لأن العارف بهذا المقام إن قال لا يصدّق و إن قيل له لا يستمع، فحظّه فى العزلة و سلامته فى الوحدة، لأن من عرف الله كلّ لسانه.

ص: ٢٨٣

فصل [على عليه السّلام حاكم يوم الدين]

و لما وعى سمع الدهر ما صحت قواعده و وضحت شواهدده، و لاح نوره و ابتسمت ثغوره، مما وقر فى الآذان و الأذهان، و أن عليا مالك يوم الدين و حاكم يوم الدين و لى يوم الدين، و أنه قد جاء فى الأحاديث القدسية أن الله يقول: عبدى خلقت الأشياء لأجلك و خلقتك لأجلي، و هبتك الدنيا بالإحسان و الآخرة بالإيمان.

و إذا كانت الأشياء بأسرها خلقت لكل إنسان فما ظنك بإنسان الإنسان و من لأجله خلق الإنسان، و به كان الكون و المكان، و ذلك أن كل ما هو لله ممّا خلق و ممّا أوحى فهو لمحمد، و ما هو لمحمد من الفضل و المقام و الشرف و الاحتشام فهو لعلی إلاً المستثنى. و الدنيا و الآخرة و ما فى الدنيا و الآخرة لمحمد و علی، فالقيامة بأسرها لمحمد و علی. فللنبي منها حكم الظاهر و هو مقام الكرامة، كما قال: أنا زين القيامة و الشهادة على الخلائق، و إليه الإشارة بقوله: **وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً** «١» و الشفاعة لأهل البوائق، و إليه الإشارة بقوله: «أعددت شفاعة لأهل الكبائر من أمّتى» «٢» و للولى حكم الباطن و هو وقوفه على النار، و قوله: «هذا لك و هذا لى» «٣»، خذى هذا و ذرى هذا». فيوم القيامة ليس إلاً شفيح و حاكم و شافع و قاسم، فالإله هو الله و الملك المرفوع فى القيامة محمد و الحاكم المتصرّف عن أمر الملك و المالك هو علی، لأنه وال هناك عن أمر الله و أمر محمد. فملك يوم الدين و حكم يوم الدين، و التصرف فى ذلك اليوم مسلم إلى خير الوصيين و أمير المؤمنين، رغما على كيد المنافقين و غيظ المكذّبين، فعند ذلك أقبل الناس إلى يزفون و بعرائس الجهل يزفون، و بى يتعرّضون و عن ودى يعرضون، و بمقتى يعرضون و لما قلت ينكرون، و بنعمة الله يكفرون، و لما صدقته آراؤهم يصدقون، و لما صعب عليهم علمه و معرفته يطرّحون، و به

(١) النساء: ٤١.

(٢) صحيح الترمذى ح ٢٤٣٥ كتاب صفة القيامة.

(٣) تقدّم الحديث.

ص: ٢٨٤

يكذّبون و بآيات الله يستهزءون و هم له من طريق آخر يصدقون و يعتقدون، و به يتعبّدون و لا يشعرون، كلا سوف يعلمون، ثم كلا سوف يعلمون.

فصل

و جاء أهل الشك و الريب و من ليس له حظّ من نفحات الغيب، يجادلون فى الله بغير الحق و جعلوا يجذبون ذيل الخلاف و الاختلاف بيد الانحراف و الاقتراف، و يرمقونى بأطراف الأطراف و يدعونى غالبا إذ أصبحت بما اصطبحت عاليا «١» ناظر تصحيّفهم العالى بالعالى، و من تصحيّف عليه نقط الخط و قاك الله من الخلط «٢» و هو كما قيل:

فلا غرو «٣» أن يرتاب و الصبح مسفر

إذا لم تكن للمرء عين سليمة

فقلت لهم: يا معشر الإخوان من أهل الولاء والإيمان، وزبدة الأخيار، لا تسبقوا إلى التكذيب والإنكار، وانظروا في سرائر الأخبار، فرب غريبة هي أقرب من قريبة، فاعتبروا هذه الكلمة بنظر المصنّف و عارضوها بالكتاب و السنّة فإن وافقت و إلّا اطرحوها، أ ليس شاهدها في الكتاب من قوله: **إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ** «٤» و قد روى المفضل ابن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام في شرح هذه الآية فإنّه قال: سألته من هم؟ فقال: يا مفضل من ترى هم؟ نحن و الله هم إلينا يرجعون، و علينا يعرضون و عندنا يقفون، و عن حبنا يسألون.

فصل [مناقب لأمر الخلق]

و من ذلك ما رواه البرقي في كتاب الآيات عن أبي عبد الله عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال لأمر المؤمنين عليه السلام: يا على أنت ديّان هذه الأمة و المتولى حسابها، و أنت ركن الله الأعظم يوم

(١) في الأصل المطبوع أصبحت غالبا.

(٢) في الأصل المطبوع: فداك الله عن الخط.

(٣) في الأصل المطبوع فلا ثمر و ان.

(٤) الغاشية: ٢٥ - ٢٦.

ص: ٢٨٥

القيامة، ألا و إن المآب إليك و الحساب عليك و الصراط صراطك، و الميزان ميزانك و الموقف موقفك «١».

يؤيد هذا ما رواه شريح بإسناده عن نافع عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه و آله أنه قال:

يا على أنت نذير أمّتي و أنت هاديها، و أنت صاحب حوضي و أنت ساقيه، و أنت يا على ذو قرنيها و كلا طرفيها، و لك الآخرة و الأولى فأنت يوم القيامة الساقى، و الحسن الذائد و الحسين الآمر و على بن الحسين الفارض و محمد بن على الناصر، و جعفر بن محمد السائق، و موسى بن جعفر المحصى للمحب و المنافق، و على بن موسى مرتب المؤمنين، و محمد بن على منزل أهل الجنة منازلهم، و على بن محمد خطيب أهل الجنة، و الحسن بن على جامعهم حيث يأذن الله لمن يشاء و يرضى «٢».

يؤيد هذا ما رواه أبو حمزة الثمالي في كتاب الأمالي عن جعفر بن محمد قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: إذا كان يوم القيامة يؤتى بك على عجلة من نور على رأسك تاج من النور له أربعة أركان على ركن ثلاثة أسطر لا إله إلّا الله محمد رسول الله على ولي الله، ثم يوضع لك كرسى الكرامة و تعطى مفاتيح الجنة و النار، ثم يجمع لك الأولون و الآخرون في صعيد واحد، فيأمر بشيعتك إلى الجنة و بأعدائك إلى النار، فأنت قسيم الجنة و النار، و أنت في ذلك اليوم أمين الله «٣».

و من ذاك أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: يا علي إذا كان يوم القيامة جئ بك علي نجيب من نور، و علي رأسك تاج يكاد نوره يخطف الأبصار، فيقال لك: أدخل من أحبك الجنة، و من أبغضك النار «٤».

(١) بحار الأنوار عن البرقي في كتاب الآيات: ٢٤ / ٢٧٢ ح ٥٤.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي: ١ / ٩٤ الفصل السادس، و مائة منقبة: ٤٨ المنقبة الخامسة و البحار: ٣٦ / ٢٧٠.

(٣) بحار الأنوار: ٧ / ٣٣٩ ح ٣٠.

(٤) بحار الأنوار: ٧ / ٢٣٢ ح ٣، و لسان الميزان: ٢ / ٤٨٥ بتفاوت.

ص: ٢٨٤

فصل [إذا شئنا شاء الله]

و من ذلك: ما رواه جابر بن عبد الله عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: يا جابر عليك بالبيان و المعاني، قال: فقلت: و ما البيان و المعاني؟

فقال عليه السلام: أمّا البيان فهو أن تعرف أن الله سبحانه ليس كمثله شيء فتعبده و لا تشرك به شيئاً، و أمّا المعاني فنحن معانيه و نحن جنبه و أمره و حكمه، و كلمته و علمه و حقه، و إذا شئنا شاء الله «١»، و يريد الله ما نريده، و نحن المثاني التي أعطى الله نبينا، و نحن وجه الله الذي

(١) ورد في النصوص الشريفة «لا يشاؤون إلّا ما يشاء الله» «نحن إذا شئنا شاء الله و إذا كرهنا كره الله». «فإذا شاء شئنا» (بحار الأنوار: ٢٤ / ٣٠٥، و: ٢٦ / ٧ باب نادر في معرفتهم، و الهداية الكبرى: ٣٥٩).

و قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله تعالى: «يا ابن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، و بإرادتي كنت أنت الذي تريد لنفسك ما تريد» (بحار الأنوار: ٥ / ٤٩ - ٤٥ - ٧٥ ح ٩٧ - ٩٩ - ١٠٤ من كتاب العدل و المعاد).

و قال الإمام الخميني (قدس سره) في الآية: قوة العبد ظهور قوة الحق و ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى فجميع الذوات و الصفات و المشيئات و الإرادات و الآثار و الحركات من شئون ذاته، و ظل صفة مشيئته و إرادته، و بروز نوره و تجليه و كل جنوده، و درجات قدرته، و الحق حق و الخلق خلق، و هو تعالى ظاهر فيها و هي مرتبة ظهوره:

و لست تظهر لولاي لم اكن لولاك

ظهور تو بمن است و وجود من از تو

(شرح دعاء السحر: ١١٤).

و قال قدس سره: إن سلسلة الوجود و منازل الغيب و مراحل الشهود من تجليات قدرته تعالى و درجات بسط سلطنته و مالكيته، و لا ظهور لمقدرة إلّا مقدرته، و لا إرادة إلّا إرادته، بل لا وجود إلّا وجوده، فالعالم كما أنه ظلّ وجوده و مرشحة جوده، ظلّ كمال وجوده (شرح دعاء السحر: ١٢٣ - ١٢٢).

و فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه و آله قال:

ص: ٢٨٧

ينقلب فى الأرض بين أظهركم، فمن عرفنا فأمامه اليقين، و من جهلنا فأمامه سجين، و لو شئنا خرقنا الأرض و صعدنا السماء، و إن إلينا إياب هذا الخلق، ثم إن علينا حسابهم «١».

«عن الله أروى حديثي أن الله يقول: يا ابن آدم بمشيئتي كنت أنت الذى تشاء لنفسك ما تشاء، و بإرادتي كنت أنت الذى تريد لنفسك ما تريد» (التوحيد للصدوق: ٣٤٤ باب ٥٥ ح ١٣ باب المشيئة و الإرادة).

- و عن أمير المؤمنين عليه السلام فى خبر طويل جاء فيه: «يا سلمان و يا جندب: أنا أحيى و أميت بإذن ربى، و أنا عالم بضمائر قلوبكم و الأئمة من أولادى يعلمون و يفعلون هذا إذا أحبوا و أرادوا، لأننا كلنا واحد أولنا محمد آخرنا محمد و أوسطنا محمد و كلنا محمد، فلا تفرقوا بيننا، و نحن إذا شئنا شاء الله، و إذا كرهنا كره الله، الويل كل الويل لمن انكر فضلنا و خصوصيتنا و ما أعطانا الله ربنا لأن من أنكر شيئاً مما أعطانا الله فقد أنكر قدرة الله عز و جل و مشيئته فينا» (بحار الأنوار: ٢٦ / ٦ - ٧ باب نادر فى معرفتهم بالنورانية من كتاب الإمامة ح ١).

و قد فصلنا ذلك فى كتاب الولاية التكوينية.

(١) بحار الأنوار: ٧ / ٢٠٢ ح ٨٨ و: ٢٤ / ١١٤ ح ١ و ٣.

ص: ٢٨٨

فصل [على عليه السلام صاحب الجنان و قسيم الميزان]

و من ذلك ما رواه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: يا على أنت صاحب الجنان و قسيم الميزان، ألا و إن مالكا و رضوان يأتیان غدا عن أمر الرحمن فيقولان لى: يا محمد هذه هبة الله إليك فسلمها إلى على بن أبى طالب عليه السلام فأدفعها إليك.

مفاتيح لا تدفع إلّا إلى الحاكم المتصرف.

و إليه الإشارة بقوله: **أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ** «١». يؤيد هذا التفسير ما رواه ابن عباس من الحديث القدسى عن الربّ العلى أنّه يقول: لو لا على ما خلقت جنّتي «٢»، فله جنة النعيم، و هو المالك لها و القيم، لأن من خلق الشىء لأجله فهو له و ملكه.

يؤيد ذلك: ما رواه المفضل بن عمر قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: إذا كان على يدخل الجنة محبه و النار عدوه فأين مالك و رضوان إذا؟ فقال: يا مفضل أليس الخلاق كلّهم يوم القيامة بأمر محمد؟ قلت: بلى، قال: فعلى يوم القيامة قسيم الجنة و النار بأمر محمد، و مالك و رضوان أمرهما إليه، خذها يا مفضل فإنّها من مكنون العلم و مخزونه «٣».

و من ذلك ما ورد عن الصادق عليه السلام أنه قال: إذا كان يوم القيامة أمر شيعتنا فما كان عليهم لله فهو لنا، و ما كان لنا فهو لهم، و ما كان للناس فهو علينا «٤».

و فى رواية ابن جميل «ما كان عليهم لله فهو لنا، و ما كان للناس استوهبناه، و ما كان لنا

(١) النور: ٦١.

(٢) تقدّم الحديث.

(٣) بحار الأنوار: ٢٧ / ٣١٣ ح ٩.

(٤) بحار الأنوار: ٢٧ / ٣١٣ ح ١٠.

ص: ٢٨٩

فنحن أحق من عفا عن محبيه «١».

و فى رواية أن رجلا من المنافقين قال لأبى الحسن الثانى عليه السلام: إن من شيعتكم قوما يشربون الخمر على الطريق، فقال: الحمد لله الذى جعلهم على الطريق فلا يزوغون عنه، و اعترضه آخر فقال: إن من شيعتك من يشرب النبيذ، فقد قال: كان أصحاب رسول الله يشربون، فقال الرجل: ما أعنى ماء العسل؟ و إنّما أعنى الخمر قال: فعرق وجهه الشريف حياء ثم قال: الله أكرم أن يجمع فى قلب المؤمن بين رسيس الخمر و حبنا أهل البيت ثم صبر هنيهة و قال: فإن فعلها المنكوب منهم فإنه يجد ربّا رءوفا و نبيا عطوفا و إماما له على الحوض عروفا و سادة له بالشفاعاة وقوفا، و تجد أنت روحك فى برهوت ملهوفا «٢».

فَعَلِمَ أَنَّ حَسَابَ شِيعَتِهِمْ إِلَيْهِمْ وَ مَعُولُهُمْ فِي وَزْنِ الْأَعْمَالِ عَلَيْهِمْ، وَ إِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ:

وَ إِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ «٣» قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِبْرَاهِيمُ مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍّ «٤»، وَ إِنْ كَانَ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ شِيعَتِهِ وَ حَسَابُ شِيعَتِهِ عَلَيْهِ فَحَسَابُ الْأَنْبِيَاءِ إِلَيْهِ وَ تَعْوِيلُهُمْ بِالشَّهَادَةِ وَ التَّبْلِيغِ عَلَيْهِ، وَ مَفَاتِيحُ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ بِيَدِهِ وَ الْمَلَائِكَةُ يَوْمُئِذٍ مَمْتَلِئِينَ لِأَمْرِهِ وَ نَهْيِهِ، بِأَمْرِ خَالْقِهِ وَ مَرْسَلِهِ، وَ قَدْ رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُؤَلِّي مُحَمَّدًا حَسَابَ النَّبِيِّينَ، وَ يُؤَلِّي عَلِيًّا حَسَابَ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ.

فصل

وَ مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ سَنَانٍ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: إِنْ اللَّهُ أَبَاحَ لِمُحَمَّدٍ الشَّفَاعَةَ فِي أُمَّتِهِ وَ إِنْ الشَّفَاعَةُ فِي شِيعَتِنَا وَ إِنْ لَشِيعَتِنَا الشَّفَاعَةُ فِي أَهَالِيهِمْ «٥»، وَ إِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ قَالَ: وَ اللَّهُ لَتَشْفَعَنَ شِيعَتُنَا فِي أَهَالِيهِمْ حَتَّى يَقُولَ شِيعَةُ

(١) بحار الأنوار: ٢٧ / ٣١٤ ح ١١.

(٢) بحار الأنوار: ٢٧ / ٣١٤ ح ١٢.

(٣) الصافات: ٨٣.

(٤) البحار: ٣٦ / ١٥٢ ح ١٣١.

(٥) البحار: ٢٤ / ٢٧٢ ح ٥٥.

ص: ٢٩٠

أَعْدَانُنَا وَ لَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ «١».

فصل [حاجة الخلائق لآل محمد عليهم السلام]

فَمَا لِلْمُكَذِّبِينَ بِيَوْمِ الدِّينِ، لِفَضْلِ عَلَى يَنْكُرُونَ، وَ لِحُكْمِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَجْحَدُونَ، وَ عَمَّا نَالَتْهُ أَذْهَانُهُمْ يَصْدُقُونَ، وَ لَمَّا صَعِبَ عَلَيْهِمْ فَهْمُهُ يَرْفُضُونَ، فَوَيْلٌ لَهُمْ يَوْمَ يَبْعَثُونَ، وَ عَلَى صَاحِبِ الْحَوْضِ يَعْضُونَ، وَ كَيْفَ يَرْجُونَ؟ إِنَّهُمْ لِلْعَذَابِ يَنْهَلُونَ وَ هُمْ لِلْعَذَابِ يَتَعَرَّضُونَ، أَلَمْ يَسْمَعَهُمُ الذِّكْرُ الْمُبِينُ؟ الَّذِينَ يُكْذِبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ «٢» يَعْنِي يَنْكُرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ إِنْ صَدَّقُوا بِهِ، يَنْكُرُونَ أَنَّ عَلِيًّا وَ إِلَيْهِ وَ حَاكِمُهُ ثُمَّ قَالَ: وَ مَا يُكْذَبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ «٣»، أَيْ مَا يَكْذِبُ بِأَنَّهُ حَكَمَ يَوْمَ الدِّينِ مُسَلِّمٌ إِلَى عَلِيٍّ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ، مُعْتَدٍ بِقَوْلِهِ أَثِيمٌ فِي اعْتِقَادِهِ، فَيَا وَيْلَهُ مِنْ خَبَثِ الزَّادِ لِيَوْمِ الْمَعَادِ، أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْتَاجُونَ إِلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ مِنْ وَجْهِهِ؟

الأول أَنَّهُم لو لا هم لما خلقوا فلهم عليهم حق «٤».

الثاني أن علّة الوجود أب للوجود فلهم على الناس حق الأبوة، وإليه الإشارة بقوله: أنا و على أبوا هذه الأمة «٥»، فمحمد و على أبوا سائر الخلائق و لو لا وجود الأبوين لما كان ولد قط.

(١) الشعراء: ١٠٠ - ١٠١.

(٢) المطففين: ١١.

(٣) المطففين: ١٢.

(٤) كمال الدين: ١ / ٢٥٤، والبحار: ٢٦ / ٣٣٥.

(٥) تقدّم الحديث.

ص: ٢٩١

الثالث أَنَّهُم الوسيلة «١» إلى الله لكل مخلوق من الأزل و إلى الأبد لهم الولاء و بهم الدعاء و إن كل علم ظهر إلى الخلائق فمنهم و عنهم.

الرابع أن الأنبياء ينتظرونهم يوم القيامة إذا كذبهم الأمم حتى يشهدوا لهم بالتبليغ.

الخامس أن الخلائق يوم القيامة محتاجون إلى الحوض ليردوه و الحوض لهم «٢».

السادس أن الخلائق يوم الفرع الأكبر تزول عقولهم من هول المطلاع إلّا من أحبهم فأنه آمن من أهوال يوم القيامة، و إليه الإشارة بقوله: لا يحزنهم الفرع الأكبر «٣» و هذا خاص لشيعتهم.

السابع أن مفاتيح الجنة و النار يوم القيامة في أيديهم «٤».

الثامن أنهم غدا رجال الأعراف فلا يدخل الجنة إلّا من عرفهم و عرفوه، و إليه الإشارة بقوله: و على الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيمائهم «٥» و المراد هنا آل محمد عليهم السلام «٦».

التاسع أن لواء الحمد بأيديهم و الأنبياء يستظلون بظله «٧».

العاشر أنه لا يدخل الجنة إلّا من كان معه براءة بحبهم.

الحادى عشر أن الصراط عليه ملائكة غلاظ شداد عدتهم تسعة عشر، كما قال الله عز اسمه: **عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ** «٨» فلا يجوز أحد منهم إلّا من عرف الخمسة الأشباح و ذريّتهم «٩»، و أن حروف أسمائهم بعدد ملائكة الصراط.

الثانى عشر أن الجنّة محرّمة على الأنبياء «١٠» و الخلائق حتى يدخلها النبى و الأوصياء من

(١) الاحتجاج: ٨٨ / ١.

(٢) ينابيع المودة: ٢٥ / ١، و جواهر العقدين: ٣٤٣، و تاريخ المدينة: ٣٨ / ١.

(٣) الأنبياء: ١٠٣.

(٤) الكامل لابن عدى: ٧ / ١٤١ رقم ٢٠٥٣.

(٥) الأعراف: ٤٦.

(٦) ينابيع المودة: ١١٨ / ١.

(٧) فضائل الصحابة لأحمد: ٢ / ٦٦١، و مسند أبى يعلى: ٣ / ٤٨١ ح ٧٤٩٣.

(٨) المدثر: ٣٠.

(٩) مقتل الحسين للخوارزمى: ٣٩ / ١.

(١٠) نوادر الأصول للترمذى: ١ / ٣٤٠ أصل ٦٧.

ص: ٢٩٢

عترته و شيعتهم من خلافهم، و من خلاف شيعتهم الأنبياء، فهم سادة الأولين و الآخرين، فالكل لهم و إليهم و عنهم و بهم، فلذا لا يبقى يوم القيامة ملك مقرب و لا نبى مرسل إلّا و هو محتاج إليهم، و لم يشرك معهم أحد إلّا شيعتهم، فالداران ملكهم و الوجودان ملكهم، و العبد فى نعمة سيده يتقلّب و آل محمد هم النعمة الظاهرة و الباطنة، دليله قوله سبحانه: **وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً** «١» فمن سكن هذه المملكة و لم يشكر لآل محمد لم يشكر الله، و من لم يشكر الله كفر، فمن لم يشكر لآل محمد عليهم السّلام فقد كفر، و إليه الإشارة بقوله: **أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ** «٢» و إذا وجب شكر أبوى الولادة و الشهوة و الطبع و جب بطريق الأولى شكر أبوى الإيجاد و الهداية و العقل و الشرع، فويل للمنكرين لفضلهم، الجاحدين لنعمتهم، المكذّبين بعلوّ درجتهم إذا جاءوا إلى حوضهم غدا ليردوه، و كيف يردوه و قد أنكروا أمرهم و ردوه؟

و إلى هذه المقامة أشار ابن طاوس فقال: اشكر لمن لو لا هم لما خلقت، فهم (صلى الله عليهم) مشكاة الأنوار الإلهية، و حجاب أسرار الربوبية و لسان الله الناطق في البرية، و الكلمة التي ظهرت عنها المشية و صفات الذات المنزهة عن الأينية و الكيفية، فمن صلى عليهم فقد سبح الله و قدسه، لأن في ذكر الصفات تنزيه الذات، و هم جمال الصفات المنزهة التي تجلى فيها جلال الذات المقدسة، و إليه الإشارة بقوله: بالكلمة تجلى الصانع للعقول، و بها احتجب عن العيون:

أعز على العشاق من أن تسلما

سلام على جيران ليلي فإنها

نعم وجهها الواضح يشرق حيثما

فإن ضياء الشمس نور جبينها

فصل

و تصحيح هذه الدلائل قد صرح بذكره القرآن فمنه قوله سبحانه: **وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا**

(١) لقمان: ٢٠.

(٢) لقمان: ١٤.

ص: ٢٩٣

آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴿١﴾ فقد دلّ الرب القديم الرحمن الرحيم سبحانه أن كل فضل فاض إلى الوجود و الموجد فهو من نعمة الله، و فضل آل محمد لأنهم هم السبب في وجودها و وصولها، فما بال أهل الزمان يخالفون العقل و النقل و ينكرون سرائر القرآن الناطقة بفضل آل محمد؟ و يؤولونها بحسب آرائهم، و يسمون من أظهر شيئا من هذا مغاليا و يرفضونه و يهجرونه و لا يعرفونه، ثم يدعون بعد هذا معرفة على و محبته و يزعمون أنهم من شيعته، **كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ** لأنهم اليوم في ريتهم يترددون فأنى يبصرون.

فما آمن بعلى من أنكر حرفا من فضله و إن بعد عن عقله العديم و خفى على ذهنه السقيم، فليرده إلى قولهم: أمرنا صعب مستصعب ﴿٢﴾، و ليتل هناك ما يعلم تأويله إلا الله، و ليسلك نفسه في سلك قوله: **وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا**، و لا يندرج في لفيف قوم قاموا في آيات الله يلحدون، و لها يجحدون و عنها يصدون و منها يصدفون، و هم يحسبون أنهم يحسنون فتراهم لم يقبلوا على الحق برهانا، و لم يصغوا لسماع قول: **وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴿٣﴾** و لا طلع لهم في سماء التصديق نجم، و لا نجم لهم طلع، و لا أسفر لهم في دجنة التوفيق بدر، و لا بدر لهم أسفر، و كان هذا الكتاب محكا حك شكهم حكا، و أظهر مسهم حين مسهم فجاءوا بالباطل يكذبوني، و يلفون بالحسد في ديني إذ أخلجوا في السبق دوني.

فصل

و لما كان أهل الدنيا شأنهم بعض من وصلت إليهم من الله نعمة فتراهم يدلون به إلى الحكّام، و يجعلونه غرضا لسهام الانتقام، و يتوقعون سلب دولته و ذهاب نعمته، و هذا شأن الحسود و متى يسود، و كذا أهل الدعوى الذين سمّوا أنفسهم مؤمنين و هم عن التذكرة

(١) التوبة: ٥٩.

(٢) الأصول الأصيلية: ١٦٩.

(٣) الأنفال: ٢.

ص: ٢٩٤

معرضون، و للناطق بها مبغضون و مكذّبون، فإذا استنشقوا روايح العرفان، من عبد أنعم الله عليه توجّهوا إلى تكذيبه و إنكاره و إبعاده، و حذّروا الناس من اعتقاده و صدّوهم عن حبه و وداده، و رشقوه بسهام الحسد، و سبب ذلك الجهل و حب الرئاسة، فاعلم الآن أنه قد ثبت بما بيناه من الدلالات، و أوضحناه من البيانات، أن عليّا مالك يوم الدين و حاكم يوم الدين، و ولي يوم الدين، منّا من رب العالمين، و فضلا من الصادق الأمين، فهو ولي الحسنات بنص الكتاب **هذا عطاؤنا فأمّنْ أو أمسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** «١».

فصل

هذا صحيح النقل، و أما صريح العقل فإنّ الله سبحانه جلّ أن تراه العيون، و هذا اعتقاد أهل الإيمان و التحقيق و الإيقان و التصديق، لأن السلطان كلّما عزّ منه الجناب عظم دونه الحجاب، فكيف جوزت على ربّ الأرباب، أنّك تراه يوم الحساب، قد جلس لخلقه. بغير حجاب، تعالى الله عن ذلك و ليس ربنا المعبود كذلك و إنما حسابك في بعثك و مالك، إلى من جعله الله الولي و الحاكم و المالك، و من اعتقد غير ذلك فهو [في] بعثه هالك.

فصل [آل محمد عليهم السّلام حكّام العباد]

فالمالك في المعاد و الحاكم يوم التناد، و الولي على أمر العباد هم آل محمد صلّى الله عليهم الذين جعلهم الله في الدنيا قوام خلقه، و خزّان سرّه و في الآخرة ميزان عدله و ولاية أمره، و ذلك لأن الصفات مآلها الذات و مرجع الأفعال إلى الصفات، و آل محمد صفوة الله و صفاته فالأفعال بسرّهم ظهرت، و عنهم بعثت و إليهم رجعت، «بدوها منك و عودها إليك» فهم المنيع و إليهم المرجع، فمرجع الخلق إليهم و حسابهم عليهم.

(١) ص: ٣٩.

ص: ٢٩٥

فصل [أقسام الأولياء]

و ذلك لأن الولاية قسمان: الأنبياء و الأولياء، و الأنبياء ليس عليهم حساب بنص الكتاب، دليله قوله فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً «١» فالأنبياء شهود على الأمم فتعين أن الموقف للأولياء، و إليه الإشارة بقوله: يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ «٢»، و الدفاتر بأسرها مرفوعة إلى صاحب الجمع الأكبر الذى له الولاية من البداية إلى النهاية، و ذاك أمير المؤمنين بنص الكتاب المبين فهو ولى يوم الدين، و حاكم يوم الدين و مالك يوم الدين، و بأمر الله فيه يدين، و يوم الدين يوم الجزاء و مقاماته اللواء، و على حامله، و الحوض و على ساقيه، و الميزان و على و إليه، و الصراط و هو رجال الأعراف عليه، و الجنة و النار و مفاتيحها بيده و أمرها إليه، فاعلم أن يوم القيامة منوط بآل محمد صلى الله عليه و آله فاللواء لهم و الحوض لهم و الوسيلة لهم، و الميزان لهم و الصراط لهم، و الشفاعة لهم، فهم الزادة و القادة و السادة و الولاة و الحماة و الهداة و الدعاة، و المنزلة لهم، و الولاية لهم، و أهل الجنة و النار لهم، و إليهم و عليهم، و وقوف الخلق فى مقام وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ «٣» لهم، و شهادة الأنبياء على أممهم بالتبليغ لهم و حشر الخلائق إليهم و حسابهم عليهم، و خطاب الله يوم القيامة لهم و الدرجة العليا لهم، و مالك و رضوان ممتثلان لأمرهم مأموران بطاعتهم، لأنهم حجج الله على أهل السماوات و الأرضين، و إليهم أمر الخلائق أجمعين، منّا من رب العالمين، و ويل للمنكرين، عند طلوع شمس اليقين.

(١) النساء: ٤١.

(٢) الاسراء: ٧١.

(٣) الصافات: ٢٤.

ص: ٢٩٦

فصل [معنى الحساب]

و الحساب يوم القيامة عبارة عن النظر فى الصحائف، و إليه الإشارة بقوله: وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ «١» و هى آخر آية نزلت.

و الصحائف فى الدنيا تعرض على النبى و الولى، و فى الآخرة يختص بحكمها الولى موهبة من الرب العلى، فمن كبر عليه هذا العطاء، و استكبر هذه النعماء، فليمدد بسبب إلى السماء.

فصل

و الحساب هو تعيين أهل الجنة إلى الجنة و أهل النار إلى النار، و ذلك فى صحيفة آل محمد قد عرفوه فى عالم الأجساد و الأشباح، و الأصلاب و الأنساب، و إليهم عوده و مآبه يوم الحساب بنص الكتاب، دليله قوله: **أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ** «٢» هكذا بلفظ التثنية، و هو أمر لمن له الحكم فى ذلك اليوم، و قد أجمع المفسرون و فيهم أبو حنيفة فى مسنده رواية عن الأعمش عن أبى سعيد الخدرى أنه إذا كان يوم القيامة قال الله: يا محمد يا على قفا بين الجنة و النار، و ألقيا فى جهنم كل كفار كذب بالنبوة «٣»، و عنيد عاند فى الإمامة، فتعين أن عليا حاكم يوم الدين بأمر رب العالمين.

يؤيد هذا قوله سبحانه: **وَذَكَّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ** «٤» و هى يوم الرجعة و يوم القيامة، و يوم

(١) البقرة: ٢٨١.

(٢) ق: ٢٤.

(٣) بحار الأنوار: ٣٦ / ٧٤ ح ٢٧ و: ٢٤ / ٧٣ ح ٥٨.

(٤) إبراهيم: ٥.

ص: ٢٩٧

القائم، فيوم الرجعة حكمه لهم، و يوم القائم حكمه لهم، فهذه الثلاثة أيام لآل محمد صلى الله عليه و آله.

فصل

و هذا هو الإيمان بالغيب، و إليه الإشارة بقوله: **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ** «١» و معناه يصدقون بأيام آل محمد فمدح من آمن بها، فمن آمن بها آمن بالله، و من لم يؤمن بها لم يؤمن بالله.

(١) البقرة: ٣.

ص: ٢٩٨

فصل [مناقب الكرار بلسان المختار عليهما السلام]

بيان وصل: على ناصر محمد و معاونه، و أبوه كافل النبي و مربيه، و هو حامل رايته فى كل موطن و مساويه، و باذل نفسه دونه و مساويه و مفديه، و روحه على جسده «أنت روحى التى بين جنبى» و مستودع علمه «ما أفرغ جبرائيل فى صدرى حرفا إلّا و قد أمرت أن أفرغه فى صدر على» و ساعده المساعد و سيفه الضارب، و أسده الغالب، أدعوا لى فارس الحجاز «أين الكاشف عن وجهى الكربات» «١».

فهو إن شككت صنوه و أخوه «أنت منى بمنزلة هارون من موسى» «٢» و صاحب ميراثه و نسبه «أنت أنا و أنا أنت» «٣»، و شقيق نفسه و صاحب دعوته «أنت منى و أنا منك لحكم لحمى و دمك دمي و مقامك مقامى» «٤» «أنت الخليفة بعدى و إمام أمتى من والاك فقد و الانى، و من عاداك فقد عادانى» «٥»، [أنت] كذلك منى فى كل مقام إلّا النبوة و إنى لا أستغنى عنك فى الدنيا و لا فى الآخرة، و إنك فى يوم القيامة تحيى إذا حييت، و تكسى إذا كسيت، و ترضى إذا رضيت، و إن حساب الخلق عليك و عودهم إليك، و لك الكوثر و السلسيل غدا و أنت الصراط السوى لمن اهتدى، و لك الشفاعة و الشهادة، و لك الأعراف و أنت المعرف، و لك الجواز على الصراط و دخول الجنة و نزول المساكن و القصور، و أنت تدخل أهل الجنة إليها و أنت تجيز أهل النار إليها و أنت تلقى حطبها عليها و لواء الحمد فى يديك، و هو سبعون شقة كل شقة وسع ما بين الشمس إلى القمر، و آدم و من دونه تحت لوائك و الأنبياء من شيعتك يوم القيامة، و لا يدخل الجنة إلّا من عرفته و عرفك، و لا يدخل النار إلّا من أنكرته و أنكرك «٦».

(١) بحار الأنوار: ٣٥ / ٣٩ ح ٣٨ ضمن حديث طويل.

(٢) مسند أحمد: ١ / ١٧٠ ط. م و: ٢٧٧ ح ١٤٦٦ ط. ب، و الطرائف: ١ / ٧٠ ح ٤٥ و ما بعده.

(٣) مزار الشهيد الأول: ٢٣٦.

(٤) بحار الأنوار: ٣٨ / ٢٤٨ ح ٤٢ ضمن حديث طويل.

(٥) بحار الأنوار: ٢٣ / ١٢٥ ح ٥٣ و: ٢٦ / ٣٤٩ ح ٢٣.

(٦) بحار الأنوار: ٣٨ / ١٣٩ ح ١٠١ و: ٣٩ / ٢١٤ ح ٥ ضمن حديث طويل.

ص: ٢٩٩

فصل [مفتاح الجنة بيد على عليه السلام]

و إذا استوى أهل الجنة فى الجنة و أهل النار فى النار، قيل لك: يا على أغلق عليها أبوابها، و ناد بين الجنة و النار: يا أهل الجنة خلود خلود، و يا أهل النار خلود خلود، فويل للمكذّبين بفضلك المنكرين لأمرك.

فصل [من عرف نفسه عرف ربّه]

يقول الربّ الجليل في الإنجيل: اعرف نفسك أيّها الإنسان تعرف ربّك، ظاهرک للفناء و باطنک أنا.

و قال صاحب الشريعة: أعرفكم برّبّه أعرفكم بنفسه «١».

و قال إمام الهداية: من عرف نفسه فقد عرف ربّه «٢».

فصل

و معرفة النفس هو أن يعرف الإنسان مبدأه و منتهاه، من أين و إلى أين، و ذلك موقف على معرفة حقيقة الوجود المقيّد، و هو معرفة الفيض الأوّل الذى فاض عن حضرة ذى الجلال، ثم فاض عنه الوجود و الموجود بأمر واجب الوجود، و مفيض الجود و الجواد الفياض، و ذاك هو النقطة الواحدة التى هى مبدأ الكائنات و نهاية الموجودات، و روح الأرواح و نور الأشباح، فهى كما قيل:

(١) روضة الواعظين: ٢٠.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٢٤.

ص: ٣٠٠

فلم تزل فى ذاتها حائرة

منها لها جارحة ناظرة

فوضّت الدنيا مع الآخرة

قد طاشت النقطة فى الدائرة

محجوبة الإدراك عنها بها

سمت على الأسماء حتى لقد

و هى أوّل العدد و سرّ الواحد الأحد، و ذلك لأن ذات الله غير معلومة للبشر فمعرفة بصفاته و النقطة الواحدة هى صفة الله، و الصفة تدل على الموصوف، لأن بظهورها عرف الله، و هى لألاء النور الذى شعشع عن جلال الأحديّة فى سيماء الحضرة المحمدية، و إليه الإشارة بقوله: «يعرفك بها من عرفك» «١» يعضد هذا القول أيضا قولهم: لو لانا ما عرف الله، و لو لا الله ما عرفنا «٢».

فهم النور الذى أشرقت منه الأنوار، و الواحد الذى ظهرت عنه الأجساد، و السرّ الذى نشأت عنه الأسرار، و العقل الذى قامت به العقول، و النفس التى صدرت عنها النفوس، و اللوح الحاوى لأسرار الغيوب و الكرسى الذى وسع السماوات و الأرض، و العرش العظيم المحيط بكل شىء، عظمة و علما، و العين التى ظهرت عنها كل عين، و الحقيقة التى يشهدها بالبده كل موجود كما شهدت هى بالأحدية لواجب الوجود.

فغاية عرفان العارفين الوصول إلى محمد و على بحقيقة معرفتهم، أو بمعرفة حقيقتهم، لكن ذلك الباب مستور بحجاب **وَمَا أُوتِيتُمْ** **مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** «٣»، و إليه الإشارة بقولهم:

«إن الذى خرج إلى الملائكة المقرّبين من معرفة آل محمد قليل من كثير»، فكيف إلى عالم البشرية، و عن هذا المقام عنوا بقولهم «أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله نبي مرسل و لا ملك مقرب»، فمن اتصل بشعاع نورهم فقد عرف نفسه لأنه إذ قد عرف عين الوجود و حقيقة الموجود، و فردانية الرب المعبود، فمعرفة النفس هى معرفة حقيقة الوجود المقيد، و هى النقطة الواحدة التى ظاهرها و باطنها النبوة و الولاية، فمن عرف النبوة و الولاية بحقيقة معرفتها فقد عرف ربه، فمن عرف محمدا و عليا فقد عرف ربه، و إن كان الضمير فى قوله

(١) البحار: ٩٥ / ٣٩٣.

(٢) نور البراهين للجزائرى: ٢ / ١٢١.

(٣) الاسراء: ٨٥.

ص: ٣٠١

عرف نفسه عائدا إلى العارف فإنه إذا عرف نفس الكلّ و الروح المنفوخ منها فى آدم فقد عرف نفسه و نفس الكل و حقيقة الوجود هم.

فصل

و إن كان الضمير فى قوله «نفسه» راجعا إلى الله فى قوله **وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ**، فهم روح الله و كلمته و نفس الوجود و حقيقته فعلى الوجهين من عرفهم فقد عرف ربه، و كذا عند الموت إذا رأى عين اليقين فإنه لا يرى إلّا محمدا و عليا لأن الإله الحق جل أن تراه العيون، و الميت عند موته إنّما يشهد حقيقة الحال و المقام فلا يرى عند الموت إلّا هم لأنه يرى عين اليقين. و قال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا عين اليقين أنا الموت المميت.

دليله ما ورد فى كتاب بصائر الدرجات عن أبى عبد الله عليه السلام قال: ما من ميت يموت فى شرق الأرض و غربها محب لنا أو مبغض إلّا و يحضره أمير المؤمنين عليه السلام و رسول الله صلى الله عليه و آله فيبشّره أو يلعنه «١».

و كذا إذا نفخ فى الصور و بعث ما فى القبور، و عادت النفس إلى جسدها المحشور، فإنّها لا ترى إلّا محمدا و عليا لأن الحى القيوم عزّ اسمه لا يرى بعين البصر، و لكن يرى بعين البصيرة. و إليه الإشارة بقوله: «لا تراه العيون بمشاهدة العيان، و لكن تراه العقول بحقائق الإيمان» «٢»، و معناه تشهد بوجوده لأنه ظاهر لا يرى و باطن لا يخفى.

(١) يراجع الكافي: ٣ / ١٢٨ ح ١ إلى ١٣ و البحار: ٦ / ١٧٣ ح ١ إلى ٥٦.

(٢) بحار الأنوار: ٣٦ / ٤٠٦ ح ١٦.

ص: ٣٠٢

فصل [معنى الرب فى القرآن]

و بيان المدعى ما شهد به القرآن من قوله سبحانه: **وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** «١» فقال: إلى ربها، و لم يقل: إلهها، و ذلك لأن الألوهية مقام خاص لا شركة فيه، و الربوبية مقام عام يقع فيه الاشتراك لعمومه، ثم قال: **وَجَاءَ رَبُّكَ** «٢» و لم يقل: وجاء إلهك، ثم قال: **الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ** «٣» ثم قال: **ارْجِعِ إِلَىٰ رَبِّكَ** «٤» فخص النظر و الرؤية و التجلّى و الملاقاة بالرب دون الإله لأن الرؤية و التجلّى إنما تكون من ذى الهيئة، و المجيء إنما يصدق على الأجسام و الانتقال من حال إلى حال على الله محال، فالمراد من النظر و الرؤية، و التجلّى هنا الرب اللغوى، و معناه المالك و السيّد و المولى، و محمد و على سادة العباد و مواليهم و ملاك الدنيا و الآخرة و ما فيها و من فيها، و الله ربهم بمعنى معبودهم و هذا خاص و هو رب السماوات و الأرض و ما فيهن و من فيهن و ربّ محمد و على و مولاهم الذى خلقهم و اجتباهم و اختارهم و ولاهم، فهو الرب و المولى و الإله و السيد و المعبود و الحميد و المحمود، و هم الموالى و السادات العابدين لا المعبودين لكنّه سبحانه استبعد أهل السماوات و الأرض، من أطاعهم فهو عبد حر قد عتق مرتين، و من عصاهم فقد أبق - ولد زنا قد أبق الكرتين، و شاهد هذا الحق قوله الحق: **إِنَّهُمْ مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ** صريح فى ملاقة آل محمد صلى الله عليه و آله غدا و الرجوع إليهم.

(١) القيامة: ٢٢.

(٢) الفجر: ٢٢.

(٣) البقرة: ٤٦.

(٤) الفجر: ٢٨.

ص: ٣٠٣

فصل

و القرآن نطق بتسمية المولى رباً فى حكايته عن يوسف عليه السلام فى قوله: **إِنَّهُ رَبِّى أَحْسَنَ مَثْوَاىَ** «١» و قوله: **اذْكُرْنِى عِنْدَ رَبِّكَ** «٢»، و قوله: **ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ** «٣»، فلو لم يكن ذاك جائزاً لامتنع على المعصوم ذكره، و كل هذا مقام لغوى، فالسيد و

مالك يوم البعث محمد و على منا من الله الرب المعبود الخالق و تولية و رفعة و كرامة لأن الله سبحانه اصطفاهم و ولاهم، فهم موالى أهل الدنيا و الآخرة ذلك الفضل من الله، و إليه الإشارة بقوله: **وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ** «٤». و المراد بالرب هنا الولي، و الموالى هم، فهم المبدأ و إليهم المنتهى.

و إن كان المراد هنا حذف المضاف فمعناه إلى عدل ربك المنتهى، و إلى حكم ربك و إلى عفو ربك و إلى رحمة ربك، فهم عدل الله و رحمته، و لطفه و أمره و حكمه، فالمرجع إليهم و الحساب عليهم.

(١) يوسف: ٢٣.

(٢) يوسف: ٤٣.

(٣) يوسف: ٥٠.

(٤) النجم: ٢٣.

ص: ٣٠٤

فصل [مناقب آل محمد عليهم السلام]

فمحمد و على بالنسبة إلى حضرة الخلق موالى و مالكين و بالنسبة إلى حضرة الحق عبيدا مختارين و حججا مقربين، و إليه الإشارة بقوله: **إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَىٰ الرَّحْمَنِ عَبْدًا** «١» فالخلائق إذا حضروا الموقف و وقفوا فى مقام العبودية فهناك يرى محمدا و آل محمد ينظرون إلى ما من الله به عليهم من الرفعة و الكرامة و الولاية العامة، و الخلق ينظرون رفعتهم و قرب منزلتهم و عظيم كرامتهم، فيقولون فى الشفاعة عليهم و يلجئون فى وزن الأعمال إليهم، و إليه الإشارة بقوله: **يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** «٢».

و النظر يومئذ إما إلى الرب صريحا أو إلى رحمته و نعمته و لطفه و فضله، و هو حذف المضاف. فإن كان النظر إلى الرب فالوجوه هناك ناظرة إلى عظمة نبيها و وليها و هو مولاها فى دنياها و اخراها، فهى ترقب الشفاعة من النبى و التنزيه من الولي بفضل الإله العلى، و إن كان معناه أنها ناظرة إلى رحمة ربها و فضل ربها، فالنعمة و الرحمة و الفضل أيضا محمد و على، و إليه الإشارة بقوله: **وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً** «٣» و الظاهرة يومئذ محمد صلى الله عليه و آله لأنه زين القيامة و صاحب الوسيلة و ذو الكرامة، فالوجوه يومئذ ناظرة إلى جماله و كماله و علو مقامه، و النعمة الباطنة على، و الوجوه يومئذ ناظرة إلى حقيقة معناه فيرون حكمه النافذ فى العباد بأمر الملك الذى يختار من عبادته من يشاء، شئت أنت أم لم تشأ.

يؤيد ذلك: ما رواه سليم بن قيس الجواد: أن فلانا قال يوما: ما مثل محمد فى أهل بيته إلا نخلة نبتت فى كناسة. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه و آله فغضب و خرج فأتى المنبر فجاءت الأنصار

(١) مريم: ٩٣.

(٢) القيامة: ٢٢.

(٣) لقمان: ٢٠.

ص: ٣٠٥

شاقة في السلاح، فقال: ما بال قوم يعيرونني بأهل بيتي و قرابتى إذا قلت فيهم ما جمع الله فيهم من الفضل ألا و إن عليا منى بمنزلة هارون من موسى ألا و إن الله خلق خلقه و فرقه فرقتين. و جعلنى فى خيرها فرقة، ثم جعلها شعوبا و قبائل فجعلنى فى خيرها شعبا و قبيلة، ثم جعلهم بيوتا فجعلنى فى خيرها بيتا، أنا و أخى على بن أبى طالب، ألا و إن الله نظر إلى الأرض نظرة و اختارنى منها، ثم نظر إليها نظرة أخرى فاختار أخى عليا و جعله وزيرى و خليفتى و أمينى، و ولى كل مؤمن و مؤمنة بعدى، من والاه فقد و الانى، و من عاداه فقد عادانى، لا يحبه إلّا مؤمن و لا يبغضه إلّا كافر، و لا يرتاب فيه إلّا مشرك، و هو ربّ الأرض و سكنها، و كلمة التقوى، فما بال قوم يريدون أن يطفئوا نور أخى و الله متمّ نوره؟

ألا و إن الله اختار لى أخا و أحد عشر سبطا من أهل بيتى هم خيار أمتى، مثلهم مثل النجوم فى السماء، كلّما غرب نجم طلع نجم، هم قوام الله على عباده، و حجته فى أرضه و بلاده، و شهوده على خلقه، هم مع القرآن و القرآن معهم، لا يفارقونه حتى يردا على الحوض، أبوهم على و أمهم فاطمة، ثم الحسن و الحسين و تسعة من ولد الحسين، جدّهم لخير النبيين و أبوهم خير الوصيين و أمهم خير أسباط المرسلين و بيتهم خير بيوت الطاهرين، ما لقى الله عبدا محبا لهم موحدا لربه لا يشرك به شيئا إلّا دخل الجنة، و لو كان عليه من الذنوب عدد الحصى و الرمل و زيد البحر، أيها الناس عظموا أهل بيتى و حبّوهم، و التزموا بهم بعدى فهم الصراط المستقيم «١».

فصل

عدنا إلى البحث الأوّل. و أمّا قوله **فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا «٢»** و التجلّى إنّما يكون من ذى الهيئة و الجسم، و الرب المعبود ليس بجسم، فالمراد تجلّى نور ربه و النور الأوّل نور محمد و على المتجلّى من كل الجهات، و الله الأحد الحق المتجلّى عن كل الجهات، فبنور صفاته فى الأشياء تجلّى و بجلال ذاته عن الجهات تجلّى، و إليه الإشارة بقوله: أنا مكلّم موسى من الشجرة: أن يا موسى أنا ذلك النور.

(١) بحار الأنوار: ٣٦ / ٢٩٤ ح ١٢٤ و الحديث طويل اختصره المصنّف.

(٢) الأعراف: ١٤٣.

فصل [معنى الحركة و السكون لله تعالى]

و أما قوله: **وَجَاءَ رَبُّكَ** فالمجىء و الحركة و السكون إنما تقال على الأجسام، و خالق الأجسام ليس بجسم، و كيف يجرى عليه ما هو أجراه، لا إله إلا الله، و المراد جاء أمر ربك و الأمر يومئذ محمد و على فهم الأمر و إليهم الأمر، و السيد و المولى فى اللغة بمعنى واحد، و أنت تدعو بذاك مرارا و لا تعقل و تقول: يا سيدى و مولاي يا الله يا محمد يا سيدى و مولاي، يا على يا سيدى و مولاي، و قد ورد عن الحسن العسكرى عليه السلام فى عهده و دعائه أنه يقول: «يا من أتحفنى بالإقرار بالوحدانية، و حبانى بمعرفة الربوبية، و خلصنى من الشك و العمى، جئت بك إليك».

فالواحد المعدود، و الرب لا معدود، صفة الإله الأحد الذى لا يحدّ و لا يعدّ، فمن عرف من الحكمة هذا القدر فقد عرف مبدأه و معاده، لأن المبدأ ظهور من الحق إلى الخلق، و المعاد عود من الخلق إلى الحق، و من عرف المبدأ و المعاد و حقيقة الوعد و الإيعاد، فقد تيقن النجاة و عرف عين الحياة، و أمن الممات، لأن المؤمن حى فى الدارين.

يتمم هذا الإسرار قوله: **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا** ^(١)، و الوحي و الرسول يوم القيامة مرتفع، فلم يبق إلا التكلم من وراء الحجاب، و أقرب الناس مقاما من حضرة الربوبية الاسمان الأعليان الحبيب و الولي الكلمة العليا التى تكلم بها فى الأزل فصارت نورا، و الكلمة الكبرى التى تكلم بها فكانت روحا، و أسكنها ذلك النور نور محمد و على فهما حجاب رب الأرباب، فالإذن إذن لهم و الحكم لهم، و الأمر إليهم، و إليه الإشارة بقوله: **وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ** ^(٢)، يعنى لولى الله لأنهما عالمان بأعمال العباد من

(١) الشورى: ٥١.

(٢) الانفطار: ١٩.

غير سؤال و ليس فى الخلائق من له هذه المقامات إلا هم، لكن الناس فيهم، كما قال الله سبحانه: **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ** ^(١) أى إيمانه غير متمكن فى القلب لأن الحرف هو الطرف. و ذاك بغير برهان و لا يقين، فإن أصابه خير يعنى إن سمع ما يلائم عقله الضعيف اطمأن به و ركن إليه، و إن أصابته فتنة - و هو سماع ما لم يحط به خيرا - فهناك لا يوسعك عذرا بل يبيح منك محرما و يتهمك كفرا، و إليه الإشارة بقوله عليه السلام: لو علم أبو ذر ما فى قلب سلمان لقتله. و قيل لكفره ^(٢)؛ لأن صدر أبى ذر ليس بوعاء لما فى صدر سلمان من أسرار الإيمان و حقائق ولى الرحمن، و لذاك قال النبى صلى الله عليه و آله: أعرفكم بالله سلمان.

و ذلك لأن مراتب الإيمان عشرة، فصاحب الإيمان لا يطلع على الثانية و كذا كل مقام منها لا ينال ما فوقه، و لا يزدري من تحته، لأن من فوق درجته أعلى منه، و غاية الغايات منها معرفة على بالإجماع و إنما قال: «لقتله» لأن أبا ذر كان ناقلًا للأثر الظاهر، و سلمان عارفًا بالباطن، و وعاء الظاهر لا يطيق حمل الباطن، و قد علم كل أناس مشربهم.

(١) الحج: ١١.

(٢) بحار الأنوار: ٣٤٦ / ٢٥ و أصول الكافي: ١ / ٤٠١ و الدر المنثور للشهيد الثاني: ١ / ٤٧، و غرر الفوائد: ٤١٩.

ص: ٣٠٨

فصل [معنى الرب بالقرآن]

قد علمت أن الرب لفظ مشترك، فتارة يأتي بالقرآن بمعنى المالك و السيد، و تارة يأتي بمعنى المعبود، و لا مشركة فيه، و ذاك مثل قوله سبحانه: رَبُّ السَّمَاوَاتِ «١»، و رَبُّ الْأَرْضِ «٢»، رَبُّ الْعَالَمِينَ «٣»، فهو رَبُّهُمْ و خالقهم و مالكهم و مولاهم، و أما اسم الإله إذا جاء من هذا الباب فإنه لا يكون إلّا بمعنى حذف المضاف لا غير، و ذلك مثل قوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ «٤»، و معناه أمر الله، و قوله: فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا «٥» معناه أمر الله من حيث لم يشعروا.

فصل

سرّ النجاة بالإيمان، و لا إيمان إلّا ببرهان، و إليه الإشارة بقوله: هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ «٦»، و صاحب البرهان على بينة من ربه، و حق اليقين لا شك بعده، و ليس بعد الهدى إلّا الضلال، فالمؤمن الموقن كشارب الترياق لا يضره سم أبداً، و المقلد إيمانه لعقة على لسانه فلا يعرف الحق حتى يتبعه، و لا يقدر على عرف الباطل فيمنعه، فهو كالمطعون كلما ازداد علاجا ازداد مرضا، أو كشارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا، و كذلك المرتاب في فضل على لا يصبو لحسن ما تجلّى عليه من عرائسه، و لا ترتاح نفسه لسماع نفاثه، فكلما تليت

(١) مريم: ٦٥.

(٢) الجاثية: ٣٦.

(٣) الجاثية: ٣٦.

(٤) البقرة: ٢١٠.

(٥) الحشر: ٢.

(٦) البقرة: ١١١.

ص: ٣٠٩

عليه آياته، ولّى مديرا، و صدّ مستكبرا، لأنه لم يؤمن بها من الأزل و لم يزل، فلذلك لم يؤمن بها اليوم، و لم ينقد مع القوم، و كيف يعرفها فى عالم الأجسام و الأشباح؟ و قد أنكرها فى عالم الأرواح، فهو فى عالم الأجساد ممسوخ، و من عالم الأرواح مفسوخ، و فى سجين مرسوخ، لأن الجسد تابع للأرواح و إليه الإشارة بقوله: **وَنَقَلَبُ أَفْتَدَتَهُمْ وَ أَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ** «١» لأن الإيمان من ذلك اليوم.

دليله قوله: **الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ** «٢» فى ولاية على الذى أخذ عليهم عهدا فى الأزل و قوله: **وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ** «٣» يعنى يصلون حبّ الله بحب محمد، و حب محمد بحب على، و حب على بحب فاطمة، و حب فاطمة بحب عترتها.

وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ فى ترك الولاية **وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ** لمن لم يؤمن بآل محمد.

دليل ذلك أن رجلا قال لأمير المؤمنين عليه السلام: **إِنِّى أَحْبَبُكَ**.

فقال له: كذبت إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفى عام ثم عرض على المطيع منها و العصاة فما رأيتك يوم العرض فى المحبين، فأين كنت؟ «٤».

و قال أبو عبد الله عليه السلام: أعداؤنا مسوخ هذه الأمة «٥».

و من أنكر فضل آل محمد عليهم السلام فهو عدوهم، و إن كثر صومه و صلاته فإن عبادة إبليس أعظم و أكثر، فإن ذلك ضاع عند عصيانه و خلافه، و لا فرق بين عصيان الرب و عصيان الإمام.

(١) الأنعام: ١١٠.

(٢) الرعد: ٢٠.

(٣) الرعد: ٢١.

(٤) نهج السعادة: ٧ / ٤٠٩، و مناقب آل أبى طالب: ٢ / ٩٦ بتفاوت.

(٥) تقدّم الحديث.

ص: ٣١٠

فصل [أثر إنكار فضل الآل عليهم السلام]

ما أنكر فضل آل محمد من الأمم السالفة إلّا مسخ «١»، ولا رد فضلهم إلّا من خيث أصله و رسخ، فمن أنعم الله عليه بحب على والإقرار بفضلله و وجد روحه بين جنبيه، و وجد صدره منشراحا عند وصول أسرارهِ إليه، و لم يجد الشكوك تنازعه، و لا يد الإنكار تمناعه، فقد طاب مولده و عنصره، و زكى محتده و مخبره، و إليه الإشارة بقول أبى عبد الله عليه السلام أنه قال: «لا تدعوا الناس إلى ما أنتم عليه، فوالله لو كتب هذا الأمر على رجل لرأيته أسرع إليه من الطير إلى وكره، و أسبق من السيل إلى جوف الوادى».

و لذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لو ضربت خيشوم المؤمن على أن ييغضى ما فعل، و لو صببت الدنيا على المنافق على أن يحببني ما فعل، و بذلك أخذ الله لى العهد فى الأزل و لم يزل» «٢».

و لذلك قال للرجل: فما رأيتك فى المحبين فأين كنت؟ فعليه عرضت الأرواح، و عليه تعرض الأعمال فى عالم الأجسام، و عليه تعرض عند الممات، و يعلم مقامها بعد الوفاة، و يعلم ما يصير إليه الرفات، و إليه عودها عند القيام، و هو وليها فى ذلك المقام، و قاسمها إلى النعيم أو الانتقام، من فضل الله رب الأنام، و ولاية من ذى الجلال و الإكرام.

فعلىّ ولى الأشباح، و ولى الأديان و ولى الإيمان و ولى الحياة و ولى الممات، و ولى

(١) المسخ المتقدم فى رواية الإمام الصادق عليه السلام أعم من المسخ فى الدنيا و الآخرة و المراد فى الآخرة ما يسمّى بتجسّد الأعمال من حشر بعض الناس على شكل الحيوانات. و المراد فى الدنيا ما جاء فى بعض روايات الإمام الصادق عليه السلام من إراءة الإمام الناس لأبى بصير على حقيقتهم قردة و خنازير.

أقول: و إنّما قلنا ذلك لما نشاهده من أعدائهم فى الحياة الدنيا على طبيعتهم الإنسانية و لما ثبت من رحمة أمّة محمد صلى الله عليه و آله بعدم المسخ.

(٢) بحار الأنوار: ٣٩ / ٢٩٦ ح ٩٩.

ص: ٣١١

الحساب و ولى النعيم و ولى العذاب، و ولى للمكذب و المرتاب.

الذين لفضل على ينكرون، و لما خصّه الله به من الآيات يجحدون، و عن آياته يستكبرون، و فى علو مقاماته يرتابون و يستعظمون، و بها يكذبون و فيها يلحدون، أولئك فى العذاب محضرون، و عن الرحمة مبعدون.

فلو أن أحدهم عمّر في الدنيا ما دارت الأفلاك و سبحت الأملاك، و حج ألف حجة، و كان في أيامه مقبلا على الصيام و القيام، و كان له من الحسنات بعدد ورق الأشجار، و من الطاعات بوزن رمل القفار، و من المبرّات بعدد قطر الأمطار، و من الخيرات بعدد ما في القرآن حرفا حرفا، و بعدد كل حرف ألفا ألفا، و قرأ كل كتاب نزل، و فهم كل خطاب من العلم و العمل، و رافق النبيين و صحب المرسلين، و أقام في الصافين، و قتل شهيدا بين الركن و المقام، ثم أنكر من فضل على حرفا، و ارتاب في فضله و أخفى، لم ير في بعثه سعادا، و لم يزد من رحمة الله إلّا بعدا.

ص: ٣١٢

فصل [صفات الله تعالى]

إن الله تعالى في جلال كبريائه و عظمته ليس كمثله شيء، و هذا من مقتضيات الربوبية، و الحضرة المحمدية في كمال رفعتها و تقدّمها على المخلوقات ليس كمثله شيء، لأنها الخلق الأول و الولاية سرّ عظمتها في تصرفها في الكائنات، و عهدها المأخوذ على سائر البريات من قبل براء النسمات ليس كمثله شيء، لأنها احتوت على سر الحضرة الإلهية و سر النبوة المحمدية التي ليس كمثله شيء، و سرّ من ليس كمثله شيء ليس كمثله شيء، و العارف بهذه الأسرار، و المجتني لهذه الثمار، المقتبس لهذه الأنوار، المجتنب للتكذيب و الإنكار ليس كمثله شيء في سرّه إلى الله و معرفته بالهداة الأبرار.

فصل

سبحان الملك النور الذي تجلّى في الأشياء فظهر، و تجلّى عنها فغاب و استتر، تقدّس عن الزمان و المكان، و تعالى عن الحدوث و الحدثان، تنزّه عن الحلول و الانتقال و الصورة و المثال، تجلّى بجماله من كل الجهات فظهر، و تجلّى بكماله عن كل الجهات فاستتر، فهو غيب ظهر، ثم غاب حين ظهر.

ص: ٣١٣

فصل [اختلاف الناس في الإمام]

نبوة و إمامة، و في الإمامة وقع الاختلاف، و إليه الإشارة بقوله: «ما اختلفوا في الله و لا فيّ و إنّما اختلفوا فيك يا علي» «١»، فالإسلام و الإيمان نعمتان مشكورة و مكفورة ظاهر و باطن، فالاختلاف وقع في الإمامة، فالعدو عن ظاهر أنوارها معرض، و الولي عن خفي أسرارها متقاصر، فأعداؤه بفضله يكذبون، و أولياؤه لأسراره ينكرون، و العارفون به لسفن النجاة راكبون، و أهل التوفيق و التحقيق لرحيق حبّه ينتهلون، سكارى و هم صاحون، و اسمهم العالون و هم العالون، و سكرهم أنهم عرفوا أن عليا مولى الأنام، و أن له الحق على الرب و السلام، و على السيد الإمام، و على البيت الحرام، و على الشرع و الأحكام، و على الرسل الكرام، و على الملائكة العظام، و من المؤمنين في القيام و على الجنة و دار الانتقام، و على الخاص و العام.

فإن كبر عليك هذا المقام؛ فقد ورد في صحيح الأخبار عن الأئمة الأبرار، الذين حبّهم النور الأكبر أن حق المؤمن عند الله أعظم من السماوات و الأرض، و من الكبريت الأحمر.

و إذا كان هذا حق المؤمن فكيف حق أمير المؤمنين عليه السلام؟

أما حقّه على الله فإنّ يساعده و صارمه قامت قناة الدين، و دان به الناس لرب العالمين، و إليه الإشارة بقوله: «ضربة على يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين» (٢).

فهذه ضربة واحدة بسيفه في الله قاومت أعمال الجن و الإنس.

و أمّا حقّه على الرسول فإنّه ساواه بنفسه و واساه بمهجته، و خاض دونه الغمرات و كشف عن وجهه الكربات، فهو أسده الباسل و ليثه الحلال.

و أما حقّه على الإسلام فإنّه به اعشوشب واديه، و اخضوضر ناديه و مدّت في الآفاق أياديه، و أما حقّه على الشرع و الأحكام فبه و ضحت الدلائل و حقّقت المسائل، و أقمرت

(١) تقدّم الحديث.

(٢) الفردوس: ٣/ ٤٥٥ ح ٥٤٠٦، و المستدرک: ٣/ ٣٢.

ص: ٣١٤

الدجنات و حلّت المشكلات.

و أمّا حقّه على البيت الحرام فإن إبراهيم رفع شرفه و على رفع شرفه، و أين رفع الشرف من رفع الشرف. و أما حقّه على الرسل الكرام فإنّهم به كانوا يدينون و بحبه كانوا يشهدون، و به دعوا عند القيام و الظهور و سرّهم في الأصلاب و الظهور.

و أما حقّه من المؤمنين فإنّ بحبه تختم الأعمال و تبلغ الآمال.

و أمّا حقّه على الملائكة المقربين فإنّه هو النور الذي علّمهم التسبيح و أوقد لهم في رواق القدس من الذكر المصابيح، و أمّا حقّه على جنّات النعيم و دركات الجحيم، فإنّه يحشر أهل هذه إليها و يلقي حطب هذه عليها.

و أمّا حقّه على الخاص و العام من سائر الأنام، فإنّه لولاه لما كانوا؛ لأنّه العلة في وجودهم، و الفضل عند موجودهم.

يؤيد هذا التّأويل ما روى عن عائشة من كتاب المقامات قالت: كان رسول الله صلّى الله عليه و آله في بيتي إذ طرق الباب، فقال لي: قومي و افتحي الباب لأبيك يا عائشة.

فقمّت و فتحت له فجاء فسلمّ و جلس فردّ السلام و لم يتحرّك له، فجلس قليلا ثم طرق الباب فقال: قومي و افتحي الباب لعمر، فقمّت و فتحت له فظننت أنه أفضل من أبي، فجاء فسلمّ و جلس فردّ عليه و لم يتحرّك له، فجلس قليلا فطرق الباب.

فقال: قومي و افتحي الباب لعثمان فقمّت و فتحت له، فدخل و سلمّ فردّ عليه و لم يتحرّك له، فجلس فطرق الباب فوثب النبي صلى الله عليه و آله و فتح الباب فإذا على بن أبي طالب عليه السلام فدخل و أخذ بيده و أجلسه و ناجاه طويلا، ثم خرج فتبعه إلى الباب، فلما خرج قلت: يا رسول الله دخل أبي فما قمّت له، ثم جاء عمر و عثمان فلم توقرهما و لم تقم لهما، ثم جاء على فوثبت إليه قائما و فتحت له الباب، فقال: يا عائشة لما جاء أبوك كان جبرائيل بالباب فهممت أن أقوم فمنعني فلما جاء على و ثبت الملائكة تختصم على فتح الباب إليه، فقمّت و أصلحت بينهم، و فتحت الباب له، و أجلسته و قربته عن أمر الله، فحدثني بهذا الحديث عني، و أعلمني أن من أحياه الله متبعا للنبي، عاملا بكتاب الله، مواليا لعلی، حتى يتوفاه الله، لقي الله و لا حساب عليه، و كان في الفردوس الأعلى مع النبيين و الصديقين «١».

(١) بحار الأنوار: ٣٨ / ٣١٣ ح ١٧.

ص: ٣١٥

فصل [سرّ آل محمد عليهم السلام صعب مستصعب]

اعلم أن سرّ آل محمد صعب مستصعب كما ذكره، فمنه ما يعلمه الملائكة و النبيون، و هو ما وصل إليهم بالوحي، و منه ما يعلمه هم و لم يجز على لسان مخلوق غيرهم، و هو ما وصل إليهم بغير واسطة، و هو السرّ الذي ظهرت به آثار الربوبية عنهم، فارتاب لذلك المبطلون، و فاز العارفون، فكفر به فيهم من أنكر، و فرط من غلا فيهم و أفرط، و فاز من أبصر فتبع النمط الأوسط.

فصل

و أما السرّ الذي فيه للمؤمن نصيب، فهو أيضا صعب مستصعب، و أشدّ صعوبة و إغماضا المتشابه بالوجه القابل للتأويل، الذي يخالف ظاهره باطنه، و أمثلته في القرآن و الأحاديث و الأخبار و الأدعية كثير، فمن ذلك من القرآن قوله: **وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ** «١» و **فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ**، و هذا في الظاهر تناقض لأنه أمر أن يقفّوهم و يسألوهم، ثم أخبر أنهم لا يسألون، و بيان ذلك: أن العباد لا يسألون يوم القيامة إلّا عمّا عهد الله إليهم من حبّ على، فعنه (و عنه خ ل) يسأل إذ يبعثون، و شيعة على لا يسألون عن ذنوبهم لأنهم وفوا.

بالعهد، فلا ذنب عليهم، و قوله: **لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ** «٢»، هذا لفظ عام، و معناه خاص، لأن معناه لا يسأل عن ذنبه يوم القيامة إنس و لا جان من شيعة على، لأن الله أخذ عليهم عهد الإيمان بعلى، و ضمن لهم بذلك الجنة، فإن وفوا بالعهد وجبت لهم في رحمته للوفاء بالعهد، و قد وفوا بعهدهم، فلا ذنب عليهم يسألون عنه إذن، لأن حب على هو

(١) الصافات: ٢٤.

(٢) الرحمن: ٣٩.

ص: ٣١٤

الحسنات، فإذا كان في الميزان فأين السيئات، وإليه الإشارة بقوله: **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ «١»**، وأكبر الحسنات حبّ على، بل هو الحسنات، فإذا كان في الميزان فلا ذنب معه، وأين ظلمة الذنب مع تَلَأُو نور الرب، لأن ولاية على هي نور الرب، وأين ظلمة الليل عند ضياء البدر المنير، أم مس السيئات عند خالص الإكسير، ومن ذلك قوله: **يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**، وقوله: **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ «٢»** والتناقض لازم له في الظاهر من غير تأويل، لأن من لا مثل له من أين له يدان مبسوطتان؟ ومن له يد مبسوطة كيف يكون بلا شبه ولا مثل؟ هذا واضح لمن عرف الاستعارة اللغوية.

فصل [ليس كمثله شيء]

أما قوله: **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**، فحق لأن الإله الحق لا مثل له لأنه مسلوب عنه الأضداد والأنداد، وقوله: **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** فذلك أيضا حق لأنه أراد القدرة والرزق وعبر عنهما باليد، لأن البسط يليق باليد والقدرة أيضا. فلفظ اليد هنا استعارة لأن قدرته و رزقه لم يزل ولا يزال، فله الأيادي على سائر خلقه والإنعام، وأما عند الباطن فاليدان المبسوطتان محمد وعلى، وهما النعمة والقدرة نعمة النبوة و قدرة الولاية، ومن ذلك قوله: **وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ «٣»**، وقوله: **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ «٤»**، فالذي لا تدركه الأبصار كيف تراه الوجوه؟ والذي لا تراه الوجوه، كيف لا تدركه الأبصار؟ هذا نفى وإثبات، والنفى والإثبات لا يجتمعان.

ومن ذلك قوله خطابا لسيّد المرسلين: **لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ «٥»**

(١) هود: ١١٤.

(٢) الشورى: ١١.

(٣) القيامة: ٢٢.

(٤) الأنعام: ١٠٣.

(٥) الفتح: ٢.

ص: ٣١٧

و قوله: **وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً** ^(١)، فالذى له ذنب من أين له طهارة؟ و الممدوح فى الطهارة بالصدر من أين له ذنب، أما قوله يطهركم تطهيراً فحق، لأنهم خلقوا من نور الجلال، و اختصوا بالعصمة و الكمال، فالمعصوم الكامل من أين له ذنب؟

أما مثل هذا فى الدعوات، فمنه قول زين العابدين عليه السلام و هو سيد من عبد و ابن سيد من عبد من الأولين و الآخرين فى دعائه: «ربى ظلمت و عصيت و توانيت»، فإذا كان ظلوما جهولا كيف يكون سيّدا معصوما، و هو سيد معصوم فكيف يكون ظلوما جهولا؟

أقول: معنى قوله عليه السلام إنه يقول: ربى إن شيعتنا لما خلقوا من فاضل طينتنا، و عجنوا بماء ولايتنا، رضونا أئمة، و رضينا بهم شيعة، يصيبهم مصابنا، و تنكبهم أوصابنا و يحزنهم حزننا، و نحن أيضا نتألم لتألمهم، و نطلع على أحوالهم، فهم معنا لا يفارقونا ^(٢)، لأن مرجع العبد إلى سيده و معوله على مولاه، فهم يهجرون من عادانا، و يجهرون بمدح من والانا.

و صدق ما دلت عليه ما أورده ابن طاوس فى كتاب مهج الدعوات، حكاية عن خليفة الله قائم آل محمد و خاتمهم ما هذا معناه، قال: و لقد سمعته سحرا بسر من رأى يدعو فيقول من خلف الحائط: اللهم أحى شيعتنا فى دولتنا، و أبقيهم فى ملكنا و مملكتنا، و إن كان شيعتهم منهم و إليهم و عنايتهم مصروفة إليهم، فكأنه عليه السلام قال: اللهم إن شيعتنا منا و مضافين إلينا، و إنهم قد أساءوا و قصروا و أخطئوا فى العمل، رأونا صاحباً لهم رضا منهم، قد تقبلنا عنهم ذنوبهم، و تحمّلنا خطاياهم، لأن معولهم علينا و رجوعهم إلينا، فصرنا لاختصاصهم بنا و اتكالهم علينا كأنا نحن أصحاب الذنوب، إذ العبد مضاف إلى سيده، و معول المماليك على مواليتهم، و ملاذ شيعتنا إلينا و معولهم علينا، اللهم فاغفر لهم من الذنوب ما فعلوه اتكالا على حبننا، و طمعا فى ولايتنا، و تعويلا على شفاعتنا، و لا تفضحهم بالسيئات عند أعدائنا، و و لنا أمرهم فى الآخرة كما وليتنا أمرهم فى الدنيا، و إن أحببت السيئات أعمالهم فنقل موازينهم بولايتنا و ارفع درجاتهم بمحبتنا، و هذا خيره كثير للمؤمن الموقن المصدق بأسرارهم ^(٣).

و لو لم يكن فى كتابى هذا غير هذا لكفاك أن امتلأت من درر الاعتقاد كفاك، و إلّا دراك،

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) بحار الأنوار: ٥٣ / ٣٠٢.

(٣) راجع بحار الأنوار: ٥٣ / ٣٠٢.

فإن الشيطان يطلع على قلب المؤمن فى كل يوم ٣٢٠ مرة بالوسواس و الإضلال، فجعل الله شهبا من نور الولاية رجوما للشياطين بعدد تلك النظرات، ليمحو من قلبه ما ران الشيطان، لأن من خالجه الشكوك فى قلبه، و طئته الشياطين بمناسمها، أيها المنكر لفضائل على، إلى متى تلبس من الشك المنسوج على الجسد الممسوخ، و الروح المفسوخ، و حتى متى كلما طبّت ظنيت، و كلما بصرت عميت، و كلما رويت عطشت، أ ما رأيت ملكا اختار عبدا من عبيده و أقامه على سرّه و ولّاه أمره، و قرّبه نجيا و ألبسه

خلعة صفاته و رفعه على سائر مخلوقاته و سلم إليه قلم العدل و دفتر البذل، و سيف القهر و زمام الأمر، و أمره على جميع مخلوقاته و إنه أعلم حيث يجعل رسالاته فقام بالسياسة و العدل و العصمة و البذل، يفعل ما يريد الرب، و يريد الرب ما يفعل، لأنه موضع أمره و يده الباسطة على جميع الملائكة، لأنه يد الله و جنبه، و له التصرف المطلق، و بصره طاف في أقطار السماوات و الأرض، لأنه عين الله الناضرة في عباده و بلاده، و هو في مقام الرفعة و التأييد عبد المولى و مولى العبيد:

العقل نور و أنت معناه	و الكون سرّ و أنت مبداه
و الخلق في جمعهم إذا جمعوا	الكل عبد و أنت مولاه
أنت الولي الذي مناقبه	ما علاها في الخلق أشباه
يا آية الله في العباد و يا	سر الذي لا إله إلّا هو
كفاك فخرا و عزّة و علا	أن الوري في علاك قد تاهوا
فقال قوم بأنه بشر	و قال قوم بأنه الله
يا صاحب الحشر و الحساب و من	مولاه حكم أمر العباد ولّاه
يا قاسم النار و الجنان غدا	أنت ملاذ الراجي و ملجأه
كيف يخاف الولي حر لظى	و ليس في النار من تولاه «١»
يا منبع الأنوار يا سرّ المهيمن في الممالك	يا قطب دائرة الوجود و عين منبعه كذلك
و العين و السرّ الذي منه تلقنت الملائك	ما لاح صبح للهدى إلّا و أسفر عن جمالك

(١) أعيان الشيعة: ٤ / ٤٦٧.

ص: ٣١٩

يا ابن الأطايب و الطواهر و الفواطم و العواتك	أنت الأمان من الردى أنت النجاة من المهالك
أنت الصراط المستقيم قسيم جنات الأرائك	و النار مفزعها إليك و أنت مالك أمر مالك
يا من تجلّى بالجمال فشق بردة كل حالك	صلّى عليك الله من هاد إلى خير المسالك

و الحافظ البرسى لا يخشى و أنت له هنالك

«١» و إذا كانت مناقب على لا تحصى عددا و فضائله لا تبلغ أمدا فالسماوات تضيق عن رقمها و سجلها و البحران ينفدان بمدىها، و الثقلان يعجزان عن إملاتها و العقول تذهل أن تدركها و الجبال تأبى أن تحملها لثقلها، و قد شهد بذلك الكتاب المنزل و النبى المرسل، و أنت بقصور الفهم و وفور الوهم تخالف الرب العلى و النبى الأسمى بأذاك لمولاك، و قد أسمعك القرآن اللعن بالطعن و ناداك فقال: **إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ** «٢» فمن أبغض عليا لفضله الذى آتاه الله فقد آذاه، و من آذى ولى الله فعليه لعنة الله و حسبه من الخزى يوم يلقاه. فيا أيها الحائر المذبذب و الجاهل المركب و العارف المعذب، مالك لا تراقب الله و تتأدب، فإلى متى تتمسك بأذيال التكذيب، و كلما رد عليك مما لاق بذهنك الجامد، و رأيت ما يصدقه عقلك الفاسد، قلت هذا مقام الولى و ما لا تناله أنامل الإدراك من طبعك العكوس ناديت عليه بلسان التكذيب و الإنكار، فيا من يقف بأبواب المغنى، من أين لك مشاهدة أنوار المغنى مما هو الفرق بين العالى و العالى؟ و كيف عرفت الشيعة من الموالى؟ و المحب من التالى؟ فيها أنا مورد لك من الملل و النحل، فضلا يشفى شرابه العلل من العلل و يبين اختلاف الفرق و يؤمن من الغرق مما راق عذبه ورق، و يعلم به الحق من الزهق مما لا نصب بعده و لا رهق، و ما أظنك بعد هذا الإطراب و الإطناب و الإكثار و الإسهاب، إلّا كارها للصواب و ساريا فى السراب، حتى تلاقى فى التراب أبا تراب.

(١) الغدير: ٧ / ٤٥.

(٢) الأحزاب: ٥٧.

ص: ٣٢٠

فصل [افتراق الامم بعد الأنبياء عليهم السلام]

فى بيان افتراق الأمم بعد الأنبياء مما شهدت به السنّة و الكتاب، فمن ذاك قال الله سبحانه مخبرا عن قوم موسى: **وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ** «١»، و قال تعالى حكاية عن النصارى: **وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً** «٢»، و قال حكاية عن الأميين: **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ** «٣»، و قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «افتترقت أمة أخى موسى على سبعين فرقة كلّها فى النار إلّا واحدة، و افتترقت أمة أخى عيسى على إحدى و سبعين فرقة كلّها فى النار إلّا واحدة، و ستفترق هذه الأمة على ثلاث و سبعين فرقة كلّها فى النار إلّا واحدة، و هى التى تبعت ما أنا عليه و أهل بيتى»، و فى رواية ما عليه و أصحابى «٤».

و هذا بيان و تأكيد أنّ الناجى من تبع الآل لأن الآل هم الأصحاب، و ليس الأصحاب هم الآل، فأين كان الآل كان الأصحاب من غير عكس، و لهذا يقال أهل الله و لا يقال أصحاب الله.

فَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَصْحَابَهُ وَ لَيْسَ أَصْحَابَهُ آلَهُ، وَ فِي الْحَدِيثِ: «أَهْلُ الْقُرْآنِ أَهْلُ اللَّهِ وَ خَاصَّتُهُ»، لِأَنَّهُمْ حَمَلَةُ سِرِّهِ، فَأَيُّنَ كَانَ الْأَهْلُ كَانَتْ النِّجَاةُ، لِأَنَّ الْأَهْلَ أَوْلَى بِالشَّرَفِ وَ الْفَضْلِ، وَ أَحَقُّ بِالْمِيرَاثِ، وَ أَقْرَبُ إِلَى الْعِلْمِ، وَ مِنْهُمْ نَبْعُ الذِّكْرِ، وَ عَنْهُمْ سَمْعٌ، فَالْأَصْحَابُ تَبِعَ الْآلَ لِأَنَّهُمْ سَكَانُ السُّلْطَنَةِ وَ الْحُكْمِ، وَ الْأَصْحَابُ سَكَانُ التَّبَعِ يَقْتَدُونَ بِالتَّابِعِ وَ لَا يَقْتَدُونَ بِالْمَتَّبَعِ؟

أَلَا فَهَمُّ الْمَلَاذِ وَ الْمَنْجَى، وَ نَهْجُ الْهَدْيِ وَ جَنَّةُ الْمَأْوَى وَ سَدْرَةُ الْمُنْتَهَى، وَ الْأَصْحَابُ قَوْمٌ تَبْصُرُوا بِنُورِ الْآلِ فَأَبْصُرُوا، ثُمَّ أَعْمَاهُمْ دَخَانُ الْحَسَدِ فَأَنْكُرُوا، وَ إِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: بَيْنَا أَنَا

(١) الأعراف: ١٥٩.

(٢) الحديد: ٢٧.

(٣) آل عمران: ١٤٤.

(٤) سنن أبي داود: ح ٤٥٩٧ كتاب السنّة، و سنن الدارمي: ح ٢٤٠٦ كتاب السير.

ص: ٣٢١

عَلَى الْحَوْضِ إِذْ بَمَلَا مِنْ أَصْحَابِي يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتُ الْيَمِينِ وَ ذَاتُ الشِّمَالِ مَسْوُودَةٌ وَجُوهُهُمْ، فَأَنَادِيهِمْ: أَصْحَابِي أَصْحَابِي، فَيَأْتِي النَّدَاءَ مِنْ خَلْفِهِمْ، يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُمْ لَيْسُوا أَصْحَابَكَ، إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِعَدِّكَ؛ فَأَقُولُ: أَلَا سَحَقًا أَلَا سَحَقًا «١».

وَ أَمَّا الْآلُ فَهَمُّ الْمَالِ، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ: «أَهْلُ بَيْتِي كَسَفِينَةِ نُوحٍ مِنْ رَكِبِهَا نَجَا»، وَ هَذَا رَمَزٌ شَرِيفٌ، حَلَهُ وَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا يَنْجُو مِنْ شِدَائِدِ الْأَهْوَالِ، وَ عَذَابِ يَوْمِ الْمَالِ، إِلَّا مَنْ تَوَلَّاهُمْ.

وَ أَمَّا قَوْلُهُمْ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ أَنَّهُ قَالَ: «أَصْحَابِي كَالنَّجُومِ بَأَيِّهِمْ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ» «٢» إِنَّمَا عَنَى بِالْأَصْحَابِ هُنَا أَهْلَ بَيْتِهِ، وَ إِلَّا لَزِمَ التَّنَاقُضُ؛ فَكَيْفَ يَكُونُونَ ضَالِّينَ عَنِ الْحَوْضِ مَسْوُودَةِ وَجُوهِهِمْ، وَ كَيْفَ يَكُونُونَ كَالنَّجُومِ يَقْتَدُونَ بِهِمْ؟ وَ إِنَّمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: مِثْلُ أَهْلِ بَيْتِي فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مِثْلُ نَجُومِ السَّمَاءِ كُلَّمَا غَابَ نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ «٣»، وَ إِنْ كَانَ أَصْحَابُهُ نَجُومًا فَأَهْلُ

(١) الحديث مجمع عليه عند أهل الإسلام، راجع: فتح الباري ح ٦٥٨٥، و سنن ابن ماجة: ح ٤٣٠٦، و مسند أحمد: ح ٧٩٣٣.

(٢) قال الإمام السخاوي: زعم كثير من الأئمة أنه لا أصل له. المقاصد الحسنة: ٤٩ - ٥٠ ح ٣٩.

وَ قَالَ الْحَافِظُ الْعِرَاقِيُّ فِي تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ مُخْتَصَرِ الْمُنْهَاجِ رَقْمَ ٥٥: رَوَاهُ الدَّارِقُطْنِيُّ فِي الْفَضَائِلِ وَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي الْعِلْمِ مِنْ طَرِيقِهِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ وَ قَالَ: إِسْنَادٌ لَا تَقُومُ بِهِ حُجَّةٌ - رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الْمُدْخَلِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍ وَ ابْنِ عَبَّاسٍ بِنَحْوِهِ مِنْ وَجْهِ آخَرٍ

مرسلا و قال: متنه مشهور و أسانيده ضعيفة و لم يثبت في إسناده، و رواه البزار و قال: منكر لا يصح، و قال ابن حزم: مكذوب باطل (هامش المنتخب من مسند عبد بن حميد: ٢٥١ ح ٧٨٣).

و قال محقق كنوز الحقائق: ١/ ٦٧ ح ٧٥١: الحديث موضوع (ميزان الاعتدال: ١/ ٤١٢ رقم ١٥١١ و لسان الميزان ٢/ ٤٨٨).

و قال محقق كتاب شرح مسند أبي حنيفة: ٤٩٨: هذا ليس بصحيح و تفصيله في رسالة ملحقة (بنود الأنوار).

و ضعفه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية: ٤/ ١٤٦ ح ٤١٩٣-٤١٩٤.

و ممن ضعفه الخفاجي و الملا علي القاري و أحمد و المزني. أنظر: نسيم الرياض: ٣/ ٤٢٤ و التقرير و التحبير لابن أمير الحاج: ٣/ ٩٩ و جامع بيان العلم لابن عبد البر: ٢/ ٨٩.

* هذا و روى الحديث بلفظ: «أهل بيتي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» (لسان الميزان: ١/ ١٤١). و هو موافق لما روى من طرق في حديث الأمان الذي يشبه به النبي أهله بالنجوم، و أيضا له شاهد من حديث الثقلين، و لا يلزم منه الأمر بالمتناقضات لأن أهل البيت عليهم السلام عصمهم الله بآية التطهير و لم يكن بينهم اختلاف.

(٣) بحار الأنوار: ٢٣/ ٤٤ ح ٩٠.

ص: ٣٢٢

بيته شمس و أقمار، و مع وجود الشمس و القمر لا يحتاج إلى النجوم، فالنجوم أهل بيته لا أصحابه. و إليه الإشارة بقوله: **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** «١». فأين كان أهل البيت كانت الطهارة و إذهاب الرجس، و أين كان إذهاب الرجس كانت العصمة، و أين كانت العصمة كانت الخلافة و الحكمة، و أين كانت الحكمة كان النور و الرحمة، و أين كان النور و الرحمة كانت الهداية و النعمة، ... و أين كان الرجس كانت الظلمة، و أين كانت الظلمة كانت الضلالة و الفتنة، و إليه الإشارة بقوله: **إِنِّي تَارِكُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ وَ عِترَتِي أَهْلَ بَيْتِي** حبلان متصلان، إن تمسكن بهما لن تضلوا «٢».

فقد أوجب لأهل البيت من التشريف و التعظيم ما أوجب للكتاب الكريم، و دلنا على أن التمسك بالكتاب و العترة نجاة، فقال: **عِترَتِي** و لم يقل أصحابي، فجعل مقام الآل مقام الكتاب، و قال: **«إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ أَشْجَارِ شَتَّى، وَ خَلَقَنِي وَ عَلِيًّا مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ، أَنَا أَصْلُهَا، وَ عَلِيٌّ فَرْعُهَا، وَ فَاطِمَةُ لِقَاحُهَا، وَ الْعِتْرَةُ الْمِيَامِينَ الْهَدَاةُ أَغْصَانُهَا، وَ الشَّيْعَةُ الْمَخْلُصُونَ أَوْراقُهَا»** «٣»، و خبر الثقلين عليه الإجماع «٤».

فصل [تعداد الفرق الإسلامية]

إذا تقرر هذا، فنقول: اختلفت الأمة بعد نبيها فرقتين: علوية، وبكرية، و زيادة المذاهب تدل على زيادة الشبهات، لأن الحق لا يتكثر ولا يتغير، و مشربه صاف لا يتكدر.

فصل

و مع افتراقهم إما أن يكونا على الحق معا، أو على الضلال كلا، أو أحدهما محق و الآخر

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) تقدم الحديث مع مصادره.

(٣) مناقب ابن المغازلي: ٧٥ ح ١٣٣ و الفردوس: ٩٥ / ١ ح ١٣٥، و الطرائف: ١٥٨ / ١ ح ١٦٥.

(٤) قد فصلنا طرق الحديث و الاحتجاج به من قبل الصحابة و أهل البيت عليهم السلام في كتاب أنواع النصوص على آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

ص: ٣٢٣

مبطل، أما كونهما على الحق معا فممنوع أيضا، لأنهما لو كانا على الحق معا لما اختلفا و لا افترقا، و منشأ الخلاف أن كلا منهما ادعى أنه خليفة رسول الله صلى الله عليه و آله، فإن صدقا معا لزم كذب الرسول، و إن كذبا لزم جهل الرسول، و جهله ممتنع، فتعين صدق أحدهما و كذب الآخر و الدعوى فيه، فوجب النظر فيما يتبين به الصادق من الكاذب منهما، فوجدنا لعلى عليه السلام السبق إلى الدين كرم الله وجهه، و معناه أنه لم يسجد لصنم «١»، و في السبق إلى الإسلام: أنت أول القوم إسلاما «٢»، و في العلم مرتبة: لو كشف الغطاء «٣»؛ و في الشجاعة: لا فتى إلّا على «٤»؛ و في الزهد: أنا كابي الدنيا لوجهها «٥»، و في القرب و القرابة: أنت منى و أنا منك «٦»؛ و في النصوص: من كنت مولاه فعلى مولاه «٧».

و في التعيين و التبيين: اللهم وال من والاه و عاد من عاداه «٨»، فهو سيدّ الموحدين، و فارس المسلمين، و العالم بغوامض الكتاب المبين، و قسيم نبعة سيد المرسلين، و الواجب له الخلافة بالنص المبين.

فصل

وجدنا للأول قوله: أقبلوني فلست بخيركم، و الله ما يعلم إمامكم حين يقول أصاب أم أخطأ، و في الشجاعة وجدناه لم يجر له حسام قط، و وجدناه في النسب تيمى، و أين تيم من هاشم، و أين مقام الدمنة من البحر، و الجواهر من الصخر.

(١) مناقب ابن المغازلي: ١٧٧ ح ٣٢٢، و الطرائف: ١١٩ / ١ ح ١٠٦.

(٢) البحار: ٣٠٣ / ٤٢ ح ٤ و: ٢٤ / ٢٤٨ ح ٤٠.

(٣) تقدّم الحديث.

(٤) كنز العمال: ٥ / ٧٢٣ ح ١٤٢٤٢ و الطرائف: ١ / ١٣١ ح ١٢٣.

(٥) بحار الأنوار: ٣٢ / ٢٥٠ ح ١٩٧.

(٦) تقدّم الحديث.

(٧) بحار الأنوار: ٣٧ / ١٨٠.

(٨) الطرائف: ١ / ١٧٤ ح ١٨٤.

ص: ٣٢٤

فصل

و وجدنا الإجماع «١» أنه لمن تبع عليا، و من هذا الفرق و البيان إما أن يكون الحق مع الجاهل ثم يكون هو الإمام، أو يكون الحق مع العالم الحاكم و هو علي، فيكون علي هو الإمام، فلا ينجو إلّا من تبع عليا، و رافق أوليائه و فارق أعداءه، و هذا ممّا رواه أئمة الإسلام مثل أبي عبد الله البخارى فى صحيحه، و أبى داود فى سننه، و أبى على الترمذى فى جامعه، و أبى حامد القزوينى و ابن بطّة فى مجالسه، و اتفق الجمع على تصحيحه فصار إجماعا «٢».

فصل

و قد نقل عن شعبة بن الحجاج: أن هارون كان أفضل قوم موسى، و على من محمد كهaron من موسى، فوجب أن يكون أفضل من جميع أمته، بهذا النص الصريح «٣».

(١) المقصود به أن الخبر الذى أشار إليه فى صدر الفصل: و إني تارك فيكم الثقلين، و أصحابي كالنجوم.

و إنه وجد الاجماع به لمن تبع عليا.

(٢) قال جمال الدين النيسابورى فى الأربعين: حديث الغدير تواتر عن أمير المؤمنين و هو متواتر عن النبى صلى الله عليه و آله (نقلا عن حاشية إحقاق الحق: ٢ / ٤٢٣).

و قال فى الأزهار فى مناقب إمام الأبرار: و قد تواتر هذا الخبر حد التواتر (هامش مناقب ابن المغازلى:

١٦ ح ٢٣ ط. طهران).

و قال الحافظ الجزرى بعد ذكر نص الغدير: هذا حديث حسن من هذا الوجه صحيح من وجوه كثيرة، تواتر عن أمير المؤمنين على و هو متواتر أيضا عن النبى صلى الله عليه و آله رواه الجهم الغفير عن الجهم الغفير، و لا عبرة بمن حاول تضعيفه ممن لا اطلاع له فى هذا العلم. (أسمى الناقب: ٢٢-٢٣ ح ٢).

و قال شمس الدين الذهبى: هذا الحديث متواتر (نقلا عن حاشية إحقاق الحق: ٢/ ٤٢٣).

و قال السيوطى: إنه حديث متواتر (البيان و التعريف فى أسباب ورود الحديث: ٣/ ٢٣٤ ح ١٥٧٦، و الغدير: ١/ ٣٠٠ عن الأزهار المتناثرة للسيوطى).

و ممن صرح بتواتره: المناوى فى التيسير نقلا عن السيوطى، و شارح المواهب اللدنية، و المناوى فى الصفوة (نظم المتناثر من الحديث المتواتر: ٢٠٦ ح ٢٣٢).

(٣) كفاية الطالب: ٢٨٣ الباب السبعون.

ص: ٣٢٥

و إليه الإشارة بقوله: **وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي** «١»، فوجب أن يكون على خليفته فى أمته، و من نازعه مقامه فقد كفر.

فصل [الفرق الإسلامية]

و أهل السنة فرقتان: الأولى أصحاب الحديث و هم شعب: الداودية، و الشافعية، و المالكية، و الحنبلية و الأشعرية. و الثانية أصحاب رأى و هم فرقة واحدة، و أما المعتزلة و هم سبع فرق: الحنفية، و الهذيلية، [و النظامية]، و العمرية، و الجاحظية، و الكعبية، و البشرية.

و أمّا أصحاب المذاهب فهم: أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى، و أما مالك بن أنس بن مالك فهو إمام العراق، و أهل اليمن و المغرب يميلون إلى مذهبه، و أما أحمد بن حنبل فكان يخدم الشافعى و يأخذ بزمام دابته و يقول اقتدوا بهذا الشاب، و أما أصحاب رأى فهم أصحاب أبى حنيفة، و أما المعتزلة فهم ينكرون خلق الجنة و النار، و يقولون إن عليا أفضل الصحابة، لكن يجوز عندهم تقدّم المفضول على الفاضل لمصلحة يقتضيها الوقت. و منهم الحسنية و هم أصحاب الحسن البصرى، و الهذيلية و هم أصحاب الهذيل، و النظامية و هم أصحاب إبراهيم بن النظام، و العمرية و هم أصحاب عمر بن غياث السلمى، و الجاحظية و

هم أصحاب أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، والكعبية وهم أصحاب أبى القاسم الكعبي، والبشرية وهم أصحاب بشر بن المعتمر.

وأما المجبرة فهم عشرة: الكلابية، والكرامية، والهشامية، والمؤلفية، والمعترية، والدارية، والمقابلية، والنهالية، والمبيضة.

وأما الصوفية فهم فرقان: النورية، والخلوية.

وأما المرجئة فهم ست فرق: الدارمية، والعلانية، والنسبية، والصالحية، والمثمية، والجحدرية.

وأما الجبرية فهم خمس فرق: الجهمية وهم أصحاب جهنم بن صفوان، والبطحية وهم

(١) الأعراف: ١٤٢.

ص: ٣٢٤

أصحاب إسماعيل البطحي، والبخارية وهم أصحاب حسين بن محمد البخاري، والضرارية وهم أصحاب ضرار بن عمر، والسياحية وهم أصحاب صياح بن معمر.

وأما النواصب فهم الذين حاربوا زيد بن علي، وعندهم أن الفتى لا يكون سنيا حتى يبغض عليا.

وأما الخوارج فهم خمسة عشر فرقة: الأزارقة وهم أصحاب نافع بن الأزرق، والنجدات وهم أصحاب نجدة بن عامر الحنفي، والعجاردة وهم أصحاب عبد الكريم بن عجردة، واليحيائية وهم أصحاب يحيى بن الأحزم، والحازمية، وهم أصحاب عبد الله بن حازمة، والثعالبة وهم أصحاب ثعلب بن عدي، والجرورية وهم أصحاب عبد الله بن جرور، والصفيرية وهم أصحاب الأصفر، والأباضية وهم أصحاب عبد الله بن أباض، والحفصية وهم أصحاب حفص بن أنبية، والضاكية وهم أصحاب الضحاک بن قيس. وهؤلاء عقدوا على لعن معاوية وعمرو بن العاص وعثمان، وعلى البراءة منهم، وبنو أمية لعنهم الله دينهم الإجماع، والحجاج لعنه الله لما قتل أكابر أصحاب علي عليه السلام، ورمى الكعبة بالمنجنيق، قال:

هذا منه تعالى. والجبر كان دين الجاهلية وسنتهم، فلما نزل القرآن نسخه، فلما جاء بنو أمية أعادوه وجددوه، وأعادوا إلى دين الإسلام ما كان من سنن عبدة الأصنام، كما أدخل أصحاب النبي في دينه من سنن اليهود، وذلك أن الله أمر النبي عند خروجه من الدنيا أن ينهاهم عن أمورهم فاعلوا تأكيداً للحجة عليهم.

فصل

ثم إنهم اعتبروا في الدين قول الأوزاعي، وأبي نعيم، والمغيرة بن شعبة، وسفيان الثوري، واطرحوا قول آل محمد الذين نزل عليهم القرآن ولاهم، والحكمة فيهم وعنهم ومنهم.

فصل

و ما كفاهم هذا الضلال حتى نسبوا من دان بدين آل محمد أنه يدين بدين اليهود، و قالوا:

ص: ٣٢٧

إنَّ المذهب الذى فى أيدى الشيعة مأخوذ من كتاب يهودى كان مودعا عند جعفر الصادق عليه السّلام، ثم ما كفاهم هذا الكفر و الإلحاد، حتى انهم جعلوا ما نقل عن أهل الله و حزبه أنه مأخوذ من كتب اليهود. و ما نقل عن أبى هريرة أنه مأخوذ عن رسول الله صلّى الله عليه و آله، فكذبوا ما نقل عن أمناء الوحي و التنزيل، و أولياء الربّ الجليل، و اعتبروا قول المغيرة بن شعبة الذى سبّ أمير المؤمنين عليا عليه السّلام على المنبر «١».

فصل

ثم ما كفى هذا الكفر حتى انهم سمّوا شيعة على أنهم حمير اليهود، فجعلوا حزب الله حمير اليهود، و قد قال النّبي صلّى الله عليه و آله: يا على حزبك حزبي و حزبي حزب الله «٢».

فإذا قلت لهم: بما ذا جاز لكم أن تسمّوا شيعة على بهذا الاسم، و ربّهم الله، و نبّهم محمد، و شهرهم رمضان، و قبلتهم الكعبة و حجّهم إليها، و هم قوم يخرجون الزكاة، و يصلون الأرحام، و يوالون عليا و عترته، فيما ذا صاروا حميرا لليهود؟

فهلّا يقولون لا نعلم أن شيعة على لا ذنب لهم عند المنافقين، يسمّون به حمير اليهود، غير حبّ على الذى لو أن العبد جاء يوم القيامة و فى صحيفته أعمال النّبيين و المرسلين، و ليس معها حبّ على فإنّ أعماله مردودة، و هل يقبل ما لا كمال له و ما لا تمام إلّا الدين القيم الكامل و هو حبّ على؟ و كذا لو كان فى صحيفته جميع السيئات و ختمها الولاية فإنه لا يرى إلّا الحسنات، و أين ظلام السيئات عند البدر المنير، أم أين مس الخطيئات عند نور الإكسير؟

فصل

فإذا قلت لهم: ما تقولون فى رجل آمن بالله و بمحمد، و سلك سبيل الصالحات، لكنه كان

(١) حلية الأولياء: ٩٥ / ١، و مسند ابن المبارك: ١٥٦ ح ٢٥٣، و هو الذى أمر صعصعة بلعن على فامتنع، راجع لطف التدبير: ١ / ١١٩ باب ١٥.

(٢) بحار الأنوار: ٣٩ / ٩٣ ح ٣.

ص: ٣٢٨

يبغض عليا و يبغض من يهواه، فمآله عند بعثه يدخل الجنة أو النار؛ فهناك يقولون بل يدخل النار، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: من عاداك فقد عاداني، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه «١».

و إذا قلت لهم: فما تقولون في رجل آمن بالله و رسوله و عبده مخلصا، لكنه لا يعرف فلانا و فلانا، فما تقولون فيه، مؤمن أم كافر؟ و يدخل الجنة أم النار؟ فهناك يتحيرون؛ فإن قالوا نعم، لزمهم الدليل عليه، و لا دليل لهم، و كيف يدخل النار بترك ما لم يعرض عليه، و إن قالوا لا، قلنا: فلم سميتم قوما تبعوا رجلا حبه يدخل الجنة و بغضه يدخل النار أشرارا، و سميتم شيعته من اليهود؟

فهناك فروا من الجهل و قالوا: لأنهم يقولون بسب الصحابة، ثم يقولون: قال رسول الله:

من سب أصحابي فقد سبني «٢»، فإذا قلت لهم فهذا الحديث مخالف لاعتقادكم، أليس عندكم أنه كلما يصدر من العبد من الأفعال فإنها بقضاء الله و قدره، و الله يريد لأفعال العبد، و العبد واسطة في الفعل و الإرادة لله، فما ذنب من يسب إذا كان ذاك بقضاء الله و قدره، و كيف يكون الزنا و الكفر من العبد بإرادة الله، و السب لا يكون بإرادة الله، ثم يقول لهم: و قد رويتم أيضا إن كان مجتهد أصاب فله أجران في اجتهاده، و إن أخطأ فله أجر «٣»، فهؤلاء في اجتهادهم في السب إن أصابوا فلهم ثواب من اجتهد و أصاب، و إن أخطئوا فكذلك.

ثم نقول لهم: لقد نطق القرآن لهم بالتنزيه و الفوز، و أنه لا وزر عليهم فيما و زروا فيما زعمتم أن عليهم به الوزر و الكفر، و ذاك إما لحكم القضاء و القدر، و إن من تسبونه لا إثم عليهم في سبه، و ذلك في قوله تعالى حكاية عنكم يوم القيامة، و قالوا: ما لنا لا نرى رجلا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ * أَتَخْذَنَاهُمْ سَخِرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ «٤»، و النار ليس فيها بإجماع الكتاب و السنة، و فحوى هذه الآية و برهان العقل إلّا الكافر و المنافق، و الجنة ليس فيها كافر و لا منافق إلّا مؤمن و مسلم، و قد شهدت هذه الآية لشيعه على أنهم ليسوا من الكفار و لا من المنافقين، بل من المؤمنين، و إلّا لكانوا في النار، لكنهم ليسوا فيها فهم في

(١) الطرائف: ١/ ١٧٤ ح ١٨٤.

(٢) الغدير: ١٠ / ٢٧٠.

(٣) فتح الباري: ح ٧٣٥٢.

(٤) ص: ٦٣.

الجنة، و ليس في الجنة إلّا المؤمن، فتعين أن شيعة على هم المؤمنون، و لم يضرهم سبهم الذي سميتوهم به أشرارا، بل كانوا به من الأخيار، فظهر كذبكم على النبي أنه قال: من سب أصحابي فقد سبني، و إن ثبت صدق الحديث لزم من صدقه أن أصحابه

آله، كما تقدّم، فتعين أن بغض المنافقين الشيعة ليس إلّا بحبهم لعلّى، و من أبغض مواليا لعلّى أبغضه الله، و لذلك قال الصادق عليه السّلام: رحم الله شيعتنا انهم أو ذوا فينا و اننا نؤذى فيهم.

فصل

ثم رووا عن رسول الله صلّى الله عليه و آله أنه مات و لم يوص إلى أحد، و أنه جعل الاختيار إلى أمّته، فاختاروا من أرادوا، فكذبهم القرآن و نزّه نبيّه ممّا نسبوا إليه، فقال: **و وصّى بها إبراهيمُ بنيه و يعقوبُ** «١»، و كذبهم فيما افتروا عليه فقال: **و ما كان لمؤمنٍ و لا مؤمنةٍ إذا قضى الله و رسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** «٢»، فأخبر سبحانه أن كل من اختار من أمره غير ما اختاره الله و رسوله فليس بمؤمن، و قد اختاروا فليسوا بمؤمنين بنص الكتاب المبين.

(١) البقرة: ١٣٢.

(٢) الأحزاب: ٣٦.

ص: ٣٣٠

فصل [هفوات العامة فى الأنبياء عليهم السّلام]

و إذا جاز للناس أن يختاروا إماما فلم لا يجوز أن يختاروا نبيّا؛ و الأشعرية منعوا العدل و أنكروا، و جوزوا على الله الظلم، و القرآن يكذبهم، و يقول: **و لا يظلم ربك أحداً** «١».

و جوزوا على الله فعل القبيح و قالوا إنه مريد للخير و الشر، فإذا كان مريدا لهما فلما ذا بعث النبيين و صدعهم؟

و قالوا: إن صفاته زائدة على ذاته، فلزمهم أن يعبدوا آلهة شتى.

و قالوا: لا يجب على الله شيء فهو يدخل الجنة من شاء و يدخل النار من شاء و لا يسأل عمّا يفعل، و منادى العدل يناديهم بالكذب، و يقول: **و لا تجزون إلّا ما كنتم تعملون** «٢»، و يقول: **إن الله لا يظلم مثقال ذرة** «٣»، و يقول: **ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم** «٤».

و المعتزلة قالوا بالعدل، و جوزوا الخطأ على النبيين، و إذا كان الله حكيما عادلا فكيف يبعث نبيّا جاهلا، و أين العدل إذا ما اتخذ الله وليا جاهلا؟

و منعوا الإمامة و قالوا: إن الحسن و القبح شرعيان لا عقليان.

و قالوا: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ إِبْلِيسَ بالسُّجُودَ لِآدَمَ، وَ أَرَادَ مِنْهُ أَنْ لَا يَسْجُدَ، وَ نَهَى آدَمَ عَنِ الشَّجَرَةِ، وَ أَرَادَ مِنْهُ أَكْلَهَا، فَكَيْفَ يَأْمُرُ بِمَا [لَا] يَرِيدُ وَ يَنْهَى عَمَّا يَرِيدُ؟

و المشبهة و المجسمة قالوا: الرحمن على العرش استوى؛ و قالوا: هو جسم كالأجسام.

و قالوا: هو ملء عرشه و له أصابع لا تعد و أن قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن «٥».

(١) الكهف: ٤٩.

(٢) يس: ٥٤.

(٣) النساء: ٤٠.

(٤) النساء: ١٤٧.

(٥) الكافي: ٣٥٣ / ٢.

ص: ٣٣١

و قالوا: إنه لما أهلك قوم نوح بكى عليهم حتى رمدت عيناه.

و قالوا: إنه يوم القيامة يضع قدمه في النار، و تقول قط قط «١».

و قالوا إنه ينزل في كل ليلة جمعة إلى سماء الدنيا، و أن له حمارا يركبه إذا نزل «٢»، و إنه يرى يوم القيامة كالبدر في ليلة تمامه.

ثم وقعوا في الأنبياء فجوزوا عليهم الخطأ و فعل الذنوب و الغفلة «٣»، و رموهم بظاهر القرآن من قوله: **وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى** «٤». و جوزوا على الرسل الكرام فعل الكبيرة و الصغيرة قبل البعثة، و فعل الصغائر بعد البعثة، و جوزوا على سيّد المرسلين فعل الخطأ، و أخذوا بقوله: **وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ** «٥»؛ و ما علموا أن ذاك وزر الحرب لا وزر الذنب.

و قالوا إن جبرائيل شق صدره و أخرج منه علقه، فقالوا هذا خط الشيطان؛ ثم خاط صدره فبقى أثر المخيط «٦».

و قالوا إن أباه مات كافرا «٧»، و هو ابن سيّد المرسلين إبراهيم. ففعلوا كل ذلك لتثبت لهم إمامة الرجل، و جوزوا على النبي حبّ السماع و الرقص، و قالوا إنه تمايل حتى سقط الرداء عن كتفه، و روي أن الرجل دخل عليه و عنده امرأة تنشد الشعر و تضرب الدف فأمرها بالسكوت فسكتت فلما خرج أمرها بالإنشاد فأنشدت فعاد إليه فأمرها بالسكوت فسكتت فلما خرج أمرها

بالإنشاد، فقالت: يا رسول الله من هذا الذى تأمرنى إذا دخل بالسكوت و إذا خرج بالإنشاد؟ فقال: هذا رجل يكره الباطل «٨» فجعلوا نبيهم يحبّ الباطل.

و روى عنه إذا قال: ما ينفعنى شيء كاتنفاعى بمال فلان، فكذبوا القرآن فى قوله

(١) صحيح مسلم: ٢١٨٧ / ٤ ح ٥٠٨٤ كتاب الجنة، و أساس التقديس: ١٤١ فصل ٢٦.

(٢) تنزيه الشريعة: ١ / ١٣٨، و الموضوعات: ١ / ٧٩.

(٣) راجع الطرائف: ٢ / ٤٩ فقد فصل ذلك.

(٤) طه: ١٢١.

(٥) الشرح: ٢.

(٦) رواه مسلم فى كتاب الإيمان: ح ٢٣٦.

(٧) راجع رسائل السيوطى، رسالة نجات آباء الرسول.

(٨) إحياء علوم الدين: ٢ / ٢٧٨ كتاب آداب السماع.

ص: ٣٣٢

وَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنِي «١»، و روى عنه أنه صَلَّى و المرأة تفرك الجنبانة من ثوبه و الله أمره بتطهير ثوبه، فقال: وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ «٢»، فقالوا: المراد بالثوب القلب.

و روى عنه أنه قال: خذوا ثلث دينكم عن ... لا بل خذوا نصف دينكم «٣»، و روى عنه أنه صَلَّى العصر ركعتين و سها فقالوا: إنه يا رسول الله قصرت الصلاة أم نسيت؟ فقال: كل ذلك لم يكن و الضرورة تقضى أحد الوجهين، ثم قام فأعاد، و قال: و ما أنا إلّا بشر مثلكم «٤».

فصل

و كيف جاز فى الحكمة و العدل أن يبعث فى الناس نبيا جاء جاهلا و أمينا خائنا فيكون إذا هو المغرى بالقبيح و الفاعل له.

و روي أنه أتى حائط بنى النجار ففحص و بال قائما «٥»، و روي أنه صلى خلف الرجل و صلى خلف الأعمى ابن مكتوم و قال: لا يخرج نبي من الدنيا حتى يصلى خلف رجل من أمته «٦».

أقول: و كيف جاز للراعى أن يقتدى برعيته و قد أمروا أن يقتدوا به؛ و العقل السليم ينكر هذا و يكفر من قال به؟

ثم نسبوا إليه فى الكلام اللغو و الهجر؟ و الله قد نزّهه عنه، و قال: **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ** «٧».

ثم ما كفاهم ذاك حتى خالفوا مقالة أهل الجنة و مقالة أهل النار و كذبوا على ربهم و نبينهم و كتابهم؛ أما تكذيبهم للكتاب فإن الله يقول: **وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**، و هم يقولون كلما

(١) الضحى: ٧.

(٢) المدثر: ٤.

(٣) و سائل الشيعة: ١ / ٤٧.

(٤) فتح البارى: ح ٤٨٢.

(٥) راجع الطرائف: ٢ / ٣٠٢ بتحقيقنا.

(٦) مسند أحمد: ح ٧٩.

(٧) النجم: ٣.

ص: ٣٣٣

يصدر فى العالم من خير أو شر فإن الله مريده و فاعله، و القرآن ينطق بتكذيبهم، فيقول:

فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ «١». و الرسول يقول: إن هى إلّا أعمالكم و أنتم تجزون فيها إن خيرا فخير و إن شرا فشر «٢».

و يقول [الله تعالى]: **وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** «٣».

و أما كذبهم فى الآخرة فإن الله إذا قال لهم **أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ** «٤».

هناك كذبوا و حلفوا و قالوا: **وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ «٥»**. فكذبوا على أنفسهم و كذبوا ربهم، و أما كذبهم على نبيهم فإنه قوله: نقلت من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية **«٦»**، و صدقه القرآن فقال: **وَتَقَبَّلَكَ فِي السَّاجِدِينَ «٧»**، أى فى أصلاب الموحدين **«٨»**، و هم يكذبون العقل و النقل، و يقولون: ولد من كافر، و يقولون: سها و نسي، و الله يقول: **سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى «٩»**، نفى عنه النسيان، و لو كانت للنهي لكانت لا تنس لكنها لا تنسى.

و أما مخالفتهم لمقالة أهل الجنة فإن أهل الجنة لما قدموا إليها قالوا: **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا «١٠»**، فشكروا ربهم على الهدى، و أهل النار لما وردوها **قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا «١١»** فأقروا أن الشقاء غلب عليهم؛ فالقدريّة فى اعتقادهم يخالفون العقل و النقل و القرآن و الرحمن.

(١) الكهف: ٢٩.

(٢) الغدير بتفاوت: ٥ / ٤٥٢.

(٣) الأعراف: ٢٨.

(٤) الأنعام: ٢٢.

(٥) الأنعام: ٢٣.

(٦) الشفاء: ٨٣ / ١ شرف نسبه.

(٧) الشعراء: ٢١٩.

(٨) الطبقات الكبرى: ٢٢ / ١، و الشفاء: ١٥ / ١، و تاريخ الخميس: ١ / ٢٣٤.

(٩) الأعلى: ٦.

(١٠) الأعراف: ٢٣.

(١١) المؤمنون: ١١٦.

ص: ٣٣٤

و أما العلوية ففرقها ثلاثة: الزيدية، و الغلاة، و الإمامية الاثنا عشرية.

فالزيدية قالوا بإمامة على و الحسن و الحسين و زيد بن على. و هم خمسة عشر فرقة:

البترية، و الجارودية، و الصالحية، و الحريرية، و صاحبية، و يعقوبية، و الأبرقية، و العقبية، و اليمانية، و المحمدية، و الطالقانية، و العمرية، و الركبية، و الخشبية، و الحلسفية؛ و الكل منهم لا يثبتون للإمام العصمة. و يقولون: إن الإمامة مقصورة على ولد فاطمة عليها السلام، و من قام منهم داعيا إلى الكتاب و السنة و جبت نصرته، و منهم من يرى المتعة و الرجعة، و المحمدية منهم يقولون: إن محمد بن عبد الله ابن الحسن حى لم يمت، و إنّه يخرج و يغلب، و هم الجارودية؛ و العمرية يقولون: إن يحيى بن عمر الذى قتل أبوه بسواد الكوفة حى لم يمت، و أنّه يخرج و يغلب. أما الصالحية فهم أصحاب الحسن بن صالح و يعرفون بالسرية، و هم يرون أن عليا أفضل الأمة بعد نبيها، لكنهم لا يسبون الشيخين، و يقولون إن عليا بايعهما بيعة صلاح، و يقولون إن عليا لو حاربهما أحلّ دماءهما لكنه «١» امتنع، و ينكرون المتعة و الرجعة.

و الأبراقية هم أصحاب عباد بن أبرق الكوفى، و هم يخالفون الجارودية و لا ينكرون على الشيخين، و لا يرون المتعة و الرجعة، و الحريرية و هم أصحاب حريز الحنفى الكوفى، و هم كالصالحية لكنهم يزعمون أن عليا لو امتنع من بيعة الشيخين أحلّ دمه، و هؤلاء يبرءون من عثمان، و يكفرون أصحاب على، و يدينون مع كل داع دعا بالسيف من آل محمد صلى الله عليه و آله.

الثانى من الشيعة الكيسانية و هم أربع فرق: المختارية، و المكريّة، و الإسحاقية، و الحزنية.

الثالث من الشيعة الغلاة و هم تسع فرق: الواصلة، و السبائية «٢»، و المفوضة، و المجسمة، و المنصورية، و العراقية، و البراقية، و يعقوبية، و العمامية، و الإسماعيلية، و الداودية، و اتفق الكل من هؤلاء على إبطال الشرائع.

و قالت فرقة منهم: إن الله يظهر فى صورة خلقه، و ينتقل من صورة إلى صورة، و لكل صورة يظهر فيها باب و حجاب، إذا عرفها الإنسان سقط عنه التكليف، و هؤلاء خالفوا العقل

(١) يتفق الصالحية مع المعتزلة فى القول فى ان أمير المؤمنين بايع الخلفاء و رضى بإمامتهم، و لو حاربهم لحكموا بكفرهم.

(٢) فى الأصل المطبوع: السبائية.

ص: ٣٣٥

و النقل، أمّا العقل فإنه يدعو العبد إلى طاعة الله من حيث إنه مالك منعّم أحسن أم ابتلى.

و أمّا النقل فقد قال صلى الله عليه و آله: بين العبد و بين الكفر ترك الصلاة. و قالت فرقة منهم: إن النبى و الأئمة يخلقون و يرزقون، و إليهم الموت و الحياة، و إن الواجب كالصلاة، و المحرم كالخمر، أشخاص من رجال و نساء، و إذا عرفها الإنسان ظاهرا و باطنا حلّت له المحرمات، و سقطت عنه الواجبات.

و افتترقت هذه السبأية ٢٣ فرقة: الخصيبية، و الخدلجية، و النظرية، و الإسحاقية، و القمية، و القتبية، و الجعدية، و الناوسية، و الفضلية، و السرية، و الطيفية، و الفارسية، و اليعقوبية، و العمرية، و المباركية، و الميمونية.

فالسبئية أصحاب على بن سبأ «١». و هو أول من غلا و قال: إن الله لا يظهر إلّا فى أمير المؤمنين وحده، و إن الرسل كانوا يدعون إلى على، و إن الأئمة أبوابه، فمن عرف أن عليا خالقه و رازقه سقط عنه التكليف. و هذا كفر محض.

و الخصيبية أصحاب يزيد بن الخصيب، و عنده أن الله لا يظهر إلّا فى أمير المؤمنين و الأئمة من بعده، و أن الرسل هو أرسلهم يحثون عباده على طاعته، و أن الرجل هو إبليس الأبالسة، و أن ظلمة زريق قديمة مع نور على لأن الظلمة عكس النور.

و أما النصيرية فهم أصحاب محمد بن نصير النمرى، و مقالته: أن الله لا يظهر إلّا فى على.

و الإسحاقية و هم أصحاب إسحاق بن أبان الأحمر، و له مع الرشيد قصص.

و القمية هم أصحاب إسماعيل القمى، و هم يقولون: إن الله يظهر فى كل واحد كيف شاء، و إن عليا عليه السلام و الأئمة نور واحد.

و أما القتبية فإنهم يقولون: إن الباقر عليه السلام حى لم يميت و إنه يظهر متى شاء.

و إن الفطحية و هم أصحاب عبد الله بن جعفر الأفطح، و هؤلاء نسبوا الإمامة إلى الصادق عليه السلام، و ادّعوا فيه اللاهوت.

و الواقفة و قفوا عند موسى، و قالوا: هو حى لم يميت، و لم يقتل، و إنه يعود إليهم.

و الفارسية قالوا: إن بين الله و بين الإمام واسطة، و على الإمام طاعة الواسطة و على الناس

(١) المشهور أنه عبد الله بن سبأ.

و الفرقة المفوضة و شعبها عشرون فرقة، منهم الفواتية و هم أصحاب فوات بن الأحنف، و هؤلاء قالوا: إنّ الله فوّض الخلق و الأمر و الموت و الحياة و الرزق إلى علي و الأئمة من ولده «٢»، و إن الذي يمر بهم من الموت فهو على الحقيقة، و إن الملائكة تأتيهم بالأخبار، و منهم من يقول: إنّ الله يحلّ في هذه الصورة و يدعو بنفسه إلى نفسه.

و العمرية أصحاب عمر بن الفرات و هو شيخ أهل التناسخ؛ و الدانقية أصحاب الحسن بن دائق و هؤلاء عندهم: إنّ الإمام متصل بالله كاتصال نور الشمس بالشمس، فليس هو الله و لا غيره فلا هو مبين و لا ممزوج «٣».

و الخصيبية يعتقدون أنّ الإمام يؤيد بروح القدس و يوقر في اذنه، و الخمارية أصحاب محمد بن عمر الخماري البغدادي، و هم كالإمامية في الترتيب، إلّا أنّ عندهم أنّ الإمام في الخلق كالعين المبصرة، و اللسان الناطق، و الشمس المشرقة، و هو مطلق على كلّ شيء.

أقول: عجا لمقسم هذه الفرق، كيف جعل هؤلاء من الغلاة، و قد ذكر أولّا أنّهم من الإمامية، ثم قال: إلّا أنّ عندهم أنّ الإمام كالعين المبصرة و اللسان الناطق، فدلّ على أنّ هذا الرجل ليس بعارف بمرتبة الولي المطلق، و هو عين الله الناطقة في عباده، و لسانه الناطق في خلقه، و اللايوية أصحاب الجالوت القمي، و عندهم أنّ الإمام هو الإنسان الكامل فإذا بلغ الغاية سكن الله فيه و تكلم منه.

(١) إنّ عبد الله هو ابن ميمون الفلاح، و قد زعموا أنّه ادعى النسب إلى مسلم بن عقيل حين نزل على بنى عقيل بالبصرة. و زعم بعض دعاة الإسماعيلية أنّه من أولاد سلمان الفارسي.

(٢) بنحو الاستقلال.

(٣) يتضح مراد هذه الفرقة: بالصورة تنعكس للشخص في المرأة فليست هي الشخص المقابل للمرأة، و ليست هي غيره، و ليست هي شيئاً مبيناً و لا ممزوجاً.

ص: ٣٣٧

و من الفرق الغالية الكنانية، و هم ثلاثة عشر فرقة: المختارية، و الكيسانية، و الكرامية، و المطلبية و الكل أجمعوا على أنّ محمد بن الحنفية هو الإمام بعد أبيه، و أنّ كيسان «١» هو المختار بن أبي عبيدة الثقفي، و أنّ هذا الاسم سمّاه به أمير المؤمنين، و هؤلاء هم أصل التناسخ.

و المسلمية أصحاب أبي مسلم الخراساني.

و الكنانية أصحاب عامر بن وائل الكناني، و عندهم أنّ الإمام محمد ابن الحنفية، و أنّه حي بجبال رضوى، و أنّه يخرج في عصبة من الملائكة فيملأها عدلاً، و العرفية أصحاب عرف بن الأحمر، و السماعية أصحاب سماعة الأسدي، و كان يظهر الأعاجيب من

المخاريق و النيرانجات و السيميا و غير الفرائض؛ و الغمامية و يقولون: إنّ عليا ينزل في الغمام في كل صيف، و يقولون إنّ الرعد صوت على عليه السلام. و الأزورية قالوا إنّ عليا صانع العالم.

الفرقة الرابعة من هذه الفرق المحمدية، و هم أربع فرق: المحصية، و عندهم أنّ الله لم يظهر إلّا في شيث بن آدم، و أنّ محمدا هو الخالق البارئ، و أنّ الرسل هو أرسلهم، و أنّ الأئمة من ولده أبوابه ليدلوا عباده على ما شرع لهم. و البهمنية قالوا: إنّ الله لم يزل يظهر و يدعو الناس إليه و إلى عبادته، و كل من أظهر قدرة يعجز عنها الخلق فهو الله، لأنّ القدرة لا تكون إلّا حيث القادر، و أنّ القدرة صفة الذات، و البهمنية قالوا: إنّ الله لم يظهر إلّا في أمير المؤمنين عليه السلام و الأئمة من بعده، و إنه أرسل الرسل عبيدا لهم، و احتجوا بقول أمير المؤمنين في خطبته: الحمد لله الذي هو في الأولين باطن، و في الآخرين ظاهر، و أثبت للرسل المعجزات و للأولياء الكرامات. و أمّا النجارية فهم أصحاب الحسن النجار، و هذا ظهر باليمن سنة ٢٩٢ و ادعى أنه الباب، فلما أجابه الناس ادعى الربوبية، و صار إليه رجل يقال له الحسن بن الفضل الخياط و صار يدعو إلى النجار و يزعم أنه بابه، و أمر الناس بالحج إلى دار النجار، ففعلوا و طافوا بها أسبوعا، و حلقوا رؤوسهم، و كان النجار و الخياط يجمعون بين الرجال و النساء، و يحملون «٢» بعضهم على بعض، فإذا ولدت المرأة من أبيها و أخيها سمّوه

(١) كيسان هو مولى محمد بن الحنفية، و ليس هو المختار الثقفي.

(٢) في الأصل يحكمون.

ص: ٣٣٨

الصفوة. و الحلاجية أصحاب الحسين بن منصور الحلاج، ظهر ببغداد سنة ٣١٨ و كان أعجميا، و ادعى أنه الباب، و ظفر به الوزير على بن عيسى، فضربه ألف عصا، و فصل أعضائه و لم يتأوّه، و كان كلّما قطع منه عضو قال:

يطمع في إفساده الدهر

و حرمة الود الذي لم يكن

إلّا و فيه لكم ذكر

ما قد لى عضو و لا مفصل

و أمّا الجبابرة و الحميرية فإنّهم تلاميذ الصادق عليه السلام، و عنه أخذوا علم الكيمياء.

و أمّا الخوارج و هم المارقون من الدين، و هم تسع فرق: الأزارقة و هم أصحاب نافع الأزرق، و هو الذي حرّم التقيّة. و الأباضيون و هم أصحاب عبد الله بن أباض، و هم بحضرموت و المغرب و البواريخ و تل أعفر، و هم يحبون الشيخين و يسبون عليا و عثمان، و سموا خوارج لأنّهم كانوا في عسكر على يوم صفين، ثم مرقوا و خرجوا عن طاعة الإمام العادل فكفروا و لن تنفعهم عبادتهم؛ و الناكثون: طلحة و الزبير، و القاسطون: معاوية و عمرو ابن العاص، و هم أصحاب البغي.

و أما الإمامية الاثنا عشرية «١»، فإنهم أثبتوا لله الواحدانية، ونفوا عنه الاثنينية، ونهوا عنه المثل والمثيل، والشبه والتشبيه، وقالوا للأشعرية: «إن ربنا الذي نعبد ونؤمن به ليس هو ربكم الذي تشيرون إليه، لأن الرب مبرأ عن المثالات، منزّه عن الشبهات، متعال عن المقولات، مبرأ عن الخطأ والظلم، حكم عدل لا يتوهم ولا يتّهم، ولا يجوز عليه فعل القبيح، ولا يضيع عمل عامل، ويجب عليه وفاء العهد، ولا يجب عليه الوفاء بالوعيد، وإن الحسن والقبح عقليان لا شرعيان، وإنه تعالى مرید للطاعات، كاره للمعاصي والسيئات، وإن صفاته عين ذاته المقدسة، ذات واحدة أحدية أبدية سرمدية قيومية رحمانية لها الجلال والإكرام، فإنه لا جبر ولا تفويض، بل مرتبة بين مرتبتين، وحالة بين حالتين»، وأثبتوا أن الأنبياء معصومون صادقون، وأن الله بعثهم بالهدى ودين الحق رسلاً مبشرين ومنذرين صادقين، لا يجوز عليهم الخطأ عمداً ولا سهواً.

ثم قالوا للأشعرية: إن نبيكم الذي تقعون فيه وتشيرون إليه بالخطأ والنقص ليس نبياً

(١) راجع: أمالي الشيخ الصدوق ٥١٠ المجلس ٩٣.

ص: ٣٣٩

الذي أمرنا باتباعه، لأن نبينا طيب المرسلين وحبیب رب العالمين، الكائن نبياً، وآدم بين الماء والطين سيد معصوم، طاهر المولد، زائد الشرف، عالي الفخار، سيد أهل السماوات والأرض، طيب طاهر، على زاهر معصوم، منزّه عن الذنوب والغفلة.

ثم أثبتوا أصلاً رابعاً وهو الإمامة، وبرهنوا أنها لطف واجب على الله نصبه وتعيينه «١»، وعلى الرسول تبينه، لحفظ النور وتدير الأمور، وسياسة العباد والبلا، وأن معرفة الإمام الحق واجبة على كل مكلف كوجوب معرفة النبي، وأن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات كافراً، وأثبتوا أن الإمامة كمال الدين، وعين اليقين، ورجح الموازين، وأنها حرز من الربوبية فلا تنسخ أبداً، فهي من الأزل ولم تزل، وأنها سفينة النجاة، وعين الحياة، وهؤلاء تمسكوا بسلسلة العصمة وسلكوا إلى الصراط المستقيم والنهج القويم.

و ذلك بأن الفرق الثلاث والسبعين أصولها ثلاثة: أشعرية وهم قالوا بالتوحيد والنبوة والمعاد، وأنكروا العدل. والإمامية، والمعتزلة. والإمامية قائلون بذلك، لكن المعتزلة أثبتوا العدل وأنكروا الإمامة، والإمامية قالوا بمقالة الفريقين وزادوا أصلاً رابعاً، وهو ختم الأعمال، وهو الإمامة، فكانت الفرقة المتممة؛ فلها النجاة من ثلاثة وسبعين فرقة، لأنهم أقرّوا بالبعث والنشور، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن أعمال المنافقين حابطة لأنها لم تقع على وجه الحق، فما كان منها من العبادات فهو على غير ما أمر الله، وكله زيف وشبه التشبيه، وشبهه الموقوف عليه صحة العبادات، وقبولها الطهارة، وهي فاسدة، ففسد ما هو مبني على فساد. وثانيها النيات، وهي غير صحيحة، وكذا صدقاتهم لأنها وقعت على غير الحق، لأن ما في أيدي المنافقين مغصوب، ولا قبول للفاسد والمغصوب.

ثم إن المؤمن العارف يعتقد أن تبدل السيئات للمؤمن العارف حسنات، وأثبتوا أن الرب المعبود واجب الوجود، منزّه عن الرؤية بعين البصر، أما بعين البصيرة فلا، وقالوا للأشاعرة:

إن ربكم الذى تدعون رؤيته يوم القيامة ليس هو ربنا الذى نعبد، لأن ربنا الذى نعبد ليس كمثلته شىء، و من لا مثل له لا يرى، فالرب المعبود لا يرى، و أن الرب المخصوص بالرؤية يوم القيامة هو الذى أنكرتم ولايته فى الدنيا، فكفرتم فيه لعداوته و إنكار ولايته، لأنه هو

(١) راجع أمالى الشيخ الصدوق ٥٣٧ المجلس ٩٧.

ص: ٣٤٠

الولى و الحاكم الذى له الحكم و إليه ترجعون، و إليه الإشارة بقوله عليه السلام: أنا العابد أنا المعبود، و أثبتوا أن عليا مولى الأنام، و أنه أفضل الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه و آله حظا و نصيبا، و أنه الأعلم و الأزهد و الأشجع «١» و الأقرب «٢»، و أنه معصوم واجب الطاعة خصا من العلى العظيم، و نصا

(١) أجمعت الفرق الإسلامية على صحة ما ذكره المصنف و إليك نموذجها:

* على أفضل الصحابة

قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «الصديقون ثلاثة: حبيب بن موسى النجار و هو مؤمن آل يس، و حزقيل مؤمن آل فرعون، و على بن أبى طالب و هو أفضلهم» (فضائل الصحابة لأحمد: ٢/ ٦٢٧ - ٦٥٦ ح ١٠٧٢ و ١١١٧، و الجامع الصغير: ٢/ ٨١، و تاريخ الخميس: ٢/ ٢٧٥، و أمالى الشجرى: ١/ ١٣٩، و الفيض القدير: ٤/ ٢٣٨ و الفردوس: ٣/ ٤٢١ ح ٣٨٦٦ و مناقب ابن المغازلى: ١٦١ ط. بيروت و ٢٤٦ ح ٢٩٣ ط. طهران)

و قال صلى الله عليه و آله: .. و لكن يا أبا عقاب فضل على سائر الناس كفضل جبرئيل على سائر الملائكة» (كفاية الطالب: ٣١٦ الباب السابع و الثمانون)

و قال صلى الله عليه و آله فى ذكر الصحابة: «.. و أفضلهم على» (الكامل لابن عدى: ٦/ ٧٧ ترجمة كوثر بن حكيم ١٦١٠).

و قال صلى الله عليه و آله: «خيرها و أتقاهها و أفضلها و أقربها إلى الجنة أقربها منى و لا أقرب و لا أتقى إلى من على ابن أبى طالب» (ينابيع المودة: ١/ ٢٩٤ عن كتاب الهمدانى (مودة القربى - المودة الثالثة).

و قال صلى الله عليه و آله: «أفضل رجال العالمين فى زمانى هذا على و أفضل نساء الأولين و الآخرين فاطمة» (ينابيع المودة: ١/ ٣٠٢ عن مودة القربى المودة السابعة).

و قال صَلَّى الله عليه و آله: «إن الله عز و جل يقول: يا عبادى .. ألا فاعلموا أن أكرم الخلق على و أحبهم إلى محمد، و أفضلهم لدى محمد و أخوه على من بعده، و الأئمة الذين هم الوسائل» (إرشاد القلوب: ٢ / ٤٢٤).

و قال صَلَّى الله عليه و آله: «يا على لو أن أحدا عبد الله حق عبادته ثم يشك فيك و أهل بيتك أنكم أفضل الناس كان فى النار» (ينابيع المودة: ١ / ٣٠٢ عن مودة القربى - المودة السابعة).

✽ على اعلم الصحابة

قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله: «أعلم أمتى من بعدى على بن ابى طالب» (جامع الأحاديث للسيوطى: ١ / ٤٩١ ح ٣٤١٤، و كنز العمال: ١١ / ٦١٤ ح ٣٢٩٧٧ ط. بيروت و ٦ / ١٥٦ ط. دكن ١٣١٢، و كنوز الحقائق: ٣٩٠ ط. مصر و ١٨ ط. إسلامبول ١٢٨٥).

و قال ابن عباس: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله: «على بن ابى طالب أعلم أمتى و أقضاهم فيما اختلفوا فيه من بعدى» (قصص الأنبياء: ٤١٩، و كمال الدين: ١ / ٢٦٣).

و قال الحسن بن على عليه السلام قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله: «على أعلم الناس بالله و الناس» (كنز العمال: ١١ / ٦١٤ ح ٣٢٩٨٠). و قال المقداد: «إنى لأعجب من قریش أنهم تركوا رجلا ما أقول أن أحدا اعلم و لا أقضى منه بالعدل» (تاريخ الطبرى: ٣ / ٢٩٧ حوادث سنة ٢٣ قصة الشورى و تاريخ اليعقوبى: ٢ / ١٦٣ أيام عثمان، و شرح النهج: ١ / ١٩٤ خ ٣، و الكامل فى التاريخ: ٣ / ٢٢٣ حوادث سنة ٢٣ قصة الشورى، و العقد الفريد: ٤ / ٢٦٤).

و قال يزيد الثقفى: لا جرم كان على أقضاهم و أعلمهم و أفضلهم (تاريخ دمشق: ٦٣ / ٨٠ ترجمة يزيد الثقفى كاتب الحجاج).

✽ على أزهد الصحابة

قال رسول الله لفاطمة عليهما السلام: «أما ما تعلمين يا بنية أن من كرامة الله إياك أن زوجك خير أمتى ..

و أزهدهم فى الدنيا» (كتاب سليم: ٧٠ و ٩٣).

و عن سعد بن أبى و قاص فى الرد على من شتم أمير المؤمنين عليه السلام: «ألم يكن أزهد الناس؟» (مستدرک الصحيحين: ٣ / ٤٩٩ ذكر مناقب أبى إسحاق سعد بن أبى و قاص).

و قال قبيصة: «ما رأيت فى الدنيا أزهد من على بن أبى طالب» (نهج الحق: ٢٤٥، و كشف اليقين:

١٠٧ ح ١٠١، و مناقب الخوارزمى: ١٢٢ ح ١٣٦ فصل ١٠).

✽ على أشجع الصحابة

قال رسول الله لفاطمة عليها السلام ... «فزوجك إياه و اتخذهُ وصياً، فهو أشجع الناس قلباً» (يتابع المودة:

٢/ ٣٩٥ الباب ٦٠ و مناقب الكوفي: ٢/ ٥٩٥ ح ١١٠٠).

و أخرج الحارث عن شداد بن الأوس عن رسول الله صلى الله عليه و آله: «على ألب أمتي و أشجعها» (المطالب العلية: ٨٥ / ٤ ح ٤٠٣٠، و كنز العمال: ١١ / ٧٥٣ ح ٣٣٦٧٠).

و عن الشعبي: «كان على أشجع الناس تقرّ العرب بذلك» (الاستيعاب: ٣ / ٣٦٣).

(٢) الصواعق المحرقة: ٢٧٠، و جواهر العقدين: ٣٨٠.

ص: ٣٤١

من الرؤوف الرحيم.

و أنه صلى الله عليه نصّ على الحسن، و نص الحسن على الحسين، و الحسين نصّ على بن الحسين من بعده، حتى انتهى إلى الخلف المشار إليه «٣»، و أن كل إمام منهم أفضل أهل زمانه «٤»، و أنه لا يحتاج في العلم إلى أحد، و أن أمرهم واحد و نورهم واحد، و لا يتقدّم عليهم إلّا من كفر بالله و رسوله، و أن معرفتهم واجبة و طاعتهم لازمة، و أن التبرؤ من أعدائهم واجب كوجوب معرفتهم، و أن فضلهم أشهر من الشمس أحياء و أمواتا، و أن قبورهم و مشاهدهم ملجأ القاصدين و ملاذ الداعين، و أنّهم الوسيلة و الذخيرة يوم الحسرة، و أن

(٣) قد فصلنا ذلك في كتابنا النصوص على آل محمد.

(٤) قد ذكرنا كون كل إمام أفضل أهل زمانه في كتابنا النصوص على آل محمد.

ص: ٣٤٢

التابعين لهم هم أهل النجاة، و لهم في معرفتهم الحسنات.

و لقد رأيت في دهري عجبا رجلا من أهل الفتوى، عالما من أهل الدعوى، قد سئل عن أمير المؤمنين: أ يعلم الغيب؟ فعظم عليه السؤال، و كبر لديه هذا المقال، و قال: لا يعلم الغيب إلّا الله.

ثم رأيت بعد ذاك باعتقاد جازم، و عقل عادم، و لحية نفيسة، و عقل أخف من ريشة، قد جلس إلى جنب أفاك أثيم، و قال له: كيف ترى حالي في هذه السنة، و كيف طالعي، و هل على نقص أم زيادة، و كيف تجد رملي على ما ذا يدل؟ فلما قال له حشوا

من الكذب صدّقه و اعتقده، فقام يصدّق الكهّان، و يطعن في ولىّ الرحمن. و جاء يكذب الإمام المعصوم الذى برأه الله من الذنوب، و أطلعه على الغيوب، و يصدق الأفاك الأثيم فى تعجيله و تأخيرهِ.

فانظر إلى غيب الأذهان كيف يشرون الكذب بالإيمان، و تصديق قول الكهّان، و يرتابون فى قول سفير القرآن، و يدعون بعد ذلك الإيمان، و أنى لهم الإيمان، و هم مرتابون فى قول العلى العظيم، و يصدّقون قول الأفاك الأثيم.

فصل

و من أين للمنجم معرفة علم حجب الوصى! و هل يخدع بالقال إلّا عقول الأطفال؟ هذا و مولاهم عن ذلك قد نهاهم، و هم مع النهى البليغ للكهّان المنجم يعتقدون، و لكذبه يصدّقون، و بإفكه يفرحون، و لما حذرهم يحذرون، و لإمامهم يكذبون، و فى أقواله يرتابون، و لفضله ينكرون، و لمن رواه يعادون و يتّهمون، فإنّا لله و إنّنا إليه راجعون.

و لما رويت حكاية سلمان، و أنه لما خرج عليه الأسد قال «١»: يا فارس الحجاز أدركنى، فظهر إليه فارس و خلّصه منه، و قال للأسد: أنت دابته من الآن. فعاد يحمل له الحطب إلى باب المدينة امتثالاً لأمر على عليه السّلام، فلما سمعوا قالوا هذا تناسخ. و قالوا و أين كان على هناك؟ و كيف كان قبل أن يكون؟ و أقبلوا ينكرون ما هم له مصدّقون و لا يشعرون.

(١) مدينة المعاجز: ١١ / ٢.

ص: ٣٤٣

فقلت لهم: أ ليس قد روى ابن طاوس فى كتاب المقتل مثل هذا بعينه، و قال: إنّ الحسين لما سقط عن فرسه يوم الطف قالت الملائكة: ربنا يفعل هذا بالحسين و أنت بالمرصاد؟

فقال الله لهم: انظروا إلى يمين العرش. فنظروا فإذا القائم قائماً يصلّى، فقال لهم: إننى أنتقم لهذا بهذا من هؤلاء. فقالوا بلى. «١».

فقلت: و أين كان القائم هناك؟ و كيف كان قبل أن يكون؟ و أين يكونون أولئك عنده إذا ظهر؟ و كيف رويتم هذا الحديث بعينه فصدقتموه فى المستقبل و كذبتموه فى الماضى، و ما الفرق بين الحالين؟

فيا أيّها التايه فى تيه حيرته و ارتيابه، و هو يزعم أنه مؤمن آمن من عذابه، كيف أنت و ما أمنت و لا أمان إلّا بالإيمان، و الله يقول و قوله الحقّ: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا «٢». فكيف يأمرهم بالإيمان و قد آمنوا؟ و معناه يا أيّها الذين آمنوا بالله و برسوله آمنوا بسرّ آل محمد و علانيتهم، فإنّ ذلك حقيقة الإيمان و كماله، لأنّ علياً هو النور القديم المبتدع قبل الأكوان و الأزمان، المسبّح لله و لا فم هناك و لا لسان، أ ليس كان فى عالم النور قبل الأزمان و الدهور، أ ليس كان فى عالم الأرواح قبل خلق الأجسام و الأشباح؟ أ ما سمعت قصة الجنى، إذ كان عند النبى صلى الله عليه و آله جالسا، فأقبل أمير المؤمنين عليه السّلام فجعل الجنى

يتصاغر لديه تعظيماً له و خوفاً منه، فقال: يا رسول الله إنني كنت أطير مع المردة إلى السماء قبل خلق آدم بخمسمائة عام، فرأيت هذا في السماء فأخرجني وألقاني إلى الأرض، فهويت إلى السابعة منها، فرأيتُه هناك كما رأيته في السماء «٣».

أيها السامع لهذه الآثار، لا تبادر إلى التكذيب والإنكار، فإن الشمس إذا أشرقت يراها أهل السماء كما يراها أهل الأرض، و ينفذ ضوءها و نورها في سائر الأقطار، و هي في مكانها من الفلك الدوّار، و ليست الشمس أعظم ممّن خلقت من نوره سائر الأنوار، دليله قوله: أوّل

(١) الكافي: ١/ ٤٦٥، و معجم الإمام المهدي: ٣/ ٣٨٢.

(٢) النساء: ١٣٦.

(٣) حلية الأبرار: ٢/ ١٦، و مدينة المعاجز: ٢/ ٤٤٥.

ص: ٣٤٤

ما خلق الله نوري، ثم عصره فخلق منه أرواح الأنبياء، ثم عصره عصرة أخرى فخلق منه الشمس و القمر و سائر النجوم «١».

فليت شعري ما ذا أنكر من أنكر؟ أ أنكر وجوده قبل الأشياء، أم أنكر قدرته على الظهور فيما يشاء، و من أنكر الأول فهو أعور، و من أنكر الثاني فإما أن يعمي أو يبصر! أما تنتظر إلى الماء إذا أفرغ في الأواني الزجاجية ذات الألوان كيف يتلون بألوانها للطفه و بساطته، و المادة الشفافة إذا أدنيتها إلى خط مرقوم فإنك تقرأه منها، و القمر إذا ظل على البحر فإنك تراه في أفق السماء و في قعر الماء، و محمد و علي هما البحر اللجى، و الماء الذي منه كل شيء حي، و الكلمة التي بها ظهر النور، و دهرت الدهور، و تمتّ الأمور، إلى يوم النشور.

و يكفي في هذا الباب قولهم: أمرنا صعب مستصعب لا يحمله نبي مرسل و لا ملك مقرب «٢».

و إذا كان أمرهم و سرهم لا يحمله الملائكة المقربون، و لا الأنبياء و المرسلون، و سكّان الحضرة الإلهية لا يعرفون، فكيف رددتم ما لم تحيطوا به خبراً و كذبتموه؟ أ لم تعلموا أنهم الشجرة الإلهية التي كل الموجودات أوراقها و ألقاها؟ و السرّ الخفى المجهول الذي لا تدركه الأفهام و العقول، و لله در أبي نؤاس إذ يقول:

لعلمه و علاه في ذوى النسب

لا تحسبني هويت الطهر حيدرة

و لا التلذذ في الجنات من أربى

و لا شجاعته في كل معركة

رجوته من عذاب الحشر يشفع بي

و لا التبرأ من نار الجحيم و لا

لكن عرفت هو السرّ الخفى فإن

أذعته حللوا قتلى...

و من ذاك ما رواه المقداد بن الأسود قال: قال لى مولای يوما آتنى سيفى، فجئته به، فوضعه على ركبتيه، ثم ارتفع فى السماء و أنا أنظر إليه حتى غاب عن عيني، فلما قرب الظهر نزل و سيفه يقطر دما، قلت: يا مولای أين كنت؟

(١) راجع البحار: ٢٤ / ١٥ و: ٢٢ / ٢٥.

(٢) بحار الأنوار: ٢ / ١٨٤ ح ٦ و البصائر ٢٢ ح ١٠ و فيه: لا يتحمله.

ص: ٣٤٥

فقال: إن نفوسا فى الملاء الأعلى اختصمت فصعدت فطهرتها. فقلت: يا مولای و أمر الملاء الأعلى إليك؟

فقال: أنا حجّة الله على خلقه من أهل سماواته و أرضه، و ما فى السماء من ملك يخطو قدما عن قدم إلّا بإذنى.

أنكر هذا الحديث قوم و عارض فيه آخرون، فقالوا: كيف صعد إلى السماء و هو جسم كثيف؟

فقلت فى جواب من أنكر: إنّ عليا ليس كآحاد الناس [و ليسوا] كعلی، و ذاك غير جائز، و أين النور من الظلام، و الأرواح من الأجسام، و من لا ينكر صعود النبی صلی الله عليه و آله لا ينكر صعود الولی، و لا فرق بينهما فى عالم الأجسام، و لا فى الرفعة و المقام.

أ ما سمعت ما رواه ابن عباس: أن النبی صلی الله عليه و آله لما جاءه جبرائیل ليلة الإسراء بالبراق عن أمر الله بالركوب، فقال له النبی صلی الله عليه و آله: ما هذه؟

فقال: دابة خلقت لأجلک و لها فى جنة عدن ألف سنة، فقال له النبی صلی الله عليه و آله:

و ما سير هذه الدابة؟

فقال: إن شئت أن تجوب بها السّماوات السبع و الأرضين السبع فتقطع سبعين ألف عام ألف مرة كلمح البصر قدرت، و إذا كانت دابة النبی صلی الله عليه و آله لها هذه القدرة، فكيف من لأجله و بأجله خلقت كل دابة.

يؤيد هذا ما رواه محمد بن الحسن الصفار فى كتاب بصائر الدرجات، قال: إن رجلا من علماء اليمن حضر مجلس أبى عبد الله، فقال له: يا يمينى، أ فى يمينكم علماء؟ قال: نعم، قال:

فما بلغ عالمكم؟ قال: يسير في ليلة واحدة سير شهرين تزجر الطير، فقال له أبو عبد الله: إنَّ عالم المدينة أفضل، فقال اليمنى: و ما يفعل؟

قال: يسير في ساعة من النهار مسيرة ألف سنة حتى يقطع ألف عالم مثل عالمكم هذا «١».

يؤيد هذا ما رواه صاحب التحف: أن عليا عليه السلام مرَّ إلى حصن ذات السلاسل، فدعا سيفه

(١) دلائل الإمامة: ١٣٥ معاجز الصادق عليه السلام.

ص: ٣٤٦

و درقته، و ترك الترس تحت قدميه و السيف على ركبتيه، ثم ارتفع في الهواء، ثم نزل على الحائط و ضرب السلاسل ضربة واحدة فقطعها، و سقطت الغرائر، و فتح الباب «١»، و هذا مثل صعود الملائكة و نزولهم. ثم نقول للمنكر: أ لم تعلم أن العالم بالله، المعرض عمَّن سواه، إن شاء ارتفع في الهواء، و إن شاء مشى على الماء، و اخترق الأجواء. فإنَّ عظم هذا لديك فانظر:

أ ليس قد ارتفع إدريس و عيسى «٢»؟

أ ليس قد شق البحر لموسى «٣»؟

أ ليس قد ركب سليمان على الهواء «٤» و ركب الخضر على الماء؟

أ ليس كل الموجودات مطيعة للمولى الولي بإذن الرب العلي؟

أ ليس الكل دابة و هو الحاكم المتصرف، و إلَّا لم يكن مولى للكل، و هو مولى الكل، فالكل طوعه و مسخرات بأمره.

(١) البحار: ٣٣ / ٤٢ ح ١١ ضمن حديث طويل.

(٢) بقوله: **إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَ رَافِعُكَ إِلَيَّ**.

(٣) بقوله تعالى: **فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ** الشعراء: ٦٣.

(٤) بقوله: **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ .. فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ**.

ص: ٣٤٧

فصل [علم الكتاب عند آل محمد عليهم السلام]

أما بلغك وصف شق الأرض لآصف، لما دعا بحرف واحد من ٨٢ حرفاً، وهى بأجمعها عند أمير المؤمنين عليه السلام، وبذلك نطق الذكر الحكيم. وإليه الإشارة بقوله: **قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ «١»**، وقال عن أمير المؤمنين: **وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ «٢»**، لا بل هو هى وهى هو لأنه الكلمة الكبرى، وإليها الإشارة بقوله: **لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى «٣»**، وليس هذا من باب التبعيض ولكنه مقلوب الخط، ومعناه: لقد رأى الكبرى من آيات ربه، وقال لربه: من آياتنا الكبرى، وقال: أنا مكلم موسى من الشجرة، أنا ذلك النور «٤».

وأما ليلة المعراج، لما صعد النبي إلى السماء رأى عليها هناك، أو قال: رأى مثاله فى السماء، أو قال: كشطت السماء فرآه ينظر إليه، وكيف يغيب عنه وهو نفسه وشقيق نوره؟
وهو النور الأعظم فى السماوات والأرض.

ثم إن الله جل اسمه خاطبه فى مقام القرب بلسان على، فعلى هو الآية الكبرى التى رآها موسى ومحمد عند خطاب رب الأرباب، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: ليس لله آية أكبر منى، ولا نبأ أعظم منى «٥».

وما الفرق بين صعوده إلى السماء، وبين نزوله تحت الأرض وشق الأرض ولمن كان يدين الله بدين وآيات أولياء الله من المصدقين، ولعلك تقول: كيف يكون فى الملاء الأعلى

(١) النمل: ٤٠.

(٢) الرعد: ٤٣.

(٣) النجم: ١٨.

(٤) تقدم الحديث.

(٥) بحار الأنوار: ٣٦ / ١ ح ٢.

ص: ٣٤٨

خصومه؟ والقرآن يذكر هذا من قوله: **مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ «١»**. أما سمعت قصة هاروت وماروت وفطرس الملك؟ أما علمت أن الجن الطيار مسكنهم الهواء؟ وبطن الأرض مسكن المتمردين؟ فاختمت طائفة من الجن فصعد إليهم الولي الأمين فظهرهم. أقبل من لا يعلم ولا يفهم ولا حظ له من السر إليهم، فهو كما قيل لداود: الخل لا يدرى بطيب حلاوة العسل. ويقول نزل من السماء وسيفه يقطر دماً.

و لمن قيل فى السماء، و كيف يقع القتل على الجن، و هم أجسام شفافة، و من أين للشفاف دم؟ فقلت: يا قليل العبرة، و كثير العبرة، و قطير القطرة، أ لم تمطر السماء دما و رمادا لقتل الحسين عليه السلام «٢»؟

و من أين للسماء رماد و دم؟ بل هى آيات بينات. أ لم يعلم أن عليا قتل الجن و أخذ عليهم العهد؟

فإذا لم يكن لهم دم و لا نفوس فكيف وقع عليهم القتل، و ليس هذا مكان التأويل.

و صدق هذا المدعى قوله سبحانه: **لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** «٣»، و كيف يحرق النار من ليس بجسم؟ و كيف يتألم بالعذاب من ليس له عروق و لا دم؟ و إذا كان الجن مخلوقين من النار و لا تؤثر النار فيهم فمن ترى يدخل النار عوضا عن إبليس و قد أضل الأولين و الآخرين؟

أف لعقلك المستقيم و رأيك العديم، أ ما علمت أن عليا منبع الأنوار، و آية الجبار، و صاحب الأسرار، الذى شرح لابن عباس فى ليلة حتى طفى مصباحها صباحها، فى شرح الباء من بسم الله، و لم يتحول إلى السين، و قال: لو شئت لأوقرت أربعين بعيرا من شرح بسم الله الرحمن الرحيم «٤».

فإن كبر عليك إعراضهم، و زادت عند سماع الأسرار أمراضهم، فأنشدهم و لا تنشدهم، أ ما ذا عليهم لو أجابوا الداعى، لكنهم خلقوا بغير سماع.

(١) ص: ٦٩.

(٢) عيون أخبار الرضا: ٢ / ٢٦٨، و الأمالى للصدوق: ١٨٩.

(٣) هود: ١١٩.

(٤) تقدّم الحديث.

ص: ٣٤٩

ثم يتمم هذه الأسرار ما رواه صاحب المقامات، مرفوعا إلى ابن عباس قال: رأيت عليا يوما فى سكك المدينة يسلك طريقا لم يكن له منفذ، فجئت فأعلمت رسول الله صلى الله عليه و آله، فقال:

إنّ عليا علم الهدى و الهدى طريقه، قال: فمضى على ذاك ثلاثة أيام، فلما كان فى اليوم الرابع أمرنا أن نمضى فى طلبه، قال ابن عباس: فذهبت إلى الدرب الذى رأيته فيه و إذا بياض درعه فى ضوء الشمس، قال: فأتيت فأعلمت رسول الله صلى الله عليه و آله بقدمه، فقام إليه فلاقاه و اعتنقه و حمل عنه الدرع بيده و جعل يتفقد جسده، فقال له عمر: كأنك يا رسول الله توهم أنّه كان فى الحرب، فقال له النبى صلى الله عليه و آله: يا ابن الخطاب: و الله لقد ولى على أربعين ألف ملك، و قتل أربعين ألف عفريت،

و أسلمت على يده أربعون قبيلة من الجن، و إن الشجاعة عشرة أجزاء، تسعة منها في على، و واحدة في سائر الناس، و الفضل و الشرف عشرة أجزاء تسعة منها في على و واحدة في سائر الناس، و إن علياً منى بمنزلة الذراع من اليد، و هو ذراعى من قميصي، و يدى التى أصول بها، و سيفي الذى أجالد به الأعداء، و إن المحب له مؤمن، و المخالف له كافر، و المقتفى لأثره لا حق «١».

(١) بحار الأنوار: ٢٧ / ٢٢٦ ح ٢٢.

ص: ٣٥٠

خاتمة

فى ختم هذه الرسالة و بيان هذه المقالة، اعلم أن الذى دعانى إلى كشف هذه الأسرار، و حملنى على قطف هذه الأزهار و إبراز هذه الأبرار من خدور الأفكار، و كان حقها أن تصان و لا تذاع فتهان، لأن الحرام كالحرمان إظهار الخواص للعوام، أنى لما رويت من أسرار أئمة الأبرار دررا، و جلوت منها غررا، تؤمن معرفتها من العذاب، و تدخل الجنة بغير حساب، لأنها خط ممّا خط على خطط الجباه، و رقم رقم حبها على السنة العقول و الأفواه، و لا ينشق ربّاه إلا كل حليم أواه، و أخذ لها العهد على النسمات فى الأزل و ختم فرضها على البريات و لم يزل، فلما ندّ ندها و فاح شذاها ندّ بالأفكار ندها و مل شداها، حتى صار المنافق يهجرها و لا ينشق ربّاه، و الموافق ينكرها و لا يخاف الله عقباها، و هى لهداها إلى الحق أحق أن يتبع و عيباهى و لتناهى «١» بلسان الصدق أصدق ما يسمع، فأصبحت مع عظيم الحاجة إليها لا تحنو القلوب عليها و لا تحن الطبائع إليها، فاعجب لها كيف لا يركب نهجها و فاز فى سفينة النجاة، و لا تتطلب و هى عين الحياة مع تقاطر الأيدي و المتاجر دفع طيبها و طيب عرقها، تلحظها العيون بأهداب الحقد، تلفظها الفنون بأفواه الرفض، و هى أنفـس نفـيس بحيث إنها تتنافس فيه النفوس، فصارت تبعدها عن الأذهان بكذب فيها و بهتان، فكانت كما قيل:

وقع الكساد يخان فيه و يسرق

و من العجائب أنه لا يشتري

و أقبل الحساد و اللوام، كلّ يغض على عين البغضاء، و يغض عن طرق اللأواء و الأحناء، و ليس علىّ فى مجمع الفرقان عيوب، و لا فى صحيفة اللواء ذنوب، غير حبي لعلى، و نشرى لصحائف أسرارها، فإذا كان هذا هو الذنب، و عليه و فيه العتب، فحبذا ذنب هو أعظم الحسنات و سبيل النجاة، و عتب هو أحلى من نسمات الحياة عند ذكر الملمات، و ذكر ذنب منه لا أتوب، و عيب منه لا أؤوب، بل أقول كما قال قيس عامر:

(١) كذا بالأصل.

جنيت فقد تكاثرت الذنوب

أتوب إليك يا رحمان ممّا

زيارتها فإنّي لا أتوب

و أما عن هوى ليلي و تركي

و حسبك نعمة لا يقدرونها، لا توجد إلّا لمن سبقت له من الله الحسنى، لمعرفة المقصد الأسنى، فعلى فى تحقيق الحقائق، و على فى تدقيق الدقائق، بمعرفة إمام الخلائق، و اقتدى بالإله الخالق، و النبى الصادق، و الكتاب الناطق، لأن الرب العلى، و النبى الأمّى، أشدّ حبّاً لعلّى و أعظم معرفة بالولى، فقل لمن أغراه هواه و أهواه: **هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ «١»**، و قل لمن أذعن فى حربى: **إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي «٢»**، و لقد شاع عنى حب ليلي، و اننى كلفت بها عشقا، و همت بها وجدا، فعرض لى من كل شىء حسانه، و عرض لى حبا، و أبدين لى ودا، و قلن عسى أن ينقل القلب ناقل غرامك عن ليلي إلينا فما أبدى:

و أعشقها إذا ألفت مع غيرها أبدا

أبى الله أن أنقاد إلّا لحبّها

و لكنّها فى حسنّها جازت الحدا

فو الله ما حبى لها جاز حدّه

فقل للآثم و النائم عن سرّه المبنى المنبته لمن أنت أنت به **«٣»**، أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده فما أنا فى حبهم مقتد، بخاتم النبیین و الكتاب المبين، إذ مدحه فيه بين الباء و السين، و أقول كما قال بعض العارفين:

و غبت عنى نها من شدّة الطرب

لبّيت لما دعانى ربه الحجب

و وجهها فى بلاد الهند لم يغب

تركية فى بلاد الهند قد ظهرت

إلى لوى فصار الحسن فى العرب

ألوت تطل على أبيات فارسها

و فى انتسابى إليه ينتهى نسبى

و لست ممّن غدا فى الحبّ متّهما

هان على حب ليلي فهو ابن أبى

فكل صب بهاؤه و جاء ببر

فقمتم أهزأ فى حبّها اللوأم، و لا أخشى ملام من لام، و أقول بلسان أهل المعرفة و الغرام:

و لست أخشى من عدو كمد

يلوموننى فى حبه من حسد

(١) يوسف: ١٠٨.

(٢) الأنعام: ٥٧.

(٣) كذا بالأصل.

ص: ٣٥٢

من قبل أن يخلق كرم الجسد

و أشرب فى الأرواح راح الولا

فى السكر العشاق حتى الأبد

فها أنا بشنان من حبها

فشهرت ذيل العزلة، و أخرت يدى من حب الوحدة، و أنست بالحق و ذاك أحق، إذ لا خير فى معرفة الخلق، أقتدى بقول سيّد النبیین و شفيع يوم الدين: الخير كلّ فى العزلة، و الخير و السلامة فى الوحدة، و البركة فى ترك الناس، خصوصا أهل هذا الزمان جواسيس العيوب، اللابسين أثواب الحسد منهم على كل حسن، الصديق الحميم و السليم الود منهم كالسليم و الخل الموحد، و خل الود و دّ لمعاصم الغيبة و أدامم الريبة «١»، يسرون الحسنات و يظهرون السيئات، و يحبّون أن تشيع الفاحشة، فثق بالله و ذرهم و اتخذ إليه سبيلا، وَ اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا «٢».

و تأسيس بقول الرسول صلى الله عليه و آله: إن الله أخذ ميثاق المؤمن أن لا يصدق فى قوله، و لا ينتصف من عدوه، و لا يشفى من غلبته، و من آذى مؤمنا لم يدخل حضرة القدس.

و المؤمن هو العارف بعلى. و إليه الإشارة بقوله: أعرفكم بالله سلمان «٣».

و كان سلمان أعرف الناس بعلى، فمن كانت معرفته بعلى أكثر كان لله أعرف و إليه أقرب.

فليس الإيمان إلّا معرفة على و حبه، لأن من عرف عليا عرف الله.

و إليه الإشارة بقوله: يعرفك بها من عرفك «٤»، فمن آذى مؤمنا حسدا على ما آتاه الله فحسبه قول مولا: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ «٥».

و دخلت بركة دعائهم فى جملة المرحومين، و صرت من شيعتهم الموحدين، بقولهم:

رحم الله شيعتنا إنهم أودوا فينا و لم نؤذ فيهم، أوديت حسدا على ما فى فضلهم، أوتيت طربا بما أوليت:

و خص أهيل الولا بالبالا

أما و الذى لدمى حلا

(١) كذا بالأصل.

(٢) المزمل: ١٠.

(٣) تقدّم الحديث.

(٤) تقدّم الحديث.

(٥) النساء: ٥٤.

ص: ٣٥٣

لما قال قلبي لساقيه: لا

يلذ افتضاحي بين الملا

بأن المحبّ هو المبتلى

لئن ذقت فيه كئوس الحمام

فموتى حياتي و في حبه

مضت سنة الله في خلقه

فقمتم أهبجر معتذرا إلى من لا منى و لحانى، و قلت له مقالة الواثق العاني، إلّا بما أو لانى ربي من خصائص ديني، يكفيني بها من النار و يقيني، و حب على و عترته فرضى و سنتى و ديني، و قبلتى و عدّتى و يوم فاقتي، و به ختم أعمالي و مقالتي

و قلت:

و كل كلى منكم و عنكم

إذا وقفت نحوكم أيّم

و حبّكم فى خاطرى مخيم

بجفن عيني لثراها ألثم

جعلت عمرى فاقبلونى و ارحموا

و استنقذوه فى غد و أنعموا «\»

فرضى و نفلى و حديثى أنتم

و أنتم عند الصلاة قبلتى

خيالكم نصب لعيني أحدا

يا ساداتى و سادتى أعتابكم

وقفا على حديثكم و مدحكم

منّوا على الحافظ عند فضلكم

ثم أقول ختما للكتاب و قطعاً للخطاب:

أنا عبد لعلی المرتضى مولى الموالى	أيها اللائم دعنى عنك و اسمع وصف حالى
آية الله التى و صفها القول حلالى	كلما ازددت مديحا فيه قالوا لا تغالى
و إذا أبصرت فى الحق يقينا لا أبالى	كم إلى كم أيها العاذل أكثرت جدالى
رح إلى ما كنت ناحى و اطرحنى فى ضلالى	يا عدولى فى غرامى خلنى عنك و حالى

(١) أعيان الشيعة: ٤ / ٤٦٦.

ص: ٣٥٤

إن حبيبى لعلی المرتضى عين الكمال
و به أكملت دينى و به ختم مقالى

و إلى هذا الختام انتهى أمد الكلام من مشارق أنوار اليقين فى حقائق أسرار أمير المؤمنين عليه الصلاة و السلام و التحية و الإكرام.

ص: ٣٥٥

مجموعة من شعر الشيخ رجب البرسى

ثبت فى هذا الباب ما وقفنا عليه من شعر صاحب المشارق الحافظ الشيخ رجب البرسى الحلّى، جمعناه من بعض المصادر التاريخية التى تناولت ترجمته، مع العلم بأن للبرسى ديوانا كان متداولاً فى عصره حتى زمن قريب، و من المحقق أن عدة نسخ موجودة منه فى كثير من المكتبات الخاصة، و لكننا لم نعثر على نسخة واحدة منها.

و هذا القدر الذى جمعناه من شعر البرسى كاف للتعريف بأدبه، و الوقوف على أفكاره، و العلم بنوع معتقداته لمن يطلب ذلك.

و من الملاحظ بأن جميع شعر البرسى خاص بأئمة أهل البيت عليهم السلام، بين رثاء و مديح، بل لم نقف على غير هذين البابين من أدبه. و هذا يدل على مبلغ و ولائه لأئمة و تمسكه بهم و نفوذ حبهم فى أعماق قلبه و عقله.

قال الشيخ رجب البرسى يمدح الإمام عليا و يذكر محبيه و مبغضيه «١»:

أبديت يا رجب العجيب	فقل: يا رجب المرجب
أبديت للسر المصون	المضمر الخافي المغيب
و كشفت أستارا و أسرا	را عن الأشرار تحجب
حل الورى فإذا الظوا	هر فضة و البطن أسرب
إلا قليلا من رجال	أصلهم ذاك مهذب
و كتبت ما بالنور منه	على خدود الحور يكتب
فلذاك أضحى الناس قل	با من قوى الجهل المركب
رجل يحب و مبغض	قال و حزب الله أغلب

(١) شعراء الحلة: ٢ / ٣٧١، و الغدير: ٧ / ٤١ - ٤٢.

ص: ٣٥٤

و طويل أنف إن رآنى	مقبلا ولى و قطب
فى أمه شك بلا	شك و لو صدقت لأنجب
يزور إن سمع الحديث	إلى أمير النحل ينسب
و تراه إن كررت ذك	ر فضائل الغرار يغضب

و قال فى قصيدة طويلة يمدح آل النبى صلى الله عليه و آله و يذكر مصرع الحسين عليه السلام و ما حفت به من المشاهد المفجعة و الصور المؤلمة «١»:

دمع يبدده مقيم نازح	و دم يبدده مقيم نازح
و العين إن أمست بدمع فجرت	فجرت ينابيع هناك موانح

أظهرت مكنون الشجون فكلما
و على قد جعل الأسى تجديده
و شهود ذلى مع غريم صابتي
أوهى اضطبارى مطلق و مقيد
فالجفن منسجم غريق سابح
و الخد خدده طليق فاتر
أصبحت تحفظنى الهموم بنصبها
حلت له حلل النحول فبرده
و خطيب و جدى فوق منبر وحشتى
و محرم حزنى و شوال العنا
و مديد صبرى فى بسيط تفكرى
ساروا فمعناهم و مغناهم عفا
درس الجديد جديدها فتنكرت
نسج البلى منه محقق حسنه
فطفقت أندبه رهين صباية

شبح الامون سجا الحرون الجامع
وقفا يضاف إلى الرهيب الفادح
كتبوا غرامى و السقام الشارح
غرب و قلب بالكآبة بائع
و القلب مضطرم حريق قادح
و الوجد جددده مجدّ مازح
و الجسم معتقل مثال لائح
برد الذبول تحل فيه صفائح
لفراقهم لهو البليغ الفاصح
و العيد عندى لاعج و نوائح
هزج و دمعى وافر و مسارح
و اليوم فيه نوائح و صوائح
و رنا بها للخطب طرف طامح
ففتاؤه ما حى الرسوم الماسح
عدم الرفيق و غاب عنه الناصح

(١) شعراء الحلة: ٢ / ٣٨٢ - ٧٣٦ و الغدير: ٧ / ٥٧ - ٦٢.

ص: ٣٥٧

و أقول و الزفرات تذكى جذوة
لا غرو إن غدر الزمان بأهله

بين الضلوع لها لهيب لافح
و جفا و حان و خان طرف لامح

فلقد غوى فى ظلم آل محمد
وسطا على البازى غراب أسحم
و تطاول الكلب العقور فضاول
و توثبت عرج الضباع و روّعت
آل النبى بنو الوصى و منيع ال
خزان علم الله مهبط وحيه
التائبون العابدون الحامدون
الصائمون القائمون المطعمون
عند الجدا سحب و فى و قد الهدى
هم قبلة للحاجين و كعبة
طرق الهدى سفن النجاة محبّهم
ما تبلغ الشعراء منهم فى التنا
نسب كمنبلج الصباح و منتمى
الجد خير المرسلين محمد ال
هو خاتم بل فاتح بل حاكم
هو أوّل الأنوار بل هو صفوة ال
هو سيّد الكونين بل هو أشرف ال
لولاك ما خلق الزمان و لا بدت
و الأمّ فاطمة البتول و بضعة ال
حورية انسية، لجلالها
و الوالد الطهر الوصى المرتضى

و عوى عليهم منه كلب نابح
و شنا على الأشبال زنج ضائع
الليث الهصور و ذاك أمر فادح
و السيد أضحى للأسود يكافح
شرف العلى و للعلوم مفاتيح
و بحار علم و الأنام ضحاضح
الذاكرون و جنح ليل جانح
المؤثرون لهم يد و منائح
سمت و فى يوم النزال ججاج
للطائفين و مشعر و بطائح
ميزانه يوم القيامة راجح
و الله فى السبع المثانى مادح
زاك له يعنو السماك الراح
هادى الأمين الفاتح
بل شاهد بل شافع بل صافح
جبار و النشر الأريج الفائح
ثقلين حقا و النذير الناصح
للعالمين مساجد و مصابيح
هادى الرسول لها المهيمن مانح
و جمالها الوحي المنزل شارح
علم الهداية و المنار الواضح

مولى له بغدير خم بيعة

خضعت له الأعناق و هى طوامح

ص: ٣٥٨

القسور البتاك و الفتاك و ال

سفاك فى يوم العراق الذايح

أسد الإله و سيفه و وليّه

و شقيق أحمد و الوصى الناصح

و بعضده و بعضبه و بعزمه

حقاً على الكفار ناح النائح

يا ناصر الإسلام يا باب الهدى

يا كاسر الأصنام فهى طوامح

يا ليت عينك و الحسين بكرلاء

بين الطغاة عن الحرير يكافح

و العاديات صواهل و جوائل

بالشوس فى بحر النجيع سوايح

و البيض و السمر اللدان بوارق

و طوارق و لوامع و لوائح

يلقى الردى بحر الندى بين العدى

حتى غدا ملقى و ليس منافع

أفديه محزوز الوريد مرّلاً

ملقى عليه الترب ساف سافح

و الماء طام و هو ظام بالعرا

فرد غريب مستظام نازح

و الطاهرات حواسر و ثواكل

بين العدا و نوادب و نوائح

فى الطف يسحب الذبول بذلة

و الدهر سهم الدهر رام رامح

يسترن بالأردان نور محاسن

صونا و للأعداء طرف طامح

لهفى لزئيب و هى تندب ندبها

فى ندبها و الدمع سار سارح

تدعو: أخى يا واحدى و مؤملى

من لى إذا ما ناب دهر كالح

من لليتامى راحم؟ من للأيامى

كافل؟ من للجفاة مفاصح؟

حزنى لفاطم تلطم الخدين من

عظم المصاب لها جوى و تبارح

أجفانها مقروحة و دموعها

مسفوحة و الصبر منها جامح

تهوى لتقبيل القتييل تضمّه

بفتيل معجرها الدماء نواضح

تحنو على النحر الخضيب و تلثم ال
أسفى على حرم النبوة جئن مط
يندين بدرا غاب فى فلك الثرى
هذا أخى تدعو و هذا يا أبى
و الطهر مشغول بكرب الموت من

ص: ٣٥٩

ثغر التريب لها فؤاد قارح
روحا هنالك بالعتاب تطارح
و هزبر غاب غيبته ضرائح
تشكو و ليس لها ولى ناصح
ردّ الجواب و للمنية شايح

يذكى الجوانح للجوارح جارح
فتطل فى جهد العفاف تطارح
ملعون عن نهب الردى و تكافح
و فؤادها بعد المسرة نازح
فيما و سهم الجور سار سارح
وجه الحسين له الصعيد مصافح
بدم الوريد و لم تنحه نوائح
بين الطفوف فواعل و جوارح
و لجسمه خيل العداة روامح
و الجن إن جن الظلام نوائح
تبكى معا و الطير غاد روائح
أسفا عليه و فاض جفن دالح
و لأجل تأرهم و أين الكادح؟
عريان تكسوه التراب صحاح
للذل فى أشخاص ملامح

و لفاطم الصغرى نحيب مفرح
علج يعالجها لسلب حليها
بالردن تستر وجهها و تمنع ال
تستصرخ المولى الإمام و جدّها
يا جد قد بلغ العدى ما أملوا
يا فاطم الزهراء قومي و انظري
أكفانه نسج الغبار و غسله
و شبوله نهب السيوف تزورها
و على السنان سنان رافع رأسه
و الوحش يندب وحشة لفراقه
و الأرض ترجف و السماء لأجله
و الدهر من عظم الشجى شق الردى
يا للرجال لظلم آل محمد
يضحى الحسين بكربلاء مرّلا
و عياله فيها حيارى حسرّ

يسرى بهم أسرى إلى شر الورى

و يقاد زين العابدين مغلا

ما يكشف الغمام إلّا نفحة

نبوية علوية مهدية

يضحى مناديه ينادى يا لثا

و الجن و الأملاك حول لوائه

يا ابن النبى صابتي لا تنقضى

أبكيكم بمدامع تترى إذا

فاستجل من مولاك عبد ولاك من

من فوق أقتاب الجمال مضابح

بالقيد لم يشفق عليه مسامح

يحيى بها الموتى نسيم نافح

يشفى بريها العليل البارح

رات الحسين و ذاك يوم فارح

و الرعب يقدم و الحتوف تناوح

كمدا و حزنى فى الجوانح جانح

بخل السحاب لها انصباب سافح

لولاك ما جادت عليه قرائح

ص: ٣٦٠

(برسية) كملت عقود نظامها

مدت إليك يدا و أنت منيلها

يرجو بها (رجب) القبول إذا أتى

أنت المعاد لدى المعاد و أنت لى

صلّى عليك الله ما سكب الحيا

و قال من قصيدة فى مدح الإمام عليه السلام «١»:

مولى له بغدير خم بيعة

خضعت لها الأعناق و هى طوائح

و قال يمدح عليا و يذكر فضائله و ذلك حين طاف حول قبره الشريف «٢»:

هو الشمس أم نور الضريح يلوح؟

هو المسك أم طيب [الوصى] ينوح؟ «٣»

و بحر ندى أم روضة حوت الهدى؟	و آدم أم سر المهيمن نوح؟
و داود هذا أم سليمان بعده؟	و هارون أم موسى العصا و مسيح؟
و أحمد هذا المصطفى أم وصيه	على؟ نماه هاشم و ذبيح
محيط سماء المجد بدر دجنة	و فلک جمال للأنام يلوح
حبيب حبيب الله بل سر سره	و عين الوری أم للخلائق روح
له النص فى (يوم الغدير) و مدحه	من الله فى الذكر المبين صريح
إمام إذا ما المرء جاء يحبه	فميزانه يوم المعاد رجیح
له شيعة مثل النجوم زواهر	لها بين كل العالمين وضوح
إذا قاوت، فالحق فيما تقوله	به النور باد و اللسان فصیح
و إن جاولت أو جادلت عن مرامها	ترى خصمها فى الأرض و هو طريح
عليك سلام الله يا راية الهدى	سلام سليم يغتدى و يروح

(١) شعراء الحلة: ٢ / ٣٧٦.

(٢) شعراء الحلة: ٢ / ٣٧٦، و المنتخب: ١٣١، و قال الطريحي فى التقدمة لها «و لله در بعض من قال من الرجال فى مدح على حين طاف حول قبره»، و أعيان الشيعة: ٦ / ٤٦٨، و الغدير: ٧ / ٣٣.

(٣) فى أعيان الشيعة: أم طيب الوصى يفوح.

ص: ٣٦١

و قال فى مدح الإمام عليه السلام و بيان مناقبه «١»:

تعالى على فى الجلال فرائد	يعود و فى كفيه منه فرائد
و وارد فضل منه يصدر عزلها	تضيق بها منه الله و الأوارد

له صلة فى كل نفس و عائد	تبارك موصولا و بورك و اصلا
و أعظم فضل جاء يرويه حاسد	روى فضله الحساد من عظم شأنه
و أخفاه بغضا حاسد و معاند	محبوه أخفوا فضله خيفة العدى
تجل بأن تحصى إذا عد قاصد	فشاع له ما بين ذين مناقب
علت فعلت أن يدن منهم راصد	إمام له فى جبهة المجد أنجم
و فى عنق الجوزاء منها قلائد	لها الفرق من فرع السماك منابر
و طابت فطابت من شذاها المشاهد	مناقب إذ جلّت جلّت كل كربة
له و مقر بالولاء و جاحد	إمام يحار الفكر فيه معاند
بمدحته التنزيل، و الذكر شاهد	إمام مبين كل أكرومة حوى
محب، و فى (البرسى) ذلك خالد	عليه سلام الله ما ذكر اسمه

و قال فى قصيدة طويلة تبلغ ١٥٦ بيتا يمدح فيها آل البيت و يعدّد فضائلهم و يرثى الإمام الحسين و هى من رائع شعره بل من رائع الشعر العربى و رائقه فى المديح «٢»:

يمينا، فللعانى العليل بها نجد	يمينا بها حادى السرى إن بدت نجد
غريم غرام حشو أحشائه و قد	و عج، فعسى من لا عج الشوق يشفنى
أسرى من جهد العهد بهم عهد	و سرى لسرب فيه سرب جآذر
لأروى برىا تربة تربها ند	و سرى بليل فى بليل عراضها
هناك أرى ذاك المساعد يا سعد	وقف بى أنادى وادى الأيك علنى
يجيرون إن جار الزمان إذا استعدوا	فبالربع لى من عهد جيرون جيرة

(١) شعراء الحلة: ٢ / ٢٧٦ - ٣٧٧، والغدير: ٤١٧، وأعيان الشيعة: ٤ / ٤٦٨.

يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى معنى من قال في حق الإمام علي: ما أقول في رجل أخفت أولياؤه فضائله خوفاً وأخفت أعداؤه فضائله حسداً، وشاع من بين دين ما ملأ الخافقين. البابليات: ١ / ١٢١.

(٢) شعراء الحلة: ٢ / ٣٧٧ - ٣٨٤، والغدير: ٧ / ٤٩ - ٥٧.

ص: ٣٦٢

هم الأهل إلّا أنهم لى أهلة	سوى أنهم قصدى و إنى لهم عبد
عزیزون ربع العمر فى ربع عزهم	تقضى و لا روع عرانى و لا جهد
و ربعى مخضر و عيشى مخضل	و وجهى مبيض و فودى مسود
و شملى مشمول و برد شببىتى	قشيب و برد العيش ما شأنه نكد
معالم كالأعلام معلمة الربى	فأنهارها تجرى و أطيّارها تشدوا
طوت حادث الدهر منشور حسنّها	كما رسمت فى رسمها شمال تغدو
و أضحت تجر الحادّثات ذیولها	عليها و لا دعد هناك و لا هند
و لا غرو إن جارت و مارت صروفها	و غارت و أغرت و اعتدت و غدت تشدوا
فقد غدّرت قدما بآل محمد	و طاف عليهم بالطفوف لها جند
و جاشت بجیش جاش طام عرموم	خمیس لهام حام يحمومه أسد
و عمت بأشّار عن الرشد عمو	و هل یسمع الصم الدعاء إذا صدّوا
فیا أمّة قد أدبرت حين أقبلت	فرافقتها نحس و فارقها سعد
أبت إذ أتت تتأى و تنهى عن النهى	و ولت و ألوت حين مال بها الجد
سرت و سرت بغیا و سرّت بغیّها	بغا دعاها إذا عداها به الرشد
عصابة عصب أو سعت إذ سعت إلى	خطاء خطاها و الشقاء به یحدو
أثاروا و ثاروا ثار بدر و بدروا	لحرب بدور من سناها لهم رشد

بغت فبغت عمدا قتال عميدها

و ساروا يسنون العناد و قد نسوا ال

فيا قلب الذين فى يوم أقبلوا

فركن الهدى هدّوا و قدّ العلى قدوا

كأنى بمولاي الحسين و رهطه

بكرب البلا فى كربلاء و قد رمى

و قد حدقت عين الردى حين أصبحوا

و قد أصبحوا حلا لهم حين أصبحوا

ص: ٣٤٣

ضغون طفاة فى الصدور لها حقد

معاد فهم من قوم عاد إذا عدّوا

إلى قتل مأمول هو العلم الفرد

و أزر الهوى شدوا و نهج التقى سدوا

حبارى و لا عون هناك و لا عقد

بعاد و شطت دارهم و سطت جند

عتاة عداة ليس يحصى لهم عد

حلولا و لا حل لديهم و لا عقد

فنادى و نادى الموت بالخطب خاطب

يسألهم: هل تعرفونى؟ مسائل

فقالوا: نعم أنت الحسين ابن فاطم

و أنت سليل المجد كهلا و يافعا

فقال لهم: إذ تعلمون، فما الذى

فقالوا: إذا رمت النجاة من الردى

و إلّا فهذا الموت عب عبابه

فقال: ألا بعدا بما جئتم به

فضرب لهشم الهام تترى بنظمه

فهل سيد قد شيدّ الفخر بيته

و ما عذر ليث يرهّب الموت بأسه

إذا سام منّا الدهر يوما مذلة

و طير الفنا يشدو و حاد الردى يحدو

و سائل دمع العين سال به الخد

و جدك خير المرسلين إذا عدّوا

إليك، إذا عد العلى ينتهى المجد

دعاكم إلى قتلى، فما عن دمي بد

فبايع يزيدا .. إنّ ذاك هو القصد

فخض ظاميا فيه تروح و لا تغدو

و من دونه بيض و خطية ملد

ففى عقده حل و فى حلّه عقد

جذاذ الودى يشقى لعبد له عبد

يذل و يضحى السيد يرهبه الأسد

فهيهات يأتى ربّنا و له الحمد

و تأبى نفوس طاهرات وسادة
لها الدم ورد و النفوس قنائص
ليوث و غى ظل الرماح مقيلاها
حماة عن الأشبال يوم كريهة
إذا افتخروا فى الناس عزّ نظيرهم
أيادى عطاهم لا تطاول فى الندى
مطاعيم للعافى مطاعين فى الوغى
مفاتيح للداعى مصاييح للهدى
نزيلهم حرم منازلهم لقى
فضائلهم جاءت، فواضلهم جلت،
كرام إذا عاف عفى منه معهد
و آملهم راج و أم لهم رجا

ص: ٣٦٤

زكوا فى الورى أمّا و جدّا و والدا
بأسمائهم يستجلب البر و الرضى
و مال إلى فتياه، و رجاؤه
فسار لأخذ الثأر كل شمردل
و كل كمى أريحي غشمشم
إذا ما غدا يوم الندى أسر العدى
ليوث نزال بل غيوث نوازل
إذا طلبوا راموا، و إن طلبوا رموا

و طابوا فطاب الأمّ و الأب و الجد
بذكرهم يستدفع الضر و الجهد
يقول: لقد طاب الممات أ لا اشتدوا
إذا هاج قدح للهيّاج له زند
تجمع فيه الفضل و انعدم الضد
و لما بدا يوم الندى أطلق الوعد
سراة كأسد الغاب لا بل هم الأسد
و إن ضربوا صدوا و إن ضربوا قدوا

فوارس أسد الغيل منها فرائس
وجوههم بيض، و خضر ربوعهم
إذا ما دعوا يوما لدفع ملمة
بها كل ندب يسبق الطرف طرفه
كأنهم نبت الربى فى سروجهم
لباسهم نسجوا الحديد إذا بدوا
إذا لبسوا فوق الدروع قلوبهم
يخوضون تيار الحمام ظواميا
يرون المنايا نيلها غاية المنى
إذا فللت أسيافهم فى كرهية
فمن أبيض يلقي الأعداى بأبيض
يذبون عن سبط النبى محمد
يخال بريق البيض برق سجاله ال
إلى أن تدانى العمر و اقترب الردى
أعدوا نفوسا للفناء و ما اعتدوا
أحلوا جسوما للمواضى و أحرموا

و فتيان صدق شأنها الطعن و الطرد
و يبيضهم حمر إذا النقع مسرد
غدا الموت طوعا و القضاء هو العبد
جواد على ظهر الجواد له أفد
لشدة حزم لا بحزم لها شدوا
جبالا و أقيالا تقلهم الجرد
و صالوا فحر الكر عندهم برد
و بحر المنايا بالحنايا لها مد
إذا استشهدوا: أمر الردى عندهم شهد
غدا فى رءوس الدارعين لها حد
و من أسمر فى كفه أسمر صلد
و قد ثار عالى النقع و اصطخب الوقد
دماء و أصوات الكماة لها رعد
و شأن الليالى لا يدوم لها عهد
فطوبى لهم نالوا البقاء بما عدوا
فحلوا جنان الخلد فيها لهم خلد

ص: ٣٦٥

أمام الإمام السبط جادوا بأنفس
شروا عند ما باعوا نفوسا نفائسا
قضوا إذ قضوا حق الحسين و فارقوا
فلما رأى المولى الحسين رجاله

بها دونه جادوا و فى نصره جدوا
على هجرها وصل و فى وصلها فقد
و ما فرقوا بل وافقوا السعد يا سعد
و فتيانه صرعى و شادى الردى يشدو

غدا طالبا للموت كالليث مغضبا

و إن جمعوا سبعين ألفا لقتله

إذا كرّ فروا من جريح و واقع

ينادى: ألا يا عصابة عصت الهدى

فبعدا لكم يا شبيعة الغدر إنكم

و لا يتنا فرض على كل مسلم

فهل خائف يرجو النجاة بنصرنا

و يرنو لنحو الماء يشتاقي ورده

فيحمل فيهم حملة علوية

كفعل أبيه حيدر يوم خبير

إذا ما هوى فى لبة الليث عضبه

و عاد إلى أطفاله و عياله

يقول: عليك السلام مودعا

ألا فاسمعى يا أخت إن مسنى الردى

و إن برحت فيك الخطوب بمصرعى

فارضى بما يرضى إلهك و اصبرى

و أوصيك بالسجاد خيرا فإنّه

فضج عيال المصطفى، و تعلّقوا

فقال- و كرب الموت يعلو كأنه

ألا قد دنا الترحال فالله حسبكم

يحامى عن الأشبال يشدد إن شدوا

فيحمل فيهم و هو بينهم فرد

ذبيح و مهزوم به طوح الهد

و خانت فلم ترع الذمام و لا العهد

كفرتم، فلا قلب يلين و لا ود

و عصياننا كفر و طاعتنا رشد

و يخشى إذا اشتدت سعيها لها و قد

إذا ما مضى يبغى الورود له ردوا

بها العوالى فى أعالى العدى قصد

كذلك فى بدر، و من بعدها أحد

فمن نحره بحر، و من جزره مد

و غرب المنايا لا يقل لها حد

فها قد تناهى العمر و اقترب الوعد

فلا تلطمى وجهها و لا يخمش الخد

و جلّ لديك الحزن و الثكل و الفقد

فما ضاع أجر الصابرين و لا الوعد

إمام الهدى بعدى له الأمر و العهد

به، و استغاث الأهل بالندب و الولد

ركام و من عظم الظما انقطع الجهد:-

و خير حسيب للورى الصمد الفرد

و عاد إلى حرب الطغاة مجاهدا

إلى أن غدا ملقى على التراب عاريا

و شمّر شمر الذيل فى حزّ رأسه

فوا حزن قلبى للكريم علا على

تزلزلت السبع الطباق لفقده

و أرجف عرش الله من ذاك خيفة

و ناحت عليه الطير و الوحش وحشة

و شمس الضحى أمست عليه عليلة

فيا لك مقتولا بكتته السما دما

شهيدا غريبا نازح الدار ظاميا

بروحى قتيلا غسله من دمائه

ترض خيول الشرك بالحقد صدره

و مذراح لما راح للأهل مهره

برزن حيارى نادبات بذلة

فحاصرة بالردن تستر وجهها

و من ذاهل لم تدر أين مفرها

و زينب حسرى تندب الندب عندها

تنادى: أخى يا واحدى و ذخيرتى

ربيع اليتامى، يا حسين، و كافل

أخى بعد ذاك الصون و الخدر و الخبا

بناتك - يا ابن الطهر طه - حواسر

و البيض و الخرسان فى قده قد

يصافح منه إذ ثوى للثرى خد

ألا قطّعت منه الأنامل و الزند

سنان سنان، و الخيول لها و خد

و كادت له شم الشماريخ تنهد

و ضجت له الأملاك و انفجر الصلد

و للجن - إذ جن الظلام - به وجد

علاها اصفرار إذ تروح و إذ تغدو

و ثل سرير العز، و انهدم المجد

ذبيحا و من قانى الوريد له ورد

سليبا و من سافى الرياح له برد

و ترضخ منه الجسم فى ركضها جرد

خليا يخذ الأرض بالوجه إذ يعدو

و قلب غدا من فارط الحزن ينقد

و يرقعها و قد، و مد معها رقد

تضييق عليها الأرض و الطرق تنسد

من الحزن أوصاب يضيق بها العد

و عونى و غوثى و المؤمل و القصد

الأيامى زمانا، بعد بعدكم، البعد

يعالجنا عالج، و يسلبنا و غد

و رحلك منهوب تقاسمه الجند

لقد خابت الآمال، و انقطع الرجا

و أضحت ثغور الكفر تبسم فرحة

و صوّح نبت الفضل بعد اخضاراه

ص: ٣٦٧

تجاذبنا أيدي العدى فضلة الردى

فأين حصونى و الأسود الألى بهم

إذا غربت - يا ابن النبى - بدوركم

و لا سحبت سحب ذيولا على الربى

و ساروا بآل المصطفى و عياله

و تطوى المطايا الأرض سيرا إذا سرت

تؤم يزيدا نجل هند أمامها

فيا لك من رزء عظيم مصابه

أ يقتل ضمّانا حسين بكرىلاء

و تضحى كريمات الحسين حواسرا

فليس لأخذ الثأر إلّا خليفة

هو القائم المهدي و السيد الذى

يشيد ركن الدين عند ظهوره

و غصن الهدى يضحى وريقا و نبتة

لعل العيون الرمد تحظى بنظرة

إليك انتهى سر النبيين كلّهم

بنى الوحى يا أم الكتاب و من لهم

بموتك مات العلم و الدين و الزهد

و عين العلى ينخد من سحها الخد

و أصبح بدر التم قد ضمه للحد

كأن لم يكن لنا خير الأنام لنا جدّ

يصال على ريب الزمان إذا يعدو؟

فلا طلعت شمس، و لا حلها سعد

و لا ضحك النوار و انبعق الرعد

حيارى و لم يخش الوعيد و لا الوعد

تجوب بعيد البيد فيها لها و خد

ألا لعنت هند و ما نجلت هند

يشق الحشى منه و يلتدم الخد

و من نحره البيض الصقال لها ورد؟

يلاحظها فى سيرها الحر و العبد

هو الخلف المأمول و العلم الفرد

إذا سار أملاك السماء له جند

علوا، و ركن الشرك و الكفر ينهد

أنيقا و داعى الحق ليس له ضد

إليه فتجلى عندها الأعين الرمد

و أنت ختام الأوصياء إذا عدوا

مناقب لا تحصى و إن كثر العد

إليكم عروسا زفها الحزن ثاكلا
لها عبرة في عشر عاشور أرسلت
رجا (رجب) رحب المقام بها غدا
بذلت اجتهدى فى مديحكم و ما
ولى فيكم نظم و نشر غناؤه
مصابى و صوب الدمع فيكم مجدد
تذكرنى - يا ابن النبى - غدا إذا
تتوح إذ الصب الحزين بها يشدو
إذا أنشدت حادى بها الدمع يحدو
إذا ما أتى و الحشر ضاق به الحشد
مقام مديحى بعد أن مدح الحمد
فقير، و هذا جهد من لا له جهد
و صبرى و سلوانى به أخلق الجهد
غدا كل مولى يستجير به العبد

ص: ٣٤٨

فأنتم نصيب المادحين، و إننى
إذا أصبح الراجى نزيل ربوعكم
فإن مال عنكم - يا بنى الفضل - راغب
فيا عدتى فى شدتى يوم بعثتى
و عبدكم (البرسى) مولى فخاركم
عليكم سلام الله ما سكب الحيا
و قال فى الحب العرفانى «١»:

لقد شاع عنى حب ليلى و إننى
و أصبحت أدعى سيدا بين قومها
ألا فى الورى حبها فى تنكر
و ذا عابس وجهها يطول أنفه
و لا ذنب لى فى هجرهم لى و هجوهم
و لو عرفوا ما قد عرفت، و يمموا
كلفت بها عشقا و همت بها وجدا
كما أنتى أصبحت فيهم لها عبدا
فذا مانع صدا و ذا صاعر خدا
على كأنى قد قتلت له ولدا
سوى أنتى أصبحت فى حبها فردا
حماها كما يممته، أعذروا حدا

و ظنوا- و بعض الظن إثم- و شنعوا
فو الله ما وصفى لها جاز حدّه
بأن امتداحى جاوز الحد و العدا
و لكنها فى الحسن قد جاوزت حدّا

و قال فى حبه لعلّى عليه السّلام و يذكر اختلاف الناس فى شخص الإمام «٢»:

يا آية الله، بل يا فتنة البشر
يا من إليه إشارات العقول، و من
هيئت أفكارى الأفكار حين رأوا
يا أولا آخرأ نورا و معرفة
لك العبارة بالنطق البليغ، كما
كم خاض فيك أناس و انتهى فغدا
و حجة الله، بل يا منتهى القدر
فيه الألباء تحت العجز و الخطر
آيات شأنك فى الأيام و العصر
يا ظاهرا باطنا فى العين و الأثر
لك الإشارة فى الآيات و السور
معناك محتجبا عن كل مقتدر

(١) شعراء الحلة: ٢ / ٣٨٤، و الغدير: ٧ / ٦٧.

(٢) شعراء الحلة: ٢ / ٣٨٤ - ٣٨٥ و الغدير: ٧ / ٤٢ - ٤٤ و قد خمسها ابن السبعى.

ص: ٣٦٩

أنت الدليل لمن حارت بصيرته
أنت السفينة من صدق تمسكها
فليس قبلك للأفكار ملتمس
تفرّق الناس إلّا فيك و ائتلفوا
فالناس فيك ثلاث: فرقة رفعت
و فرقة وقعت بالجهل و القدر
فى طى مشتبهات القول و العبر
نجا و من حاد عنها خاض فى الشرر
و ليس بعدك تحقيق لمعتبر
فالبعض فى جنة، و البعض فى سقر
و فرقة وقعت بالجهل و القدر

و فرقة وقعت، لا النور يرفعها
تصالح الناس إلّا فيك و اختلفوا
و كم أشاروا و كم أبدوا و كم ستروا
أسماءُك الغر مثل النيرات، كما
و ولدك الغر كالأبراج فى فلك ال
قوم هم الآل - آل الله - من علقت
شطر الأمانة معراج النجاة إلى
يا سرّكل نبى جاء مشتهرا
أجلّ وصفك عن قدر لمشتبه
و قال يمدح أهل البيت عليهم السّلام «٢»:
هم القوم آثار النبوة فيهم
مهابط وحى الله خزّان علمه
إذا جلسوا للحكم فالكل أبكم
و ان ذكروا فالكون ند و مندل
و ان ذكروا فالكون ند و مندل

و لا بصائرُها فيها بذى غور
إلّا عليك، و هذا موضع الخطر
و الحق يظهر من باد و مستتر
صفاتك السبع كالأفلاك فى الأكر «١»
معنى و أنت مثال الشمس و القمر
بهم يده نجا من زلّة الخطر
أوج العلو و كم فى الشطر من غير
و سر كل نبى غير مشتهر
و أنت فى العين مثل العين فى الصور

تلوح، و أنوار الإمامة تلمع
و عندهم سرّ المهيمن مودع
و ان نطقوا، فالدهر اذن و مسمع
له أرج من طيبهم يتضوّع
له أرج من طيبهم يتضوّع

و ان بارزوا

(١) الأئمة هم مواقع أسماء الله أو صفاته، و أنهم - كما فى الحديث - ألقى فى هويتهم مثاله و إرادتهم مصادر أفعاله.

(٢) البابليات: ١ / ١٢٢ و قد خمس هذه القصيدة الشاعران الأخوان الشيخ محمد رضا و الشيخ هادى ولدا الشيخ أحمد النحوى.

و قال يمدح النبي الكريم صلى الله عليه وآله «١»:

أضاء بك الأفق المشرق	و دان لمنطقك المنطق
و كنت، و لا آدم كائنا	لأنك من كونه أسبق
و لولاك لم تخلق الكائنات	و لا بان غرب و لا مشرق
فميك مفتاح كل الوجود	و ميك بالمنتهى يغلق
تجليت - يا خاتم المرسلين -	بشأو من الفضل لا يلحق
فأنت لنا أول آخر	و باطن ظاهره الأسبق
تعاليت عن صفة المادحين	و ان أطنبوا فيك أو أغمقوا
فمعناك حول الورى دارة	على غيب أسرارها تحدد
و روحك من ملكوت السما	تنزل بالأمر ما يخلق
و نشرك يسرى على الكائنات	فكل على قدره يعقب
إليك قلوب جميع الأنام	تحنّ و أعناقها تعقب
و فيض أياديك فى العالمين	بأنهار أسرارها يدفق
و آثار أياديك فى العالمين	على جبهات الورى تشرق
فموسى الكليم و توراته	يدلّان عنك إذا استنطقوا
و عيسى و إنجيله بشراً	بأنك «أحمد» من يخلق
فيا رحمة الله فى العالمين	و من كان لو لاه لم يخلقوا
لأنك وجه الجلال المنير	و وجه الجمال الذى يشرق
و أنت الأمين و أنت الأمان	و أنت ترتقّ ما يفتق
أتى (رجب) لك فى عاتق	تقيل الذنوب، فهل تعتق؟

و قال فى مدح على عليه السلام و بيان فضله «٢»:

(١) شعراء الحلة: ٣٨٥ - ٣٨٦، و الغدير: ٣٨ / ٧ - ٤٠ و البابليات: ١ / ١١٩.

(٢) شعراء الحلة: ٣٨٦ / ٢، و الغدير: ٧ / ٤٥.

ص: ٣٧١

يا قطب دائرة الوجود	و عين منبعه كذلك
و العين و السر الذى	منه تلقنت الملائك
ما لاح صبح فى الدجى	إلّا و أسفر عن جمالك
يا ابن الأطايب و الطواهر	و الفواطم و العواتك
أنت الأمان من الردى	أنت النجاة من المهالك
أنت الصراط المستقيم	قسيم جنّات الأرائك
و النار مفزعها إليك	و أنت مالک أمر مالک
يا من تجلّى بالجمال	فشق بردة كل حالك
صلّى عليك الله من	هاد إلى خير المسالك
و الحافظ (البرسى) لا	يخشى، و أنت له هنالك

و قال فى حب الإمام على عليه السّلام و يشير إلى عذاله على هذا الحب «١»:

أيها اللائم دعنى	و استمع من وصف حالى
أنا عبد لعلى المر	تضى مولى الموالى
كلما ازددت مديحا	فيه قالوا: لا تغالى
و إذا أبصرت فى ال	حق يقينا لا أبالى
آية الله التى وص	فها القول حلالى

كم إلى كم أيها العا	ذل أكثرت جدالى
يا عدولى فى غرامى	خلنى عنك و حالى
رح إلى من هو ناج	و اطرحنى و ضلالى
إنّ حبى لوصى المصط	فى عين الكمال
هو زادى فى معادى	و معادى فى مآلى
و به إكمال دبنى	و به ختم مقالى

(١) شعراء الحلة: ٢ / ٣٨٦ - ٣٨٧، و الغدير: ٧ / ٤٠؛ آخر مشارق الأنوار، و أعيان الشيعة: ٦ / ٤٦٦، و البابليات: ١ / ١٢٠.

ص: ٣٧٢

و قال يمدح أهل البيت عليهم السّلام «١»:

يا آل طه أنتم أملى	و عليكم فى البعث متكللى
إن ضاق بى ذنب فحكمكم	يوم الحساب هناك يوسع لى
بولائكم و بطيب مدحكم	أرجو الرضا و العفو عن زللى
(رجب) المحدث عبد عبدكم	و الحافظ (البرسى) لم يزل
لا يختشى فى الحشر حر لظى	إذ سيده محمد و على
سيثقلان و زان صالحه	و يبيضان صحيفة العمل
لم ينشعب فيكون منطلقا	من ضله للشعب ذى الضلل

و قال يؤكّد ولاءه لأهل البيت عليهم السّلام «٢»:

أما و الذى لدمى حللا	و خص أهيل الولا بالبلا
لئن أسق فيه كتوس الحمام	لما قال قلبى لساقيه: لا

فموتى حياتى، و فى حبه

يلذ افتضاحى بين الملا

فمن يسئل عنه، فإنّ القوا

د تسلى و ما قطّ أنا سلا

مضت سنة الله فى خلقه

بأنّ المحب هو المبتلى

و قال يزجى المديح نحو الإمام على عليه السلام «٣»:

بأسمائك الحسنى أروح خاطرى

إذا هب من قدس الجلال نسيمها

لئن سقمت نفسى فأنت طبييها

و إن شقيت يوما فممنك نعيمها

رضيت بأن ألقى القيامة خائفا

دماء نفوس حاربتك جسومها

أبا حسن لو كان حبك مدخلى

جهنم كان الفوز عندى جحيمها

و كيف يخاف من كان موقنا

بأنك مولاه و أنت قسيمها

فوا عجباً من أمة كيف ترتجى

من الله غفرانا، و أنت نعيمها؟

(١) شعراء الحلة: ٣٨٧ / ٢، والغدير: ٧ / ٧ - ٤٨ - ٤٧.

(٢) شعراء الحلة: ٣٨٧ / ٢، والغدير: ٧ / ٦٦.

(٣) شعر الحلة: ٣٨٧ - ٣٨٨، والغدير: ٧ / ٤١، وأعيان الشيعة: ٦ / ٤٦٧، البابليات: ١ / ١٢١.

ص: ٣٧٣

و وا عجباً إذ أخرجتكم، و قدّمت

سواك بلا جرم، و أنت زعيمها

و قال يمدح أهل البيت عليهم السلام «١»:

فرضى و نفلى و حديثى أنتم

و كل كلى منكم و عنكم

و أنتم عند الصلاة قبلتى

إذا وقفت نحوكم أيّم

خيالكم نصب لعينى أبدا

و حبّكم فى خاطرى مخيم

يا سادتي و قادتى أعتابكم
وقفا على حديثكم و مدحكم
منوا على (الحافظ) من فضلكم
بجفن عيني لثراها ألثم
جعلت عمرى فاقبلوه و ارحموا
و استنقذوه فى غد و أنعموا

و قال فى رثاء الإمام الحسين عليه السلام على نهج قصيدة البردة للبوصيرى «٢»:

ما هاجنى ذكر ذات البان و العلم
و لا صبوت لصب صاب مدمعه
و لا على طلل يوما أطلت به
و لا تمسكت بالحادى و قلت له
لكن تذكرت مولاي الحسين و قد
ففاض صبرى و فاض الدمع و ابت
و هام إذ همت للعبرات من عدم
لم أنسه و جيوش الكفر جائشة
تطوف بالطف فرسان الضلال به
و للمنايا بفرسان المنى عجل
مسائلا و دموع العين سائلة
ما اسم هذا الثرى يا قوم؟ فابتدروا
بكربلاء هذه تدعى؟ فقال: أجل
خطوا الرحال فحال الموت حل بنا
و لا السلام على سلمى بذى سلم
على سلمى بذى سلم
مخاطبا لأهيل الحى و الخيم
(إن جئت سلما فسل عن جيرة العلم)
أضحى بكرب البلاء كربى ظمى
عد الرقاد و اقترب السماء بالسقم
قلبى و لم أستطع مع ذاك منع دمي
و الجيش فى أمل و الدين فى ألم
و الحق يسمع و الأسماع فى صمم
و الموت يسعى على ساق بلا قدم
و هو العليم بعلم اللوح و القلم
بقولهم يوصلون الكلم بالكلم
آجالنا بين تلك الهضب و الأكهم
دون البقاء و غير الله لم يدم

(١) الغدير: ٧ / ٦٢ - ٦٦، و شعراء الحلة: ٢، و أعيان الشيعة: ٦ / ٤٦٦.

(٢) شعراء الحلة: ٢ / ٣٨٨، و الغدير: ٧ / ٤٧، و أعيان الشيعة: ٦ / ٤٦٧، و البابليات: ١ / ١٢٠.

يا للرجال لخطب حل مخترم الآ

فها هنا تصبح الأكباد من ظمأ

و هاهنا تصبح الأقمار آفلة

و هاهنا تملك السادات أعبدها

و هاهنا تصبح الأجساد ثاوية

و هاهنا بعد بعد الدار مدفنا

و صاح بالصحب: هذا الموت فابتدروا

من كل أبيض وضّاح جبينها

من كل منتدب لله محتسب،

و كل مصظم الأبطال، مصظم الآ

و راح ثم جواد السبط يندبه

فمذ رأته النساء الطاهرات بدا

فجئن و السبط ملقى بالنصال أبت

و الشمر ينحر منه النحر من حنق

فتستر الوجه في كمّ عقيلته

تدعو أخاها الغريب المستظام أخى

من اتكلت عليه النساء؟ و من

هذى سكينه قد عزت سكينتها

تهوى لتقبيله و الدمع منهمر

فيمنع الدم و النصل الكسير به

جال معتديا في الأشهر الحرم

حرى و أجسادها تروى بفيض دم

و الشمس في طفل و البدر في ظلم

ظلما و مخدومها في قبضة الخدم

على الثرى مطعما لليوم و الرخم

و موعد الخصم عند الواحد الحكم

أسدا فرائسها الآساد في الأجم

يغشى صلى الحرب لا يخشى من الضرم

في الله منتجب، بالله معتصم

جال، ملتمس الآمال، مستلم

عالى الصهيل خليا طالب الخيم

بكارم الأرض في خلد له و فم

من كف مستلم أو ثغر ملتئم

و الأرض ترجف خوفا من فعالهم

و تنحنى فوق قلب و إله كلم

يا ليت طرف المنايا عن علاك عم

أوصيت فينا؟ و من يحنو على الحرم

و هذه فاطم تبكى بفيض دم

و البيت عنها بكرب الموت في غمم

عنها فتتصل لم تبرح و لم ترم

تضمّه نحوها شوقا، و تلممه

تقول من عظم شكواها و لوعتها

أخى لقد كنت نورا يستضاء به

أخى لقد كنت غوثا للأرامل يا

يا كافلى هل ترى الأيتام بعدك فى

يا واحدى يا ابن أمى يا حسين لقد

و يخضب النحر منه صدرها بدم

و حزنها غير منفض و منفصم

فما لنور الهدى و الدين لى ظلم

غوث اليتامى و بحر الجود و الكرم

أسر المذلّة و الأوصاب و الألم

نال العدى ما تمنّوا من طلابهم

ص: ٣٧٥

و برّدوا غلل الأحقاد من ضغن

أين الشقيق و قد بان الشقيق و قد

مات الكفيل و غاب الليث فابتدرت

و تستغيث رسول الله صارخة

يا جدّنا لو رأت عيناك من حزن

مشردين عن الأوطان قد قهروا

يسرى بهن سبايا بعد عزّهم

هذا بقية آل الله سيّد أهل الأ

نجل الحسين الفتى الباقي و وارثه

يساق فى الأسر نحو الشام مهتضما

ابن النبى السبط و ثغر يقرعه

أ ينكت الرجس ثغرا كان قبله

و يدعى بعدها الإسلام من سفه

يا ويله حين تأتى الطهر فاطمة

و أظهروا ما تخفى فى صدورهم

جار الرقيق و لجّ الدهر فى الأزم

عرج الضباع على الأشبال فى نهم

يا جدّ أين الوصايا فى ذوى الرحم

للعثرة الغر بعد الصون و الحشم

تكلّى أسارى حيارى ضرجوا بدم

فوق المطايا كسبى الروم و الخدم

رض زين عباد الله كلّهم

و السيّد العابد السجّاد فى الظلم

بين الأعادى فمن باك، و مبتسم

يزيد بغضا لخبر الخلق كلّهم

من حبة الطهر خير العرب و العجم؟

و كان أكفر من عاد و من ارم!

فى الحشر صارخة فى موقف الأمم

تأتى فيطرق أهل الجمع أجمعهم
و تشتكى عن يمين العرش صارخة
هناك يظهر حكم الله فى ملاً
و فى يديها قميص للحسين غدا
أيا بنى الوحي و الذكر الحكيم و من
حزنى لكم أبدا لا ينقضى كمدا
حتى تعود إليكم دولة و عدت
فليس للدين من حام و منتصر
القائم الخلف المهدي سيدنا
بدر الغياهب تيار المواهب منص
يا ابن الإمام الزكى العسكرى فتى
يا ابن الجواد و يا نجل الرضاء و يا

ص: ٣٧٤

منها حياء و وجه الأرض فى قتم
و تستغيث إلى الجبار ذى النقم
عصوا و خانوا فيا سحقا لفعلمهم
مضمخا بدم قرنا إلى قدم
ولا هم أملى و البرء من ألى
حتى الممات ورد الروح فى رمم
مهديّة تملأ الأقطار بالنعم
إلا الإمام الفتى الكشاف للظلم
الطاهر العلم ابن الطاهر العلم
ور الكتائب حامى الحل و الحرم
الهادى النقى على الطاهر الشيم
سليل كاظم غيظ منبع الكرم

خليفة الصادق المولى الذى ظهرت
خليفة الباقر المولى خليفة زين الع
نجل الحسين شهيد الطف سيدنا
نجل الحسين سليل الطهر فاطمة
يا ابن النبى و يا ابن الطهر حيدرة
أنت الفخار و معناه و صورته
أيامك البيض خضر فهى خاتمة
متى نراك فلا ظلم، و لا ظلم

علومه فأثارت غيهب الظلم
ابدين على طيب الخيم
و حبذا مفخر يعلو على الأمم
و ابن الوصى على كاسر الصنم
يا ابن البتول و يا ابن الحل و الحرم
و نقطة الحكم لا بل خطة الحكم
الدنيا و ختم سعود الدين و الأمم
و الدين فى رغد و الكفر فى رغم

أقبل فسبل الهدى و الدين قد طمست
يا آل طه و من حبّى لهم شرف
إليكم مدحة جاءت منظمه
بسيطة إن شدت أو أنشدت عطرت
بكرا عروسا ثكولا زفها حزن
يرجو بها (رجب) رجب المقام غدا
يا سادة الحق ما لى غيركم أمل
ما قدر مدحى و الرحمن مادحكم
حاشاكم تحرموا الراجى مكارمكم
أو يخشى الزلة (البرسى) و هو يرى
إليكم تحف التسليم واصله
صلّى الله عليكم ما بدا نسّم
و قال يمدح آل محمد صلّى الله عليه و آله و يخص الإمام عليا عليه السلام «١»:

إذا رمت يوم البعث تنجو من اللظى
فوال عليا و الأئمة بعده
فهم عترة قد فوّض الله أمره
و يقبل منك الدين و الفرض و المنن
نجوم الهدى، تنجو من الضيق و المحن
إليهم لما قد خصّهم منه بالمنن

(١) شعراء الحلة: ٣٩٢ / ٢، و الغدير: ٧ / ٤٩.

أئمة حق أوجب الله حقّهم
نصحتك أن ترتاب فيهم فتتنى
و طاعتهم فرض بها لله تمتحن
إلى غيرهم. من غيرهم فى الأنام؟ من

يلاقيه عند الموت و القبر و الكفن
من النار إلّا من تولى أبا الحسن

فحبّ على عدّة لوليّه
كذلك يوم البعث لم ينج قادم

و قال يمدح الإمام على بن أبى طالب عليه السّلام «١»:

و الكون سرّ و أنت مبداه
الكل عبد و أنت مولاه
ما لعلّ لها فى الخلق أشباه
سرّ الذى لا إله إلّا هو
حاروا عن المهتدى، و قد تاهوا
و قال قوم: بأنّه الله
مولاه حكم العباد و لاه
أنت ملاذ الراجى و منجاء
و أنت عند الحساب غوثاه
إذ ليس فى النار من تولاه

العقل نور و أنت معناه
و الخلق فى جميعهم إذا جمعوا
أنت الولي الذى جلّت مناقبه
يا آية الله فى العباد و يا
تناقض العالمون فيك، و قد
فقال قوم: بأنّه بشر
يا صاحب الحشر و المعاد و من
يا قاسم النار و الجنان غدا
كيف يخاف (البرسى) حر لظى
لا يخشى النار عبد حيدرة

و قال فى إظهاره أسرار الأئمة عليهم السّلام «٢»:

سرّاً كان مخفيا
نورا كان مطويا
و السادات علويا
و محسودا و مرضيا
و كن طيرا سماويا
لا يقرب إنسيا
و الوحدة منسيا

لقد أظهرت يا (حافظ)
و أبرزت من الأنوار
به قد صرت عند الله
و مقبولا و مسعودا
فطب نفسا، و عش فردا
غريبا يألف الخلوة
غدا فى الناس بالخلوة

(١) شعراء الحلة: ٣٩٢-٣٩٣، والغدير: ٧/ ٤٠، أعيان الشيعة: ٦/ ٤٦٦، و البابليات: ١/ ١٢١.

(٢) شعراء الحلة: ٢/ ٢٩٣، والغدير: ٧/ ٦٦-٦٧.

ص: ٣٧٨

و إن أصبحت مرفوضا
فلم يبغضك إلّا من
عمانيا مراديا
لهذا قد غدا يبغض
و فى المولد و المحتد
بسهم البغض مرميا
أبوه الزنج بصريا
مجوسيا يهوديا
ذاك الطين كوفيا
(برسيا) و (حليّا)

و قال مسمطا فى مدح الأئمة عليهم السّلام «١»:

سرّكم لا تناله الفكر
مستصعب فك رمز خطر
و مدحكم شرفت به السور
و أنتم للوجود قبلته
يسعى بها طائعا و يعتمر
لولاكم ما استدارت الأكر
و لا استنارت شمس و لا قمر
و أمركم
فى الورى
له خطر
و وصفكم
لا يطيقه
البشر
وجودكم للوجود علته
و نوركم للظهور آيته
و حبّكم
للمحب
كعبته

و لا تدلى غصن و لا ثمر

و لا تندى
ورق و لا
خضر

و لا سرى بارق و لا مطر

عندكم فى الآيات مجمعا
و أنتم فى الحساب مفزعنا

و قولكم فى الصراط مرجعا

و حبكم
فى النشور
ينفعنا

به ذنوب المحب تغتفر

يا سادة قد زكت معارفهم
و طاب أصلا و ساد عارفهم

و خاف فى بعثه مخالفهم

إن يختبر
للورى
صيارفهم

فأصلهم بالولاء يختبر

أنتم رجائي و حبكم أملى
عليه يوم المعاد متكلى

فكيف يخشى حر السعير ولى

و شافعا
محمد و
على

أو يعتريه من شرّها شرر

(١) شعراء الحلة: ٢ / ٣٩٣، و الغدير: ٧ / ٤٨ - ٤٩.

عبدكم (الحافظ) الفقير على

أعتاب
أبوابكم
يروم قلا

تخيريه يا سادتي أملا

و اقسموه
يوم المعاد
إلى

ظل ظليل نسيمه عطر

صلّى عليكم رب السماء كما
أصفاكم و اصطفاكم كرما

و زاد عبدا والاكم نعما

ما غرد
الطير فى
الغصون و
ما

ناح حمام و أوراق الشجر

و قال:

و إن بارزا فالدهر يخفق قلبه

لسطوتهم و الأسد فى الغاب تفزع

و إن ذكر المعروف و الجود فى الورى

فبحر ندامهم زاخر يتدفع

أبوهم سماء المجد و الأمّ شمس

نجوم لها برج الجلالة مطلع

فيا نسبا كالشمس أبيض مشرقا

و يا شرفا من هامة النجم أرفع

فمن مثلهم إن عد فى الناس مفخر

أعد نظرا يا صاح إن كنت تسمع

ميامين قوامون عز نظيرهم

هداة ولاة للرسالة منبع

فلا فضل إلّا حين يذكر فضلهم

و لا علم إلّا علمهم حين يرفع

و لا عمل ينبجى غدا غير حبّهم

إذا قام يوم البعث للخلق مجمع

و لو أن عبدا جاء لله عابدا

بغير و لا أهل العبا ليس ينفع

فيا عترة المختار يا راية الهدى

إليكم غدا فى موقفى أتطلّع

خذوا بيدي يا آل بيت محمد

فمن غيركم يوم القيامة يشفع» ١«

تمّ الكتاب و الحمد لله ربّ العالمين

(١) أعيان الشيعة: ٤٦٧ / ٦.

ص: ٣٨٠

فهرس المطالب

الموضوع الصفحة

ترجمة المصنف ٥

تمهيد ١٣

خطبة الكتاب ٢٣

قصور الفهم عن إدراك مرتبة أمير المؤمنين عليه السّلام ٢٦

أسرار علم الحروف ٢٩

باطن فاتحة الصلاة ٣٨

حروف المعجم ٣٨

حروف الاسم الأعظم ٣٩

خواص الفاتحة ٤٠

الوجود المطلق و المقيّد ٤١

معنى الواحد و الألف ٤٢

حقيقة النقطة و أنّها الفيض الأوّل ٤٣

الصفات الإلهية ٤٨

الأنبياء عليهم السّلام مظاهر أسماء الله ٤٨

أسرار حروف اسم النبي صلّى الله عليه وآله وسلم ٥٠

باطن الأسماء الإلهية ٥١

نشوء الحروف من الألف ٥٢

ص: ٣٨١

تركيب الأسماء من سرّ الحروف ٥٢

معاني القرآن في أربعة أحرف ٥٣

شرف لفظة: - هو - و دلالتها ٥٤

مراتب حروف الجلالة ٥٥

الباء ظهور الوجود و النقطة تميز للعابد و المعبود ٥٥

معنى الأحد و الواحد ٥٦

أولّ الخلق نور محمّد و على عليهما السّلام ٥٨

ما وراء الحجاب من عوالم ٦٤

منزلة الولي و معاني الولاية ٦٧

منازل الآل عليهم السّلام العالية ٦٩

بركات آل محمد عليهم السّلام على الخلائق ٧٥

أثر حبّ على و أثر بغضه عليه السّلام ٧٩

إقرار الأمم بفضل على عليه السّلام ٨٣

على عليه السلام الإمام المبين ٨٥

على عليه السلام الميزان يوم القيامة ٩٦

اتّحاد النور و معناه ٩٩

أثر حبّ على و طاعته عليه السلام ١٠٠

موالاة على و عدم إدراك كنهه عليه السلام ١٠٣

علم آل محمّد عليهم السلام للغيب ١٠٧

الفصل الأول: فى أسرار النبى الأعظم صلّى الله عليه و آله و سلم ١١٤

الفصل الثانى: فى أسرار أمير المؤمنين عليه السلام و غيبه ١٢٠

الفصل الثالث: فى أسرار فاطمة الزهراء عليها السلام ١٣٣

الفصل الرابع: فى أسرار الحسن بن على عليهما السلام ١٣٤

الفصل الخامس: فى أسرار الحسين بن على عليهما السلام ١٣٧

الفصل السادس: فى أسرار على بن الحسين عليهما السلام ١٣٨

الفصل السابع: فى أسرار أبى جعفر الباقر عليه السلام ١٣٩

الفصل الثامن: فى أسرار الإمام الصادق عليه السلام ١٤٢

الفصل التاسع: فى أسرار أبى الحسن موسى الكاظم عليه السلام ١٤٦

الفصل العاشر: فى أسرار أبى الحسن على بن موسى عليهما السلام ١٤٨

ص: ٣٨٢

الفصل الحادى عشر: فى أسرار أبى جعفر محمد بن على الجواد عليهما السلام. ١٥٢

الفصل الثانى عشر: فى أسرار أبى الحسن الهادى عليه السلام ١٥٤

الفصل الثالث عشر: فى أسرار أبى محمد الحسن العسكرى عليه السّلام ١٥٥

الفصل الرابع عشر: فى أسرار أبى صالح المهدي عليه السّلام ١٥٧

آيات فى فضل الآل عليهم السّلام ١٦١

سر العدد ١٢ ١٦٦

مناقب الصنديد الكرّار عليه السّلام ١٦٩

عدم إدراك حقيقة على عليه السّلام ١٧٢

ما عرف على سوى النّبىّ عليهما السّلام ١٧٣

حقيقة الإمام و الإمامة ١٧٦

عالم آل محمد عليهم السّلام قبل الخلق ١٨٦

السؤال عن على عليه السّلام فى القبر ١٨٧

على عليه السّلام الكتاب المبين ١٨٨

لو لا على عليه السّلام ما خلقت الجنّة ١٨٨

على عليه السّلام ألف الغيب ١٩٠

على عليه السّلام السرّ فى فواتح السور ١٩٠

الإمام محيط بالكون ١٩١

على عليه السّلام الفاتح ١٩٣

وصف على عليه السّلام بالقرآن أعظم من وصف الأنبياء عليهم السّلام ١٩٤

مقام على عليه السّلام عند الملائكة ١٩٦

آل محمّد صلّى الله عليه وآله و سلم صفات الديان ١٩٧

التنبؤ بعلي عليه السلام ١٩٩

افتراق الأمة إلى ٢٠٢ ٧٣

الاختلاف بعلي لا بالنبي عليهما السلام ٢٠٣

عقيدتنا في الإمامة ٢٠٥

معنى الإمامة و جنسها ٢٠٦

علم الإمام بما كان و يكون ٢١٢

عرض الأعمال على آل محمد عليهم السلام ٢١٤

الإمام مع الخلق لا يغيب عنهم ٢١٧

ص: ٣٨٣

حضور آل محمد عند كل ميّت ٢٢٢

قدرة آل محمد عليهم السلام التكوينية ٢٢٥

الدنيا ملك لآل محمد عليهم السلام ٢٢٧

الولاية المطلقة و المقيدة ٢٣٠

على عليه السلام مالک يوم الدين ٣٣٤

اسم على و محمد عليهما السلام على كل شيء ٢٣٦

أثر كتمان العلماء للحقائق ٢٤٠

حديث الطين ٢٤٢

آل محمد عليهم السلام الاسم الأعظم ٢٤٧

مبلغ أسرار على و آله عليهم السلام ٢٤٨

أسرار الفاتحة ٢٥٢

يعلى تكونت الكائنات ٢٥٣

معرفة الإمام بالنورانية ٢٥٥

أسرار على عليه السلام ٢٥٨

كنه على عليه السلام ٢٥٩

خطبة الافتخار ٢٦٠

خطبة التطنجية ٢٦٣

أثار على عليه السلام بالكون ٢٦٨

كلام الإمام إمام الكلام ٢٧٠

أثر اسم على عليه السلام ٢٧١

فضائل آل محمد عليهم السلام ٢٧٢

الصلاة على آل محمد عليهم السلام و أثرها ٢٧٥

سبب اخفاء النبي صلى الله عليه و آله و سلم للعلم الرباني ٢٧٩

على عليه السلام حاكم يوم الدين ٢٨٣

مناقب لأمر الخلق ٢٨٤

إذا شئنا شاء الله ٢٨٦

على عليه السلام صاحب الجنان و قسيم الميزان ٢٨٨

حاجة الخلائق لآل محمد عليهم السلام ٢٩٠

آل محمد عليهم السلام حكام العباد ٢٩٤

ص: ٣٨٤

أقسام الأولياء ٢٩٥

معنى الحساب ٢٩٦

مناقب الكرّار بلسان المختار ٢٩٨

مفتاح الجنّة بيد على عليه السّلام ٢٩٩

من عرف نفسه عرف ربّه ٢٩٩

معنى الرب فى القرآن ٣٠٢

مناقب آل محمّد عليهم السّلام ٣٠٤

معنى الحركة و السكون لله ٣٠٦

معنى الرب بالقرآن ٣٠٨

أثر إنكار فضل الآل عليهم السّلام ٣١٠

صفات الله تعالى ٣١٢

اختلاف الناس فى الإمام ٣١٣

سرّ آل محمد عليهم السّلام صعب مستصعب ٣١٥

ليس كمثل شىء ٣١٦

افتراق الأمم بعد الأنبياء عليهم السّلام ٣٢٠

تعداد الفرق الإسلامية ٣٢٢

الفرق الإسلامية ٣٢٥

هفوات العامة فى الأنبياء عليهم السّلام ٣٣٠

[على عليه السّلام أفضل الصحابة] ٣٤٠

[على عليه السّلام أعلم الصحابة] ٣٤٠

[على عليه السّلام أزهد الصحابة] ٣٤١

[على عليه السّلام أشجع الصحابة] ٣٤١

علم الكتاب عند آل محمد عليهم السّلام ٣٤٧

الخاتمة ٣٥٠

مجموعة من شعر الشيخ رجب البرسى ٣٥٥

الفهرس ٣٨٠